

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله النوني

السفر الخامس عشر

معين التارخ
لأهل التارخ

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدلالات وفهارس جامعة

المطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

الطبعة الأولى بمطبعة دارالكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدارالكتب المصرية

فهرس

السفر الخامس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

صفحة

ذكر أخبار مصر ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده، وما بنوه من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني، وما وضعوه بها من العجائب والطلقات والحكم، وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها	١
ملوكها قبل الطوفان	١
ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها	٢٢
ذكر خبر كهان مصر وحالهم مع الملوك	٤٠
ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك	٤٣
ذكر خبر هاروت وماروت	٥٢
ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيته	٦٩
ذكر أخبار أتريب الملك	٧٥
ذكر أخبار صابن قبطيم بن مصرم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام	٨١
ذكر خبر عون وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها	١١٥
ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته	١١٩
ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون	١٣٨

صفحة

الباب الثالث من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأيم من	
الأعاجم ؛ وهم ملوك الفرس الأول ؛ وملوك الطوائف من الفرس ،	
والملوك الساسانية واليونان والسريان والكلوانيين والروم والصقالبة	
والنوكرد والإفرنجية والجلالة وطوائف السودان	١٤٢
ذكر أخبار ملوك الفرس وهم الفرس الأول	١٤٢
ذكر أخبار مختصر	١٥٨
ذكر أخبار ملوك الطوائف	١٦٤
ذكر أخبار الملوك الساسانية	١٦٦
ذكر قطعة من سير كسرى أنو شروان وسياسته	١٩٥
ذكر خطبة أنو شروان	٢٠٧
ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم	٢٢٣
ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله	٢٢٦
ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسابهم	٢٣٤
ذكر شيء من مكاييد الإسكندر وحيله في حروبه	٢٣٨
ذكر شيء من أخبار الإسكندر وما آتفق له مع ملكي الهند والصين	٢٤٣
كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر	٢٥٢
ذكر أخبار ملوك السريان	٢٥٥
ذكر أخبار ملوك الكلوانيين وهم ملوك النبط ملوك بابل	٢٥٨
ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم	٢٦٣
ذكر خبر أصحاب الكهف	٢٦٦
ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة وهم ملوك القسطنطينية	٢٧٣
ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام	٢٧٩
ذكر أخبار ملوك الصقالبة والنوكرد	٢٨٤
ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالة	٢٨٥

صفحة

٢٨٧	ذكر طوائف السودان وشيء من أخبارهم ونسبهم
	الباب الرابع من القسم الرابع من الفقه الخامس في أخبار ملوك العرب
٢٩١	ويتصل بهذا الباب خبر سيل العرم
٢٩١	ذكر أخبار ملوك قحطان
٣٠٩	ذكر خبر سيف بن ذي يزن وعود الملك إلى حمير
٣١١	ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان
٣١٥	ذكر أخبار ملوك الحيرة وهم من آل قحطان
٣٣٢	ذكر خبر ستة مارب وسيل العرم
	الباب الخامس من القسم الرابع من الفقه الخامس في أيام العرب ووقائعها
٣٣٨	في الجاهلية
٣٣٩	ذكر واقعة طسم وجديس
٣٤٤	ذكر حروب قيس في الجاهلية . يوم منعج لغني على عبس
٣٤٦	يوم التفراوات لبني عامر على بني عبس
٣٤٨	يوم بطن عاقل لذبيان على بني عامر
٣٤٩	يوم رححان لعامر على تميم
٣٥٠	يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم
٣٥٣	يوم الحربية وفيه قتل الحارث بن ظالم
٣٥٦	ذكر حرب داحس والغبراء، وهي من حروب قيس
٣٥٨	يوم المريقب لبني عبس على بني ذبيان
٣٥٩	يوم ذي حسي لذبيان على عبس
٣٦٠	يوم اليعمرية لعبس على ذبيان
٣٦٠	يوم الهباءة لعبس على ذبيان
٣٦٢	يوم الفروق لبني عبس
٣٦٣	يوم قطن

صفحة

يوم غدیر قلبی	۳۶۳
يوم الزم لطفان على بنی عامر	۳۶۴
يوم التساء لعبس على بنی عامر	۳۶۴
يوم شواحت لبنی محارب على بنی عامر	۳۶۵
يوم حوزة الأول لسلم على غطفان	۳۶۵
يوم حوزة الثاني	۳۶۷
يوم ذات الإمل	۳۶۸
يوم اللوى لطفان على هوازن	۳۶۹
يوم الطعينة بين دريد بن الصمة وربعة بن مکدم	۳۷۰
يوم الصلحاء لهوازن على غطفان	۳۷۳
ذكر حرب قيس وکانة . يوم الکديد لسلم على کانة	۳۷۳
يوم فزارة لکانة على سلم	۳۷۴
يوم الفيفاء لسلم على کانة	۳۷۴
ذكر حرب قيس وتميم . يوم السؤبان لبنی عامر على بنی تميم	۳۷۵
يوم أقرن لبنی عبس على بنی دارم	۳۷۷
يوم المزوت لبنی العنبر على بنی قشير	۳۷۷
يوم دارة ماسل لميم على قيس	۳۷۸
أيام تميم على بكر . يوم الوقيط	۳۷۹
يوم النباح ویتل لبكر على تميم	۳۸۱
يوم زرود الثاني لبنی ربوع على بنی تغلب	۳۸۳
يوم ذی طلوح لبنی ربوع على بكر	۳۸۳
يوم الحائر وهو يوم ملهم لبنی ربوع على بنی بكر	۳۸۵
يوم الفصح وهو يوم ماله لبنی ربوع على بكر	۳۸۵
يوم رأس العين لبنی ربوع على بكر	۳۸۶

صفحة	
٣٨٦	يوم العظالي لبني يربوع على بكر
٣٨٨	يوم الغيظ لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم مخطط لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم جدود
٣٩٠	يوم سفوان
٣٩١	يوم نقا الحسن وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيان
٣٩١	أيام بكر على تميم • يوم الزورين
٣٩٣	يوم الشيطان لبكر على تميم
٣٩٣	يوم صغفوق لبكر على تميم
٣٩٤	يوم ميايض لبكر على تميم
٣٩٥	يوم فيحان لبكر على تميم
٣٩٥	يوم ذي قار الأول لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الحاجر لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الشقيق لبكر على تميم
٣٩٦	ذكر حرب البسوس • وهي حرب بكر وتطلب أبني وائل
٣٩٨	ذكر مقتل كليب وائل
٤٠٠	يوم النهي
٤٠٠	يوم الذئب
٤٠١	يوم واردات
٤٠١	يوم عيزة
٤٠٢	يوم قضة
٤٠٤	يوم تحلاق اللم
٤٠٦	الكلاب الأول
٤٠٧	يوم الصفقة وهو يوم الكلاب الثاني

صفحة	
٤١٣	يوم طخفة
٤١٤	يوم فيف الريح
٤١٥	يوم زرود الأول
٤١٦	يوم غول الأول وهو يوم كنهل
٤١٧	يوم الجبابات
٤١٧	يوم الشعب
٤١٨	يوم غول الثاني
٤١٨	يوم الخندمة
٤١٩	يوم اللهيماء
٤٢٠	يوم خراز
٤٢١	يوم النيسار
٤٢١	يوم ذات الشقوق
٤٢٢	يوم خق
٤٢٣	أيام الفجار - الفجار الأول
٤٢٤	الفجار الثاني
٤٢٤	الفجار الثالث وهو بين كانة وهوازن
٤٢٥	الفجار الآخر وهو بين قريش وكانة كلها وبين هوازن ..
٤٢٧	يوم شمطة وهو يوم نخلة من الفجار الآخر
٤٢٨	يوم العلاء
٤٢٨	يوم شرب
٤٢٩	يوم الحرية
٤٣٠	يوم عين أباغ
٤٣١	يوم ذى قار

٢٥
١- خمسة الف من الخامس
٢- ستة الف من الرابع
٣- ثمانية الف من الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر أخبار مصر

ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده ، وما بنوه بها من المدن ، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني ، وما وضعوه بها من العجائب والطلسمات والحكم ، وما أنشأوا من المعادن وما دبروه من الصنعة ، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها

فإنما ملوكها قبل الطوفان فقد ذكرهم إبراهيم بن القاسم الكاتب في مختصر كتاب العجائب الكبير الذي ألفه إبراهيم بن وصيف شاه . قال : أول من ملك مصر من الملوك قبل الطوفان ^(١) تَقْرَاوُس ، ومعناه ملك قومه وعظيمهم . وذلك أن بني آدم لما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحمل تَقْرَاوُس الجبار ^(٢) ابن مصرايم بن براكيل بن زراييل بن غرناب بن آدم في نيف وسبعين رجلا من بني غرناب جبارة ، كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه من بني آدم . فلما نزلوا على النيل ورأوا سعة البلد وحسنه أقاموا فيه وبنوا الأبنية ، وقالوا : هذا بلد زَرَع [وبنى تَقْرَاوُس مصر] ^(٣) وسمّاها بأسم أبيه مصرايم ثم تركها ^(٤) . وكان تَقْرَاوُس

(١) ورد هذا الضبط بالقلم هكذا في نسخة ب .

(٢) اختلفت المراجع في ذكر هذه الأسماء فاكثينا بما ورد في الأصول .

(٣) الكلمة من خطوط المقرئ (ج ٣ ص ٦ طبة فيت) .

(٤) كذا في خطوط المقرئ . وفي الأصل : « تركها » .

جبارا له أيدٌ وبسطة ، وكان مع ذلك كاهنا عالما ، له معاون من الجن ، فملك
 بنى أبيه ولم يزل مطاعا فيهم . وقد كان وقع إليه من العلوم التي كان زراييل علمها
 من آدم . قال : فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الأعلام ، وأقاموا الأساطين العظام ،
 وعملوا المصانع ، ووضعوا الطلسمات ، واستخرجوا المبادن ، وقهروا من ناوهم
 من ملوك الأرض ولم يطمع طامعٌ فيهم . وكل علم جليل في أيدي المصريين إنما هو
 من فضل علم أولئك القوم ، كان من موزا على الحجارة . فيقال إن فليمون الكاهن
 الذي كان ركب مع نوح عليه السلام في السفينة هو الذي فسر لها لم وعلمهم كتابها ،
 وسندكر إن شاء الله تعالى خبر فليمون في موضعه .

قال : ثم أمرهم نقراس حين استقر أمرهم ببناء مدينة فقطموا
 الصخور والأحجار من الجبال ، وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة وسموها
 أمسوس^(١) ، وأقاموا بها أعلاما ، طول كل علم مائة ذراع ، وعمروا الأرض ،
 وأمرهم ببناء المدائن والقرى ، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر . وهم
 الذين حفروا النيل حتى أبحروا ماءه إليهم ، ولم يكن معتدل الحفر إنما كان يشطح
 ويتفرق في الأرض . قال : ووجه إلى بلد النوبة جماعة حتى هندسوه وشقوا منه
 أنهارا إلى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها ، وشقوا نهرا عظيما إلى مدينتهم
 أمسوس يجري في وسطها وغرسوا عليه الغروس ، فكثرت خيرهم وعزت أرضهم
 وتخير ملكهم . قال : وبعد مائة وعشرين سنة من ملكه أمر بإقامة الأساطين
 العظام وزبر عليها ذكر دخولهم البلد ، وكيف نزلوا به ، وحبسهم لمن حاربوه من

(١) أمسوس ، وردت مضبوطة بالقلم هكذا في نسخة ب وهي أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل

الطوفان . وموضعها خارج الاسكندرية تحت البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) كما ذكره بعض
 المؤرخين ، وشق لها نهرا يصل بها من النيل (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٩) .

الأهم : ثم أمر ببناء قبة على أساطين مُثبتة في الرصاص ، طولها مائة ذراع ، وجعل
على رأسها امرأة من زبرجد أخضر ، قُطرها سبعة أشبار ، ترى خُضرتها على أمد
بعيد . قال : وفي مصاحف المصريين أنه سأل الذي كان معه أن يعرفه مخرج النيل ،
فحمّله حتى أجاسه على جبل القمر خلف خط الاستواء على البحر الأسود الزرقى ،
وأراه النيل كيف يجري فوق ذلك البحر الأسود مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل
القمر ، ثم يخرج الى بطائح هناك . ويقال : إنه عمل بيت التماثيل هناك ، وعمل فيه
هيكل الشمس . ورجع الى أمسوس فقسم البلد بين بنيهِ ، فجعل لتقارس الجانب
الغربي ، ولسورب الجانب الشرقي ، ولأبنه الصغير وهو مصرام مدينة سماها برسان
وأسكنه فيها ، وأقام فيها أساطين وشق لها نهرا وغرس بها غروسا . وعمل بأمسوس
عجائب كثيرة ، منها صورة طائر على أسطوانة عالية ، يصنر كل يوم مرتين عند
طلوع الشمس وعند غروبها صغيرا مختلفا ، فيستدلون به على ما يكون من الجواهر
فيتأهبون لها ، ويخزن لساء المقسوم على جناتهم مائة وعشرين قسما لا يقدر أحد
أن يحوز ما ليس له . وعمل وسط المدينة صنيين من حجر أسود ، اذا تقدم السارق
لم يقدر على الزوال عنها حتى يسلك بينهما ، [فإذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ] .

١٠٥
١٢

(١) المراد بخلف هنا شمال خط الاستواء .

(٢) هذه التسمية وردت هكذا أيضا في خطط المقرئى (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) أثناء كلامه على
تقراوس والقلعة في هذا أن النورئى والمقرئى يتقلان عن مرجع واحد وهو ابن وصيف شاه . ولم نوفق
إلى تحقيقه في مرجع آخر .

(٣) كرر المؤلف هنا عبارة « البحر الأسود الزرقى » ولا معنى له واكتفينا بما ورد في خطط المقرئى .

(٤) المراد بالبطائح هنا منابع النيل .

(٥) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣١٩) هذه المدينة على أنها القاعدة الثانية من
قواعد مصر قبل الطوفان ثم قال : « ولم أقف على مكانها » .

(٦) الزيادة من المقرئى (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) . وفي الأصلين مكانها : « بمقطان عليه » .

وله أعمال كثيرة سوى هذه . قال : وعمل في برسان صورة [من] نحاس مذهب على منار
 حال لا تزال عليها سحب تظّلها ، من استمطرها أمطرت عليه ماء ، فهلكت في الطوفان .
 وعمل على حدود بلادهم أصناما من نحاس مجوّف وملائها نارا وكبريتا وجلب اليها
 روحانية [النار] ^(١) ، فإن قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهاها نارا
 أحرقت . وكان حد بلادهم الى داخل الغرب مسافة أيام كثيرة عامرا كة
 بالقصور والبساتين ، وكذلك في المشرق الى البحر ، ومن الصعيد الى بلاد علوة ^(٢) .
 وعمل فوق جبال بطرس منارا يفور بالماء يسقى ماتحته من المزارع . وملّكهم
 مائة وثمانين سنة . فلما مات لطحوا جسده بالأدوية المُنسكة ، وجعلوه في تابوت
 من ذهب ، وعملوا له ناووسا مُصَفَّحا بالذهب ، وجعلوا معه كنوزا من أنواع
 الجواهر وتماثيل الزُّبرجد ، وكثرا من الصُّنعة المعمولة ، وأواني الذهب ، والطلّسات
 التي تدفع الحوام وغيرها ، وزبروا عليه تاريخ الوقت .

ولما مات ملك بعده أبنيه نقارس بن نَقْرَاوُس ، فتجبرّ وعلا أمره ، وبني
 مدينة يقال لها خلجة ^(٣) ، وعمل فيها جنة صفّح حيطانها بصفائح الذهب والمجارة
 الملونة ، وغرس فيها أصناف الفواكه والفروس الحسنة ، وأجرى تحتها الأنهار ،
 وأمر بإقامة الأساطين والأعلام ^(٤) ، ورُكِبَ عليها أصناف العقاقير والأدوية وجميع
 العلوم . وكان معه شيطان يعمل له التماثيل العجيبة . وهو أول من بنى بمصر هيكلا

(١) الزيادة من المقرئى . والمبارة فيه : « وكل بها روحانية النار » .

(٢) بلاد علوة : هى من بلاد النوبة ، وقع على خفة النيل أسفل من مدينة دنقلة ، وبينها مسيرة
 أيام في النيل (راجع المغرب وأرض السودان ص ١٩ طبع مدينة ليدن) .

(٣) في المقرئى (ج ٣ ص ١١ طبع فييت) « خلجة » وأشير في الهامس الى أنها في السيوطى « خلجة » .

(٤) لعله « وكتب » .

وجعل فيه صور الكواكب السبعة، وزبر على رأس كل كوكب محارته وما يعمله من المنافع والمضار، وألبسه الثياب الفاخرة وأقام له كاهنا وسدنة. وخرج مغرباً حتى بلغ البحر المحيط وعمل عليه أعلاماً، وجعل على رأس كل علم أصناماً تُسرج عيونها بالليل كأنها مصابيح، ورجع على بلاد السودان إلى النيل، وأمر ببناء حائط على جانب النيل، وجعل له أبواباً يخرج الماء منها. وبني في صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مدن على أساطين، وجعل شرفها من الحجارة الملونة التي تَسْف، وجعل في كل ناحية منها ثلاث خزائن للحكمة، وهي أول عجائب الأرض، جعل الدخول إلى هذه المدائن من الأساطين التي بنيت عليها. ففي إحدى هذه الخزائن صنم الشمس الذي هو أعظم أصنامهم، وهي معلقة عليه في بيت شرفها، وعلى رأسه إكليل فيه كواكبها الثابتة. وفي إحداها صنم للشمس رأسه رأس طاووس في جسد إنسان من ذهب أزرق، وعيناه جوهرتان صفراوان، وهو جالس على سرير مغنطيس، وفي يده مصحف العلوم. وفي إحداها صنم رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر، وصورة امرأة جالسة من زئبق معقود، لها ذؤابتان، وفي يدها مرآة وعلى رأسها صورة كوكب، وهي رافعة بالمرآة إلى وجهه، ومطهرة فيها سبعة ألوان، من الماء السائل لا يختلط بعضها ببعض ولا يوارى بعضها بعضاً، وصورة شيخ من حجر الفيروزج، وبين يديه

(١) الحارة : المكان الذي يحور أو يحار فيه (المدار) . والمحارتان : رأسا الورك المستديران اللذان يدور فيهما رموس الفخذين . والمعروف أن لكل كوكب محور يدور فيه . وقيل له محور : للدوران ، لأنه يرجع إلى المكان الذي زال عنه ؟ فالمراد بالحارة هنا الدائرة التي يدور فيها الكوكب .

(٢) بيت شرفها : أى محل عزها وعلوها وسعادتها وحلوها في الحمل وهو محل قوة الكوكب ، فالشمس من أجل أنها إذا حلت الحمل تصاعدت في الشمال وظهرت قوتها ومار شرفها فيه (راجع شرح العلامة الخضرى على متن اللغة ورقة ٨٧ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨ مبيعات) .

(٣) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « صورة أحدها » .

(٤) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « والآخر » .

صَبِيَّةٌ يَعْلَمُهُمْ ، وَهُمْ مِنْ أَصْنَافِ الْعَقِيقِ وَالْجَوْهَرِ . وَفِي الْخَزَانَةِ الثَّانِيَةِ صُورَةُ هِرْمِزٍ
 [يَعْنِي عَطَّارْدَ] ^(١) وَهُوَ مَكْبٌ يَنْظُرُ إِلَى مَائِدَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نُشَادِزٍ عَلَى قَوَائِمٍ كَبْرِيَةٍ أَحْمَرَ ،
 وَفِي وَسْطِهَا مِثْلُ الصَّخْفَةِ مِنْ جَوْهَرٍ أَحْمَرَ فِيهَا دَوَاءٌ أَخْضَرٌ مِنَ الصَّنْعَةِ ، وَصُورَةُ عُقَّابٍ
 مِنْ زُمْرَدٍ أَخْضَرٍ عَيْنَاهُ مِنْ يَاقُوتٍ أَصْفَرٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ حَيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ لَوَتْ ذَنْبَهَا
 عَلَى رِجْلَيْهِ وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا كَأَنَّمَا تَرِيدُ أَنْ تَنْفِخَ عَلَيْهِ ، وَفِي نَاحِيَةِ مِمَّا صُورَةُ الْمَرْيَخِ
 رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَسْلُولٌ مِنْ حَدِيدٍ أَخْضَرٍ ، وَعَمُودٌ مِنْ جَوْهَرٍ أَخْضَرٍ ،
 عَلَيْهِ قَبَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا صُورَةُ الْمُشْتَرَى ، وَقَبَّةٌ [مِنْ أَدْرَكِ] ^(٢) عَلَى أَرْبَعَةِ أَعْمَدَةٍ مِنْ جَزَعٍ
 أَزْرَقٍ فِي سَقْفِهَا صُورَةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُتَحَافِظِينَ فِي صُورَةِ أَمْرَأَةٍ وَرَجُلٍ كَأَنَّمَا يَتَحَدَّثَانِ ،
 وَقَبَّةٌ مِنْ كَبْرِيَةٍ أَحْمَرَ فِيهَا صُورَةُ الزُّهْرَةِ عَلَى صُورَةِ أَمْرَأَةٍ مُسَكَّةٍ بَضْفِيرَتِهَا وَتَحْتَهَا رَجُلٌ
 مِنْ زَبْرَجَدٍ أَخْضَرٍ ، فِي يَدِهِ كِتَابٌ فِيهِ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِهِمْ كَأَنَّهُ يَقْرَأُ فِيهِ عَلَيْهَا . وَجَعَلَ فِي كُلِّ
 خَزَانَةٍ مِنْ بَقِيَةِ الْخَزَائِنِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يَحْدُ ، وَعَلَى بَابِ كُلِّ مَدِينَةٍ طَلْسِمَاتٌ تَمْنَعُ
 مِنْ دُخُولِهَا فِي صُنُوفٍ مُخْتَلِفَةٍ لَا يَشْبَهُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ مِنَ الْجَوْهَرِ
 النَفِيسِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْكَبْرِيَةِ الْأَحْمَرِ وَالتُّرْبَةِ الصَّنْعِيَّةِ فِي الْبَرَانِي الْمَازُونَةِ ، وَصُنُوفِ
 الْأَدْوِيَةِ النَّفِيسَةِ الْمُؤَلَّفَةِ وَالسَّمُومِ الْقَاتِلَةِ . وَعَلَّمَ كُلَّ بَابٍ مِنَ الْأَسَاطِينِ بِعَلَامَةٍ
 يَعْرِفُ بِهَا يُصْعَدُ إِلَيْهَا مِنْ مَسَارِبٍ تَحْتَ الْأَرْضِ . قَالَ : وَجَعَلَ بَيْنَ هَذِهِ الْمَدَائِنِ ^(٣)
 ١٠٦
 ١٢

(١) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبعه فيت) .

(٢) زيادة عن المقرئ (طبعة فيت) . والأدرك : الحُرُّ الْأَحْمَرُ . وفي طبعه بلاق « من آنك »

والآنك : القصدير .

(٣) كذا في المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبعه فيت) وفي الأصول : « ... وكانهم يقومون عليه » .

(٤) يريد : وجعل بين أولى هذه المدائن وبين مدينة خلجة ، وهي التي عمل فيها الجنة ، سبعة أميال إلى

الغرب ، وبين مدينته خلجة وبين الثانية أربعة عشر ميلا ، وبينها وبين الأخيرة واحد وعشرون ميلا .

في العبارة هنا قصور .

و بين مدينة خلجة ، وهى التى عمل فيها الجنة ، سبعة أميال الى الغرب ، وبينها وبين
الأخرى أربعة عشر ميلا ، وبين الأخرى واحد وعشرون ميلا . وكان له من
مدينته الى هذه المدائن أسراب تحت الأرض يصل منها اليها ، وكذلك من بعضها
الى بعض . وعمل عجائب كثيرة أزالها الطوفان ، وركبت هذه الأرض الرمال فأزالت
طلسماتها . قال : وملك ثقارس مائة سنة وسبع سنين ثم هلك فعُمل له ناووس ،
وجُعل معه من الأشياء العجيبة ما يطول الأمر بذكره .

ثم ملك بعده أخوه مصرام بن نقراروس ، فبنى للشمس هيكلا من المرمر الأبيض
ومؤنه بالذهب ، وجعل وسط الهيكل كالعرش من جوهر أزرق عليه صورة الشمس
من ذهب أحمر وأرخت عليها كل الحرير الملون ، وأمر أن يوقد عليها بطيب الأدهان ،
وجعل فى الهيكل قنديلا من الزجاج الضاق ، وجعل فيه حجرا مدبراً يضىء كما يضىء
السراج وأكثر منه ضوءاً ، وأقام له سدنة ، وعمل له سبعة أعياد فى السنة . وقيل : إن مصر
سميت به . وتسمى به مصرام بن بيصر بن حام بن نوح بعد الطوفان لأنه وجد
أسمه مزبوراً على الحجارة . وكان قليمون الكاهن أخبرهم أخبار هؤلاء الملوك . وكان
مصرام هذا قد ذلّل الأسد فى وقته فكان يركبها . وصحبه الروحاني الذى كان مع أبيه
لما رأى من حرصه على لوازم الهياكل والقياس بأمور الكواكب ، وأمره أن
يحتجب عن الناس . وألقى على وجهه بسجره نورا عظيماً لا يقدر أحد أن يتمكن من
النظر اليه . فأدعى أنه إله ، وغاب عن الناس ثلاثين سنة ، وأستخلف عليهم رجلا من
ولد غمرنايب وكان كاهناً . ويقال : إن مصرام ركب فى عرش وحملته الشياطين حتى
أتتهى الى وسط البحر الأسود ، فعُمل فيه القلعة الفضة وجعل عليها صنيين من
النحاس وزير عليها : أنا مصرام الجبار ، كاشف الأمراء ، الغالب القهار ، صنعتُ

(١) فى المقرئى (ج ٣ ص ١١ طبعة فييت) : « وفى وسط فرس من جوهر » .

الطَّلَامَاتِ الصَّادِقَةِ ، وَأَقَمْتُ الصُّوَرَ النَّاظِقَةَ ، وَنَصَبْتُ الْأَعْلَامَ الْهَائِلَةَ عَلَى الْبَحَارِ السَّائِلَةِ ، لِيَعْلَمَ مَنْ بَعْدِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مَلِكِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ السَّعَادَةِ .
وَكَانَ قَدْ عَمِلَ فِي جَنَّتِهِ شَجَرَةٌ مَوْلِدَةٌ بِوُكُلٍ مِنْهَا جَمِيعُ الْفَوَاكِهَ ، وَقَبَّةٌ مِنْ زَجَاجٍ أَحْمَرَ عَلَى رَأْسِهَا صَنْمٌ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ ، وَوُكُلٌ بِهَا شَيَاطِينٌ إِذَا آخَلَطَ الظَّلَامُ نَادَوْا :
لَا يُخْرِجُ أَحَدٌ مِنْ مَنَازِلِهِ حَتَّى يُصْبِحَ وَإِلَّا هَلَكَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ .
وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا لَهُ ، وَجَلَسَ لَهُمْ فِي مَجْلِسٍ عَالٍ مَزِينٍ بِأَصْنَافِ الزَّيْنَةِ وَتَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ هَالَتِهِمْ وَمَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ رَعْبًا ، نَفَزُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَدَعَوْا لَهُ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَرَوْهُ بَعْدَ . وَبَلَغَ بِكَهَانَتِهِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ .

- ١٠ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ عَنَقَامُ^(١) الْكَاهِنِ ، فَعَمِلَ فِيهِمْ ، وَعَمِلَ مَدِينَةَ عَجِيَّةَ قَرِبَ الْعَرِيشِ جَعَلَهَا لَهُمْ حَرَمًا . وَقِيلَ : إِنْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ فِي زَمَانِهِ . قَالَ : وَيَحْكِي عَنْهُ أَهْلُ مِصْرَ حِكَايَاتَ كَثِيرَةٍ تَخْرُجُ مِنَ الْعَقُولِ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي عِلْمِهِ كَوْنَ الطُّوفَانِ ، فَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَصْحَبُهُ أَنْ تَبْنِيَ لَهُ مَكَانًا خَلْفَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ الْفَسَادُ ، فَبُنِيَ لَهُ الْقَصْرُ الَّذِي فِي سَفْحِ جَبَلِ الْقَمَرِ ، وَهُوَ قَصْرُ النُّحَاسِ الَّذِي فِيهِ التَّمَاثِيلُ ، وَهِيَ نَحْصَةٌ وَثَمَانُونَ تَمَنَّا لَا ، يُخْرِجُ مَاءَ النَّيْلِ مِنْ حُلُوقِهَا وَيَنْصَبُ إِلَى بَطْنِهَا .
١٥ وَلَمَّا عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ الْقَصْرُ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَهُ ، فَجَلَسَ فِي قَبْتِهِ وَحَلَّتِ الشَّيَاطِينُ عَلَى أَعْنَاقِهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى حِكْمَةَ بَنِيَانِهِ وَزَخْرَفَةَ حَيْطَانِهِ وَمَا فِيهِ مِنَ النُّقُوشِ وَصُورِ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْعَجَائِبِ — وَكَانَ يُسَرِّجُ بَغِيرَ مَصَابِيحَ ، وَتُنْصَبُ فِيهِ مَوَائِدُ يُوجَدُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ الْأَطْعَمَةِ وَلَا يُدْرَى مَنْ يَعْمَلُهَا ، وَكَذَلِكَ الْأَشْرَبَةُ فِي أَوَانٍ ، يُسْتَعْمَلُ مِنْهَا وَلَا تَنْقُصُ . وَفِي وَسْطِهَا^(٢) [بِرْكَةٌ]

(١) ضبط هكذا بالقلم في نسخة ب . (٢) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٢ طبعة فييت) .

١٠٧
١٢

من ماء جامد الظاهر تُرى حركته من وراء ما بعده منه ، وأشياء كثيرة من هذا النوع وإن كانت تنبؤ عن العقول - أعجبه ما رأى ، ورجع الى مصر فأستخلف أبنة عِرْناق وأوصاه بما يريدته وقلدة الملك ، ورجع الى ذلك القصر فأقام به حتى هلك هناك .
واليه تُعزى مصاحف القبط التي فيها تواريتهم وجميع ما يجري الى آخر الزمان .
قالوا : ولم تطل مدة ملكه .

ثم ملك بعده أبنة عِرْناق بن عِثْقَام^(١) . ملك بعد أبيه وعمل عجائب كثيرة ، منها شجرة صُفْر فيها أغصان حديد بخطاطيف حادة اذا تقرب منها الظالم والكاذب تقربت اليه تلك الخطاطيف فتعلقت به وشكت بدنه ولم تفارقه حتى يُحدث عن نفسه بالصدق ويعترف بظلمه ويخرج عن ظلامه خَصْمه . ونزل صنما من صَوَان أسود وسماه غبد قزويس^(٢) ، أى عبد زحل ، فكانوا يحتكون اليه ، فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه فلم يقدر على الخروج منه حتى يُنصف من نفسه ولو أقام سنة أو أكثر . ومن كانت له حاجة منهم أو طلب شيئا بخر الصنم ليلا ونظر الى الكواكب وذكر اسم عِرْناق وتضرع فيُصبح وقد وجد حاجته على باب منزله . قال : وكان عِرْناق ربما حملته أطيار عظام وتمزبه وهم يرونه . وكان ربما غضب على ناس فجعل ماءهم مُرّا لا يُذاق ، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوامها . قال :
وتجروا على صيد السباع والوحوش ، وعمل عجائب ، منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أغصان لَطَخها بدواء مدبر ، فكانت تجتاب كل صنف من الوحش . قال :
وفي كتب المصريين أن هاروت وماروت كانا في وقته وعلمتا أهل مصر أصنافا من

(١) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب .

(٢) في نسخة أ : « عبد فرديس » .

السحر، ويُقَالُ بعد الطوفان الى بابل. وكان عِرْنَاقُ يَحْتَلِبُ النساءَ بِسِحْرِهِ وَيَقْتَصِبُهُنَّ،
وكان يسكن الجنة التي عملها نقارس، فأَحْتَالَتْ عليه امرأة من المفصوبات فسبته
فهلك وبقي مدة لا يعرف خبره. وكان من رُسْمِهِ - إذا خلا بنسائه - لا يقربه أحد،
فلما تأخر خبره عن الناس هجم عليه قَتَّى من بنى تقراوس يقال له لُوخِيمٌ ومعه نفر من
أهله، فوجدوه مائى في فراشه جيفة، فأمر أن توقد له نار فأحرقه فيها. وجمع النسوة
اللواتى كنَّ في الجنة، فمن كانت من نسائه تركها، ومن كانت من المفصوبات
سرحها الى أهلها، ففرح الناس بذلك وبما نزل به.

وملك بعده لُوخِيمٌ وجلس على سرير المُلْكِ ولبس تاج أبيه، وأمر بجمع الناس
وقام فيهم وتكلم وذُكر ما كان عليه عِرْنَاقُ الأثيم من سوء السيرة وأغتصاب النساء
وسفك الدماء ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة الى أن هلك، وأنه أحقُّ بتراث
أبيه وجده. وضمن للناس العدل والإحسان والقيام بأمرهم ودفع كل أذى عنهم. فرضى
الناس به وأطاعوه وقالوا: أنت أحقُّ بالملك، ولا زلت دائم السعادة طويل العمر
قائما بتجويد الهياكل وتعظيمها. فركب الى هيكل الشمس فقترب له بقرا كثيرا، وسار
في الناس بالعدل. قال: وكانت الفرائيق قد كَثُرَتْ في زمن عِرْنَاقٍ فأهلك زروع
الناس. فعمل لُوخِيمٌ أربع منارات من نحاس في أربعة جوانب أمسوس، وجعل
على كل منارة صورة غراب في فيه حية قد آلتوت عليه فلم يقربهم شيء من تلك
الطيور، فكانت كذلك حتى أزالها الطوفان.

(١) في المقرئى (ج ٣ ص ١٤ طبعة فييت): «لوجيم» بالميم المعجمة.

(٢) في ١: «أخيه».

(٣) الفرائيق: المذكور من الطير واحدا غرنوق وغرنيق، وهو طائر مائى طويل القوائم والعنق.

أسود وقيل أبيض (راجع شرح القاموس مادة غرق).

قال: ومن ملوكهم خصليم وهو أول من عمل مقياسا لزيادة الماء، وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والمهندسة فعملوا بيتا من رخام على حافة النيل، وجعل في وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون، وعلى حاقبي البركة تمثال عقابين من نحاس ذكر وأنثى. فإذا كان في أول الشهر الذي يزيد فيه الماء فتح باب البيت وحضر الكهان وأمناء الملك وتكلموا بكلام لهم حتى يصفر أحد العقابين، فإن صفر الذكر كان الماء زائدا، وإن صفرت الأنثى كان الماء ناقصا، ثم يعتبرون الماء فكل إصبع يكون في تلك البركة فهو ذراع من زيادة النيل، وكل إصبع ينقص فهو نقصان ذراع. فإذا علموا ذلك حفروا الترع وأصلحوا الجسور. وعمل على النيل الفنطرة التي هي ببلاد النوبة. وكان له ابن سماء هرصال، أي خادم الزهرة، لرؤيا كانت رأتها أخت الملك أن الزهرة تخاطبها، وكففت الغلام عنته، وأسمها نرداقة، وأدبته أحسن التأديب، وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك والعظماء، وبنت له مدينة فيها عجائب كثيرة، احتفلات بها وزيتها بأحسن النقوش والزينة والعمارة، وعمات فيها حماما معلقا على أساطين يرتفع الماء إليها حازا من غير وقيد. ولما هلك خصليم دفن في نابوس. ثم ملك بعده ابنه هرصال بن خصليم فتحول إلى المشرق وسكنه، وبني مدينة هي إحدى المدائن ذوات العجائب، وعمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا. ويقال: إنه عمل من تحت النيل سربا، وهو أول

(١) كذا في الأصول. وفي المقرئ (ج ٣ ص ١٤ طبعة فيت): « النيل ».

(٢) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب.

(٣) ضبطت هكذا (بكر إلهاء المعجمة) بالقلم في نسخة ب.

(٤) في نسخة (ب): « وزوجته امرأة ... ».

(٥) الوقيد: ما توقد به النار من الخشب ونحوه.

مَنْ عَمِلَ ذَلِكَ . وَخَرَجَ مُنْتَكِرًا يَشْتَقِ الْأُمَّ إِلَى أَنْ بَلَغَ بَابِلَ ، وَرَأَى مَا عَمِلَ الْمَلُوكُ مِنَ الْعِبَابَاتِ . وَغَلِمَ حَالُ مَلِكِهَا فِي الْوَقْتِ وَسِيرَتِهِ وَمَجَارَى أُمُورِهِ . وَيُقَالُ : إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وُلِدَ فِي وَقْتِهِ . قَالَ : وَوُلِدَ لِهَرِصَالٍ عَشْرُونَ وَلَدًا ، جَعَلَ مَعَ كُلِّ وَلَدٍ مِنْهُمْ قَاطِرًا ^(١) وَهُوَ رَأْسُ الْكَهْنَةِ . وَتَرَمَّ الْقَبْطُ أَنَّهُ بَعْدَ مِائَةِ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ لَزِمَ الْهَيَاكِلَ وَتَعَبَّدَ لِلْكُوكِبِ فَأَخَفَتْهُ عَنْ أَصْنِ النَّاسِ . وَأَقَامَ بَنُوهُ عَلَى حَالِهِمْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قِسْمِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ يَذْبِرُهُ وَلَا يَشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَأُمُورُ النَّاسِ جَارِيَةٌ عَلَى سَدَادٍ ، فَأَقَامُوا كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ . ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ تَشَاوُجٌ ، وَاجْتَمَعَ رَأَى الْكَهْنَةِ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا أَحَدَهُمْ مَلِكًا ، وَيَقِيمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قِسْمِهِ . فَاجْتَمَعُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي دَارِ الْمَلِكَةِ ، وَقَامَ رَأْسُ الْكَهَانِ فَتَكَلَّمَ وَذَكَرَ هَرِصَالَ وَسَعَادَةَ أَيَّامِهِ وَمَا شَمَلَهُمْ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ ، وَأَخْبَرَ بِمَا رَأَتْهُ الْجُمَاعَةُ مِنْ تَقْلِيدِ أَحَدِهِمُ الْمُلْكَ . فَإِنْ كَانَ هَرِصَالَ لَمْ يُمْتْ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَنْكُرُوا مَا فَعَلُوهُ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ حِفْظَ مَلِكِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ كَانَ الْأَمْرُ قَدْ جَرَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ قِيَامِ مَلِكٍ بَعْدَ مَلِكٍ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَكْبَرِ وَلَدِهِ وَهُوَ :

نَدَّسَانُ بْنُ هَرِصَالَ ^(٢) . فَلَمَّا سَارَ سِيرَةَ أَبِيهِ وَحَمْدَ النَّاسِ أَمْرَهُ . وَعَمِلَ قَصْرًا مِنْ خَشَبٍ وَقَشَّهَ بِأَحْسَنِ النُّقُوشِ ، وَصَوَّرَ فِيهِ صُورَ الْكُوكِبِ وَنَجَّدَهُ بِالْفَرَشِ وَحَمَلَهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَانَ يَتَرْتَهُ فِيهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِيهِ إِذْ زَادَ النِّيلُ زِيَادَةً عَظِيمَةً وَهَبَّتْ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَنْكَسَرَ الْقَصْرُ وَغَرِقَ الْمَلِكُ . وَكَانَ قَدْ تَقَى إِخْوَتَهُ إِلَى الْمَدَائِنِ

(١) فِي الْمَقْرِزِيِّ : « نَظَرًا » .

(٢) فِي الْمَقْرِزِيِّ (ج ٣ ص ١٥ طبعة فينت) وَحَسَنُ الْمَخَاضَةِ لِلْسَيُوطِيِّ (ج ١ ص ١٩) « قَدْرَسَانُ »

وَعِبَارَةُ الْمَقْرِزِيِّ : « ... وَكَانَ اسْمُهُ قَدْرَسَانُ وَقِيلَ قَدْرَسَانُ » . وَفِي صَبِيحِ الْأَعْنَى (ج ٣ ص ٤١١) :

« بَدْرَسَانُ » .

الداخلة في الغرب . وأقتصر على امرأة من بنات عمه ، وكانت ساحرة ، فتفرد بها وأستخلف بعض وزرائه على الملك وأقبل على لذته ولهوه . فلما هلك كنمت امرأته الساحرة موته ، وكان أمرها ونهيا يخرجان إلى الوزير عن الملك . وأقام الناس تحت طاعته سبع سنين لا يعلمون بأمره . فلما رأى إخوته طول غيبته جمعوا جموعاً كثيرةً وقدموا على أنفسهم أحدهم وهو شمروود الجبار وساروا إلى أمسوس . وبلغ ذلك امرأة نَدَّسان الساحرة فأمرت الوزير بالخروج إليهم ومُحَارَبَتِهِمْ ، ففعل ذلك ولقيهم فزقوه وقتلوا كثيراً ممن كان معه ، ودخلوا مدينة أمسوس ، وأتوا دار المملكة فلم يروا نَدَّسان وأيقنوا بهلاكه .

وملك شمروود بن هرصال فسر الناس به ، ووعدهم بحسن السيرة فيهم وتغيير ما كانوا يُنكرونه على أخيه . وأستولى على كنوزه وخزائنه ففترقها على إخوته ، وأقطعهم جميع ما كان في يد نَدَّسان . وطلب امرأته الساحرة وأبناها ليقتلها ، فانتقلت إلى مدينة أهلها من الصعيد ، وكانوا كلهم كُفَّهًا ناسجًا ، فأمنت بهم ، وأرسلت إلى الناس وعزفتهم أن أبنا الملك في وقته ؛ لأن أباه قلده الملك وأمرها أن تدبر أمره حتى يكبر ، فصدفوها وأجابوها وقالوا : إن الغلام مغصوب على ملك أبيه ، وإن شمروود متغلب . فأجتمع في ناحيتها جماعة من أهل البلد وزحف ابن الساحرة وقد عمل له السحرة أصنافاً من التخاييل المائلة واليران المحرقة ، فقامت الحرب بينهم أياماً ، فانهزم شمروود وإخوته وتعلقوا ببعض الجبال .

وملك توميدون بن ندسان وهو ابن الساحرة . ودخل دار الملك وجلس على السرير ولبس التاج الذي كان لأبيه وأطاف به بظانته أبيه ، وهو يومئذ حدث السن ،

(١) في المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبعة فيت) «نمرود» وقال : وبقاله «شمروود» .

(٢) في المقرئ : «بوسيدون» راجع تعليقاته عليه (ج ٣ ص ١٦ طبعة فيت) . وفي صبح

الأعشى (ج ٣ ص ٤١١) : «فرسيدون» .

وكانت أمه تدبر أمره، فقتل كل من كان مع شمروء . وطلب شمروء حتى ظفريه،
 واجتمع الناس لينظروا ما يصنع به، فشد رأسه برأس أسطوانة قائمة، ورجلاه برأس
 أسطوانة أخرى، وكان طوله فيما يذكر القبط عشرين ذراعاً، وولت الساحرة به خرساً
 لتقتله يوم عيدها، وكان قريباً، فصاح بالليل صبيحة مات منها بعض الحرم وهربت
 الباقون . فلما اتصل بها ذلك أوقدت ناراً وأمرت بإزالته وجعلت تقطع منه عضواً
 عضواً وترميه في النار، قال : ^(١) وخرج ابنها كاهناً متجاً، وعملت له الشياطين قبة
 الزجاج الكبيرة الدائرة على دوزان الفلك، وصنّوروا عليها صور الكواكب، وكانوا
 يعرفون الطالع منها وما يحدث بطلوعه بعد ستين سنة . ثم ماتت أمه الساحرة
 وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر فإنه يخبرهم بالعجائب . وما يسألون عنه
 ففعلوا ذلك . وذل الناس لأبنها وهابوه، وكان يتصور لهم في صور كثيرة، وملكهم
 مائة سنة وستين سنة . ولما حضره الموت أمرهم أن يعملوا له صنماً من زجاج
 على شقين ويطبق على جسده بعد أن يطل بالأدوية المتسكة ويلحم ويقام في هيكل
 الأصنام، ويعمل له عيد في السنة ويقرب له قرباناً، وتدفن علومه وكنوزه تحته،
 ففعلوا ذلك كله .

ولما مات ملك بعده أبنته شرناق بن قوميدون، فعمل بسيرة أبيه وجدته،
 واجتمع الناس عليه . وزحف رجل من بني صرا بلس بن إرم من ناحية العراق، فتغلب

(١) عبارة المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبع فيت) : « ... فقام بوسيدون بن قدرشان بالملك في مملكة
 أسوس، وكان عالماً فاضلاً، ففوى بسحر أمه وعملت له أعمالاً عجيباً، منها قبة من زجاج على هيئة
 الكرة تدور بدوران الفلك، وضورت فيها صور الكواكب، فكانوا يعرفون بها أسرار الطبايع وعلوم العالم .
 فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه التن والحشرات، ودفن تحت صنم القمر .
 ويقال إنها كانت بعد موتها تسمع من عندها صوت بعض الأرواح فتخبرهم بعجائب وتجييب عما تسأل عنه » .
 (٢) في المقرئ : « شرناق ويقال فيه شرناق » . وقد أوردت هذا الاسم عدة مصادر بصور مختلفة .
 (٣) في المقرئ : « من بني فراشي بن آدم، ويقال من بني صوانتي بن آدم » . وقد أوردت هذين
 الاسمين عدة مصادر بصور مختلفة .

على الشام، وأراد أن يزحف إلى مصر، فعرف أنه لا يصل إليها لسجر أهلها، فأراد أن يدخلها متكررا ليقف على أحوالها، فخرج في نفر حتى بلغ الحصن الذي كانوا بنوه على مصر. فسألم الحرس الموكلون به عن أمرهم، فعرفوهم أنهم قصدوا بلدهم ليسكنوه، فحبسوهم وطالعوا الملك بنجرهم. وكان الملك قد رأى في منامه كأنه قائم على منار لهم عال، وكان طائرا عظيما انقض عليه ليختطفه، فخاد عنه حتى كاد يسقط عن المنارة بخافزه ولم يضربه، فأنبته مرعوبا، وبعث إلى رأس الكهنة فقص عليه رؤياه، فعرفه أن مليكا يطلب ملكه فلا يصل إليه. فنظر في علمه فرأى أنه قد دخل بلده. فلما وردت الرسل بذكر القوم علم أن الملك فيهم، فوجه جماعة من أصحابه فاستوثقوا منهم وحملوهم إليه، وقد كان أمرهم أن يطوفوا بهم في أعمال مصر كلها ليرؤا ما فيها من الظلمات والأصنام المتحركات والعجائب المعجزات، فبلغوا بهم إلى الإسكندرية، ثم ساروا بهم إلى أمسوس وطيف بهم على عجائبها. ثم سار بهم إلى الجنة التي عملها مضرام، وكان الملك مقبلا بها وأمر السحرة بإظهار التهاويل والتخايل، فجعلوا يتعجبون مما رأوا إلى أن وصلوا إلى شرناق الملك والكهنة حوله وقد أظهروا صنوف العجائب، وجعلوا بين يدي الملك نارا عظيمة لا يصل إليه إلا من خاضها ولا تضر إلا من أضمر لللك غائلة، وأمر بدخولها، فشقوقها واحدا واحدا لم ينلهم منها أدنى، وكان الملك آخرهم، فلما دنا من النار أخذته فتوى هاربا. فأتى به شرناق فسأله عن أمره فأقر، فأمر بقتله على أسطوانة عند باب الحصن من ناحية الشام، فقتل وزر عليه: هذا فلان المتغاب على الشام أضمر غائلة الملك، طلب ما لا يصل إليه فعوقب بهذا. وأمر بإخراج الباقيين من بلاده فأخرجوا. وقيل لهم: قد وجب عليكم القتل لصحبكم من أراد الفساد في الأرض، ولكن الملك عفا عنكم. فكانوا لا يميزون على أحد إلا حدثوه بما رأوا من العجائب، فأقطعت أطماع الملوك عن

الوصول الى مصر والتعرض إليها . وعُمِلت في أيامه عجائب كثيرة ، منها أنه عمل على باب كل مدينة بطة نحاس قائمة على أسطوانة ، فإذا دخل الغريب من الباب صفقت بجناحيها وصرخت ، فيؤخذ ويكشف عن أمره . وشق إلى مدائن الغرب نهرا من النيل ، وبني على عبّره منازل وأعلاما وغرس بينها غروسا ، وكان اذا خرج إليها سار في عمارة متصلة . وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات .

وملك بعده أبنه سهلوق بن شرناق ، وكان كاهنا منجما ، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا ، صرف إلى كل ناحية قسمها ، ورتب المراتب وجعلها على سبعة أقسام : فالطبقة الأولى الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عهده ورأس الكهّان والوزير الأكبر وقائد الجيش الأكبر وصاحب خاتم الملك وصاحب خزائنه . والطبقة الثانية مراتب العمال والمتولين جباية الأموال والإشراف على النفقات في أمر المملكة ومصالح البلد والعمارات وقسمة المياه . والطبقة الثالثة الكهّان وأصحاب الهياكل وخدمتها ومتولو القرابين والمشرفون على جميع ما يتقرب به من بواكير الفواكه والرياحين وفيّ البقر والفراريج المذكور ورءوس خوابى الشراب . والطبقة الرابعة المتجمعون والأطباء والفلاسفة . والطبقة الخامسة أصحاب عمارة الأرض ومتولّو أمر الزراعة . والطبقة السادسة أصحاب الصناعات والمهّن في كلّ فنّ ، والمشرفون على أعمالهم ونقل ما يستحسنون منها إلى خزانة الملك . والطبقة السابعة أصحاب الصيد من الوحش والسباع والطيور والهوام والخشاش ، والمشرفون على أخذ دماثها ومرائرها وشحومها وحملها إلى الأطباء لإصلاح العقاقير وتأليف الأدوية . وتقدّم ألا يدخل أهل مهنة ولا صناعة في غيرهم ، ومن قصّر في عمله عوقب ، ومن أحسن في عمله جوزى بقدره . وكانت رتبة الألحان والملاهي في قسمة الملك . وتقدّم في استنباط المعادن وبناء المدائن ونصب الأعلام والمنارات وإيداع الصناعات وجر المياه وتوليد غرائب

١١٠
١٢

الأشجار . وأقام على أعلى الجبال شجرة يقسمون الرياح ويمنعون من يقصدهم ويقصد بلادهم بأذى ، وكذلك كل مفسد من طائر وسبع ووحش وهوام ، وأجرى أمر البلاد والناس على سداد ، وجعل في كل صنف من الناس صنفا من الكهنة يملئونهم الدين ، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى . ويرفع كل صنف منهم ما يجري من أمر ما يتولونه الى الملك في كل يوم . وعمل البيت ذا القباب النورية الثلاث ، وأوقد فيه النار الدائمة تعظيما للنور . والقبط تزعم أنه أول من وضع بيتا لتعظيم النار . وقيل : إن جم الفارسي إنما بنى بيت النار . وهو أول من عمل ذلك للفرس . اقتداءً بهلوق مصر . وكان السبب في عمل هملوق بيت النار أنه رأى أباه في نومه يقول له : انطلق الى جبل كذا من جبال مصر فإن فيه كوة من صفتها كذا وكذا ، وإنك واجد على باب الكوة أفقى لها رأسان ، وإنها إذا رأتك كشت في وجهك ، فليكن معك طيران صغيران ، فإذا رايت الأفقى فأذبجهما لها وألقهما إليها ، فإنه يأخذ كل رأس من رأسيهما أحد الطيرين وتنحى الى سرب قريب من الكوة فتدخله ، فإذا غابت عنك فأدخل الكوة فإنك تنتهى الى آخرها الى صورة امرأة جميلة الخلق ، وهى من نور حار يابس ، وسوف يقع عليك وهجها ويحس بحرارة شديدة ، فلا تقرب منها فتحترق ، وقف وسلم عليها فإنها تحاطبك فأسكن الى خطابها ، وأنظر ما تقول لك فأعمل به ، فإنك تشرف بذلك . وهى حافظة كنوز جدك مصرام التى رفعها الى مدائن العجائب المعلقة وهى تدلك عليها . وتنال مع ذلك شرفا فى بلدك وطاعة فى قومك ، ثم مضى وتركه . فلما آنتبه هملوق جعل يفكر فيما رأى ويتعجب منه ، ورأى أن يتخذ ما أخبره به أبوه ، فضى الى الجبل وحمل الطيرين معه وفعل جميع ما أمره أبوه الى أن وقف حذاء المرأة وسلم عليها ، فقالت له : أتعرفنى ؟ قال : لا ، لأننى ما رأيتك قبل وقى هذا .

(١) كذا فى الأصلين ، ولله : « فى آخرها » .

قالت : أنا صورة النار المعبودة في الأمم الخالية ، وقد أردتُ أن تُحيي ذكري وتُتخذَ لي بيتاً وتُوقد فيه نارا دائمة بقدر واحد ، وتُتخذ لها عيداً في كل سنة تحضره أنت وقومك . فإنك تتخذ بذلك عندي يداً وتنال به شرفاً ومليكا الى مُلكك ، وأمنع عنك وعن بلدك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك ، وأدلك على كنوز جدك مصرام . فلما سمع ذلك منها ضمن لها أن يفعل ، ودلته على الكنوز التي كانت لجدته تحت المدائن المعلقة ، وكيف يصير إليها ويمتنع من الأرواح الموكلة بها وما يتجرها به . فلما فرغ من ذلك قال لها : كيف لي بأن أراك في الأوقات وأسألك عما أريده ، أصير اليك في هذا المكان أو غيره ؟ قالت : أما هذا المكان فلا تقدر بعد وقتك هذا عليه ؛ لأن الأفعى التي رأيتها فيه قيمته لأن فيه آية تمنع أن يوقف عليها في وقتنا هذا ، ولكن إن أحببت أن ترائي فدخلني في البيت الذي تعمله لي بكذا وكذا : أشياء ذكرتها له ، منها : عظام ما يقربه له من القرابين والذبايح والصموغ ، فإني أتخيل لك وأخبرك بكل حق وباطل مما يكون في بلدك . فلما سمع ذلك منها سر به وغابت عنه ، وظهرت الأفعى وخرج هاربا وجعل على الكوة سداً ، وعمل ما أمرته به وأخرج كنوز جدته .

وعمل من العجائب بأمسوس وغيرها ما يطول شرحه . وعمل القبة المركبة على سبعة أركان ، ولها سبعة أبواب ، على كل باب صورة معمولة ، وكان يقال لها قبة القصر . وكان السبب في بنائها أن بعض الكهّان جار في قضية قضى بها ، وذلك أن بعض العائمة أتاه يشكو أمراته . وكان يحبها والمرأة تُبغضه . وسأله أن يقومها له ، وكانت المرأة من أهل بيت الكاهن ، فالأها على زوجها ، وأمره بتخليتها فلم يفعل ، فحبسه وشد عليه ، وكان من أهل الصناعات ، فاجتمع جماعة من أهل صنعه ممن كان قد عرف حال المرأة معه وأنها له ظالمة وهو لها منصف ، فوقفوا على ظلم الكاهن فاستعدوا عليه عند خليفة الملك . فأحضر الكاهن وسأله ، فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب . فأحضر

رؤساء الكهنة والقوم الذين شهدوا للرجل، فوقف على ظلم الكاهن فأخرج الرجل وحبس الكاهن مكانه، وأمر بعقوبة المرأة وردها إلى زوجها ورفع ذلك إلى الملك، فأمر بإخراج الكاهن من رسم الكهانة، وأن يُعاقب ويحبس إلى أن يرى فيه رأيه. وأهتم الملك لذلك وخشى أن يجرى من غير ذلك الكاهن في أمر الرعية مثل ما جرى منه، فبات مهموماً. ثم فكر في أمر النار، فأتى إلى بيت النار ودخن بالدخنة التي أمرته بها، فأنته وخاطبته، فسألها أن تعمل له عملاً يقف به على حقيقة أمر المظلوم من الظالم، فأمرته أن يعمل بيتاً مرتباً على سبعة أركان ويجعل له سبعة أبواب في كل ركن باب، ويعمل في وسطه قبة من صُفر، ويصوّر عليها صور الكواكب السبعة، ويعمل تحت القبة مظهرة من جوهر ملون، ويعمل فيها سبعة أدهان من أشجار مختلفة، وتكون القبة معلقة على سبعة أساطين، ويعمل على الباب الأول تمثال أسد رابض، وحذاءه من الجانب الآخر لبؤة رابضة من صُفر ويقرب لهما جرو أسد ويخترهما بشعره. وعلى الباب الثاني صورة ثور وبقرة ويذبح لهما عجلاً ويخترهما بشعره. وعلى الباب الثالث صورة خنزير وحذاءه خنزيرة ويذبح لهما خنوصاً^(١) ويخترهما بشعره. وعلى الباب الرابع صورة فرس وحجر ويذبح لهما مهراً ويخترهما بشعره. وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحذاءه أُنثاء ويذبح لهما جرو ثعلب ويخترهما بوبره. وعلى الباب السادس صورة حمار وحذاءه أتان ويذبح لهما عيراً ويخترهما بشعره. وعلى الباب السابع صورة ديك وحذاءه دجاجة ويذبح لهما فروجاً ويخترهما بريشه. ويلطخ وجوها جميعاً بدم ما يذبح. ثم يحرق بقية القربان ويجعل تحت عتب أبوابها وتُغلق الأبواب، ويُقام للبيت سَدَنَةٌ يُوقدون له ليلته ونهاره. فإذا فرغ ذلك

(١) الخنوص : ولد الخنزير . (٢) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

(٣) كذا في الأصلين، ولعله : « فإذا فرغت من ذلك فكمم ... الخ » .

- يتكلم على باب الكواكب السبعة ، فإنى سوف ألقى روحانية الكواكب على تلك الصور فننطق . وإذا فرغت من ذلك فأجعل لكل مرتبة من المراتب التى قسمتها بابا من تلك الأبواب ، وليكن باب الأسد لأهل بيت المملكة ، وسائر الأبواب لسائر المراتب . فإذا تقدم الخصمان إلى شئ من تلك الصور ألصقت بالظالم وشدت عليه شدا عنيفا يؤلمه حتى يخرج لخصمه من حقه ، الذكر للذكر ، والأنثى للأنثى ، فيعرف بذلك المظلوم من الظالم ، ومن كان له قبل أحد حق ودعاه إلى تلك الصور فلم يحج معه فاتاه المظلوم ، وقد عرف الصورة ذلك ، أقعد الظالم من رجله وحرس لسانه ولم يتحرك . فاستراح الملك إلى تلك الصورة . ولم تزل على ذلك حتى أزالها الطوفان مع ما أزال من أعمالهم وطلسماتهم وعجائبهم . وعملت فى أيام سهلوق أعمال كثيرة ، وكتبت سيرته وما عمل من العجائب فى مصحف . وعمل عقاير كثيرة وتماثيل ومحرقات وصنعة ، وأمر أن يحمل ذلك كله إلى ناووس عمله لنفسه فى الجبل الغربى ونقل إليه حكمه . وهلك بعد أن ملك تسعا وستين سنة وحمل إلى ناووسه ، وأقام أهل المملكة ووجوه المدينة ونساؤهم عند ناووسه شهرا يكون عليه ويتجمعون عنده . وأغتموا عليه غما لم يغتموه على ملك قبله ، وأقاموا لناووسه سدنة يخدمونه .
- ١٥ . وملك بعده ابنه سوريد بن سهلوق ، وكان أبوه قد قلده الملك قبل مهلكه ، فملك واقتفى سيرة أبيه فى العيارة ومصالح البلد والإنصاف بين الناس والأخذ لهم من نفسه وأهل بيته ، وعمل الهياكل وبني المنارات ، ونصب الأعلام والطلسمات فأحبته الناس . وبني بالصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها عجائب كثيرة . وهو أول من جى الخراج بمصر ، وألزم أهل الصناعات على أقذارهم ، وأول من أمر بالإفناق على الزمنى والمرضى من خزائنه . وعمل امرأة من أخلاط كان ينظر منها جميع الأقاليم ما أخصب منها وما أجذب وما أحدث فيها ، وكانت المرأة على منارة من النحاس وسط مدينة أمسوس ،

وكان يعلم من المرأة مَنْ يقصد مدينته من جميع النواحي فيتأهب له . وهو أول من عمل صحيفة في كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون في يومه وما يعمل به ويرفع اليه ، ثم يُخلد في نِزائته يوما بيوم . وإذا مضى الشهر نُقلت إلى مصحف الملك وختمه بخاتمته ، وما صلح أن يُزبر على المجارة زبره : وكذلك ما عمل من الصنائع وما أحدث منها . وكان يُعطى الرغائب على الصِّناعات العجيبة والحِكم الغريبة . وعمل في المدائن صورة امرأة جالسة في حجرها صورة صبي كأنها تُرضعه ، فن أصابها علة يجسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فيزول عنها ما تجسد ، وكذلك إن قل لبنها مسحت ثديها ، وإن أحببت أن يعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب وقالت افعل كذا وكذا ، وإن قلت حيضتها مسحت فوق ركبها ، وإن كثر دمها ونزفت مسحت تحت ركبها ، وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل ذلك بالصبي فيسبرأ ، وإن عذرت ولادتها ومسحت رأس الصبي سهلت ويسهل اقتضاؤها ، وإذا بخرته ومسحته بدهن طيب منع جميع التوابع . وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن زناها . وما كان من أعمال الليل بُجرت ليلا ، وما كان من أعمال النهار بُجرت نهارا . وكانت تعمل أعمالا كثيرة إلى أن أزالها الطوفان . قال : وفي بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان وأنهم استعملوها وعبدوها . وصورتها مصورة في جميع البرابي ، وأسمها نبيلوية ، والذي دُلم عليها قرابة فليمون الكاهن . قال : وعمل سوريد عجائب كثيرة ، منها الصنم الذي يقال له نكرس^(٣) المعمول من عدة أخلاط كان يعمل أعمالا كثيرة في الطب ودفع الأسقام

(١) عبارة المقرئ (ج ٣ ص ٢١ طبعة فيث) : « وإن عذرت ولادة امرأة مسحت رأس

الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها » .

(٢) في المقرئ (طبعة فيث) : « فيلون » وفي معجم البلدان وبعض نسخ المقرئ : « فليمون »

بالقاف . (٣) في ب « نكرس » بالثاء .

والعلل ، ويعرفون به من تُبرئهِ الأدوية فيعيش ، وإن كان يموت فله علامات فيُقصرون عن علاجه ، وكانوا يفسلون المواضع التي يلازمها أعضاء العلل منه ويُسقَى لصاحب الداء فيزول عنه . وهو أول من عمل الأفروثات ^(١) وزبر فيها جميع العلوم . وهو الذي بنى الهرمين الكبيرين .

ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها

- قال : كان بناء الأهرام قبل الطوفان بنحو ثلاثمائة سنة . وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا ^(٢) هذا نبذة من خبر الأهرام في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول ؛ وذلك في السفر الأول من هذه النسخة . ونحن الآن نذكر من خبرها خلاف ما قدمناه مما أورده إبراهيم بن القاسم الكاتب مما اختصره من كتاب العجائب الكبير لإبراهيم بن وصيف شاه . قال : كان سبب بنائها أن الملك سُوريد رأى رؤيا أفرغته ؛ رأى كأن الأرض انقلبت بأهلها ، وكان الناس يَخْرُونَ على رؤوسهم ، وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة مفرقة ، فغم ذلك ولم يذكره لأحد ، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم . ثم رأى بعد ذلك [بأيام] ^(٣) كأن الكواكب الثابتة [نزلت إلى الأرض] في صور طيور تنصب ، وكأنها تختطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكان الجبلين انطبعا عليهم ، وكان الكواكب النيرة مظلمة كاسفة ؛ فأنبته أيضا مذعورا فزعا ، فدخل إلى هيكل الشمس وجعل يمرغ خذيه ويكي . ولما أصبح أمر

١١٣
١٢

(١) الأفروثات : لفظ يوناني معناه القبور . وفي معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٣ طبع أوردبا) : « الأفروثيات » .

(٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) الكلمة من خطط المقرئ (ج ٢ ص ١١٣ طبعة فيت) .

(٤) في خطط المقرئ « ... طيور بيض » .

بجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر فاجتمعوا، وكانوا مائة وثلاثين، فغلبهم وقص عليهم رؤياه، فأعظموه وأكبروه وأولوه على أمر عظيم يحدث في العالم . فقال لهم فليمون : وكان من كبارهم وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس كهنة أمسوس - : إن في رؤيا الملك لعجبا وأمرأ كبيرا، والملك رؤياه لا تجرى على فساد ولا كذب لعظم أخطارهم، وكبر أقدارهم . وأنا أخبر الملك عن رؤيا رأيته منذ سنة لم أذكرها لأحد من الناس . فقال له الملك : قصها علينا . قال : رأيت كأني مع الملك على رأس المنار الذي في أمسوس ، وكأن الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب سمّت رؤوسنا ، وكان علينا كالثقة المحيطة بنا^(١) ، وكأن [الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها]^(٢) قد خالطتنا في صور مختلف ، وكأن الناس يستغيثون بالملك وقد انضموا إلى قصره ، وكأن الملك رافع يديه ليدفع الفلك أن يبلغ رأسه ، وأمرني أن أفعل فعله ونحن على وجل شديد ، إذ رأينا منه نورا مضيئا طلعت علينا منه الشمس ، فكأننا استغنينا بها ، فخالطتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا مضت ثلاثمائة دورة ، وكأن الفلك لصق بالأرض ثم عاد إلى موضعه ، ثم انتهت فرعا . فعند ذلك قال لهم الملك : خذوا ارتفاع الكواكب فانظروا هل من حادثة تحدث . فنظروا فأخبروه بأمر الطوفان وبعده بذكر النار [التي تخرج من بُرج الأسد تحرق العالم]^(٣) ، فذكروا له أن ذلك يكون في وقت عينه له من مقارنات النجوم ونزولها في الأبراج على ما حرروه من الدقائق ، وشرحه إبراهيم في كتابه مما لا فائدة لنا في ذكره . قال : فلما تبين ذلك له أمر بقطع الأساطين العظام ونشر البلاط

(١) كذا في المقرئ (ج ٢ ص ١١٤ طبعة فيت) وفي الأصلين : « كالكمة » .

(٢) الكلمة من خطط المقرئ . وفي الأصول : « وكان كواكب » .

(٣) الزيادة من خطط المقرئ .

الكبير المصفح، وأستخراج الرصاص من أرض المغرب، وإحضار الصخور
السود التي جعلها أساسا من ناحية أسوان، وكانت تُحْمَلُ على أطواف^(١). وقيل:
كانت لهم فراقل من خوص لها عَذَبٌ وعليها كتابة منقوشة، فكانوا إذا ضربوا بها
المجارة عَدَّتْ على وجه الأرض وحدها مقدار رمية سهم حتى وضعت الأساسات.
وأمر أن يُزَبَرَ على البلاط المنشور المهندم جميع علومهم. ثم بنى الأهرام
الثلاثة الأول: الشرقي، والغربي، والملون؛ فكانوا يجعلون في وسط البلاطة
قلب حديد قائما ويركبون عليه بلاطة أخرى مثقوبة الوسط، ثم يدخل ذلك القلب
الحديد في ثقب البلاطة التي تُطَبَّقُ عليه، ويذاب الرصاص ويُصب حول البلاطة
بعد أن تؤلف الكتابة التي عليها. وجعل أبوابها من تحت الأرض بأربعين ذراعا
في آراج مبنية بالمجارة في الأرض، طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا. قال: فأما^(٢)
باب الهرم الشرقي فإنه من الناحية الجنوبية على قياس مائة ذراع من وسط حائط^(٣)
الهرم إلى الناحية الجنوبية، ويحفر حتى ينزل إلى باب الأزج ثم يدخل إليه منه.
وأما باب الهرم الغربي فمن الناحية الغربية يُقاس أيضا من وسط الحائط الغربي
إلى الغرب مائة ذراع، ويحفر حتى ينزل إلى باب الأزج المبنى ويدخل منه إليه.
وأما باب الهرم الملون فمن الناحية البحرية^(٤) يُقاس أيضا من وسط الحائط البحري
مائة ذراع، ويحفر حتى ينزل إلى باب الأزج. وجعل طول كل واحد منها أربع مائة

(١) الطوف: خشب يشد بعضه إلى بعض ويركب عليه في الماء.

(٢) الأزج بالتحريك: بيت يبنى طولاً، ويقال له بالفارسية: «أوستان» وانظر الكلام عليه
في شرح القاموس واللسان والصحاح والمصباح وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدنى شير.

(٣) في معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٤): «الناحية البحرية». وفي خطط المقرئ:
«الناحية الشرقية»..

(٤) في معجم البلدان لياقوت: «الناحية القليلة». وفي خطط المقرئ: «الناحية الجنوبية».

ذراع بالملكي، يكون خمسمائة بذراعا . وجعل تربع كل واحد أربعائة ذراع . وبنها
 في الاستواء الى أربعين ذراعا ثم هزما ^(١) . وكان أول بناتهم لها في أوقات السعادة،
 فلما فرغ منها كساها دياجا ملونا من أعلاها الى أسفلها، وعمل لها عيدا عظيما لم يبق
 في المملكة أحد إلا حضره . ثم أمر بعميل ثلاثين جونا من حجارة الصوان ملونة ^(٢)
 بفعلت في الهرم الغربي، ونقل اليها من الكنوز والأموال والجواهر المعدنية، والجواهر
 المسبوكة الملونة، والآلات الزبرجدة . والتماثيل المعمولة، والطلسمات، والحديد الفاخر،
 والسلاح الذي لا يصدأ، والزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر، والنواميس والمولدات
 والدخن وأصناف العقاقير والمفردات والمؤلفات والسموم وغير ذلك شيئا كثيرا
 لا يدرك وصفه . ونقل الى الآخر وهو الشرقي أصنام الكواكب والقباب
 الفلكية، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها لها ومصاحفها،
 وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت، والحوادث التي تحدث،
 والأوقات التي تحدث فيها، ومن يلى مصر من الملوك الى آخر الزمان، وتكون
 الكواكب الثابتة وما يحدث بكونها وقتا وقتا، وجعل فيها المطاهر التي فيها ^(٤)
 المياه المدبرة والبودقات الذهبية وما أشبه هذه الأشياء . وجعل في الهرم الآخر
 أجساد الكهنة في توايت من الصوان الأسود، وعند كل كاهن منهم
 مصحف فيه عجائب صناعته وسيرته وما عمل في وقته . وكانوا سبع مراتب .
 فالمرتبة الأولى القاطرون، وهم الذين يعبدون الكواكب السبعة لكل كوكب

(١) يلاحظ أن هذا الوصف ينطبق عما كان في عصر المؤلف . وقد كشف العلم الحديث عن أشياء
 كثيرة تدل على عظمة بناء هذا الأثر الخالد .

(٢) عبارة المقرئى: « ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملون وملكت بالأموال
 البضة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ... الخ » . (٣) كذا في خطط المقرئى .
 « الذي لا ينطوى » . (٤) كذا في خطط المقرئى . وفي الأصلين « والمطاهر » .

- سبع سنين ، ومعنى القاطرون جامع العلوم . والمرتبة الثانية لمن يعبد ستة من الكواكب وهم اللاحقون بالدرجة الأولى . ثم يسمون صاحب الخمسة وما دونها كل واحد بأسم ، فجعل في كل ناحية من الهرم مرتبة من هذه المراتب ، فأجسادهم هناك وما عملوه من العجائب . وجعل في الحيطان من كل جانب مما يدور أصناما [تعمل^(٢)] بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها ، وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ، وكذلك أصحاب النواميس ومن عاج شيئا من الأشياء وجعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها الكواكب وأموال الكهنة . وجعل لكل هرم منها خادما ؛ فخان الهرم الشرقي صنم من جزع أسود [مجزع^(٣) بأسود] وأبيض له عيتان مفتوحتان [برأتان^(٤) ، وهو] جالس على كرسى^(٥) ، ومعه شبيه بالحربة ، إذا نظر إليه الناظر سمع من جهته صوتا كالرعد يكاد يفزع قلبه ، فيهم على وجهه ويختلس عقله ، ولا يكاد يفارق الهرم حتى يموت فيه . وجعل خازن الهرم الآخر من حجر الصوان المجزع^(٦) ، معه شبيه بالحربة ، وعلى رأسه حية تطوق بها ، من قرب منه وثبت عليه من ناحيته وتطوقت في عنقه فقتلته [ثم تعود إلى مكانها] . وجعل خازن الهرم الثالث صنما صغيرا من حجر البهته^(٧) على قاعدتيه ، من نظر إليه اجتذبه إليه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت . فلما فرغ من ذلك حصنها بالأرواح وذبح لها

(١) كذا في خطط المقرئ (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فييت) وفي الأصلين : « في حيطان البري مما يدور » .

(٢) الزيادة عن خطط المقرئ (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فييت) .

(٣) في خطط المقرئ كلمة « خادم » بدل « خازن » في هذا المقام .

(٤) كذا في خطط المقرئ . وفي الأصلين « مطوقة » .

(٥) حجر البهته ، ويقال له البهت والباث ، يوجد في المحيط الأطلنطي وكانت له شهرة في أفريقية الغربية حيث يباع بثن غال . وقد نسب إليه أهل الشرق خصائص عجبية . (عن قاموس دوزي باختصار) .

(٦) كذا في المقرئ . وفي الأصلين : « صدها » .

الذبايح لئلا تمنع عن نفسها [من أرادها] إلا من قزب إليها وعمل لها أعمال الوصول فإنه يصل إليها . قال : وذكر القبط أنه كُتِبَ عليها اسم الملك والوقت الذي بناها فيه ، ويقول : إنا بنيناها في ست سنين فقل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة فإن الهدم أهون من البناء . وإنا كسوناها الديباج الملون المذهب المرقوم بالذهب فقل لمن يأتي بعدنا يكسوها حصيرا . فنظروا فوجدوا أحدا لا يقوم بهدمها وكسوتها لأنه لا يستطيع ذلك ولا يقدر عليه .

قال : وحكى عن هذه الأهرام عجائب يطول الشرح بذكرها ؛ منها أن المأمون لما دخل إلى مصر أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها ، فقبل له : إنك لا تقدر على ذلك . فقال : لا بد من فتح شيء منه . فعولجت الثلمة المفتوحة منه فأنفق عليها مالا كثيرا لنار توقد وخل يُرش ومنجنيقات ترمى بها ، فوجد عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا . فلما انتهوا إلى داخل الهرم وجدوا خلف الحائط عند النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب دنانير ، وزن كل دينار أوقية من أواقينا ، وكان عددها ألف دينار ، فعجبوا من ذلك ولم يعرفوا ما معناه ، ثم أتى المأمون بالذهب والمطهرة فجعل يتعجب من الذهب وحسنه وجودته وحمرة ، فقال : ارفعوا لي حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة ففعلوا ، فوجده بلازاء المال الذي أصابوه لا يزيد ولا ينقص . فعجب المأمون من معرفتهم على طول المدد بأنهم سيفتحونه من ذلك الموضع بعينه ، ومعرفتهم بمقدار ما يتفق عليه وتركهم مقداره

(١) في الأصلين : « تمنع » والتصويب من خطط المقرئ .

(٢) في الأصلين : « في ستة أشهر » .

(٣) وكان ذلك في سنة ست عشرة ومائتين كما في صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٤) بهامش نسخة ما نصه : « الأوقية هي سبعة مثاقيل زتها أربعون درهما فيما مضى . وأوقية الأطباء عشرة دراهم ونحوه أسباع درهم وهو أسنار وثلاث أسنار ، وأوقية بزر الفزائنا عشر درهما » .

في موضعه ، فقال : كان هؤلاء القوم من العلوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا .
وقيل : إن المطهرة التي وُجد فيها الذهب كانت من زبرجد ، فأمر المأمون بحملها
إلى خزائنه ، وكانت أحد ما حمل من عجائب مصر .

- ومن عجائب أخبارها أن المأمون لما فتح الهرم أقام الناس سنين يقصدونه
ويدخلون فيه ويتزلون الزلافة التي فيه ، فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك .
وأن جماعة من الأحداث أهتموا ، وكانوا عشرين رجلاً ، على أن يدخلوا الهرم
ولا يبرحوا منه حتى يقفوا على منتهى أمره ، فأخذوا معهم من الطعام والشراب
ما يكفيهم لشهرين ، وأخذوا السكك والحبال والشمع والوقيد والفئوس والقفاف
ودخلوا الهرم ، ونزل أكثرهم في الزلافة الأولى والثانية ، ومضوا في أرض الهرم فرأوا
فيه خفافيش بقدر العقبان تضرب وجوههم ، فاتهموا إلى لُصْب في حائط تخرج
منه ريح باردة لا تفتُر ، فذهبوا ليدخلوا فأنطفأت سُرُجهم ، فجعلوها في زجاج وذهبوا
ليدخلوا فكاد اللَّصْب ينطبق عليهم فهأبوه فقال أحدهم : اربطوا وسطي بحبل وأنا
أدخل ، فإذا كاد اللَّصْب ينطبق فجزوني إليكم ؛ وكان على باب اللَّصْب أجرة فارغة^(١)
فعلبوا أن أجساد موتاهم داخل ذلك اللَّصْب ، فربطوه بالحبل ، فلما تقم اللَّصْب^(٢)
انطبق عليه فجزة أصحابه فلم يقدرُوا على تَزَعِه وسمعوا عظامه تُتكسر ، وسمعوا صيحة
هائلة فسقطوا على وجوههم لا يعقلون . فلما أفاقوا طلبوا الخروج فأخرجهم
أصحابهم بشدة ، وسقط بعضهم في وقت صعودهم من الزلافة فتزل ، وخرجوا من
الهرم فجلسوا في سَفْحه متعجِّين ، فإنهم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم

١١٥
١٢

(١) اللَّصْب (بالكسر) : الشعب الصغير في الجبل .

(٢) أجرة : الأجرة جمع جرن بالضم وهو حجر منقول للـ .

(٣) تقم اللَّصْب : دخل فيه .

يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ كَاهِنِيٍّ فَسَرَهُ لَهُمْ بَعْضُ أَصْحَابِ الدِّيَارَاتِ بِالصَّعِيدِ : هَذَا جَزَاءٌ مِنْ يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ ؛ ثُمَّ سَقَطَ مَيْتًا ، فَحَمَلُوهُ وَقَطَّنَ بِهِمْ فَأَخَذُوا وَأَتَى بِهِمْ إِلَى الْوَالِي فَخَذَّوْهُ بِالْخَبْرِ .

وفي خبر آخر : أَنَّ قَوْمًا دَخَلُوا الْمَسْرَمَ وَأَتَوْهُا إِلَى أَسْفَلِهِ وَطَوَّفُوهُ فَعَرَّضَ لَهُمْ
مِثْلُ الطَّرِيقِ فَسَارُوا فِيهِ فَوَجَدُوا قَبَّةً تَحْتَهَا كَالْمَطْهَرَةِ يَقْطُرُ فِيهَا مَاءٌ ^(١) فَيَنْشُ ^(٢) ثُمَّ يَفِيضُ ^(٣)
وَلَمْ يَدْرُوا مَا هُوَ ، وَوَجَدُوا مَوْضِعًا كَالْمَجْلِسِ الْمُرْتَبِعِ حَيْطَانُهُ كُلُّهَا بِمِجَارَةٍ مُلَوَّنَةٍ عَجِيبَةٍ ،
فَقَلَعَ أَحَدُهُمْ مِنْهَا حَجْرًا وَجَعَلَهُ فِي كَمَّةٍ فَأَنَسَدَتْ أَذْنَاهُ مِنَ الرِّيحِ ، وَلَمْ تَزَلْ تُصِرُّ ^(٤) وَهُوَ
مَعَهُ ، وَوَجَدُوا مَكَانًا كَالْفَوَارَةِ الْعَظِيمَةِ فِيهَا ذَهَبٌ مَضْرُوبٌ كَثِيرٌ يَكُونُ الدِّينَارُ مِنْهُ
زَهَاءً مِائَةً مِثْقَالًا ، فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَمْشُوا وَلَمْ يَتَحَرَّكُوا حَتَّى تَرَكَوهُ مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ . وَوَجَدُوا فِي مَكَانٍ آخَرَ كَالصَّفْقَةِ فِيهَا شَيْخٌ ^(٥) مِنْ حَنْتَمٍ أَخْضَرَ كَأَنَّهُ مُشْتَمَلٌ بِشَمْلَةٍ ،
وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمَائِيلٌ صِفَارٌ فِي صُورِ الصَّبِيَّانِ وَكَأَنَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ يَقْدِرُوا
أَنْ يَتَحَرَّكُوا فَرَدَّوهُ ، وَمَشَوْا أَيْضًا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَوَجَدُوا بَيْتًا مَسْدُودًا فِيهِ دَوَىٌّ
هَائِلٌ وَزَمْزَمَةٌ فَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لَهُ ، وَمَضَوْا فَوَجَدُوا كَالْمَجْلِسِ الْمُرْتَبِعِ فِيهِ صُورَةٌ دِيكٍ
مِنْ جَوَاهِرٍ مَعْمُولَةٍ ، قَائِمٌ عَلَى أَسْطُوَانَةِ خَضْرَاءَ ، وَلَهُ عَيْنَانِ يُسْرَجُ مِنْهُمَا الْمَجْلِسُ ،
فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْهُ صَوْتُ بَصَوْتٍ مُفْرِعٍ وَخَفَقَ بِجَنَاحَيْهِ ، فَتَرَكَوهُ وَمَضَوْا حَتَّى بَلَّغُوا صِنْمًا
مِنْ حَجَرٍ أَبْيَضَ فِي صُورَةِ أَمْرَأَةٍ مَنَكْسَةٍ عَلَى رَأْسِهَا وَمِنْ جَانِبَيْهَا أَسْدَانٌ مِنْ حِجَارَةٍ
كَأَنَّهُمَا يَرِيدَانِ نَهْسَهَا ، فَجَعَلُوا يَتَعَوَّذُونَ وَيَقْرَبُونَ إِلَى أَنْ جَاوَزَوْهَا . قَالَ : وَقِيلَ
لَهُمْ مَشَوْا حَتَّى لَاحَ لَهُمْ نُورٌ فَأَتْبَعُوهُ فَإِذَا بِقُوَّةٍ مَفْتُوحَةٍ فَخَرَجُوا مِنْهَا فَإِذَا هُمْ

(١) ينش : يأخذ مائه في الضروب . (٢) يفيض : يتصير . (٣) تصر : تصوت

صوتًا شديدًا . (٤) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة .

(٥) نهسا : يقال نهسه الكلب والذئب والسبع بالسبع المهمل ، رنهسته الحية بالذئب المعجمة .

في صحراء ، وإذا على باب تلك الفوهة تمثالان من حجر أسود معهما كالمزراقين فمجبوا من ذلك . ووجدوا أجرة منقورة وأسطوانات مخروطة ، فساروا منها بعداً فأتوها إلى ماء وجدوه في نَقَارِ حِذاء^(١) تلك الفوهة ، وأخذوا نحو المشرق فساروا يوماً حتى وصلوا إلى الأهرام من خارج فأخبروا والى مصر بنجرهم ، فوجه معهم من يدخل من تلك الفوهة ، فظافوا فلم يجدوها وأشكل عليهم أمرها . ووجد الآخذ للجر المجر جوهرها نفيساً فباعه بمال .

قال : وحكى أن قوماً في زمن أحمد بن طواون^(٢) دخلوا الهرم فوجدوا في طاق في أحد بيوته أستاذانة زجاجاً ثخينة فأخذوها وخرجوا ، ففقدوا رجلاً منهم فدخلوا في طلبه ، إذ خرج عليهم الرجل عرياناً يضحك ويقول : لا تتبعوا في طلبي ، ورجع هارباً إلى أن دخل ، فعلموا أن الجن استهوته وشاع أمرهم ، فأخذوا الأستاذانة منهم ومنع الناس من الدخول إلى الهرم ، ووزنت الأستاذانة فكانت أربعة أرتال زجاجاً أبيض صافياً ، فأنبته رجل من أهل المعرفة لها وقال : لم تعمل إلا لشيء ، وملأها ماء ووزنها فوجد وزنها وهي ملأى مثل وزنها فارغة لا تزيد ولا تنقص فكانت أعجوبة .

وحكى أن قوماً دخلوا الهرم ومعهم من يريدون يعشون به ، فلما هموا بذلك خرج عليهم غلام أسود أمرد في يده عصا فأخذ في ضربهم ، فخرجوا هارين وتركوا ما كان معهم من طعام وشراب وبعض ثيابهم . وحكى أن رجلاً دخل بامرأة ليفجر بها فصرعا جميعاً ولم يزالا مجنونين مشهورين حتى ماتا .

(١) نقار : التقار جمع قرة بالضم ، الوهدة المستديرة في الأرض غير كبيرة .

(٢) في عقد الجمان المعنى : « طولون بضم الطاء اسم تركي معناه : البدر الكامل » .

قال : وفي بعض مصاحف القبط أن سُورِيد الملك لما أخبره كهنته بنحبر النار المحرقة وأنها تخرج من برج الأسد فتحرق العالم، عَمِلَ في الأهرام مَسَارِبَ موجهة إلى آزاج ضيقة تجلب الرياح إلى داخل بصوت هائل . وعَمِلَ فيها مَسَارِبَ يدخل منها ماء النيل إلى مكان ينتهي إلى موضع من أرض الغرب وأرض الصعيد، وملاً تلك الأسراب عجائب وطلسمات وأصناما تنطق .

قال : وحكى بعض القبط أن سُورِيد لما أخبره منجموه قال : انظروا لبلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا فقالوا : يلحقه طوفان ويلحقه خراب يُقيم فيه عدة سنين وتغلب عليها التنانين . قال : كيف يكون خرابها ؟ قالوا : يقصدها ملك فيقتل أهلها ويغنم مالها ويهدم مصانعها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم تكون عمارتها من قبله . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم يقصدها قوم مشوهون من ناحية مصب النيل فيأتون على أكثرها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم ينقطع نيلها ويجلو أهلها عنها ؛ فأمر أن يكتب جميع ذلك على الأهرام .

قال : وذكر رجل من أهل الغرب ممن يختلف إلى الواح ويحمل الشمار على حمل له أنه بات في بعض الليالي قرب الهرم فما زال يسمع الضوضاء والعططة فهاله ذلك وتباعد عنه بجملة ، وكان يرى حول الهرم شبه النيران تأتلق ، فلم يزل مرعوباً إلى أن سرقت عيناه فنام وأصبح وهو في الموضع الذي جمع منه الشمار وشماره موضوع بحاله ، فعجب من ذلك وشد شماره على جملة ورجع إلى القسطاط وآلى على نفسه ألا يقرب من الهرم بعد ذلك .

(١) الشمار : هو الرازيانج تعريب راز يانه وهو الأنيسون ، وأنواعه ثلاثة : بستاق وبرى وشامى .

وهو نبات يزرع حريف مرة .

قال : والقبط يذكرون أن روحانية الهرم الغربى فى صورة امرأة عُرْيانة مكشوفة
الفرج حسناء لها ذؤابتان ، فإذا أرادت أن تستغفر الإنسان ضحكت اليه فاخيلته
الى نفسها فيدنونها منها فتستهويه ويزول عقله . قال : وقد رأى جماعة هذه المرأة
تدور حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس . وروحانية الهرم الشرقى
غلام أمرد أصفر عُرْيَان له ذؤابة . قال : وقد رآوه أيضا يطوف حوله . وروحانية
الهرم الملقون فى صورة شيخ يرى عليه برطلة^(١) وفى يده نجمة من مجامر الكائنات وهو
يغير كذلك فى جميع الأقروشات .

وأما روحانيات البرابى : فربا^(٢) إنحيم روحانيتهما غلام أسود عُرْيَان . وروحانية
ربا^(٤) قفط فى صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا . وروحانية ربا^(٥)
دندرة فى صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنان . وروحانية ربا^(٦) بوضير فى صورة شيخ

(١) برطلة ، البرطلة (بضم الباء وفتح اللام وتشدد) : المظلة الصيفية ، نبطية وقد استعملت
فى لفظ العرب .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ صفحة ٢٠ من هذا الجزء .

(٣) إنحيم : من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى النيل . وكانت إنحيم فى عهد الفراعنة
قاعدة قسم « تخينو » وفى عهد الرومان قاعدة قسم « بانوس » وفى عهد العرب قاعدة كورة الإنحيمية ،
واستمرت كذلك الى آخر حكم دولتى المسالك . وفى العهد العثمانى ألغيت الإنحيمية وأضيفت بلادها الى ولاية
جرجا وأضحت إنحيم إحدى بلاد مركز سوهاج . وفى سنة ١٩٠٣ م صدر قرار من الداخلية بفصل البلاد
الواقعة شرق النيل من مركز سوهاج وجعلها مركزا باسم إنحيم وهى قاعدة المركز من تلك السنة الى اليوم .
(راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) قفط : مدينة بالصعيد الأعلى ، اسمها القديم « قوطى » ومنه اشتق اسم قبلى وأقباط للصيريين .
وهى وطن الوزير الصاحب جمال الدين القفطى الملقب بالقاضى الأكرم وزير حلب المتوفى سنة ٥٦٤٦ هـ .

(٥) سيذكرها المؤلف فيما بعد أثناء كلامه على قفطريم بن قبطيم .

(٦) هى بوضير سمند ، وكانت قاعدة شهيرة قبل الاسلام .

أبيض عليه زىّ الرهبان ومعه مصحف يحمله . وروحانية يربا سمنود في صورة شيخ^(١)
 آدم طوال أشيب صغير اللحية . وروحانية يربا عدى في صورة راجع عليه كساء ومعه^(٢)
 عصا . وهذه البربا في أعمال المُرَاحِيَةِ من عمل أشُمون طَناح بقرب تلبانة عدى^(٣) .
 قال : ولكل من هذه الأهرام والبرابي قرابين وبُحُورَات تظهر كنوزها وتؤلف
 بين الناس والروحانيين الذين بها .

(١) سمنود : مدينة شهيرة بالوجه البحرى بمصر ، واسمها الفرعونى تينوتير واليونانى سينيپتوس .
 (٢) المُرَاحِيَةِ : هو اسم أحد الأقاليم المصرية بالوجه البحرى فى العهد العربى ، وكان يقال لها :
 كورة المُرَاحِيَةِ ثم الأعمال المُرَاحِيَةِ . وكان إقليم المُرَاحِيَةِ واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى
 المنصورة وأجا بمديرية الدقهلية ، وكان يجاوره من الجهة البحرية إقليم الدقهلية . وكان إقليم الدقهلية فى ذلك
 الوقت واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مراكز فارصكور ودكرنس والمنزلة بمديرية الدقهلية . وفى زمن
 حكم دولى المماليك جعل هذان الإقليمان إقليما واحدا باسم إقليم الدقهلية والمُرَاحِيَةِ . وفى عهد الحكم
 العثمانى اختصر باسم الدقهلية ولم يزل يطلق لغاية اليوم على مديرية الدقهلية التى فاعلتها مدينة المنصورة .
 (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٣ ص ٣١٢ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) أشُمون طَناح : ويقال لها « أشُمون طَناح » ، وهى من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ .
 الشرق للبحر الصغير الذى كان يسمى بحر أشُمون نسبة الى هذه المدينة ، وكان اسمها المصرى شون أرمان ، والرومى
 بانيفوسوس ، وسماها العرب أشُمون طَناح نسبة الى كورة طَناح التى كانت تقع أشُمون فى دائرتها ، وتعرف
 اليوم باسم أشُمون الرمان ، وهو اسمها القديم محرفا .

ولما تكلم عليها ابن دقاق فى كتاب الانتصار قال : « وتعرف بأشُمون طَناح وأشُمون الرمان ، وهى
 قصبة كورة الدقهلية ومدينة ذات حمامات وأسواق وجوامع وفنادق » وقد استمرت قاعدة لإقليم الدقهلية
 والمُرَاحِيَةِ الى آخر عهد المماليك . وفى أوائل الحكم العثمانى نقلت القاعدة الى مدينة المنصورة ومن ذلك
 الوقت اضطلعت أشُمون الرمان وزال ما كان فيها من آثار المدينة والعمران ، وأصبحت اليوم قرية عادية
 من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية . (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء
 السادس طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) تلبانة عدى : بلد بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية . وقد ورد فى المشترك والتحفة السنة لابين
 الجيعان : أنها من أعمال الدقهلية والمُرَاحِيَةِ . وفى مساحة سنة ١٢٢٨ هـ وردت مختصرة باسمها الحالى .

ولنرجع الى أخبار الملوك قال : وأقام سُورِيد في الملك مائة سنة وسبع سنين ، وقد كان منجموه عرّفوه الوقت الذي يموت فيه واليوم والساعة ، فأوصى الى ابنه هِرَجِيب وعرفه ما يعمل ، وأمره أن يُدخل جسده الهرم ، وأن يجعله في الجُرْن الذي أعدّه لنفسه ويفشّيه بكافور ، ويحمل معه ما أعدّه من فاخر الثياب والسلاح والآلات ، فأمثل جميع ما أمره به .

(١) ولما مات ملك بعده ابنه هِرَجِيب بن سُورِيد فسار بسيرة أبيه في العدل والعمارة والرأفة بالناس ، فأحبّوه . وبني الهرم الأول من أهرام دَهْشُور وحمل اليه من المسال والجوهر . وكان غرضه بجمع المسال وعمل الكيمياء واستخراج المعادن ودفن ماتبها له من الكنوز في كل سنة . وكانت له ابنة أفسدت مع بعض خدمه فتفاها الى ناحية الغرب ، وأمر أن تُبنى لها مدينة هناك ويقام عليها علم ويُزبر عليها اسمها ، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته . قال : وشج رجل رجلا فأمر بقطع أصابعه ، ووجد سارقا من العائمة فلّك رقه الذي سرق منه ، وعمل منارات ومصانع وطلسمات ، وملكهم نيفا وسبعين سنة .

١٥ وملك عليهم بعده ابنه منقاوش بن هِرَجِيب وكان جبارا أنيا قاذى الناس وسفك الدماء وأغتصب النساء واستخرج كنوز آبائه ، وبني قصورا بالذهب والفضة [وأجرى] فيها الأنهار ، وجعل حصباءها من صنوف الجواهر ، وتخزق في الهبات (٢) وأغفل العمارات فابغضه الناس ، وأباح أصحابه غصب نساء العائمة . وأطاف به أهل الشر من كل ناحية ، وكان يفتري على النساء قبل أزواجهن ، وأمتع عليه قوم

(١) في خطط المقرئى : « وجيت » .

(٢) التكلة من خطط المقرئى . (٣) تخزق في الهبات : توسع فيها .

(١) في شيء أمرهم به فأحرقهم بالنار، وسلط رجلا من الجبارين اسمه قرناس من ولد وراديس بن آدم على الناس ووجهه لمخاربة الأعمى الغربية فقتل منهم أمما . وكان أشجع أهل زمانه ثم هلك ، فأعتم عليه الملك وأمر أن يدفن مع الملوك في الهرم . ويقال : بل عمل له ناووسا وأقام عنده أعلاما وزبر عليها اسمه وما عمله في وقته . وملك متقاوش ثلاثا وسبعين سنة ومات ، فجعل في الهرم مع أجداده في حوض مرمر مصفح بالذهب والجوهر ، وحمل معه كثير من ذخائره وأمواله وسلاحه وعجائبه .

(٢) وملك بعد أبه أقروش بن متقاوش ، وكان عاقلا يخالف آثار أبيه وعدل في الناس ورد النساء الآلاتي غصبت متقاوش إلى أهلهن . وعمل في وقته فؤارة قطرها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا ، وركب في جميع جوانبها أطيارا تصغر بأصناف اللغات المطربة لا تنقر . وعمل في وسط المدينة منارتين من صفر عليهما صورة رأس إنسان من صفر كلما مضت ساعة من النهار صاح ذلك الرأس صياحا عاليا ، وكذلك الليل ، فيعلم به دخول الساعات ، وجعل فيه علامة لكل ساعة تضي تعرف بها عديتها . وعمل منارا آخر وجعل على رأسه قبة صفر مذهب ولطخها بلطوخات ، فإذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نارا يضيء بها أكثر المدينة لا تطفئها الأمطار ولا الرياح ، فإذا كان النهار قل ضوءها بضوء الشمس . ويقال : إنه أهدى الدرسميل [بن محويل] (٤) الملك ببايل مائدة من الزر جلد قطرها خمسة أشبار ، وكان استهده ذلك ليجعلها في بيت القربان . ويقال إنها وجدت بعد الطوفان . ويقال أيضا : إنه عمل على الجبل

(١) في خطط المقرئ « قرناس » بالميم . (٢) في خطط المقرئ : « أفراوس

ابن مناص » . (٣) في خطط المقرئ : « نورا » . (٤) الكلمة من خطط المقرئ .

(٥) في خطط المقرئ : « مدهنا » .

الشرقي صنما عظيما قائما على قاعدة ^(١) [وهو] مصبوغ بلطوخ أصفر مصور بالذهب
 ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا الى الناحية الجنوبية حتى
 يحاذي الشمس ^(٢) مع الصبح، فلم يزل الى أن سقط في أيام فرغان ^(٣) الملك فتهشم. وكان
 نصبه تعظيما للشمس. ويقال: إن أقروش كان يطلب الولد فنكح ثلاثمائة امرأة
 يتنى الولد منهن فلم يكن ذلك. وقيل: إن في عصره عَقَمَت الأرحام لما أراد
 الله عز وجل من هلاك العالم بالطوفان، وعَقَمَت أرحام البهائم ووقع الموت فيها.
 وقيل: إن الأسد كُثِرَ في وقته حتى كانت تتخَلَّل البيوت، فأَحْتَالُوا لها بِالطَّلَسَمَاتِ
 المانعة والحِيل المضرة لها، فكانت تَغِيِب وقتا وتعود، فرفعوا ذلك الى الملك فقال:
 هذه علامة مكروهة، وأمر أن تُعْمَلَ أخاديد وتُمَلَأ ناراَ وأَجْتَرُوا إليها الأسد
 بالدُّخْن التي تجلب رُوحَانِيَتَهَا وأَلْقَوْهَا على تلك النيران، فأَجْتَلَبَتْهَا تلك الدخن فتهاقت
 في تلك النيران فأَحْتَرَقَتْ. وَبَنَى في وقته مدائن في ناحية الغرب تَلَفَتْ بالطوفان
 مع أكثر مُدُنِهِمْ.

قال: وأرْتَفَعَت الأمطار عنهم وقلَّ الماء في النيل فأجذبوا، وهلك الزرع
 بالنار والريح الحارة وغيرها، فأضُرَّ ذلك بهم، فأَحْتَالُوا لدفع النار بِطَّلَسَمَاتِهِمْ
 فكانت تذهب وتعود. وقيل: إن الذي فعل بهم ذلك ساحر من سَحَرَتِهِمْ كان
 منقأوش غصبه أمراته فكان يعمل الحيلة قليلا قليلا في إفساد طَّلَسَمَاتِهِمْ؛ لأن لكل
 طلسم شيء تبطل به روحانيته. وبهذه العلة دخل بختنصر الفارسي مصر وقد كانت
 ممتنعة من جميع الملوك. فلما أفسد ذلك الساحر الطَّلَسَمَات، سلط عليهم تلك الآفات
 وأفسد طَّلَسَمَات التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعذبهم عذابا كبيرا الى أن

(١) التكلة من خطط المقریزی. (٢) في خطط المقریزی: «حتى يحاذي المشرق مع الفجر».

(٣) في خطط المقریزی: «فرغان» بالعين المهملة.

فطنوا به من قبل تلاميذه؛ وذلك أن أحدهم لأمه على فعله فأنتهره وتنفخ في وجهه
 فآظم عليه بصره، فجاء الى وزير الملك وعرفه القصة فأنهاها الى الملك، فأمر الملك
 بإدخاله عليه فأدخل، فسأله عن الخبر فعرفه بفعل الساحر، فأنفذ اليه جيشا ليأتوه به،
 فلما نظر الساحر الى القوم وقد أقبلوا دخن دُخنة أغشت أبصارهم وارتفعت منها
 عجاجة نار أحرقت وحالت بينه وبينهم، فهالهم ذلك، فرجعوا الى الملك وعرفوه
 ما جرى فأمر بجمع السحرة، وكان من رَسَم السحرة أن يعاهدوا ملوكهم على أن
 يكونوا معهم ولا يخالفونهم ولا ينالهم منهم مكروه ولا يبغيونهم الغوائل، فن فعل ذلك
 سلب علمه، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته وولده، وكانوا مع الملوك
 على هذه الحال يؤفون بعهودهم. فلما اجتمع السحرة عندك أخبرهم خبر الساحر،
 وكان يقال له: أختاليس، وبما عمله وقال: تُحضرونه إلى وإلا أهلككم؛ فسألوه
 النظر^(١) فأنظرهم، فأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا هارين، فلما خرجوا عنه
 تكلموا بينهم وقالوا: إنكم لتعرفون كثرة علم أختاليس وشدة سحره، وما نرى لنا به
 طاقة، ومتقاولش الملك الذي نقض عهده وتعدى عليه وأخذ أمراته غصبا، فأحتالوا
 لخلاصكم منه؛ فأجمعوا أنهم يصدقون الملك عن أنفسهم، ويستأذنونهم في الذهاب
 اليه ومداراته حتى يأتوه به بعد أن يأخذوا له أمانا منه ويحدد العهد بينه وبينه.
 فمضوا الى الملك وصدقوه عن أنفسهم، فأجابهم الى ما سألوهم من ذلك، ثم مضوا
 الى أختاليس فلفطفوا به ووعظوه الى أن أجابهم الى ما أرادوا، فكتبوا الى الملك
 بذلك، فكتب للساحر أمانا وعهدا، فرجع وردت اليه أمراته، فأكرمها وردّها الى
 دار الملك، وعرفهم أنه لا يرى في ذمته أن يلبس امرأة لابسها الملك على حال من
 الأحوال لما كانوا يراعونه من حقوق الملك، فسّر الناس بذلك وعجبوا من عقله

(١) النظر: التأخير والإهمال في الأمر.

وحكمته ، وصَلَح أمر الناس ، وعمل اختاليس طَلْسِمَاتٍ وعجائب كثيرة . قال :
ومَلَكْتَهُمْ أَفْرُوشَ أَرْبَعًا وَصَتِينَ سَنَةً ، وهلك وليس له ولد ولا أخ ، فُدِّنَ في الهرم
وَجُمِلَت معه أمواله وذخائره وجواهره والصنائع التي عَمِلَتْ في وقته ، وأَجْتَمَعَ
الناس على تَمْلِك رجل من أهل بيت الملك .

- فَلَمَّا كَانُوا عَلَيْهِمْ أَرْمَالِيْنُوسَ ، فَلَمَّا مَلَكَ أَمْرَ بَجْعِ النَّاسِ وَقَالَ : أَرَى الْأُمَّ الْغَرِيبَةَ
قَدْ تَطَرَّقَتْ إِلَيْكُمْ فِي نَوَاحِيكُمْ ، وَيُوشِكُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكُمْ ، وَأَنَا مَانِعٌ لِبِلَادِكُمْ وَدِمَائِكُمْ مِنْهُمْ
بِفَزْوِهِمْ وَالْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ وَتَحْوِيلِكُمْ إِلَيْهِمْ ، وَأَحْتَاجُ إِلَى مَعُونَةٍ مِنْ حُكَمَاةِكُمْ بِالْأَعْمَالِ
الْهَائِلَةِ وَالتَّخَابِيلِ الْعَجِيبَةِ ، فَشَكْرُوهُ وَدَعَّوْا لَهُ بِالتَّوْفِيقِ . وَقَالَتِ الْحِكْمَاءُ : نَحْنُ نَخْرُجُ
مَعَ الْمَلِكِ إِذَا خَرَجَ وَنَبْلِغُ لَهُ مَجَابَهَ أَوْ يَقِيمُ وَنَحْنُ نَخْرُجُ مَعَ الْجَيْشِ مَكَانَهُ وَنَبْدُلُ
أَنْفُسَنَا دُونَهُ . فَأَمْتَنَ مِنْ ذَلِكَ وَخَرَجَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ وَحَارَبَ تِلْكَ الْأُمَّ وَنَكَأَ فِيهَا ^(١)
أَعْظَمَ نَكَايَةً ، وَرَجَعَ غَانِمًا وَخَلَّفَ فِي وَجُوهِهِمْ جَيْشًا ، فَأَجْتَمَعَتِ تِلْكَ الْأُمُّ فَهَزَمَتْ
جَيْشَهُ وَرَجَعَ أَصْحَابُهُ مَغْلُوبِينَ فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . وَكَانَتْ أَصَابَتُهُ عِلَّةً مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ
فَأَنْفَذَ ابْنُ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ فِرْعَانُ بْنُ مِسُورَ ، وَكَانَ أَحَدَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ لَا يَطَاقُونَ ،
وَهُوَ أَوَّلُ فِرْعَوْنَ تَسْمَى بِهَذَا الْأَسْمِ وَمِنْ سَمَّى بَعْدَهُ سَمَّى تَشْبِيهَا بِهِ ، فَأَنْفَذَهُ الْمَلِكُ ^(٢)
أَرْمَالِيْنُوسَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ فَأَجْلَى تِلْكَ الْأُمَّ وَنَفَاها إِلَى أَطْرَافِ الْبَحْرِ ، وَعَادَ وَمَعَهُ
خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْرَى وَالرَّءُوسِ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِنَصْبِ تِلْكَ الرَّءُوسِ حَوْلَ مَدِينَتِهِ وَقَتْلِ
بِجَمِيعِ الْأَسْرَى . وَكَانَ مِنْهُمْ كَاهِنٌ فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُوشَرَ بِمَنْشَارٍ ^(٣) ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ

(١) نكأ : قتل فيهم وجرح وأتخذ .

(٢) وكذا ورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٢) أنه أول من لقب بلقب القراعة .

(٣) يوشر ، يقال : وشر الخشب بالمنشار إذا نشرها .

ذلك ، فأعلم الملك فرعانَ وألبسه خلعاً منظومةً بالجواهر ، وأمر بأن يطاف به
ويذكر فضله ، وأمر له ببعض قصوره .

وأتفق أن امرأة من نساء الملك عشقته وراسلته فأمتنع فرعان من ذلك وفاءً
للك ، ولأن التحظى الى نساء الملوك كان من الأمور العظيمة عندهم . فلما طال
ذلك عليها أحضرت ساهرة ولاطفتها وذكرت لها حالها ووجدتها بفرعان ، فضمنت
لها بلوغ مأربها منه وسحرته لها ، فأحتاج إليها وندم على ردّها وجعل يدس إليها الى
أن اجتمعت معه ، وتمكّن حبّ كلّ واحد منهما من صاحبه ، الى أن ذاكرته أمر
الملك وأنها لا تأمن أن يتصل به خبرهما وقالت : أنا أعمل الحيلة في قتله وتكون
أنت الملك وأكون لك ونأمن على أنفسنا . فن شدة ما عنده من حبّها حسن لها
ذلك ، فسمت الملك في شرايه فمات لوقته وحمل الى الهرم .

وملك بعده فرعان بن مسور وجلس على سرير الملك فلم يئازه أحد ، وفرح
الناس بمكانته لشجاعته . وهو الذي كان الطوفان في وقته . قال : ولما ملك علا في
الأرض وتجبر وأغصب الناس أموالهم وأنفسهم ونساءهم ، وعمل ما لم يعملهُ ملك قبله ،
وأسرف في القتل وهابته الملوك وأقزوا له . وهو الذي كتب الى الدرمسيل ملك بابل
يشير عليه بقتل نوح عليه السلام . وذلك أن الدرمسيل بن تحويل كتب الى الأقاليم
يسألهم : هل يعرفون آلهة غير الأصنام ؟ ويذكر قصة نوح وأنه يريد تغيير ذلك ،
وأن له إلهًا غيرها ، فكلُّ أنكر ذلك . ولما أخذ نوح في بناء السفينة كتب فرعان
الى الدرمسيل يشير عليه بإحراقها ، وكان عند أهل مصر خبر الطوفان ولكنهم
لم يُقدِّروا كثرتّه وطول مقامه على الأرض ، فآخذوا السرايب تحت الأرض

وصفّحوها بالزجاج وحبسوا فيها الرياح بتديريهم ، وآتخذ فرعان منها عدّة له ولأهل بيته . وكان فرعان قد أقصى الكهّان وباعدهم ، وكانوا مع الملوك على خلاف ذلك . ولنصل هذا الخبر بخبر الكهّان وما كانوا عليه .

١١٩
١٢

ذكر خبر كُهّان مصر وحالهم مع الملوك

- قال : وكُهّان مصر أعظم الكهّان علما ، وأجلّهم في الكهّانة حديثا . وكان حكماء اليونان يصفونهم بذلك ، ويشهدون لهم به ويقولون : أخبرنا حكماء مصر بذلك فاستفدناهم منهم . وكانوا يتخون في كهاتهم نحو الكواكب ، ويزعمون أنها هي التي تُفيض عليهم العلوم وتُخبرهم بالغيوب ، وهي التي علّمتهم أسرار الطبائع ، ودلّتهم على العلوم المكتونة ؛ فعملوا الطلّسمات المشهورة ، والنواميس الجلييلة ، وولّدوا الولادات الناطقة ، والصوّر المتحرّكة ؛ وبنّوا العالى من البنيان ، وزبّروا علومهم في الصلب من الصوّان ، وأنفردوا بعمل البرابي ، ومنعوا بها الأعداء من بلدهم . وعجائبهم ظاهرة . وكان الذي يتعبّد منهم الكواكب السبعة المدبّرة ، لكلّ كوكب سبع سنين ، فإذا بلغ هذه الرتبة سُمّي قاطرا ، وكان يجلس مع الملك في المرتبة ويصدّر الملك عن رأيه ، وإذا رآه قام له .

- وكان من رُسَمهم في كل يوم أن يدخل القاطر إلى الملك فيجلس إلى جانبه ، ويدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصناعات فيقفوا حذاء القاطر ، وكلّ واحد من الكهنة منفرد بكوكب يخدمه لا يتعدّاه إلى سواه ، ويُسمّى عبد كوكب كذا ، كما كانت العرب تُسمّى عبد شمس ، فيقول القاطر للكاهن : أين صاحبك ؟ فيقول :

(١) القاطر : معناه جامع العلوم ، وهو الذي يعبد الكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين ، كما ذكره

المؤلف أيضا فيما سبق (ص ٢٣) من هذا الجزء .

في البرج الفلاني في الدرجة الفلانية في دقيقة كذا ، ويسأل الآخر حتى إذا عرف مستقر الكواكب قال لللك : ينبغي لك أن تعمل اليوم كذا ، وتضع بنيان كذا ، وتوجه جيشا إلى ناحية كذا ، وتجتمع في وقت كذا ، وتأكل في وقت كذا ، وجميع ما يراه صلاحا له في أموره كلها ؛ والكاتب قائم يكتب جميع ما يقوله القاطر ، ثم يلتفت إلى أهل الصناعات فيقول : انقش أنت صورة كذا على حجر كذا ، وأغرس أنت كذا ، وأصنع أنت كذا ، حتى يمز على أهل الصناعات ؛ فيخرجون إلى دار الحكمة ويضعون أيديهم في تلك الأعمال ، ويستعمل الملك جميع ما يأمره القاطر . ويشرح ذلك اليوم في الصحيفة وتطوى وتودع في خزانة الملك ، فعلى ذلك كانت تجري أمورهم .

وكان الملك إذا نابه أمر جمعهم وأصطف الناس لهم في شارع المدينة ، ثم يدخلون ربكنا يقدم بعضهم بعضا ، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع ، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة : فمنهم من يعلو وجهه نور كنور الشمس فلا يقدر أحد على النظر إليه ، ومنهم من يكون عليه بدنة^(١) جوهر أخضر أو أحمر أو من ذهب منسوج . ومنهم من يدخل راكبا أسدا متوشحا بجيات عظام . ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو من جوهر في صنوف من العجائب كثيرة . ويصنع كل واحد منهم ما يدره عليه كوكبه الذي يعبد ؛ فإذا دخلوا على الملك قالوا : أأرادنا الملك لأمر كذا وقد علمنا ، أو أضمر الملك كذا والصواب فيه كذا . فكانوا مع ملوكهم على هذه الحال حتى ملك فرعان فأبعدهم . وكان فليمون^(٢) رئيس الكهان ، فرأى فيما يرى النائم كأن مدينة أمسوس قد أنقلبت بأهلها ، وكانت الأصنام

(١) بدنة : البدة البقيرة ، وهي قبض لاكين له ، تلبسه النساء .

(٢) في خطط المقرئى : « فليون » .

(١١) تهوى على رؤوسها ، وكانت ناسا يتزلون من السماء معهم مقامع فيضربون الناس بها ، وكأنه قد تعلق بأحدهم وقال له : ما لكم تفعلون بالخلق هذا ! أما ترحمونهم ؟ فقال : لأنهم كفروا بإلههم . قال : أفما لهم من خلاص ؟ قالوا : نعم ، من أراد الخلاص فليلق بحصاة في البحر ، فأنقذه . فأنقذه وهو يخاطبه ، فبقى مرعوبا مما رآه . وكان له امرأة وولدان ذكر وأنثى ومعه تلاميذه ، فأجمع على أن يلقى بنوح عليه السلام ، ثم نام أيضا فرأى كأنه في روضة خضراء ، وكانت فيها طيورا بيضاء تفوح منها رائحة طيبة ، وكأنه تعجب من حسنها إذ تكلم بعض الطيور فقال لأصحابه : سيروا بنا ننتج المؤمنين . قال له فليموت : ومن هؤلاء المؤمنون ؟ قال : أصحاب السفينة . فأنقذه مرعوبا وأخبر أهله وتلاميذه بذلك ثم نام .

فلما كان الغد أتى الملك فقال : إن رأى الملك أن يُفدنى إلى درمسيل لأعرف حال هذا الرجل الذي عمل السفينة فأشاهده وأناظره على ما جاء به من هذا الدين الذى أظهره وأتى حقيقة أمره فليفعل ؛ فإنى أرجو أن يكون ذلك سببا لهلاكه ودفعه عما يذيعه ، فأعجب الملك ذلك منه وأذن له فى الخروج ، فسار بأهله وولده وتلاميذه حتى انتهوا إلى أرض بابل وقصد نوحا وسأله أن يشرح له دينه ففعل ذلك ، فأمن به وجميع من معه ، فقال نوح عليه السلام : من أراد الله عز وجل به الخير لم يصدقه أحد عنه . فلم يزل فليمون مع نوح عليه السلام يخدمه هو وولده وتلاميذه إلى أن ركبو السفينة .

١٢٠
١٣

وأما فرعان الملك فإنه أقام منهما فى ضلاله وظلمه ، مقبلا على لثوه ، وأستخف بالكهنة والهيكل ، وضافت الدنيا بأهلها ، وكثر الهرج والظلم ، وفست الزروع ،

٢٠ (١) مقامع : المقامع جمع المقمعة ، وهى خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه لئلا يهوان .

وأجذبت النواحي ، وظلم الناس بعضهم بعضاً ، ولم يكن أحدٌ يذكر ذلك عليهم ،
وسُدت الهياكل والبرابي ، وطُيئت أبوابها ، وجاءهم الطوفان وأقبل المطر عليهم ،
وكان فرعان سكران فلم يَقمُ إلا بخير الماء ، فوثب مُبادراً يريد ^(١) [الحرب إلى] الهرم
فتخلخت الأرض به ، وطلب الأبواب نخاته رجلاه وسقط على وجهه وجعل
يُخَوِّر كما يُخَوِّر الثور ، إلى أن أهلكه الله تعالى بالطوفان ، ومن دخل الأسراب منهم
هلك بغمها ، ولحق الماء من الأرض والأهرام إلى آخر التربع ، وهو ظاهر عليها
إلى الآن ، وأنقضت ملوك الدنيا أجمع بالطوفان ولم يسلم إلا أصحاب السفينة كما
تقدم . فعدة من سُمي لنا من ملوك مصر قبل الطوفان على هذا السياق تسعة عشر
ملكاً ، ثم ملكها بعد الطوفان من ذكره .

ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك

قال إبراهيم بن القاسم الكاتب : قال إبراهيم بن وصيف شاه : أجمع أهل الآثار أن
أول من ملك مصر بعد الطوفان مصرِيم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ،
وذلك بدعوة سبقت له من جده . وكان السبب في ذلك أن فليمون الكاهن سأل نوحاً
عليه السلام أن يخلطه بأهله وولده وقال : يا نبي الله ، إني قصدتك رغبة في الإيمان بالله
سبحانه وتعالى وتصديقك يا نبي الله ، وتركت وطني وبلدي فأجعل لي رفعةً وقدرًا
أذكر بهما من بعدى ، فزوج نوح عليه السلام بيصر بن حام بنت فليمون الكاهن
فولدت له ولداً سماً فليمون مصرِيم باسم بلده ، فلما أراد نوح قسمة الأرض بين
بنيه قال له فليمون : ابعث معي يا نبي الله ابني حتى أمضي به إلى بلدي وأظهره
على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه ، فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته ، وكان

(١) التكملة من خطط المقرئ (ج ٣ ص ٢٥ طبة فيت) .

(٢) في خطط المقرئ (ج ١ ص ٧٣ طبة فيت) : «مصرِيم» .

غلاما مرافقا ، فلما قُرب من مصر بنى له عَمْرِي شَا من أغصان الشجر وستره بحشيش الأرض ، ثم بنى له بعد ذلك في الموضع مدينة وسمّاها دَرَسَان ، ^(١) أى باب الجنة ، فزرعوا وغرسوا الأشجار والأجّنة من درسان الى البحر . [فصارت هناك لزروع وأجّنة وعمارة وكان الذين مع مِصرِيم جبابرة ؛ فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عَيْش .

ونكح مِصرِيم امرأة من بنات الكهنة فولدت له ولدا سماه قبطِيم ، ونكح قُبطِيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر ، وهم : قُفْطَرِيم ، وأُشْمُون ، وأَتْرِب ، وصا ، وكثروا وعمروا الأرض وبُورِك لهم فيها . وقيل : كان عدد من وصل مع مِصرِيم ثلاثين نفرا فبنوا مدينة سَمَّوها مافّة . ومعنى مافّة ثلاثون بلغتهم ، وهى مَنْف ؛ وكشف أصحاب فليمون عن كنوز مصر وعلموهم خط البراني ، وأناروا لهم المعادن من الذهب والزرّجَد والقَيروَزَج والأسبَاد شم وغير ذلك ، ووصفوا لهم عمل الصنعة ، بفعل الملك أمرها الى رجل من أهل بيته يقال له مقيطام ، فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقى فسمّى به المُقْطَم ، وعلموهم أيضا عمل الطلّسات . وكانت تخرُج من البحر دوابّ تفسد زرعهم وأجنتهم وبنائهم فعملوا لها الطلّسات فغابت ولم تعد . وبنوا على عَبر البحر مُدُنًا منها : رَقُودَة مكان الإسكندرية ، وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نُحاس مُذهّب والقبة مُذهّبة ، ونصبوا فوقها امرأة من أخلاط شتى قُطرها خمسة أشبار ؛ وكان ارتفاع القبة مائة ذراع ؛ فكانوا اذا قصدهم قاصد من الأمم التى حولهم ، فإن كان مما يهتمهم أو من البحر عملوا لتلك المرأة عملا فالقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته ؛ فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها

(١) درسان : هى مدينة العريش . (٢) الكلمة من خطط المقرئى (ج ١ ص ٧٣ طبع فييت) .

(٣) فى مروج الذهب للسعودى (ج ١ ص ١٨٠ طبع بلاق) : « الاشهاد جشم » وذكر أنه

نوع من الجواهر تتخذ منه النصول وغيرها .

البحر فنسفها . وقيل : إن الإسكندر إنما عمل المنارة تشبها بها . وقد ذكرنا خبر المنارة فيما تقدم من كتابنا هذا ^(١) .

وقال : لما حضرت مصرم الوفاة عهد الى ابنه قُبطيم بن مصرم ؛ فقسم قبطيم مصر بين بنيه الأربعة : فجعل لابنِه قُفَطْرِم من قُفَط الى أُسوان الى الثوبة ، ولأشُمون من أشُمون الى مَنف ، ولأَثْرِب الحَوْف كُلّه الى الشجرتين الى أيلة من الحجاز ، ولِصَا من ناحية صَا البحيرة الى قُرب بَرْقَة ؛ وقال لأخيه فارق : لك من برقة الى المغرب ، فهو صاحب إفريقية . وولده الأفارق . وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه . وأمر مصرم عند موته أن يحفروا له في الأرض سَرَبًا وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ، ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر ، ويزبروا عليه أسماء الله تعالى المساعة من أخذه . حفروا له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا ، وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب ، وجعلوا له أربعة أبواب ، على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر ، جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد ، وزبروا في صدر كل تمثال آيات عظاما مانعة ، وجعلوا جسده في جُرن من المرمر مُصَفَّح بالذهب وزبروا على مجلسه : مات مصرم بن بيسر بن حام بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان ، ومات ولم يعبد الأصنام ، إذ لا هَرَم ولا سَقام ، ولا حُزن ولا أَهْتَام ، وحصنه بأسماء الله العظام ، لا يصل اليه إلا ملك ولدته سبعة ملوك يدين بدين الملك الديان ، ويؤمن بالبعث والفرقان ، الداعى الى الإيمان في آخر الزمان . وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجوهر النفيس ، وألف

(١) راجع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة) .

بَرْنِيَّة [مملوءة^(١)] من الدرّ الفاخر والصّنعَة الإلهية ، والعقاقير البرّية ، والطلّسمات العجيبة ، وسبائك الذهب مكدّسة بعضها على بعض ، وسقّفوا ذلك بالصخور العظام وهالوا فوقها الرمال [بين جبلين^(٢)] .

وَأَسْتَقْلَ قِبْطِيمَ بِالْمَلِكِ بَعْدَ أَبِيهِ .

ويقال : إن قِبْط مصر منسوبون إليه . وهو أوّل مَنْ عَمِلَ العجائب وأنار المعادن ، وشقّ الأنهار . ويقال : إنه لحقّ البليّة^(٣) وخرج منهم بهذه اللغة القِبْطِيَّة ، وعَمِلَ ما لم يعملهُ أبوه من نَصَبِ الأعلام والمنارات والعجائب والطلّسمات . ومَلَكَهُمْ قِبْطِيمَ [أربعمائة و^(٤)] ثمانين سنة ومات ؛ فَأَغْتَمَ عَلَيْهِ بنوه وأهله ودُفِنَ في الشرق في سَرَبٍ تحت الجبل الكبير الداخل ، وصَفَحُوهُ بالمرمر الملوّن وجعلت فيه منافذ للرّيح ؛ فهُيَ تَنَحَّرُ فِيهِ بدوى عظيم هائل ، وجُعِلَ فِيهِ من الكبريت الأحمر وأَكْرَمَ من نحاس مطلّية بأدوية مُشْعِلَةٌ لَانْطِفَاءُ ، ولَطَخُوا جَسَدَهُ بِالْمَرْ وَالْكَافُورِ والمُؤْمِيَا ، وجعلوه في جُرْنٍ من ذهب في ثياب منسوجة بالمرجان والدرّ ، وكشفوا عن وجهه وجعلوه تحت قبة ملوّنة ، في وَسْطِهَا دُرَّةٌ معلقة تُضِيءُ كالسراج ، والقبة على أعمدة بين كلّ عمودين تمثالٌ في يده أعجوبة ، وجعلوا حول الجُرْنِ توابيت مملوءة جوهرا وذهبا وتمائيل وصنعة وغير ذلك ، وحول ذلك مصاحف القِبْط والحكمة ، وسدّوا عليه بالصخور والرصاص وزبّروا عليه كما زبّروا على ناووس أبيه .

وملك بعده ابنه قُفْطَرِيمُ بن قِبْطِيمَ ، وكان أكبر ولد أبيه ؛ وكان جبارا عظيم الخلق ، وهو الذي وضع أساسات الأهرام الدّهشورية وغيرها ليعمل منها كما عمل الأوّلون ، وهو الذي بنى دَنْدَرَةَ ومدينة الأصنام . ودَنْدَرَةُ : بلد من بلاد إقليسم قوص ، وهي في البرّ الغربي مشهورة هناك . قال : وأثار من المعادن ما لم يُثْرَ غيره ،

(١) التكملة من خطط المقرري (ج ١ ص ٧٥ طبع فيت) . (٢) البليّة : اختلاط الألسن .

(٣) التكملة من خطط المقرري (ج ٣ ص ٣٣ طبع فيت) .

وكان يمتاز من الذهب مثل شجر الرحي، ومن الزبرجد كالأسطوانة، ومن الأسباد شم في صحراء الغرب كالقلة. وعمل من العجائب شيئا كثيرا. وبنى منارا عاليا على جبل فقط يرى من البحر الشرقي، ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه بركة كبيرة، فيقال إنها هناك الى الآن؛ وأما المنار فسقط. وعمل عجائب كثيرة. ويقال : إنه بنى المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب كثيرة، منها : الماء الملفوف القائم كالعمود لا ينخل ولا يذوب، والبركة التي تسمى فلسطين، أى صيادة الطير، إذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه أن يبرح حتى يؤخذ. وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر إذا قربت الأسد والحيات والأشياء المضرة من تلك المدينة صفر صفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة. وكان على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عندها ولا يستيقظ حتى يأتيه أهل المدينة وينفخون في وجهه فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما عند الأصنام حتى يهلك. وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى رأس المنارة صورة صنم من أخلاط كثيرة، وفي يده كالقوس كأنه يرمى عنها، فإن عابنه غريب وقف في موضعه لم يبرح حتى يُنحى أهل المدينة. وكان ذلك الصنم يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه.

قال وقيل : إن هذا الصنم على حاله إلى الآن، وإن الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين الإنسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف. قال : وكان بعض الملوك يعمل على قلعه فامكنه، وهلك لذلك خلق كثير. ويقال : إنه عمل في بعض المدن الداخلة امرأة من أخلاط ترى جميع ما يسأل الإنسان عنه وهي غريبة البلد. قال : وعمل خلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة

وَوَكَّلَ بِهَا الرُّوحَانِيْنَ الَّذِيْنَ يَمْنَعُونَ مِنْهَا ؛ فَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهَا وَلَا يَدْخُلَهَا أَوْ يَعْمَلَ قَرَائِنَ أَوْلَئِكَ الرُّوحَانِيْنَ فَيَصِلُ إِلَيْهَا حَيْثُذُ وَيَأْخُذُ مِنْ كُنُوزِهَا مَا أَحَبَّ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا ضَرَرٍ . قَالَ : وَأَقَامَ قَفْطَرِيمَ مَلِكًا أَرْبَعًا مِائَةَ سَنَةً . وَكَأَكْثَرِ الْعَجَائِبِ عُثِمَتْ فِي وَقْتِهِ وَوَقْتُ ابْنِهِ الْبُودَشِيرِ ^(١) . وَكَانَ الصَّعِيدُ أَكْثَرَ عَجَائِبَ مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِ . قَالَ : وَفِي آخِرِ أَيَّامِ قَفْطَرِيمَ هَلَكْتَ عَادَ بِالرَّيْحِ الْعَقِيمِ .

- وَلَمَّا حَضَرَتْ قَفْطَرِيمَ الْوَفَاةُ عُثِمَ لَهُ تَأْوُوسٌ مِنَ الْجِبَلِ الْقَرِيبِيِّ قَرِبَ مَدِينَةِ الْكَهْنَةِ ، كَانَ عَمَلُهُ لِنَفْسِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ فِي سَرَبٍ فِي الْجِبَلِ كَهَيْئَةِ الدَّارِ الْوَاسِعَةِ وَجَعَلَ دُورَهَا خَزَائِنَ مَقْفُورَةٍ ، وَجَعَلَ فِي سَقُوفِهَا مَسَارِبَ لِلرِّيَّاحِ ، وَبَنَى ذَلِكَ بِالْمَرمرِ ، وَجَعَلَ فِي وَسْطِ الدَّارِ مَجْلَسًا عَلَى ثَمَانِيَةِ أَرْكَانٍ مَصْفُوعًا بِالزَّجَاجِ الْمَلُتُونِ الْمَسْبُوكِ ، وَجَعَلَ فِي مَقْفَعِهِ جَوَاهِرَ وَحِجَارَةً تَسْرُجُ ، وَجَعَلَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْمَجْلِسِ تَمَثَّلًا مِنْ الذَّهَبِ بِيَدِهِ كَالْبُوقِ ، وَجَعَلَ تَحْتَ الْقُبَّةِ دَكَّةً مَضْفُوعَةً بِالذَّهَبِ ، وَجَعَلَ لَهَا حَوَافِي زَبْرَجْدَ ، وَفَرَشَ فَوْقَ الدَّكَّةِ فَرَشَ الْجَرِيرِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا جَسَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَطَخَ بِالْأَدْوِيَةِ الْمَسْكَةِ ، وَمِنْ جَوَانِبِهِ آلَاتُ الْكَافُورِ الْمُخْرُوطَةِ ، وَسُدِّلَتْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ مَنَسُوجَةٌ بِالذَّهَبِ ، وَوَجْهُهُ مَكْشُوفٌ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مُلْكِي ، وَعَنْ جَوَانِبِ الدَّكَّةِ أَرْبَعُ تَمَائِيلَ مَجْزُوفَاتٍ مِنْ زَجَاجٍ مَسْبُوكٍ مِثْلَ صُورِ النِّسَاءِ وَالْوَتَانِ ، بِأَيْدِيْنِ كَالْمُرَاحِ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعَلَى صَدْرِهِ مِنْ فَوْقِ الثِّيَابِ سَيْفٌ صَاعِقِي قَاعِهِ مِنَ الزَّبْرَجْدِ ، وَجُعِلَ فِي تِلْكَ الْخَزَائِنِ : مِنْ الزَّبْرَجْدِ وَسَبَائِكَ الذَّهَبِ وَالتَّيْجَانِ وَالْجَوَاهِرِ وَبِرَاقِي الْحِكْمِ وَأَصْنَافِ الْعَقَاقِيرِ وَالطَّلَاسِمَاتِ ، وَمِنْ الْمَصَاحِفِ الْحَاوِيَةِ لِجَمِيعِ الْعُلُومِ ، مَا لَا يَحْصِي قَدْرَهُ كَثْرَةً ، وَجُعِلَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ دِيكٌ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى قَاعَةٍ مِنْ زَجَاجٍ أَخْضَرَ مَنَشُورِ الْجَنَاحِيْنَ مَزْبُورٍ عَلَيْهِ آيَاتُ عِظَامٍ مَانِعَةٍ ، وَجُعِلَ عَلَى مَدْخَلِ كُلِّ أَرْجَحٍ صُورَتَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ مَشُوهُتَيْنِ بِأَيْدِيْهِمَا

(١) فِي خَطِّ الْمَقْرِزِيِّ : « الْبُودَشِيرِ » بِالثَّنِيِّ الْمَعْنَى .

سيفان كالبرق ، ووراءهما بلاطة تحتها لوالب فن وطئها ضرباه بأسياهما فقتلاه ،
وفي سقف كل أزج كرة عليها لَطُوخ مدبر يُسَرِّج ، وسَدَّ باب الأزج بالأساطين وورسوا
على سقفه البلاط العظام ورددوا فوقها الرمال ، وزبروا على باب الأزج : هذا
الداخل إلى جسد الملك العظيم المهيّب الكريم الشديد قفطريم ذى الأيد والفخر ،
والغلبة والقهر ، أفل نجمه وبقي ذكره وعلمه ، فلا يصل أحد إليه ، ولا يقدر بحيلة
عليه ، وذلك بعد سبعمائة وسبعين ، ودورات مضت من السنين .

قال : ولما مات قفطريم ملك بعده أبوه البودسير بن قفطريم ؛ فتعجب وتكبر
وعمل بالسحر وأحتجب عن العيون ، وقد كان أعمامه أشمون وأتريب وصا ملوكا على
أحيائهم إلا أنه قهرهم بجهوته وقوته ، فكان الذكر له كما كان لأبيه . ويقال : إنه
أرسل هَرَمِس الكاهن المصرى إلى جبل القمر الذى يخرج النيل من تحته حتى
يعمل هناك هيكل التماثيل النحاس ، وعدل إلى البطيخة التى ينصب إليها ماء النيل .
ويقال : إنه الذى عدل جانبي النيل وقد كانت يفيض [فى مواضع وينقطع
فى مواضع ^(١)] ، وأمره البودسير أن يسير مغربا فينظر إلى ما هناك . فوقع على أرض
واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب ، فبنى منائر ومتزهات ، وحول إليها جماعة
من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب كلها عمارة ،
وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فتناكحوا ؛ ثم إنهم تحاسدوا وبنى بعضهم
على بعض ، وكانت بينهم حروب تغرب البلد وباد أهلها إلا بقية منازل تسمى
الواحات هى موجودة إلى وقتنا هذا .

ويقال : إنه عمل عجائب كثيرة فى وقته ، منها : قبة لها أربعة أركان
وفى كل ركن منها كوة يخرج منها كالدهان الملتف فى ألوان شتى [يستدلون بكل

(١) التلجة من خطط المقرئ (ج ٣ ص ٣٧ طبة فيت) .

لون على شيء^(١)؛ فما خرج منته أخضر دل على العماره وحسن النبات والزرع
وضلاحة^(٢)، وإن خرج الدخان أبيض دل على الجذب وقلة الزكاء^(٣)، وإن خرج
أحمر دل على الدماء والحروب وقصد الأعداء، وإن كان أسود دل على
كثرة الأمطار والمياه وفساد بعض الأرض بذلك، وإن كان أصفر دل على
التيار وآفات تحدث في الفلك، وما كان منها مختلطاً دل على مظالم الناس وتعدي
بعضهم على بعض وإهمال ملوكهم لهم، وأشياء من هذا الضرب. وكانت هذه القبة
على منار أقام زماناً طويلاً ثم هدمه بعض الملوك البربر؛ لأنه أراد غزو قوم بتلك
الناحية فعلموا بحاله فانتقلوا عن ذلك الموضع إلى قرب النيل فلما جاء ولم يجدهم هدمه.

ومما عمل له في الصحراء التي تقرب منه — وكانت الوحش قد كثرت وأفسدت

- عليهم زرعهم وكذلك خنازير الماء — شجرة من نحاس عليها أمثال تلك الوحش
ملجمة أفواؤها بخيوط من نحاس، فما يجوز بها من الوحش لا يستطيع الحراك
ولا البراح من عندها حتى يؤخذ قبضاً ويُقتل؛ فأشبع الناس في لحوم تلك الوحوش
وانتفعوا بجلودها زماناً طويلاً إلى أن انتزعها بعض ملوك العرب سرّاً من أهل مصر
وقدر أن ينصبها في بلدهم فتعمل له مثل ذلك، فلما عملها بطأت؛ لأنهم كانوا
يعملون ما يعملون بطالع يأخذونه له، فلا يزال عمله مستقيماً إلى أن تغير عن مكانه
فبطل عمله.

ومما عمل في وقته أن غراباً نقر عين صبي من أولاد الكهنة فقلعها،
فعمل شجرة من نحاس عليها تمثال غراب من نحاس في منقاره حربة بادية الطرفين.
منشور الجناحين، وكتب على ظهره كتاباً؛ فكانت الغربان تقع على تلك الشجرة

(١) الكلمة من خطط المقرئ. (٢) الزكاء: الثناء، يقال زكا الشيء. يزكو زكاً. وزكوا، نما.

ولا تبرح حتى تؤخذ فتقتل، ففني أكثر الغربان وزالت عن تلك الناحية إلى ناحية الشام . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن أصاب بعض ملوكهم علة^(١) ووصف له فيها لحم غراب يطبخه ويأكله ويشرب من مرقه فلم يؤجد، فوجه إلى آخر العمل الذي بمصر من ناحية الشام من يأتيه بغراب فأبطأ عليه، فأمر بنزع الشجرة فرجع الغراب وأخذ منها ما عولج به الملك قبل أن يرجع رسوله .

ومما عمل في وقته - وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ظهرت على زروعهم - فعمل لذلك صنما من صوان أسود على قاعدة منه وعلى كتفه شبه الققة فيها كالمسحاة، وقش على جبهته وصدره وذراعيه وساقيه حروفا، وأقامه الكاهن بطالع أخذه له ووجهه إلى الغرب، فأنكشفت تلب الرمال ورجعت إلى ورائها . فتلک الأكداس العالية في صحراء الغرب منها . ولم تزل الرمال تندفع عنهم إلى أن زال ذلك الصنم عن موضعه . قال : وأقام البودسير مدة^(١) واحتجب عن الناس، وكان يتجمل لهم في صورة وجه عظيم، وربما خاطبهم ولا يرونه، ثم غبر مدة وهم في طاعته إلى أن رآه أبنة عديم وهو يأمره بالجلوس على سرير الملك .

بجلس عديم بن البودسير على الملك وكان جبارا لا يطاق، عظيم الخلق، فأمر بقطع الصخور ليعمل هراما كما عمل الأقولون . قال : وكان في وقته الملكان اللذان

(١) غير : مكث وبقى .

(٢) في خطط المقرئ (ج ٣ ص ٣٨ طبعة فييت) ما نصه : « فلما مات ملك بعده أبنة أرفليمون، وكان كاهنا ساحرا، فعمل أعمالا عظيمة، منها : أنه كان يجلس في السحاب فيرونه في صورة إنسان عظيم، وأقام مدة على ذلك، ثم إنه ذهب عن أهل مصر وصاروا بغير ملك، ثم رأوا صورة بجذا جزء الشمس عند حلولها أول برج الحمل، فأمرتهم أن يقتلوا الملك عديم بن قفطريم : وأعلمتهم أنه ما بق يعود إليهم . فولوا عليهم ملك مصر عديم بن قفطريم، وكان جبارا عظيما ... الخ » .

هبطاً من السماء، وكانا في بئر يقال لها أفنوه، وكانا يعلمان أهل مصر السحر. ويقال:
إن عديم استكثر من علمهما ثم نقل إلى بابل.

قال: وأهل مصر من القبط يقولون إنهما شيطانان يقال لهما: مُهَلَّة ومَهَّالَة،
وليس هما المَلَكَيْن. والمَلَكَان ببابل في بئر هناك يغشاها السحرة إلى يوم الساعة.
ولنصل هذا الفصل بخبر هاروت وماروت وإن لم يكن منه؛ وإنما الشيء
بالشيء يذكر. والله أعلم.

ذكر خبر هاروت وماروت

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيَّانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيَّانٌ وَلَٰكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾^(١)
الآية. قال أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره: وكانت قصتهما — على ما ذكره ابن عباس
رضي الله عنه والمفسرون — أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة
وذنوبهم الكثيرة؛ وذلك في زمن إدريس عليه السلام فبعثهم بذلك، ودعت عليهم
الملائكة وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض وأخترتهم فهم يعصونك؛ فقال الله
عز وجل لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض ورَّكبت فيكم ما رَّكبت فيهم لركبتم ما آرتكبوا؛
فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك؛ قال الله تعالى: فَأَخْتَارُوا مَلَكَيْنِ
من خياركم أهبطهما إلى الأرض، فَأَخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وكانا من أصلح
الملائكة وأعبدهم. قال: وقال الكلبي: قال الله لهم: اختاروا ثلاثة فَأَخْتَارُوا
عَزَّاءَ وَهُوَ هَارُوتَ، وَعَزَّاءَ وَهُوَ مَارُوتَ، وَغَيْرَآسَمَهُمَا لَمَّا قَارَفَا الذَّنْبَ، وَعَزَّابِيلَ؛
فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم إلى الأرض، وأمرهم أن يحكموا

١٣٤
١٢

بين الناس بالحق ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير حق ، ونهاهم عن الزنا وشرب الخمر . فأما عزراييل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله ورفعه ، فسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه . ولم يزل بعد ذلك مطاطك رأسه حياء من الله تعالى . وأما الآخران فإنهما بقيا على ذلك ، وكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء . قال قتادة : فما مرة عليهما أشهر حتى افتننا .

قال الثعلبي : قالوا جميعا : وذلك أنه اختص اليهما ذات يوم الزهرة ، وكانت من أجمل النساء . قال علي رضي الله عنه : كانت من أهل فارس ، وكانت ملكة في بلدها ، فلما رآها أخذت بقلوبهما ، فراوداها عن نفسها فابت وأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك ، فابت وقالت : لا ! إلا تعبدا ما أعبد ، وتصليا لهذا الصنم ، وتقتلا النفس ، وتشربا الخمر . فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء ، فإن الله عز وجل نهانا عنها ، فأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من نحروفي أنفسهم من الميل إليها ما فيها ، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم ، وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربا فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا ، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه . قال الربيع بن أنس : وسجدا للصنم فمسخ الله عز وجل الزهرة كوكبا .

وقال علي بن أبي طالب والسدي والكلبي رضي الله عنهم : إنها قالت لهما : لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء . فقالا : بأسم الله الأكبر . قالت : فما أتما بمدركاني حتى تعلمانيه . فقال أحدهما لصاحبه : علمها ! قال : إني أخاف الله . قال الآخر : فإين رحمة الله ! فعلمها ذلك . فتكلمت به وصعدت

إلى السماء . فسبحها الله تعالى كوكبا . فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها، وقيدوها فقالوا : هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية «ناهيد» ، وبالنبطية «بيدخت» . قال : ويدل على صحة هذا القول ما رواه الثعلبي بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى سُهَيْلًا قال : " لعن الله سُهَيْلًا إنه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فإنها فتنت ملكين " .

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما ذات ليلة فقال لي : أرمق الكوكبة فإذا طلعت فأيقظني ، فلما طلعت أيقظته ، بفعل ينظر إليها ويسبها سبًا شديدًا ، فقلت : رحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا لله ؟ ما له يسب ! فقال : إن هذه كانت بغيًا فلي الملكان منها ما لقيها . وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى الزهرة قال : لا مرحبًا بها ولا أهلًا . وروى أبو عثمان النهدي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن المرأة التي قُتِنَ بها الملكان مُسِخَتْ ، فهي هذه الكوكبة الحمراء ، يعني الزهرة .

قال الثعلبي : وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله قوامًا للعالم ، وإنما كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة ، كانت تسمى زهرة من جمالها ، فلما بغت جعلها الله تعالى شهابًا ،

(١) العشار : الذي يقبض عشر الأموال .

(٢) ويؤيد هذا ما قاله الإمام القرطبي في تفسيره هذه الآية الكريمة (ج ٢ ص ٥٢) : « هذا كوكب ضعيف وبعد عن ابن عمر وغيره ، لا يصح منه شيء ، فانه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أماء الله على ربه ، وسفرازه إلى رسله (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، (بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) ، (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) . وأما العقل فلا يتكروفرع المعصية من الملائكة ويوجد منهم خلاف ما كلفوه ، ويخلف فهم الشهوات ؛ إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم ؛ ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء ، لكن وقوع هذا الجائر لا يدرك إلا بالسمع ولم يصح . وما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ، ففي الخبر : =

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الآسمين فلعلها ، وكذلك سهيل العشار ، والله أعلم .

قالوا : فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء

١٢٥

١٢

فلم تطاوعهما أجنحتهما ، فعلمتا ما حل بهما فقصدا إدرين عليه السلام فأخبراه

بأمرهما وسألاه أن يسفع لهما إلى الله عز وجل ففعل ذلك ، فغيرهما الله تعالى بين

عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فأختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع ، فهما ببابل

يعذبان . واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة . وقال قتادة : كُتِلَا من أقدامهما إلى أصول

أفخاذهما . وقال مجاهد : إن جُبا ملئ نارا فجُعلا فيه . قال جُصَيْف : معلقان

منكسان في السلاسل . وقال عُمَيْر بن سعد : منكوسان يُضْرَبَان بسياط الحديد .

وروى أن رجلا أراد تعلم السحر فقصده هاروت وماروت فوجدهما معلقين بأرجلهم ،

مُزْرَقَة أعينهما ، مُسَوَّدة جلودهما ، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلّا قدرُ أربع

أصابع ، وهما يعذبان بالعطش ، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله ،

وقد نُهيَ عن ذكر الله هناك . فلما سمعا كلامه قالَا : مَنْ أنت ؟ قال : رجل من

الناس . قالَا : من أى أمة أنت ؟ قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قالَا :

وقد بُعث ؟ قال نعم . قالَا : الحمد لله ! وقد أظهرنا الاستبشار . فقال الرجل : ومم

استبشاركما ؟ قالَا : إنه نبي الساعة . وقد دنا أنقضاء عذابنا .

== "أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوائر زحل والمشتري وهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر" .

وهذا معنى قول الله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) . فثبت بهذا أن الزهرة وسهيل قد كانا قبل خلق آدم ،

ثم إن قول الملائكة : ما كان ينبغي لنا عوده ، لا تقدر على فتننا ، وهذا كفر نعوذ بالله منه ومن نسبته

إلى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين ؛ فقد زعمناهم وهم المنزهون عن كل ما ذكره وقوله

المفسرون ، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون .

- قال: وأما كيفية تعلّم السحر، فقد رُوي فيه خبر جامع، وهو ما رواه أبو إسحاق بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت على امرأة من أهل ثؤمة الجندل جاءت تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تصاله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به، قالت عائشة رضي الله عنها لعروة: يا بن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت تبكي حتى إنى لأرحمها! تقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قالت: كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت: إن فعلت ما أمرك به فاعله يأتيك، فلما كان الليل جاءني بكبشين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلّم السحر، قالوا: إنما نحن فتنة فلا تكفري وأرجعي، فأبيت فقلت: لا، فقالوا: إذهبي إلى ذلك التنور فبولى فيه، فذهبت ففزعته فلم أفعل، فرجعت إليهما فقالا: فعلت؟ قلت نعم، قالوا: هل رأيت شيئا؟ قلت: لم أر شيئا، فقالوا: لم تفعل، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري، قالت: فأبيت، فقالوا: إذهبي إلى ذلك التنور فبولى فيه، فذهبت فأقشعرت جلدي فرجعت إليهما فقلت: قد فعلت، فقالوا: هل رأيت شيئا؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالوا: كذبت لم تفعل، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك، قالت: فأبيت، فقالوا: إذهبي إلى ذلك التنور فبولى فيه، فذهبت إليه فبلت فأريت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه، فغتمتهما فقلت: قد فعلت، قالوا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء حتى ما أراه، قالوا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا، وما قالوا لي شيئا. فقالت: لن تربدي شيئا إلا كان، خذي هذا القمح فأبذري،

فبَدَرْتُ، قلت: أطلُّعي، فأطلعت، فقلت، أحقِّلي، فأحققت، ثم قلت: أفركي،^(٣)
فأفركت، ثم قلت: أطحنِّي، فأطحنت، ثم قلت: أخبِزي، فأخبزت. فلما رأيت
أنِّي لا أريد شيئاً إلا كان، سَقَطَ في يدي ونِدِمْتُ. والله يا أم المؤمنين ما فعلتُ
شيئاً قط، ولا أفعله أبداً.

قال: وقال بعضهم: إنهما لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران
بطلانه ويأمران باجتنابه، فيتعلَّم الشقَّ منهما في خلال صفتهما ويترك موعظتهما
ونصيحتهما، فلا يكون على هذا التأويل كفراً وإنما يكون العمل به كفراً. وقد أنكر
بعضهم أن يكونا ملكين قال: وإنما كانا مَلِكَيْنِ. وقريء في الشواذ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ
عَلَى الْمَلِكَيْنِ﴾ (بكسر اللام). وقيل: كانا عِلَجَيْنِ ببابل. حكاه القاضي عياض^(٤)
في كتاب الشفا. والله تعالى أعلم.

ولنرجع إلى أخبار عَدِيم بن البوسيد المملك. قال: وعديم أول من صلب؛
وذلك أنَّ امرأة زَنَّتْ برجل من أهل الصناعات، وكان لها زوج من أصحابه، فأمر

١٢٦
١٢

(١) أطلعت: أطلع الزرع، بدا. (٢) أحقت: أحق الزرع: تشعب ورقه قبل
أن تفلظ سيقه. (٣) أفركي: يقال أفرك الزرع إذا بلغ أن يفرك باليد.

(٤) ورد بهامش نسخة ب هذه الحاشية ونصها: «والصحيح الذي ذكره القاضي عياض، وأما
الذي ذكر أولاً ليس بصحيح، فإن صاحب العقل الرابع الصحيح هو الذي يقول بقول العلماء الأقدمين
الذين درسوا العلوم الإلهية الحقيقية والمعارف العقلية، وهم الفلاسفة العظام الذين هم في مراتب الأنبياء.
العظام مثل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون ويوشع وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، لأن
الملائكة خلقهم الله تعالى خلقه غير خلقه ابن آدم وجعل فيهم من القوة واللقون، يتصورون بكل صورة
أرادوا، وهم شباب لم يموتوا ولم يتغيروا ولم يجبروا ولم يهرم بشر إلا إن أرادوا ذلك. والصحيح أن
هاروت وماروت ليسا ملكين وإنما كانا طغيين ظالمين فأهلكهما الله سبحانه وضرب بهما المثل.»

(٥) راجع صفحة ١٧٢ طبع الآستانة. (٦) يعني لأجل الزنا.

بصلبهما على منارتين ، وجعل ظهر كل منهما إلى ظهر صاحبه ، وزبر على المنارتين
 أسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمِل ذلك بهما فيه ، فأتته الناس عن الزنا .
 قال : وبني أربع مدائن وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الأعمال والطَّلسمات
 وغير ذلك ، وكثر فيها كنوزا كثيرة . وعمل في الشرق منارا وأقام على رأسه صنما^(١)
 موجها إلى الشرق ، ماذا يديه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده ، وزبر
 في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ؛ ويقال : إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا ؛
 ولولاه لغلب الماء المالح من البحر الشرق على أرض مصر . وعمل فنترة على النيل
 في أول بلاد النوبة ونصب عليها أربعة أصنام موجهة [إلى أربع جهات الدنيا]^(٢)
 في يدي كل صنم جرس يضرب به إذا أتاهم آت من تلك الناحية ؛ فلم تزل بحالها
 إلى أن هدها فرعون موسى . وهو الذي عمل البربا على باب النوبة ، ويقال :
 إنه عمِل في إحدى المدائن الأربع التي ذكرناها حوضا من صَوَان أسود مملوء ماء
 لا ينقص على طول الدهر ولا يتغير ؛ وكان أهل تلك الناحية يشربون منه ولا
 ينقص ماؤه ؛ وإنما عمل ذلك لبعدهم عن النيل وقربهم من البحر المالح . وقد
 ذكر بعض كهنة القبط أن ذلك لقربهم من البحر المالح ، لأن الشمس فيما ذكروا
 ترفع بحرّها بخارا فيحصل من ذلك البخار حرّ بالهندسة ، وقيل بالسحر . وملكهم
 عديم مائة سنة وأربعين سنة ، ومات وهو ابن سبعمائة سنة وثلاثين سنة . وقيل :
 إنه دُفِن في إحدى المدائن ذات العجائب في أزج من رخام ملون بزرقة ، مبطن
 برخام أصفر ، وطُلي جسده بما يُمسكه ، وجعل حوله كثير من ذخائره ، وذلك
 وسط المدينة ، فهي محروسة بما يمنع منها من الروحانيين .

(١) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « منارا عليه صنما » .

(٢) الكلمة من خط المقرئ .

قال : وذكر بعض القبط أن عدينا هذا عمل لنفسه في صحراء قفط على وجه الأرض قبة عظيمة من زجاج أخضر براق ، معقودة على ثمانية آراج من صنفها ، على رأسها أكرة من ذهب ، عليها طائر من ذهب ، متوشح بجوهر ، منشور الجناحين ، يمنع من الدخول إليها ، وقطرها مائة ذراع في مثلها ، وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه ، وعليه ثياب منسوجة بذهب مغرزة بجوهر منظوم ؛ والآراج مفتحة ، طول كل أزج ثمانية أذرع ، وارتفاع القبة أربعون ذراعا تلقى الشعاع على ما حولها من الأرض ، وجعل حوله في القبة مائة وسبعون مصحفا من مصاحف الحكمة ، وسبع موائد عليها أوانيها ، منها : مائدة من أدرك رقاني أحمر وآنيتهما منها . ومائدة من ذهب فيلموني ^(١) يخطف البصر ، وهو من الذهب الذي تعمل منه تيجان الحكماء ، وآنيتهما منها . ومائدة من حجر الشمس المضي بآنيتهما . ومائدة من الزبرجد المخروط الذي يخالطه شعاع أصفر بآنيتهما ، قال : وهذا الزبرجد إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها . ومائدة من كبريت أحمر مدبر بآنيتهما . ومائدة من ملح مدبر براق يكاد نوره يخطف الأبصار بآنيتهما . ومائدة من زئبق معقود وقوائمه وحافاتهما من زئبق أصفر معقود مضى ، وعليها آنية من زئبق أحمر معقود . وجعل في القبة جواهر كثيرة ملونة وبراني صنعة مدبرة ، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وكاهنية وأتراس من حديد أبيض مدبر ، وجعل معه تمائيل أفراس من ذهب ، [عليها سروج من ذهب] ^(٢) وسبعة توابيت من الدنانير التي ضربها وصور عليها صورته ، وجعل معه من أصناف العقاقير والسمومات والأدوية في براني الحنتم ^(٣) ، ومن أصناف الأحجار شيء كثير .

(١) كذا في خطط المقرئ ، وفي الأصول « فلاني » ، وفي هامش خطط المقرئ طبة فييت « فلوني » . (٢) الكلمة من المقرئ . (٣) الحنتم : جراح خضر تضرب إلى الحرة

قال : وقد ذكر من رأى تلك القبة وأقاموا عليها أياما فما قدروا على الوصول إليها ، وأنهم إذا قصدوها وكانوا منها على مقدار ثمانية أذرع دارت القبة عن أيمانهم وشمالهم وقد عاينوا ما فيها . ومن أعجب ما ذكرها أنهم كانوا يحاذون أزاجها أزجا أزجا فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد . وذكروا أنهم رأوا وجهه في قدر ذراع ونصف بالذراع الكبير ، ولحيته كبيرة مكشوفة ، وقدرها طول بدنه عشرة أذرع وزيادة ، وأنهم لما تباهوا أن يصلوا إليها فتي ماؤهم وخافوا على أنفسهم فرجعوا ليمتاروا ما يكفيهم من الزاد ففعلوا ، ثم رجعوا فأقاموا أياما يطوفون تلك الصحراء ، ثم أخبروا أنهم رأوا بها عجائب كثيرة وصنوا من الوحش لم يروا مثلها .

قال : وفي كتبهم أنهم لا يصلون إليها إلا بأن يُذبح لها ذبائح أفرق وينتشر بريشه من بعد ، ثم يسأل من المُرَّيج الوصول حتى يصل ، وتكون الكواكب النيرة على مثل ما كانت عليه وقت نَصَبِهَا من اجتماعها في البروج : يكون زُحَل والمُشْتَرَى والمُرَّيج في بُرْج واحد ، والشمس والقمر في بُرْج واحد ، والزُّهْرَةُ وعُطَارْدُ في بُرْج واحد ، ويتكلم عليها بصلاة الكهنة سبع مرات ، فإذا وصل إليها لَطَخَ حائطها بدم الديك الذي قُتِبَ لها ويأخذ ما شاء من المال والتماثيل ولا يكثر المقام فيها ولا يقيم غير ساعة واحدة .

١٢٧
١٢

قال : وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم لم يكونوا من تلك الناحية وإنما خرجوا يطلبون غيرها ، فإنهم سألوا أهل قِفْط عنها فلم يجدوا من يعرفها ولا رآها غير رجل شيخ منهم ، فإنه ذكر أن أبنا له خرج في بعض الأمور ومعه جملٌ له فرآها ولم يصل إليها ، وبحث عن أمرها فعرف أن قوما من الشرق جاءوا في طلبها وأنهم أقاموا يطوفون قِفْط أياما وخرجوا إليها فما رجع أحدٌ منهم ولا عُرف لهم خبر .

قال : وكان عديم قد أوصى إلى ابنه شذات عند موته أن ينصب في كل
حيّز من أحيّاز عمومته منارا ويزبر عليه اسمه ، فأنحدر إلى الأشمونين فعمل منارا
وزبر عليه اسمه وعمل بها ملاعب ، وعمل في صحرائها منارا وأقام عليه صنما^(١)
ذا رأسين بأسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت . وخرج إلى أتريب وبنى فيها قبة^(٢)
عظيمة مرتفعة على عمود وأساطين بعضها فوق بعض ، وجعل على رأسها صنما
صغيرا من ذهب ، وعمل هيكلا للكواكب . وكان أبوه السودسير أول من أقام
للكواكب فأخذ ذلك عنه . ومضى إلى حيّز صا فعمل فيه منارا على رأسه مرآة من
أخلاق تورى الأقاليم ، ورجع إلى أبيه فعهد له بالملك .

فلك شذات بن عديم وهو الذى بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التى
قُطعت فى زمان أبيه . قال : من أنكر أن يكون العادبة دخلوا مصر إنما غلطوا بأسم
شذات بن عديم فقالوا شذاد بن عاد لأنه أكثر ما يجرى على ألسنتهم ، وقلة ما يجرى
على ألسنتهم شذات بن عديم ؛ وإلا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى
على أهلها غير بُحْت نصر . وشذات الذى عمل مصاحف التارنجيات ، وعمل هيكلا^(٤)
أرمنت وأقام فيه أصناما بأسماء الكواكب من ذهب وفضة وحديد أبيض ونحاس^(٥)

(١) عبارة المقرئى : « كانا مقترنين فى الوقت الذى خرج فيه إلى أتريب ، وبنى فيها ... الخ » .

(٢) كذا فى المقرئى . وفى الأصول : « مربعة » .

(٣) كذا فى الأصل ونخشب الانتصار لابن دقاق (ج ٥ ص ٣٨) . وفى المقرئى (ج ٢ ص ٣٩
طبعة فيت) وصحح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٣) : « شذات » بالشين المعجمة والهاء المثناة .

(٤) كذا فى الأصل . والذى فى القاموس « النيرج » قال شارح القاموس : « هكذا
فى سائر النسخ » . والمنقول من نص كلام الليث « النيرج » بإسقاط النون الثانية . وكذا ورد
فى لسان العرب لابن منظور . وهو أخذ كالسحر وليس به ، إنما هو تشبيه وتليس . (٥) أرمنت :
بلدة بصعيد مصر الأعلى ، بينها وبين الأقصر فى سمت الجنوب بعض مرحلة ، وبينها وبين أسوان مرحلتان
(راجع مبهم البلدان والانتصار لابن دقاق) . (٦) كذا فى المقرئى . وفى الأصل : « أصنام
الكواكب » .

مذهب ورصاص مُصقًى وزئبق معقود. وهذه الأجساد المعدنية في طباع الكواكب وفي قسمتها . فلما فرغ منه زينته بأحسن زينة ونقشه بأحسن النقوش من الجواهر الملونة والزجاج المعمول الملون وكساه الوشى والديباج ولم يترك شيئا من التحف إلا عمله، وكذلك عمل في المدن الداخلة من أنصنا هيكلا، والقبّة التي أقامها بأتريب^(٢) وهيكلا شرقى الإسكندرية، وأقام لزُحل صنما من صَوَان أسود على عبر النيل من الجانب الغربى . وبني شدّات من الجانب الشرقى مدائن وجعل فيها صورة صنم قائم له إحليل إذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر فسّه بكفنا يديه أزال عنه ذلك وانتشر وقوى على الباء، وجعل في إحداها بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحتهما المرأة التي آنعقد لبنها دز وصلح أمرها .

وفي أيامه بُنيت قُوص^(٣) العالية، بناها لأبن له كان سَخِط على أمّه فجعلها إليها وأسكن معها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات . وقيل : إن شُطَب بُنيت في أيامه ، وعمل الصورتين الملتصقتين لكثرة النسل . وكانت الحبش والسودان عانوا في بلده فأنخرج لهم أبنه منقاوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبي وأستعبد الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم ، واقتطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك

- ١٥ (١) أنصنا : بلدة بالصعيد الأوسط ، وبها آثار عظيمة أثرية ، وهي على شط النيل من البر الشرقى قبالة الأشمونين من البر الآخر ، ولها مزدور كثير ، وهي المدينة المشهورة بمدينة السجرة ومنها جلبهم فرعون (راجع تقويم البلدان) . (٢) أتريب : كورة في شرق مصر ، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ، وقد وصفها المقرئى وشرح ما فيها من آثار وبجانب (راجع ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) . (٣) قوص : أعظم مدائن الصعيد وهي على ضفة النيل الشرقية ، سميت باسم قوص بن فقط بن أنعيم ، وهي باب مكة واليمن وسواكن ، وقد وصفها المقرئى في خطه (ج ١ ص ٢٣٦) وأبن دقاق في كتاب الانتصار (ج ٥ ص ٣٨) ووصفها الأديفى كذلك في كتابه الطالع السعيد (ص ٨) وصفا يديها وذكر كثيرا من الأشعار التي قيلت فيها . (٤) شطب : مدينة من المدن التي أنجرها بخت نصر وأجرعها ، وهي بالقرب من أسيوط . (راجع كتاب الانتصار ج ٥ ص ٢٤ ومعجم البلدان لياقوت) .
- ٢٠

السَّيِّعَ يَعْمَلُونَ فِيهِ وَيَحْمِلُونَ الذَّهَبَ إِلَيْهِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحَبَّ الصَّيْدَ وَأَتَخَذَ
الْجَوَارِحَ ، وَوَلَدَ الْكِلَابَ السَّلَاقِيَّةَ مِنَ الذَّنَابِ وَالْكِلَابِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَعَمِلَ الْبَيْطَرَةَ
وَمَا تَعَالَجَ بِهِ الدُّوَابُّ ، وَعَمِلَ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالطَّلَسَمَاتِ لِكُلِّ فَنٍّ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ؛
وَجَمَعَ التَّمَاصِيحَ ، بَطَّلَسَمَ عَمَلَهُ لَهَا ، إِلَى بَرَكَةِ بَنَاجِيَةِ أَسْيُوطَ فَكَانَتْ تَنْصَبُّ إِلَيْهَا مِنْ
النَّيْلِ انْصِبَابًا فَتَقْتُلُهَا ، وَتَسْتَعْمَلُ جُلُودَهَا فِي السَّفَنِ وَغَيْرِهَا ، وَتَسْتَعْمَلُ لَحُومَهَا
فِي الْأَدْوِيَةِ وَالْعَقَاقِيرِ الْمُؤَلَّفَةِ . قَالَ : وَبَعْضُ الْقَبْطِ يَحْكِي أَنَّهُ عَمِلَ بِمَصْرَ اثْنَيْ عَشَرَ
أَلْفَ أَعْجُوبَةٍ وَطَّلَسَمًا ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِي بَلَدٍ كَمَا عَمِلَ فِيهَا وَلَا تَهَيَّأَ لِأَهْلِهِ مَا تَهَيَّأَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ .
قَالَ : وَأَقَامَ شَدَاثَ فِي الْمُلْكِ تَسْعِينَ سَنَةً وَخَرَجَ يَطْرُدُ ^(١) فَأَكْبَ فَرَسُهُ فِي وَهْدَةٍ
فَقَتَلَهُ . وَفِي بَعْضِ كِتَابِهِمْ : أَنَّهُ أَخَذَ بَعْضَ خَدَمِهِ ؛ وَقَدْ خَالَفَهُ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ ،
فَأَمَرَ بِطَرْحِهِ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِ فَطُرِحَ فَتَقَطَّعَ جَسَدُهُ ، وَنَدِمَ عَلَى فِعْلِهِ
ذَلِكَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ سَيَصِيبُهُ مِثْلُ ذَلِكَ فَكَانَ يَتَوَقَّاهُ ، وَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَعْلُوَ
جَبَلًا ، وَأَوْصَى إِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ أَنْ يُجْعَلَ نَاوُوسُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَلْحَقُهُ فِيهِ مَا يَلْحَقُهُ ،
وَيُزِيرُ عَلَيْهِ : لَيْسَ يَنْبَغِي لَذِي الْقُدْرَةِ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ الْوَاجِبِ وَيَفْعَلَ مَا لَا يَجُوزُ لَهُ
فَعَلَهُ ، وَهَذَا نَاوُوسُ شَدَاثَ بْنِ عَدِيمَ بْنِ قَفْطَرِيمَ الْمَلِكِ ، عَمِلَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ فَكَوْفِي
عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ .

قَالَ : وَلَمَّا هَلَكَ عَمِلَ لَهُ سَرَبٌ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ فِيهِ قَبَّةٌ عَلَى مَجْلَسٍ قَدْ صُفِّحَ
بِالْفُضَّةِ وَجُعِلَ فِيهِ عَلَى سَرِيرٍ مُلْكُهُ ، وَجُعِلَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْتِمَائِلِ
وَأَصْنَافِ الْحِكْمِ وَالْمَصَاحِفِ شَيْءٌ كَثِيرٌ . وَكَانَ لَهُ أَرْبَعُ مِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً .
وَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَبْنَةُ مَتَقَاوُشَ بْنِ شَدَاثَ ؛ فَلَمَّا بَجَزَمَ وَحُنُكَةً وَأَظْهَرَ مَصَاحِفَ
الْحِكْمِ وَأَمَرَ بِالنَّظَرِ فِيهَا ، وَأَنْ يُنْسَخَ مِنْهَا لِمَنْ يَخْطُ الْعَامَّةَ لِيَفْهَمُوهَا ، وَرَدَّ الْكُهَنَةَ إِلَى

(١) يطرد : بصطاد . (٢) في المقرئ : « متقاوس » بالسین المهملة .

مراتبهم . وهو أول من عمل له الحمام من ملوك مصر . وكان كثير النكاح ؛ تزوج عدة نساء من بنات عمه وبنات الكهنة ، وجعل لكل امرأة منهن مكانا بجميع ما يصلحه من البنيان العجيب والصور المتقنة والغروس الحسنة والآلات العجيبة ، وأسكنهن فيها . وقد قال بعض أهل الأثر : إنه الذى بنى منف لبناته وكُن ثلاثين بنتا ونقلهن إليها ، وعمل مدنا غيرها ومصانع ، وعمل هيكلا لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراعخ من منف ، وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وعجائب أغرب فيها بفضل حكمة أبيه وجده ، وعمل فى السنة اثنى عشر عيدا لكل شهر عيد يُعمل فيه من الأعمال ما كان موافقا لبرج ذلك الشهر ؛ وكان يُطعم الناس فى تلك الأعياد ويوسع عليهم ، ففرح الناس به ورأوا معه مالم يروه مع غيره ، وفتح عليه من المعادن مالم يفتح على أحد ، وألزم أصحاب الكيمياء العمل فكانوا لا يفترون ليلا ولا نهارا ، فأجتمع عنده أموال عظيمة وجوهر كثير وزجاج نفيس مسبوك وغير ذلك ، فأحب كثرة فدعا أخاه فقال له : قد ترى كثرة هذا الذهب والجوهر ، وما عمل من هذه التماثيل الكثيرة ، ولست آمن أن يتسامع بنا الملوك فيغزونا من أجله ، فأمن فى أرض الغرب ثم انظر مكانا حريزا خفى الأثر ثم أحرزه فيه ثم أسرته بعلامات وأكتب صفة المكان وطريقه وعلامته . قال : ويقول أهل الأثر : إنه حمل معه اثنتى عشرة ألف عجلة ، منها من الجوهر ثلاثمائة عجلة ، وسائرهما من الذهب الإبريز الصفائح والمضروب ، ومن آلات الملوك وطرائفهم وسلاحهم وأوانيهم ؛ فسار فى الجنوب يوما ثم أخذ متقبا اليوم الثانى وبعض الثالث ، فأنتهى إلى جبل أسود مُنيف ليس له مصعد بين جبال مستديرة حوله ، فعمل تحت ذلك الجبل أسرابا ومغاوير ودفن فيها ما كان معه وردمها وزبر عليها ورجع ؛ فمكث أربع سنين يبعث كل سنة عَجَلا عظيمة تدفن فى نواح شتى .

وهو الذى عمل فى أنديمس المدينة يتنا دور به تماثيل لجميع العِلل ، وكتب
على رأس كل تمثال ما يصلح له من العلاج ، فانتفع الناس بها زمانا إلى أن
أفسدها بعض الملوك ضنًا بالحكمة . وعمل فى هذه المدينة صورة امرأة مبتسمة
لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه ، وكان الناس يأتونها ويطوفون حولها
ثم عبيدوها من بعد . وعمل تمثالا روحانيا من صُفر مُذهب يجتاحين لا يتر به زان
ولا زانية إلا كشف عورته بيده ، وكان الناس يمتحنون به فامتنعوا من الزنا فرقا
منه ، واستمر كذلك إلى زمن كلنكس الملك ، وذلك أن بعض نسائه ، وكانت خطية
عنده ، عشقت رجلا من خدم الملك وخافت أن ينتهى إليه خبرها فيمتحنها بذلك
الصنم فيقتلها ، فأحتالت لذلك فخلا بها الملك فى بعض الليال ، وهما يشربان ،
فأخذت فى ذكر الزواني وجعلت تسبهن وتذمهن ، فذكر الملك ذلك الصنم وما فيه
من المنافع للناس ، وما يستحق من عمله من الثناء والذكر الجليل ، فقالت المرأة :
إنه كذلك وقد صدق الملك ، غير أن متقاوش لم يُصب الرأى فى أمره ، قال الملك :
وكيف قلت ذلك ؟ قالت : لأنه أتعب نفسه وحكامه فيما جعله لصالح العامة
دون نفسه ، وهذا أكبر العجز ، وإنما كان حكم هذا التمثال أن يُنصب فى دار
الملك حيث تكون نساؤه وجواريه ، فإن أقترفت إحداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا
لهن متى عرض بقلوبهن شئ من الشهوة ، لأن شهواتهن أغلب وأكثر من شهوات
الرجال ، ولو حدث — وأعوذ بسعد الله الأعلى — فى دار الملك شئ من هذا فأحب
امتحانه فضح نفسه وشاع فى الخاَص والعام أمره ، وإن عاقب بغير أمر يتحققه كان
متعديا آثما ، وإن لم يمتحنه صبر على المكروه . قال الملك : صدقت ، فكيف الوجه
فى هذا الأمر ؟ قالت : يأمر الملك بترع هذا الصنم من مكانه ونقله إلى داره ففعل
فبطل عمله ، وأمتحن فلم يصنع شيئا ، فعملت المرأة ما كانت همت به وأنهمكت فيه .

قال : ويقال : إن منقاوش بنى هيكلا للسحرة على جبل القصير وقدم عليه رجلا منهم يقال له مسيس ، فكانوا لا يطلقون الرياح للراكب المقلعة إلا بضربة يأخذونها منهم لذلك . وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التخييل العجيبة^(١) ، فيجتمع الناس إليهم ويعجبون من أعمالهم ، وأمر أن يُبنى لهم هيكل للعبادة يكون لهم خصوصا ، وجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب ، وجعل حولها أصناما وعجائب ، وكان الملك يركب إليه ويقم سبعة أيام ، وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذي عُمل فيه ، وهما بعين شمس ، ونقل منقاوش إلى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ودفنها بها وبنواحيها .

قال : وكان منقاوش قسم خراج البلاد أرباما : فربع منه للملك خاصة يعمل منه ما يريد ، وربع لأرزاق خدمه ، وربع ينفق في مصالح الأرض وما يحتاج إليه من حفر ترعها وعمل جسورها وتقوية أهلها على العارة ، وربع يدفن لحادثة تحدث وحاجة تتل . وكان خراج البلد في ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف دينار . وهو مقسوم على مائة وثلاث كور بعدة الآلاف . وأقام ملكا إحدى وسبعين سنة ، ومات من طاعون أصابه ، وقيل : من سم جعل له في طعامه ، وعُمل له ناووس في صحراء المغرب ، وقيل : في غربي قوص ، ودُفن معه من مصاحف الحكمة والصنعة المعمولة وتماثيل الذهب والجوهر ، ومن الذهب المضروب شيء كثير ، ودُفن معه روحاني الشمس من ذهب يلمع ، وله جناحان من زبرجد ، وصنم على صورة أمرأته التي كانت أحظى نساؤه عنده وكان يحبها ، فأمر أن تُعمل صورتها

(١) التخييل : هي التوحيه بالخيال ، وهو أن بفعل الساحر أشياء ومعاني ، فيخيل للنظر أنها

بغلاف ما هي به ، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، وكواكب السفينة السائرة سيرا حقيقيا

يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه .

في هياكلهم جميعا، فعمل له تماثلا من ذهب بذؤابتين من ذهب أسود، والبست حلة من جواهر منظومة وجعلت جالسة على كرسي، فكانت تجعل بين يديه في موضع تجلس فيه يتسلى بذلك عنها، فدُفنت معه عند رجله .

وملك بعده أباه مناوش بن منقاوش، ملك بوصية من أبيه، فطلب الحكمة على عادة أبيه وأستخرج كتبها وأكرم أهلها، وبذل فيهم الجوائز وطلب الإغراب في عمل العجائب، وكان كل واحد من ملوكهم يحمد جهده في أن تعمل له غريبة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة في توارينهم . قال : ومناوش هذا أول من عبد البقر من أهل مصر، وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة يئس منه فيها، وأنه رأى في منامه صورة روحاني عظيم يحاطبه ويقول له : إنك لا يخرجك من علتك إلا عبادة البقر لأن الطالع كان وقت حلولها بك في صورة ثور بقرين، ففعل ذلك، وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة، وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة، فكان يجزؤه ويطيب موضعه، ووكل به سادنا يقوم به ويكنس تحته، وكان يتعبد له سرا من أهل مملكته، فبرا من علة وعاد إلى أحسن أحواله .

ويقال : إنه أول من عمل العجل وضبيها بالذهب، وعمل فيها قبايا من الخشب المذهبة وفُرشت بأحسن الفرش، وكان يركب عليها مع من أحب . وقيل : إنه عمل له ذلك في علة لأنه كان لا يقدر على الركوب، وكانت البقر تجزؤه فإذا مر بالمكان النزه أقام فيه، وإن مر بالمكان الخراب أمر بعمارة . وقيل : إنه نظر إلى ثور أبلق من البقر الذي يحمر عجلائه فأعجبه حسن بشرته فأمر بترفيهه وسوقه بين يديه إلى كل موضع يسلكه إعجابا به، وجعل عليه جلا من الديباج المنسوج بالذهب، فلما كان في بعض الأيام — وقد خلا في موضع منفرد عن أتباعه والثور قائم بين يديه —

إذ خاطبه الثور وقال: لو رفقني الملك عن السير معه وجعلني في الهيكل وعبدني وأمر أهل مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريد ، وعاونته على أمره ، وقوته في ملكه ، وأزلت عنه جميع عله ؛ فأرتاع لذلك وأمر بالشور أن يغسل ويطيب وينظف ويدخل الهيكل ، وأمر بعبادته . وعبد ذلك الثور مدة وصارت فيه آية أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل إلا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر مرتين ، فآفتن الناس به وصار ذلك أصلا لعبادة البقر .

١٣٠

١٢

قال : وابتنى مناوش مواضع وكثر فيها كنوزا وأقام أعلاما . وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا . قال : ويقال : إن هذه المدينة قائمة ، وإن قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد أضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجحش ورأوا أضواء نيرانهم . قال : وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور ، بعد مدة من عبادتهم له ، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ، ويؤخذ من رأسه هو شعرات ، ومن ذنبه ومن نحاة قرونيه وأظلافه ، ويجعل ذلك في التمثال ، وعرفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر [أحمر]^(١) ويدفن في الهيكل ويُنصب تمثاله عليه ، ويكون ذلك وزحل في شرفه والشمس مسعودة تنظر إليه من تثليث والقمر في الزيادة ، وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك ، وعملت الصورة من ذهب ملتح على شبه الثور ، وجعل له قرنان من ذهب وكللا بأصناف الجواهر ، وجعلوا عينيه جزعتين سوادا في بياض ، ودفن جسد الثور في الجرن الأحمر .

قال : وجعل في المدينة شجرة تُطلع كل لون من الفاكهة ، ومنارا في وسطها طوله ثمانون ذراعا ، وعلى رأسه قبة لتأون في كل يوم لونا حتى تخفى سبعة أيام

٢٠

(١) كذا في المقرئ (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاذ) . وفي الأصل : « وعرفه » .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « بعالمه فيجعلوا » . (٣) التكلة من المقرئ .

ثم تعود إلى اللون الأول فيكسو المدينة من تلك الألوان، وجعل حول المنار ماء شقّه إليه من النيل، وجعل في ذلك الماء سمكا من ذلك اللون، وجعل حول المدينة طلسمات رءوسها رءوس قردة وأبدانها أبدان الناس، كل واحد منها لدفع مضرة أو اجتلاب منفعة، وعمل على أبواب المدينة، وهى أربعة أبواب^(١)، على كل باب صتما، ودفن تحت كلّ صنم كترا من الكنوز؛ وباب كل واحد منها على قياس مائة ذراع منه إلى الجهة التى وجهه منصرف إليها، وكتب على كل واحد منها قُرْبانه وبخوره والوصول إليه، وأسكنها السحرة فكانت تعرف بمدينة السحرة، ومنها كانت أصناف السحرة تخرج.

قال : وأقام مناوش في الملك سبعا وثلاثين سنة وملك، وعُمل له ناووس تحت الجبل الغربى، وجعل وصيته إلى ابنه من بعده حرميس بن منقاوش، فملك إحدى عشرة سنة لم يبن بناينا ولا نصب منارا ولا عمل في أيامه أعجوبة حتى إنه لم يكن يذكر في عداد ملوكهم . فهذا ما أورده في أخبار قفطريم بن قبطيم وبنيه على توالٍ وآساق فلنذكر أخبار أشمون .

ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيهِ

هو أشمون بن قبطيم بن مضريم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام؛ وهو أخو قفطريم أبى الملوك الذين قدمنا ذكرهم . كان مُلكه من أشمونين إلى منف، ومن الشرق إلى البحر المسالج، ومن الغرب إلى حدود برقة، وهو آخر حد مصر،

(١) وفي المقرئى (ج ١ ص ١٣٨ طبع بلاق) في كلامه على أشمون بن قبطيم : أنها مدينة في سفح الجبل لها أربعة أبواب من كل ناحية باب ، فعلى الباب الشرق صورة عقاب ، وعلى الباب الغربى صورة نور ، وعلى الباب الشمالى صورة أسد ، وعلى الباب الجنوبى صورة كلب ، وفي هذه الصور روحانيات تطلق ، فإذا قدم غريب لا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها ودفن تحت ... الخ .

- ومن الصعيد إلى حد أنحيم . وكان يتزل مدينة الأشمونين وله بُنيت وبأسمه
سُميت ، وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها . قال إبراهيم : وأشمون أول من اتخذ
الملاعب بأنصنا والبهنسا وغيرها ، وبني القصور وغرس الغروس ، وبني مدينة تُعرف
بِقَمَنْطَر ذات العجائب ، وهي بالقرب من مدينة السحرة التي تقدّم ذكرها في أخبار
منقائش . قال : وفي وسط هذه المدينة قبة تُمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا ، وتحت
القبة مطهرة فيها ماء أخضر يُتداوى به من كل داء فيبرئه ، وفي شرقها سرب لطيف
له أربعة أبواب ، لكل باب منها عضادة صورة وجه يخاطب كل واحد منها صاحبه
بما يحدث في قومه ، ومن دخل تلك البراب على غير طهارة نفخوا عليه فأصابته علة
فطبيعة لا تفارقه إلى أن يموت . وكانوا يقولون إن في وسطه مهبط النور وهو
في صورة العمود ، من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانيات ، ويسمع
كلامهم ويرى ما يعملون ، وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب
في يده مصحف فيه علوم الكهنة ، فمن أحب ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها
بسيده وأمرهما على صدره ، فيثبت ذلك العلم في صدره . ويقال : إن هاتين
المدينتين قَمَنْطَر ومدينة السحرة بُنيتا على أسم هِرْمِس وهو عطار ، وأنهما بجالهما .
- قال : وحكى عن رجل أنه أتى عبد العزيز بن مروان ، وهو على مصر ، فعرفه
أنه تاه في صحراء الشرق وأنه وقع على مدينة خراب ، وأنه وجد فيها شجرة تحمل من
كل فاكهة ، وأنه أكل منها وتزوّد ، فقال له رجل من القبط : هذه إحدى مدينتي
هِرْمِس وفيها كنوز كثيرة ، فوجه عبد العزيز معه جماعة وحمل معهم زادا وماء ،
فأقاموا يطوفون شهرا في تلك الصحارى فلم يقفوا لها على أثر . ويقال : إن أشمون
عمل في وقته على باب الأشمونين إمورة من نحاس ، فكان الغريب إذا دخل المدينة
صاحت الإمورة وخفقت بجناحيها فيعلم به ، فإن أحبوا منعوه ، وإن أحبوا تركوه .

قال : وفي أيامه كثرت الحيات فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها الأدوية والدرياقات ، ثم ساقوها بسحرهم إلى وادي الحيات في جبال لوبية ومراقبة فسجنوها هناك . قال : وهو أول من عمل النوروز بمصر ورتبه سبعة أيام يدمنون فيها الأكل والشرب واللهو . وفي زمانه بنيت البهنسا وأقام بها أسطوانات ، وجعل فيها مجلسا من زجاج أصفر وعليه قبة مذهبة ، فكانت الشمس إذا طاعت على القبة^(١) ألقت شعاعها على المدينة . وعمل فيها عجائب كثيرة يطول الشرح بذكرها .

قال : ويقال إن أشمون كان أول إخوته ملكا ، وكان أعدل بنى أبيه وأرغمهم في صنعة تبقى ويبقى ذكرها . وهو الذى بنى المجالس المصققة بالزجاج الملون في وسط النيل . وترجم القبط أنه بنى سربا تحت الأرض من الأشمين إلى أنيسنا تحت النيل . وقيل : إنه عمله لبناته لأنهن كن يمين إلى هيكل الشمس . وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج التخين الملون . وقيل : إنه كان أطول إخوته ملكا . وقال أهل الأثر : إنه ملك ثمانمائة سنة ، وإن قوم عاد اترعوا منه الملك بعد ستمائة سنة من ملكه وأقاموا تسعين سنة وأستوبوا البلد فانتقلوا [إلى الدثينة من طريق الحجاز إلى وادي القرى فعمروها] واتخذوا [بها]^(٢) المنازل والمصانع فسأط الله عليهم الذر فأهلكهم ، وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد . ويقال : إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، ودُفن في أحد الأهرام الصغار القبلية . وقيل : بل عمل له ناووس في غربي الأشمين ودُفن معه فيه من الأموال والعجائب شئ كثير ، وأصنام الكواكب السبعة التى كانت في هيكل المرأة التى تُرى منها الأقاليم ، ودُفن معه ألف سرج من ذهب وفضة ، وعشرة آلاف

(١) في المقرئى (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاق) : « فيا غرقها » .

(٢) التكلة من المقرئى (ج ١ ص ٢٣٩) ، والدثينة : ناحية بين الجند وعدن .

خابية صغار من ذهب وفضة وزجاج ، وألف عُنَّار مدبرة لفنون الأعمال وزُبر عليه اسمه ومدة مُلكه والوقت الذى مات فيه .

وَأَسْتَخْلَفَ أَبْنَهُ مَنَاقِيُوسَ بْنَ أَشْمُونَ . وَكَانَ جَلْدًا مَحْنُوكًا فَاسْتَأْنَفَ الْعِمَارَةَ وَبَنَى الْقَرْيَ وَنَصَّبَ الْأَعْلَامَ ، وَجَمَعَ الْحِكْمَةَ وَمَصَاحِفَ الْمُلُوكِ وَالْحِكْمَاءِ وَعَمَلَ الْعَجَائِبَ ، وَبَنَى لِنَفْسِهِ مَدِينَةً وَأَنْفَرَدَ بِهَا ، وَعَمَلَ عَلَيْهَا حَصْنًا وَنَصَبَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَعْلَامَ ، فِي كُلِّ رَكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ عِلْمٌ ، وَبَيْنَ تِلْكَ الْأَعْلَامِ ثَمَانُونَ صِنًا مِنْ نَحَاسٍ وَأَخْلَاطَ ، فِي أَيْدِيهَا آلَاتُ السِّلَاحِ وَزُبُرُ عَلَى صُدْرِهَا آيَاتُهَا .

قال : وَكَانَ بِمَنْفٍ رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ الْكُهْنَةِ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالسَّحْرِ وَأَبْصَرِهِمْ بِأَخْذِ التَّمَاسِيحِ وَالسَّبَاعِ ، وَكَانَ يَعْلَمُ الْعِلْمَانِ السَّحَرَ فَإِذَا حَذَقُوا عِلْمَ غَيْرِهِمْ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُبْنَى لَهُ مَدِينَةٌ وَيَحُولَ إِلَيْهَا قُبْنِيَّتٌ ، وَهِيَ إِنْحِيمٌ . وَمَلِكُ مَنَاقِيُوسَ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ فَدُفِنَ فِي الْمَهْرَمِ الْحَاضِي لِإِطْفِيجَ ، وَثِقَلَ مَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْآيَةِ وَالْتِمَائِيلِ ، وَزُيِّرَ عَلَيْهِ أَسْمُهُ وَالْوَقْتُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ .

وَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَبْنَهُ — وَلَمْ يُسَمَّهِ إِبْرَاهِيمُ^(١) — فَكَانَ أَحْزَمَ مِنْ أَبِيهِ ، فَعُظِمَ فِي عَيُونِ أَهْلِ مِصْرَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمَلَ الْمِيدَانَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِرِيَاضَةِ أَنْفُسِهِمْ فِيهِ . وَأَوَّلُ مَنْ عَمَلَ الْبِيَارِ سَنَاتٍ لِعِلَاجِ الْمَرَضَى وَالزَّمْنَى وَأَوْدَعَهَا الْعِقَاقِيرَ وَرَتَّبَ فِيهَا الْأَطْبَاءَ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ مَا يَسْعُهُمْ ، وَأَقَامَ الْأَمْنَاءَ عَلَى ذَلِكَ ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ عِيدًا وَسَمَّاهُ عِيدَ الْمَلِكِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ ، فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ

(١) هو إبراهيم بن القاسم الكاتب مخنصر كتاب العجائب الكبير الذى ألفه إبراهيم بن وصيف شاه وهو الذى اعتمد عليه المؤلف فى النقل فى كلامه على ملوك مصر كما أشار الى ذلك فى أوّل هذا الجزء . وقد رجعت الى بعض المصادر التاريخية التى بأيدينا فلم نوفق الى معرفة اسم هذا الملك ، بل رأينا بعض المؤرخين يذكرونه (راجع الهامش رقم ٢ ص ٤٤ ج ٣ من مخطوط المقرئى طبعة فييت) .

سبعة أيام وهو يُشرف عليهم في مجلس قد بُني له على عمد قد طُوِّت ذهباً وألبست
فانحر الذهب المنسوج، وعليه قبة مصفحة من داخلها وخارجها بالذهب والزجاج
المسبوك، وكان يعطى كل قوم قسطهم من النظر ثم يكثرون الدعاء له وينصرفون الى
مواضعهم .

وفي أيامه بنيت سَنترية^(١) في صحراء الواحات ، عملها من حجارة بيض
مربعة على تقدير واحد، وجعل في كل حائط من حيطانها باباً في وسطه شارع
يتنهي الى الحائط المجاور له من الجهة الأخرى، وجعل في كل شارع أبواباً يمتدة
ويسرة تنتهي طرفاتها الى داخل المدينة، وجعل في وسط هذه المدينة ملعباً يدور
به من كل ناحية سبع درج ، وعمل عليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة^(٢)
من رخام ، وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من سقوان أسود يدور مع الشمس
بدورانها ، وبسائر نواحي القبة صور معلقة تصفر وتصبح بلغات مختلفة . وكان
الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك ، وعلى
الدرجة الثانية رؤساء الكهنة [والوزراء]^(٣) ، وعلى الثالثة رؤساء الجيش ، وعلى الرابعة
أصحاب الفلاسفة والمنجمون والأطباء وأصحاب العلوم ، وعلى الخامسة أصحاب
العمارات ، وعلى السادسة أصحاب المهن ، وعلى السابعة العاقبة ؛ فيقال لكل طائفة
منهم : انظروا من دونكم ولا تنظروا من فوقكم ، فإنكم لا تلحقونهم . فكان في هذا
ضرب من التأديب .

قال : وكان لللك عدة نسوة ، وكان يحبّ منهنّ امرأتين ويتخطّاهما ويجمع
بينهما في مجلس واحد ، فيسال لإحديهما في بعض الأيام دون الأخرى ، فغارت

(١) سنترية ، مدينة في غربي القيرم دون فزان السودان وهي آخر أعمال مصر .

(٢) كذا في القرطبي . وفي الأصل : « على خشب عظيمة من زجاج » وهو محرف .

(٣) الكلمة من القرطبي .

وَعَرَبَ عقلها وتناولت سكيناً ودخلت الى الملك وهو مغتر وتلك المرأة جالسة الى جنبه فضربتها بالسكين ، وقام الملك دُونها ليمنعها منها فضربته على فؤاده فخر صريعاً ، وقُبِضَ على المرأة وحُبِسَتْ ، ومات الملك . وقد أوصى بقتل المرأة ووضع رأسها على ناووسه . ومدة مُلكه ستون سنة .

٥ . وملك بعده ابنه مرقورة الملك ، فدخل عليه العظماء وهشوه ودَعَوْا له بدوام المُلْك والنعمة ، وكان حازماً عاقلاً ، فأخذ في حُسْن التدبير وتقويم العِجارة وترتيب المراتب ، وجعل لرأس الكهّان الحكومة في أمر الدِّين . قال : وفي كتبهم أنه أول مَنْ ذَلَّل السباع بمصر وركبها . قال : وبني [المدن وعمر^(١)] الهياكل وأقام الأصنام التي غربي منف ، وكان مُلكه ثلثاً وثلاثين سنة ، وعَمِلَ له ناووس على طريق الغرب على مسافة يومين .

١٠

وقلّد ابنه بلاطس بن مرقورة ، فملك وهو صبي ، وكانت أمه تدبّر الملك مع الوزراء والكهنة ، وكانت حازمة مجتربة ، فأجرت الأمور على ما كانت في حياة أبيه ، وأحسنّت الى الأولياء ، وعدلت في الرعية ، ووضعت عنهم بعض الخراج فأحبّوها . وعَمِلت في وقته البركة العظيمة في صحراء الغرب ، وجعل في وسطها عمود طوله ثلاثون ذراعاً ، في أعلاه قصعة من حجارة يفور منها الماء فهي لا تنقُص أبداً ، وجعل حولها أصنام حجارة ملوّنة من كل صنف على صُور الحيوان والوحش والطير ، وكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ ولا يدرى .

١٥

قال : ولما تزعرع الملك أحبّ الصيد ولهّج به ، فعَمِلت له أمه متزّها فيه مجالس مرّكة على أساطين من المرمر مصفّحة بالذهب ، عليها قباب مرصّعة بالتماثيل

(١) الكلمة من المقرّبي (ج ١ ص ١٣٨ طبع بلاق) .

العجيبة والنقوش المؤلفة ، يطلع من تحتها الماء في فوارات وتنصب الى أنهار مصفحة
بالفضة تُفيض الى حدائق فيها بدائع الغروس ، عليها تماثيل تصفر بأصناف اللغات ،
ونُصِّدت بأنواع الفواكه ، وأرخت عليها ستور الدِّباج المذسوجة بالذهب ، وأختارت
له من بنات الملوك الحسان وأزوجته منهن ، وبنّت حول تلك الجنة مجالس يجلس
فيها الوزراء والكهنة وأشراف أهل الصناعات يرفعون اليه ما يعملونه ، فكان أكثر
مقام الملك في تلك الجنة ، فإذا فرغوا من أعمالهم نُقِل اليهم الطعام والشراب من
مطبخه ، ولا يزالون في أكل وشرب بقية يومهم وليلتهم ، وأقاموا على ذلك والأمور
جارية على السداد .

وكانت أيامه سعيدة كثيرة الحُصْب والسعة للناس والعاملين فيهم والإحسان
اليهم . وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لمن منعه بالجواهر
والأطعمة والأشربة ، ويجلس يوما للناس فينظر في أمورهم ومصالحهم ويقضى
حوادثهم ، ويجلس يوما للخلوة بنسائه ، ثم جُدر فئات ، وعُمل له ناووس في جنته
وجعل فيه من الأموال والجواهر والصنعة والتماثيل كما كان يجعل لآبائه . وكان
ملكه ثلاث عشرة سنة ، وانتقل الملك إلى أعمامه .

ذكر أخبار أتريب الملك

هو أتريب بن قبطيم بن مصرم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . قال :
وكان أتريب قد انتقل إلى خيَّره بعد وفاة أبيه قبطيم ، وهى المدينة التى كان أبوه
بناها له ، وكان طولها اثني عشر ميلا ، ولها اثنا عشر بابا ، وفي شارعها الأعظم
ثلاثُ قباب عالية على عمد بعضها فوق بعض ، منها قبة في وسط المدينة ، وقبتان
في طرفيها ، وجعل على كل ركن منها مرقبا كبيرا يُوقد ليلا ، وعلى كل باب من أبوابها

حرما كثيرا، وجعل في كل جانب منها ملعبا ومجالس ومتزهات تشرف من تلك
المجالس عليها، وشق في عرضها نهرا وعمل عليه قناطر معقودة، وبني فوقها مجالس
يتصل بعضها ببعض، وجعل حوله منازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض
مزروعة وخلفها الأجنّة والبساتين؛ وعلى كل باب من أبوابها أعجوبة من تماثيل
وأصنام متحركة وأصنام ينبع الماء من آذانها، ومن داخل كل باب صورة شيطانيين
من صُفر، فكان إذا قصدها أحد من أهل الخير فهقه الشيطان الذي عن يمينه
الباب، وإن كان من أهل الريب بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب، وجعل
في كل متّرة منها من الوحوش الآلفة والطير المغزّدة كل مستحسن، وجعل فوق
قباب المدينة صورا تصفر إذا هبت الرياح، ونصب له فيها مرايا ترى البلدان
البعيدة والعجائب الغريبة، وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب
وأصناما بارزة كثيرة في خلق مختلفة، وجعل في وسطها بركة إذا مرّ بها الطير سقط
عليها فلا يبرح حتى يؤخذ، وجعل لها حصنا [بأثنى عشر بابا] وجعل على كل
باب من أبوابها تماثلا يعمل أعجوبة وعمل حولها أجنّة، وجعل ما يقرب منها من
ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثمانى أساطين، وفوق المجلس قبة عليها طائر منشور
الجنّاحين يصفر كل يوم ثلاث صَفَرَات : بكرة، ونصف النهار، وعند الغروب :
وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة، وبني مدنا كثيرة وأكثر من العمارات، وأقام رجلا
يقال له برسان يعمل الكيمياء، وضرب منها دنانير، في كل دينار سبعة مثاقيل عليها
صورته، وعمل منها تماثيل كثيرة. وعاش أتريب في الملك ثلاثمائة سنة وستين سنة،

(١) في المقرئى (ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) : « غربيا » .

(٢) في المقرئى : « الشر » .

(٣) التكملة من المقرئى (ج ١ ص ١٧٦ طبع بلاق) .

وكانت سنة خمسمائة سنة . وعمل له ناووس في جبل بالشرق حُفَر [له] ^(١) تحته سَرَب
بُطْن بالزجاج [والمرمر] ^(١) وجعل على سرير من ذهب [مرصع] ^(١) وحملت إليه ذخائره ،
وجعل على بابه صورة تنين لا بدنو منه أحد إلا أهلكه ، وزبر عليه اسمه وتاريخ
وقته ، وسقوا عليه الرمال .

وملكت بعده أبنته [تدرورة] ^(٢) فدبرت الملك وساسته بأيدي وقوة خمس وثلاثين
سنة ثم ماتت .

فقام بالملك بعدها أخوها فليمون بن أتريب ؛ فرد الوزراء إلى مراتبهم ،
وأقام الكهّان [على مواضعهم] ^(٥) ولم يخرج الأمر عن رأيهم ، وجدّ في العمارات وطلب
الحكم وعمل بها . وفي أيامه بُنيت تنيس الأولى التي غرقها البحر ، وكان بينها وبين
البحر شئ كثير ، ونحوها الزروع والأشجار والكروم والقري ومعاصر الخمر وغيرها
وعمارات لم يكن أحسن منها ، فأمر الملك أن يُبنى له [في] ^(٥) وسطها مجالس ، ويُصب
له عليها قباب ، وتزين بأحسن الزينة والنقوش ، وأمر بفرشها وإصلاحها ، وكان
إذا بدأ النيل في الزيادة انتقل الملك إليها فأقام بها إلى التوروز ورجع . وكان للملك
بها أمناء يقسمون المياه ويُعطون كل قرية قسطها ، وكان على تلك القرى حصن
يدور بقناطر ، وكان كل ملك يأتي بأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له منزها .

(١) التكلة من المقرزي (ج ١ ص ١٧٦) . (٢) التكلة من المقرزي (ج ١ ص ١٣٨) ،
ووصف هذه الملكة بقوله : « وكانت كاهنة ساحرة ، فاست الملك أحسن سياسة ، ودبرت الملك أجود
تدبير ؛ وعملت طلبات عجبة ، منها ظلم منع الوحش والطيور أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشا ،
ووقعت في زمانها صيحة ارتجت لها الأرض فهلكت » . (٣) في المقرزي (ج ١ ص ١٧٦) :
« ابن أختها » . (٤) في المقرزي : « فليمون » بالقاف . (٥) التكلة من المقرزي
(ج ١ ص ١٧٦) .

ويقال: إن الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه كانتا لأخوين من أهل بيت الملك أقطعهما الملك ذلك الموضع . وقد تقدم ذكر خبرهما عند ذكرنا لبحيرة تَنِيْس^(١) ، وهو في الباب السادس من القسم الرابع من الفن الأول في ذكر البحار والجزائر وهو في السفر الأول من كتابنا هذا .

- قال : وفي زمان فليمون بُنيت دمياط على أسم غلام له كانت أمه ساحرة لفليمون . قال : وملك فليمون تسعين سنة ، وعمل لنفسه ناووسا في لجبل الشرق^٥ ، وحول إليه من الأموال والجواهر وسائر الذخائر شيئا كثيرا ، وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف فمن دخلها قطعت به سيوفها . وجعل عن يمينه ويساره أسدين من نحاس مذهب بلوالب أيضا فمن دنا منهما حطماه ، وزبر على الناووس : هذا قبر فليمون بن أتريب بن قبطيم بن مصرم ، عمر عمرا ، وبني دهررا ، وأناة الموت فما استطاع له دفعا ، فمن وصل إليه فلا يسلبه ما عليه ، وليأخذ مما بين يديه .

- وصار الملك بعده إلى آبنه قرسون بن فليمون ، وجلس على سرير الملك ، ودخل إليه عظماء أهل البلد والخاص والعام فهنئوه بالملك ، فتقدم في أمر الهياكل والكهنة وطلب الحكمة ، وكان حديثا جميلا فعشقتة إحدى نساء أبيه ، وكانت تتولى طيبة وتزعم أن أباه أمرها بذلك ، ثم بعثت إلى ساحرة من أعلم السحرة بمنف^(٢) ^(٣) .

(١) راجع (ج ١ ص ٢٥٢ من هذه الطبعة) .

(٢) طيبة : هي ثيبة عاصمة الصعيد في أيام الفراعنة وذات المساة باب : وفي بعض مكانها الآن

مدينة الانصر أو قصور أبي الحجاج (راجع قاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكي باشا) .

(٣) منف : هو الاسم العربي لعاصمة مصر في أيام الفراعنة ، وتسمى عند اليونان منيس ، وعند قدماء

المصريين مانوفرى ، وفي بعض محله الآن قرية ميت دهب بالبحيرة . (راجع قاموس الجغرافية القديمة) .

١٣٤
١٢

فسألتها أن تسحره لها وبذلت لها على ذلك أموالا ، وإذا الساحرة قد عشقته أشد من عشقها ، فسعت بامرأة أبيه وعزفته ما بذلت لها على ذلك ، فأبعدها عن مجلسه ومنعها من الدخول إليه .

وبلغ ملكا من ملوك حمير أن ملك مصر صار إلى غلام حدث غر فطمع فيه وسار إليه في جموع عظيمة ، فخرج قرسون نحوه فالتقوا بأيلة^(١) وأقتلوا قتالا شديدا حتى تفانى الفريقان ، فأتت تلك الساحرة إلى الملك فقالت : ماتجمل لي إن أعنتك على عدوك حتى تقض جموعه وتظفر به ؟ قال حُكك ؟ فأخذت عليه بذلك العهد والمواثيق ، وأصبحوا للحرب فدخلت الساحرة بدخن عجيبة وأظهرت تخاييل هائلة ، فهرب الحميري في نفر يسير من ثقاته ، وقتل بقية أصحابه ، وحاز جميع ما كان في خزانهم ، وعاد الملك إلى منف بالظفر والغنيمة ، فأنته الساحرة فسألته الوفاء بالشرط فقال : احتكى ما أحببت ، فهذه الأموال والخزائن بين يديك ؛ فقالت : ما أريد غير الملك ؛ فقال : ويحك ! إنك لست من أهل بيت الملك ، وقد علمت ما في هذا على الملك ؛ فقالت : قد كان الملوك قبلك ي نصبون نساء الناس ويلدن منهم ولا يسألون عن ولاداتهم ، وأنا أبنة فلان رئيس الكهنة ، ويوشك أن يحتاج الملك إلى بعد هذا . ولم تزل به حتى انصرف قلبه إليها ، فزوجها وأحبها وحظيت عنده . فضاقت الأرض بامرأة أبيه فأخذت في أعمال الجبلة عليها ؛ فدرست جارية لها عاقلة لطيفة على ساقى الملك الذى يتولى شرا به ، فاختلفت بجواريه حتى

(١) أيلة : فرضه على خليج العقبة ، سميت باسم أيلة بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ، كانت مدينة شهيرة في الأزمان الخالية ، وفيها قلعة شيدها أحد بن طولون صاحب مصر ، وفي جنوبها على ساحل بلاد العرب كانت مدينة أز بونجابر القديمة . وخليج أيلة ، أو العقبة ، يعرف في كتب اليونان باسم : « إلانيك » . (راجع معجم الخريطة التاريخية للإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

تمكنت من إثناء كان فيه شراباً للكل فالتفت فيه سماً وعادت في الوقت إلى مولاتها وأخبرتها ، فدخلت إلى الملك فسجدت له وقالت : قد كنتُ للكل ناصحة ، وعليه مشقة ، فأقصاني وأختص هذه الساحرة الفاجرة ، وقد ستمت شرابه في إثناء من صفته كذا وكذا ، فلبسها الملك منه ليعلم صدق ؛ فدعا الملك بالإثناء فوجده على ما ذكرت ، فأحضر الساحرة وأمرها بشرب قدح منه فشربته ولم تعلم ما فيه فسقط لحمها عن عظمها ، فأمر بدفنها في ناووس وزبر عليه أسمها وما همت به وما صار أمرها إليه ، وعاد إلى امرأة أبيه وتزوج بها وحسنت حالها عنده .

قال : وفي أيامه عمل المنار على بحر القلزم^(١) وجعلت على رأسه امرأة من أخلاط تجتذب المراكب على شاطئ البحر ، فلا يمكنها أن تبحر أو تعتمر ، فإذا عثرت سرت المرأة فتجوز المراكب .

قال : وأقام قرسون ملكا مائتين وستين سنة ؛ وقد كان عمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الأسود الشرقي . وجعل في وسطه قبة فيها آخى عشر بيتا ، في كل بيت أعجوبة لا تشبه الأخرى ، وزبر عليها اسمه ومدة ملكه . قال : وملك بعده ثلاثة^(٢) أو أربعة . فهؤلاء الذين سبّاهم من أولاد أتريب ممن ملك منهم . والله أعلم .

(١) هو الآن البحر الأحمر .

(٢) هنا ينهى السفر الثاني عشر من هذا الكتاب من تجزئة الأصل من النسختين المأخوذتين بالتصوير الشسمى المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقمي ٥٤٧ ، ٥٥١ معارف عامة - وصورة ما جاء في آخر هذا السفر من النسخة الأولى : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للتوحيدي في أواسط شهر ربيع الأول من سنة سبع وستين وتسعمائة على يد كاتبه أفسر الخلق إلى رحمة الحق نور الدين بن شرف الدين العاملي "بلدا الشافعي" مذهب غفر الله له ولوالديه ولأن يقرأ له الفاتحة ويهديها للتي ثم له آمين » . وصورة ما ورد في النسخة الثانية : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكري التيمي القرشي المعروف بالتوحيدي غفر الله عنهم . يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث عشر منه ذكر أخبار صابن قطيم بن مصرم بن يعمر ابن حام بن نوح عليه السلام .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ورحمنا الله ونعم الوكيل » .

(١) ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصرم بن بيصر بن حام

أبن نوح عليه السلام

قال: ولما قسم قبطيم الأرض بين بنيه الأربعة كما تقدم وانتقل كل واحد منهم إلى حيزه، خرج صا بأهله وولده وحشمه إلى حيزه، وهو بلد البحيرة وما يليها إلى برقة، ونزل مدينة صا، وذلك قبل أن تُبنى الإسكندرية. وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبهم إليه، فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارة، وبني المدائن والبلدان والهاياكل، وعمل في إظهار العجائب كما صنع إخوته، وطلب الزيادة في ذلك. وكان مرهون الهندي صاحب بنائه، فبنى له من حد صا إلى حد لوبية ومراقبة على عبر البحر أعلاما، وجعل على رؤوس تلك الأعلام مرايا من أخلاط شتى: فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاهم، ومنها ما إذا قصدتهم عدو من الجزائر الداخلة وأصابها الشمس ألقت شعاعها على مراكبهم فأحرقتها، ومنها ما يرى المدائن التي تجاورهم من عدوة البحر وما يعملها أهلها، ومنها ما ينظر منها إلى إقليم مصر فيعلم ما يخصب وما يجذب منه في كل سنة. وجعل فيها حمامات تُوقد من نفسها ومستشفيات. وكان كل يوم في موضع منها بمن يخصه من حشمه وخدمه، وجعل حولها بساتين وسرح فيها الطيور المغتردة والوحش المستوحش والمستأنس والأنهار المطردة والرياض المونقة،

(١) أول الجزء الثالث عشر من تحفة الأصل. وكتب المرحوم أحمد زكي باشا في أول هذا الجزء من نسخة ما نصه: « يظهر لي أن هذا الجزء كتب في أيام المؤلف، وفي آخره عبارة هذا نصها: "بلغ مؤلفه مقابلته بأصله والحمد لله" وهي بخط المؤلف كما يظهر من مضاهاتها بالأجزاء الأخرى المكتوبة بخطه ».

(٢) كذا في المقرئ (ج ١ ص ١٨٢ طبع بلاق) ونسخة (ب) وفي نسخة (أ): « مرهوب ».

(٣) كذا في الأصل والمقرئ. وفي نطبيقات المقرئ (ج ٣ ص ٢١٨ ضبة فييت): « المهندس ».

(٤) في المقرئ طبعة فييت: « صاحب بابه ».

وجعل شرف القصر من حجارة ملونة تلمع إذا أضاءتها الشمس فتتشر شعاعها على ما حولها ، ولم يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية إلا استعمله . فكانت العمارة ممتدة إلى برقة في رمال من رشيد إلى الإسكندرية إلى برقة . وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج إلى زاد لكثرة الفسواكه والخيرات ، ولا يسير إلا في ظلال تستره من الشمس . وعمل في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا ، وساق إليها من النيل أنهارا . وكان يسلك من الجانب الغربى إلى حد الغرب في عمارة متصلة .

قال : فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى ونحرت تلك المنازل وباد أهلها . قال : ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رأى فيها من الآثار والعجائب .

١٠

قال : ومن ملوكهم مرقونس ، وكان [فاضلا] حكيما ، محبا للنجوم والحكمة ، فعمل في أيامه درهم إذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة ، فيفتى البائع بذلك ويقبل الشرط ، فإذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم أرطال كثيرة تساوى عشرة أضعافه ، وإن أحب أن يدخل في وزنه أضعاف تلك الأرطال دخل . قال : وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم في أيام بنى أمية ، فكان الناس يتعجبون منه . وقد كانوا وجدوا درهما آخر قيل إنه عمل في وقته أيضا يكون في ميزان الرجل ، فإذا أراد أن يبتاع حاجة أخذ الدرهم من ميزانه وقلبه وقال : اذكر العهد ، ومضى فأبتاع به ما أراد ، فإذا أخذ السلعة ومضى إلى بيته

١٥

$$\frac{2}{13}$$

(١) الكلمة من المقرئى (ج ١ ص ١٣٩ ضبع بلاق) .

(٢) فى المقرئى (ج ١ ص ٢٤) « وقلة » .

وجد الدرهم قد سبقه إلى منزله ، ووجد البائع حيث وضعه ورقة آس أو قرطاس أو مثل ذلك بدور الدرهم ^(١) .

وقيل : إن في وقته عُمِلَت الآنية الزجاج التي تَوَزَن ، فإذا مُلِثَت ^(٢) [ثم] وُزِنَتْ لم تزد على وزنها الأول شيئا ، وهى تحمل من الماء بوزنها . وعُمِلَ أيضا في وقته الآنية التي إذا جُعِلَ الماء فيها صار نَحْمَرًا في لونه ورائحته وسكره . قال : وقد وُجِدَ من هذه الآنية بإطفيح ^(٣) في إمارة هارون بن نُحْمَارويه بن أحمد ابن طولون شربة جَزَعُ بَعْرُوة زرقاء بياض . وكان الذى وجدها أبو الحسن [الصائغ] ^(٤) الخراساني هو ونفَرَّ معه ، فجلسوا ليأكلوا على عِزِّ النيل وشربوا الماء بها ^(٥) فوجدوه نَحْمَرًا فسكروا منه ورقصوا ، فوقعَت الشربة فأَنكسرت على عِدَّة قطع ، فَاغْتَمَّ الرجل وجاء بها إلى هارون مكسورة ، فأسف عليها وقال : لو كانت صحيحة لَأَشْرَيْتَهَا ببعض مُلْكِي .

وفي أيامه عُمِلَت الصورة الختمية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات ، فكانت إذا جُعِلَتْ في موضع من المواضع آجَمَعُ إليها ذلك الجنس بعينه ولا يقدر أن يفارقها حتى يُقْتَلَ . وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون ، وجعل في وسطه قبة من الزجاج خضراء صافية اللون ، وكانت إذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على المواضع البعيدة . وعمل من أربع جهاته أربعة مواضع عالية من الزجاج ، كل مجلس منها بلون ، ونقش كل مجلس منها بما

(١) كذا في الأصل والمقرئ . وفي تعليقات المقرئ (ج ١ ص ١٥٠ طبع فيت) : « بدور » .
(٢) التكلة من المقرئ . (٣) إطفيح : هى الآن إحدى بلاد مركز الصف بمديرية الجيزة .
وهارون بن نحارويه ولى مصر في اليوم العاشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين .
(٤) سمي جزعا لأنه مقطوع بألوان مختلفة ، أى قطع سواده بياضه وصفرة . (٥) التكلة من المقرئ (ج ١ ص ٣٤ طبع بلاق) . (٦) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « الدبابات » .

يخالف لونه من الطلسمات العجيبة والنقوش الغريبة والصور البديعة ؛ كل ذلك من زجاج مطابق يَشْف . وكان يقصد هذا الملعب ويُقيم فيه الأيام الكثيرة . وعمل له ثلاثة أعياد في كل سنة ، فكانوا يحجّون إليه ويدبحون له ويقيمون فيه سبعة أيام ؛ فلم يزل ذلك الملعب بحاله تقصده الأمم لتنظر إليه لأنه لم يكن له نظير ولا شكل ، ولا عُمَل [في العالم] ^(١) مثله إلى أن هدمه بعض الملوك لأنه تعاطى مثله . فلم يقدر على ذلك .

وكانت أم مرقونس ابنة ملك النوبة ، وكان أبوها يعبد نجما يقال له السَّهَاء ، ويسميه إلهاء ، فسالت أبها أن يعمل لها هيكلًا ويفردها به ، فعمله لها وصفحه بالذهب والفضة [وأقام فيه صنما ^(١)] وأرخت عليه ستور الحرير ، فكانت تدخل إليه مع جواريتها وحشيمها وتسجد له كل يوم ثلاث مرّات . وعملت في كل شهر عيدا ^(١) تقرب له فيه القرابين وتجّره ليله ونهاره ، ونصبت له كاهنا من النوبة فكان يقوم به ويختر [ه] ويقرب [له] ، ولم تزل أبها حتى سجد له ودعا الناس إلى عبادته .

قال : ولما رأى الكاهن أن الأمر قد أحكم له من جهة الملك في عبادة الكواكب ، أحب أن يكون له مثالا في الأرض على صورة شيء من الحيوان يتعبد له ليكون حذاء عينيه ؛ فأقام يعمل الحيلة في ذلك إلى أن آتفق بمصر كثرة العقبان ^(١) حتى أضرت بالناس ، فأحضره الملك وسأله عن كثرتها فقال : إن إلهك أرسلها لتعمل له نظيرا يسجد له . فقال الملك : إن كان ذلك يرضيه فأفعله ، فعمل تمثال عُقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك ، وعمل عينيه من ياقوتين ،

(١) التكملة من المقرئ (ج ١ ص ٣٥ ضع بلاق) .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « ويفرده » .

وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على أنابيب جواهر ^(١) [أخضر] ، وجعل في منقاره
كرة معلقة وسروله بأدرك أحمر ، وأقامه على قاعدة ^(٢) [من] فضة منقوشة ، وركبها
على قاعدة زجاج أزرق ، وجعله في أزج عن يمين الهيكل ، وألقى عليه ستور الحرير ،
وجعل [له] دُخنة معمولة من جميع الأفاويه والصمغ ، وقرب له بعجل أسود وبكارة
الفراريح وبواكير الفواكه والرياحين . فلما تمت له سبعة أيام دعاهم إلى السجود له
فأجابوه . ولم يزل ^(٣) [الكاهن] يُجهد نفسه في عبادته ، وعمل له عيداً دعاهم فيه إلى
أن يتجرله في أنصاف الشهور بالمنديل وترش الهياكل بالخر العتيقة ^(٤) [التي تؤخذ]
من رءوس الجوابي ، ونطق لهم العقاب وعبرفهم أنه أزال عنهم العقبان وضررها ؛
وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون ؛ فسُر الكاهن بذلك ووجهه إلى أُم الملك فعزفها
ذلك فصارت إلى الهيكل ، فلما سمعت كلام العقاب سرها ذلك وأعظمته ، وبلغ
الملك خبره فركب إلى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه ، فسجد له وأقام له سَدنة
وأمر أن يزين بأصناف الزينة ، وكان الملك يقوم بذلك الهيكل ويسجد لتلك
الصورة ويسألها عما يريد فتخبره . ^(٥)

وعمل من الكيمياء والذهب ما لم يعملهُ أحد من الملوك . فيقال : إنه دَفِنَ
في صحراء الغرب خمسمائة دَفين . ويقال : إنه عمل على باب صا عموداً وجعل
عليه صنماً في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة ينظر فيها العليل [أو ينظر له
أحد فيها] ^(٦) فإن كان يموت رآه ميتاً ، وإن كان يعيش رآه حياً ، والمسافر ، فإن كان
مقبلاً بوجهه علموا أنه راجع ، وإن رآه مولياً علموا أنه متاد ، وإن كان مريضاً
أو ميتاً رآوه كذلك . وعمل بالإسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى

(١) التكملة من المقرئ (ج ١ ص ٣٥) . (٢) في المقرئ : « دزة » . (٣) كذا في المقرئ .
وفي الأصل : « الجوابي » . (٤) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « أحب » .

- (١) رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاز إذا مرّ به رجل تاجر جعل بين يديه شيئا من الذهب على قدر بضاعته، وإن حاذاه عن بُعد^(٢) لم يقدر على الجواز وبقيت قائما مكانه ، فكان يجتمع من ذلك مالٌ عظيم يفرق في الزماني والفقراء.
- وعمل في وقته كل أعجوبة طريفة، وأمر أن يُزبر اسمه عليها وعلى كل علم وكل طلسم وصنم. وعمل لنفسه ناووسا في داخل أرض الغرب عند جبل يقال له سدّام، وعمل تحته رُحى طوله مائة ذراع في ارتفاع ثلاثين ذراعا في عرض عشرين ذراعا، وصقّعه بالمرمر والزجاج الملون المسبوك وسقفه بالحجارة الصافية، وعمل فيما دار به مصاطب لطافا مبلّطة بالزجاج، وعمل على كل مصطبة فيها أعجوبة وتمثالا مما عمل في وقته ، وعمل في وسط الأزج دكة من زجاج ملون ، على كل ركن من أركانها صورة تمنع من الدنو إليها ، وبين كل صورتين كالمئذنة عليها حجرٌ مضىء ، وجعل في وسط الدكة حوضا من ذهب يكون جسده فيه بعد تضميده بالأدوية المسككة، ونقل إليه ذخائره من الجواهر والذهب وغير ذلك ، وأمر أن يُسدّ باب الأزج بالصخور والرصاص وتُحال عليه الرمال . وكان مُلكه ثلاثا وسبعين سنة ، وعمره مائتين وأربعين سنة ، وكان جميلا ذا وفرة حسنة فنسكت عاقبة نسائه بعده ولز من الهيكل .

وعهد بالملك إلى ابنه أنساد بن مرقونس ؛ فملك بعد أبيه وهو غلام ابن خمس وأربعين سنة ، وكان مُعجبا جبارا طامح العين ، فنكح امرأة من نساء أبيه وأنكشف أمره معها ، وكان أكبرهمه اللهو واللعب ، فجمع كل مُله كان في مملكته وقصده كل من هذه سبيله ، وجعل تدبير الملك إلى وزير له يقال له

(١) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « كالزبر » .

(٢) في المقرئى : « تجاوز » .

مسرور ، ورفض العلوم والهاياكل والكهنة والنظر في أمور الناس . وعمل قصورا من خشب عليها قباب من خشب منقوشة ممّوهة وجعلها على أطواف في النيل ، فكان يشرب عليها مع من يحبه من نسائه وخدمه ومن يُلهميه . وعمل تجلا في البر وحمل عليها الأروقة المذهبة وفرشها بفانر الفرش ، فكان يترّه عليها ويمتزها البقر ويقم في نزهته شهورا لا يتر بموضع نزه إلا أقام فيه أياما . وولد من الشجر توليدا كثيرا . وأستفد أكثر ما في خرائن أبيه لجوائز الملّيين والنفقات في غير وجهه . فلما أسرف في ذلك اجتمع الناس إلى وزيره فأنكروا عليه حاله وسألوه مسألته والمشورة عليه أن يقع عما هو عليه فضمن لهم ذلك ، وفاوضه فيه فلم ينته عنه ، وسلط أصحابه على الناس فأساءوا إليهم وأضروا بهم . وخرج في بعض الأيام إلى منتزه كان له قد صَفَحَ مجالسه بصفائح الذهب والفضة ، وغريب الزجاج الملون ، والجواهر المخروطة ، والصماريح المرتحة الملونة ، وأمال إليه المياه ، وغرس فيه الرياحين والثمار ، وفرش مجالسه بأصناف الفرش ، وكان إذا أحب أن يخلو بامرأة من نسائه خلا بها هناك ، فإنه في ذلك المكان ، وقد أقام به أياما ، إذ خرج غلام لبعض حُرَمه فأتى بعض التجار في حاجة أراد أخذها بغير ثمن ، ففنع التجار منها ، فوثب بهم فضربوه حتى أسالوا دمه وحمل ، واتصل الخبر بالوزير وصاحب الجيش فركبا إلى الموضع وأنكرا على الناس فأغلظوا لهما ، فأنصرفا وعرفا الملك الخبر ، فأراهما أنه لم يحفل بذلك ، وأمر بالنداء في الناس من تعرّض لكم من خدم الملك وأصحابه بأذى فاقتلوه ، فشكره الناس وحمدوا فعله على ذلك ، وتواصوا بالوثوب على أصحابه ، حتى إذا مضى لذلك أسبوع وجه الملك إلى الوزير وصاحب الجيش فعزفهما أنه قد عزم على الركوب إلى صحراء الغرب يتصيد هناك . وأمر أن يركب معه الجيش ويتزودوا لثلاثة أيام ففعلوا ، وخرج إلى البرية فسار حتى إذا اختلط

السلام رجع الجيش حتى وافي باب المدينة ، وأمر أصحابه أن يضعوا السيف في الناس فقتلوا خلقا كثيرا ، ثم أمر أن ينادى : هذا جزء من أقدم على الملوك من رعاياهم وأصحاب مهنهم ، وأخرب الموضع الذي ضرب فيه الغلام ، فاستغاث به الناس ، فتقدم إلى وزيره أن يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ، ففعل وأمنهم وقال : من عاد إلى مثل ما كان فقد حل لنا دمه ، فدعوا له وأنصرفوا . ثم أحتجب عن الناس واستخف بالكهنة والهياكل فأبغضته العامة والخاصة وبقوا الغوائل فأحتال عليه خاصته بطباخه وساقيه فسماه وهو ابن مائة وعشرين سنة فمات .

وصار الملك من بعده إلى ابنه صا بن أنساد بن مرقونس ؛ قال : وأكثر القبط تزعم أن صا بن مرقونس أخو أنساد . فملك وديناه الناس ، فوعدهم بالعدل فيهم ، والإحسان إليهم ، وحسن النظر لهم ، وسكن منف وحكم الأحياز كلها ، وعمل بها عجائب وطلسمات ، وزد الكهنة إلى مراتبهم ، ونفى المهين وأهل الشر ممن كان يصحب أخاه ، ونصب العقاب الذي كان أبوه عمله ، وشرف هيكله ودعا إليه . وعمل في منف امرأة كان يرى منها ما ينجصب من بلده وما يجذب . وبني بداخل الواحات مدينة غرس حولها نخلا كثيرا . ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة . وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من تعذر عليه أمر يأتيه فيخبره فيتيسر عليه ذلك الأمر . وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون إليه ما يجري في حدودهم . وعمل على غربي النيل منائر يؤقدها إذا قصدتهم قاصد أو ناهبهم أمر . ويقال : إنه بنى أكثر منف وكل بنيان عظيم بالإسكندرية . قال : وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء إليه ونظر في النجوم — وكان بها

حاذقا — فرأى أن بلده لا بد أن تغرق بالطوفان من نيلها ، ورأى أنها تخرب على

(١) وورد في المقرئ (ج ١ ص ١٥٥ طبعة فيث) بعد هذا ما نصه : «وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه أمر البحر وما يحدث فيه من أقصى ما يصل إليه البصر على مسيرة أيام وهو يؤذ من اتخذها» .

يد رجل [يأتي^(١)] من ناحية الشام ، فجمع كل فاعل بمصر وبني في الواح
الأقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحِكم
والأموال .

وبني المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني أمية ، وكان قد أخذ
على الواح الأقصى ، وكان عنده علم منها ، وأقام سبعة أيام يسير في رمال وصحارى
سمت الغرب والجنوب إلى أن ظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب حديد ، فأصعد
إليها الرجال ليقفوا على ما فيها لما لم يمكنه فتح أبوابها ، ولغلبة الرمال على ما حولها ؛
فكانوا إذا علوا الحصن وأشرفوا عليها وثبوا إليها ؛ وعرض حصنها عشرون ذراعا ؛
فلما أعياه أمرها تركها ومضى ، فهلك في تلك الطريق جماعة من أصحابه . فلم يُسمع
بأحد بعد موسى بن نصير ولا قبله وقع عليها .

قال : وفي تلك الصحارى أكثر متزهاتهم ومدائنهم العجيبة ؛ إلا أن الرمال غلبت
عليها . ولم يبق بمصر ملك إلا وقد عمل الرمال دفعا ثم تفسد طليعاتهم على تقادم الأيام .

(١) الكلمة من المقرئ (ج ٣ ص ٨ : ضمة فيت) .

(٢) هذه المدينة تسمى « مدينة النحاس » ويقال لها « مدينة الصفر » وتقع في بعض مفاوز الأندلس .
قال باقوت في معجمه : « ولها قصة بعيدة من الصحة لمناقضتها العادة وأنا بريء من عهدتها ، إنما أكتب
ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونتها العفلا . ومع ذلك فهي مدينة مشهورة الذكر فلذلك ذكرتها »
ثم ذكر عن ابن الفقيه أن ذا القرنين بناها وأودعها كنوزها وعلومه وطاسم بابها فلا يقف عليه أحد ،
وبني داخلها بجحر البهتة وهو مقناطيس الناس ، وذلك أن الإنسان إذا نظر إليها لم يحسب أن يضحك
ويلقى نفسه عليها فلا يزالها أبدا حتى يموت . وبنا بلغ عبد الملك بن مروان خبرها وخبر ما فيها من الكنوز
والعلوم وأن إلى جانبها بحيرة بها كنوز عظيمة كتب إلى موسى بن نصير عامله على المغرب يأمره بالمسير إليها
والحرص على دخولها وأن يعرفه ما فيها ، ودفع الكتاب إلى طالب بن مدرك لحمله وسار حتى انتهى إلى
موسى بن نصير وكان بالقيروان ، فلما أوصله به تجهز وسار في ألف فارس نحوها فلما رجع كتب إلى
عبد الملك بن مروان ... وساق الكتاب الذي وصف فيه رحلته إلى هذه المدينة وما صادفه فيها (راجع معجم
البلدان في كلامه على مدينة النحاس) .

وقال : وحكى قوم من التَّاء في ضياع الغرب : أنَّ عاملاً من عمالهم عَنَّفَ بهم
 فهربوا ودخلوا في صحراء الغرب وحملوا معهم زادا إلى أن يصلح أمرهم ويرجعوا
 إلى بلادهم ، وكانوا على يوم وبعض آخر قد لحجوا في سفح الجبل ، فوجدوا عيراً
 أهلياً قد خرج من بعض شِعباه ، فتبعه نفر منهم ، فأخرجهم إلى مساكن وأشجار
 ونخل ومياه تَطَرَّدُ وقوم يسكنون هناك ويزرعون ، فخطبواهم وعجبوا منهم وسألوهم
 عن حالهم فعرفوهم أنهم منذ كانوا يسكنون تلك الناحية ويتناسلون ويزرعون
 ولا يطالبهم أحدٌ بخراج ولا يؤذيهم ، وأنهم لم يدخلوا إلى ضياع الغرب قط ، وقالوا
 لهم آتِبلوا إلينا ؛ فخرج القوم بعد أن صلحت أمورهم واجتمعوا على الرجوع إلى
 ذلك الموضع والسكنى فيه بأهليهم ومواشيهم ، فخرجوا يطلبون الطريق مدة فما
 عرفوا الطريق ولا تَأَتَّى لهم الوصول إليه بعد ذلك فأسفوا على ما فاتهم منه .

وحكى أيضاً عن آخرين ضلُّوا الطريق في الغرب ، فوقفوا على مدينة عامرة ،
 كثيرة الناس والمواشى والنخيل والشجر ، فأضافوهم وأكلوا عندهم وشربوا ، وباتوا
 في طاحونة يعمل فيها الخبز ، فسكروا من الشراب وناموا ، فلم ينتبهوا إلا عند طلوع
 الشمس ، فوجدوا أنفسهم في مدينة كبيرة خراب ليس فيها أحدٌ ، فأرتاعوا لذلك
 وخرجوا على وجوههم كالحارين ، وساروا يومهم على غير سَمْتٍ حتى قرب المساء ،
 فظهرت لهم مدينة أخرى عظيمة أكبر من الأولى وأعمر ، وأكثر أهلاً ودوابً
 ومواشىً وشجراً ونخلاً ، فأَسْوَأَ بهم وأخبروهم بخبر المدينة ، ففعلوا يعجبون منهم
 ويضحكون ؛ وإذا لبعض أهل المدينة وليمةً فأَطلقوا بهم معهم ، فأكلوا وشربوا

(١) التَّاء : المقيون ؛ يقال : تنأ بالبلد ينترنوا أقام به وقطه . ويقال : هو من بناء تلك

الكورة ، أى أصله منها . (٢) لحج بالمكان : لزمه . (٣) تطرد : تجرى .

(٤) كذا في نسخة ب وفي نسخة أ : « انخر » .

وغتوهم بأصناف الملاهي ، وسألوهم عن حالهم فحدثوهم أنهم ضلّوا عن الطريق في هذه الصحاري ، فقالوا لهم : الطريق بين أيديكم واضح مستقيم لا يمكن أن تغلطوا فيه ، فإن أحببتم المسير وجهنا معكم من يوقفكم على سنن الطريق الكبير الذي يوصلكم إلى منازلكم ، وإن أحببتم أن تقيموا عندنا رقدناكم وكنتم إخواننا وأحبابنا . قالوا : فسررنا بذلك من قولهم ، وأجمع بعضنا على المقام معهم ، وأجمع من كان له منا أهلٌ وولدٌ على أن يسير إلى منزله ويحمل أهله وولده ويعود إليهم . قال : وبتنا عندهم في خير مبيت ، فرحين بما ساق الله إلينا . فلما كان من الغد انتبها فوجدنا أنفسنا في مدينة عظيمة ليس فيها أحدٌ من الناس وقد تشعب بعض حصنها ، إلا أن حولها نخلا قد تساقط ثمره وتكدس حوله ، فالحقنا من الخوف لذلك والارتياح ما استوحشنا له ، وخرجنا على وجوهنا هارين مفكرين فيما عايناه من أهلها ، وإنا لنجد روائح الشراب منا ومعاني الخمار ظاهرة ، فلم نزل نسير يومنا أجمع وليس بنا جوع ولا عطش ، حتى إذا كان المساء رأينا راعيا يرعى غنما فسألناه عن العارة وعن الطريق فدلنا على الطريق وقال : إن العارة حذاؤكم ، وإذا يتقار من ماء المطر فشربنا منه وبتنا عليها ، ثم أصبحنا فإذا نحن في خلاف موضعنا الذي كنا فيه ، وإذا آثار العارة والناس فما سرنا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمونين بالصعيد ، فكنا نحدث الناس ولا يقبلون منا .

قال : وهذه مدائن القوم القديمة قد غلب عليها الجلات ، ومنها ما قد سترته عن العيون فلا ينظر إليها أحد .

قال : وذكر بعض القبط أن رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم أنساد سار إلى ملك الإفرنجية فذكر له كنوز مصر وعجائبها وخيرها ، وضمن له أن يوصله إلى ملكها

(١) القار : جمع قرة (بالضم) ، وهي الوحدة المستديرة في الأرض .

- وأموالها، ويدفع عنه أذى طَلَسَمَاتِها حتى يبلغ جميع ما يريده ويعترفه مواضع الكنوز.
- فلَمَّا أَتَصل بِصَا الملك أن صاحب الإفرنجية يتجهز إليه، عمد إلى جبل بين البحر
المالح وشرقي النيل فأصعد إليه أكثر كنوزه وما في خزائنه، وبني عليها قبابا وصفحها
بالرصاص، وأمر ففتحوا جوانب الجبل إلى منتهى خمسين ذراعا، وجعلوا في آتِهاء
المنحوت منه شبه الطرر البارزة خارجة من النحت بقدر مائة ذراع وهو بين جبال
وعرة، فخصن أمواله هناك. وتجهز إليه صاحب الإفرنجية في ألف مركب، فكان
لا يمر بشيء من أعلام مصر ومنازلها وأصنامها إلا هدمه وكسره بمعونة الكاهن له.
- حتى أتى الإسكندرية الأولى فعات فيها وهدم كثيرا من معالمها إلى أن دخل النيل من
ناحية رشيد وصعد إلى منف فخاربه أهل النواحي، وجعل ينهب ما مر به ويقتل
مَن قَدَر عليه إلى أن طلب المدائن الداخلة ليأخذ كنوزها فوجدها ممتنعة بالطلسمات
الشداد والمياد العميقة والخنادق الشداخات، فأقام عليها أياما كثيرة يعالج أن يصل
إليها، فلَمَّا لم يُمكنه ذلك قتل الكاهن، وهلك جماعة من أصحابه، واجتمع أهل
النواحي على مراكبه وأصحابه فقتلوا منهم خلقا وأحرقوا بعض المراكب. ولما تيقن
أهل مصر تلف الكاهن الذي كان معه أرسلوا إليه سحرهم وتهاويلهم، وأت مع ذلك
رياح غرقت كثيرا من مراكبه، وكان جل مرامه أن ينجو بنفسه فما عاد إلى
الإفرنجية إلا وَقِيدَا ^(١) بجراحات أصابته، ورجع الناس إلى منازلهم وقُراهم، ورجع
صا إلى منف فأقام بها وترك ما كثره على حاله.
- قال : ولم يزل بعد ذلك يغزو بلاد الروم وأهل الجزائر ويخزبها فهابته الملوك،
وتتبع الكهنة فقتل منهم خلقا، وأقام سبعا وستين سنة، وكانت منه مائة وسبعين
سنة وهلك، فدفن بمنف في ناووس عمله وسط المدينة من تحت الأرض، وجعل

(١) الوقيد : الشديد المرض المشرف .

المدخل إليه من خارج المدينة من الجهة الغربية ، وحمل إليه أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ، وتمائيل وطلسمات وغير ذلك كما فعل أجداده . وكان فيه أربعة آلاف تمثال ذهب على صور شتى برية وبحرية ، وتمثال عقاب من جوهر أخضر جعل عند رأسه ، وتمثال تين من ذهب مشبك عند رجله وزبر عليه اسمه وسيرته وغلبته للولوك .

- وعهد إلى ابنه تدارس بن صبا ، فلك الأحياء كلها بعد أبيه وصفا له ملك مصر . وكان محتكا مجزبا ذا أيدٍ وقوة ومعرفة بالأمور ، فأظهر العدل ، وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا . وبنى غربى منف بيتا عظيما للزهرة وزبر جميع الأخبار — وكان صنم الزهرة من لازورد مذهب متوجا بذهب — وسوره بسوارين من الزبرجد الأخضر ، وكان في صورة امرأة لها صغيرتان من ذهب أسود مدبر ، وفي رجلها خلخالان من حجر أحمر شفاف ونعلان من ذهب ، وفي يدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كالمسامة على من في الهيكل ، وجعل حذاءها من الجانب الآخر تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب موشحة بحجر اللازورد ، ووجه البقرة محاذيا لوجه الزهرة ، وجعل بينهما مطهرة من أخلاط للأجساد على عمود رخام مجزع فيها ماء مدبر يستشفى به من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلون في كل سبعة أيام ، وجعل فيه كراسي للكهنة مصفحة بذهب وفضة ، وقرب له ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير ، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به . وكانت فرش الهيكل وستوره عن عيني تمثال الزهرة ويساره . وكان في قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان وله حربة في سنانها رأس إنسان معلق ، وبقي هذا إلى زمان بُحَّتْ نصر

وهو الذى هدمه. ويقال: إن تدارُس الملك هذا هو الذى حفر خليج سخاء، وأرتفع مال البلد فى أيامه مائة ألف ألف [دينار^(١)] وخمسين ألف [ألف^(١)] دينار. وقصده بعض عمالقة الشام فخرج إليه وأستباحه ودخل إلى فلسطين فقتل منها خلقا كثيرا وسبي بعض حكامها وأسكنهم مصر وهابته الملوك.

- قال: وعلى رأس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والتوبة
 فى أرضه فعاثوا وأفسدوا، فأمر يجمع الجيوش وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده
 يقال له: بلوطس فى ثلثمائة ألف، وقائدا آخر فى مثلها، ووجه فى البحر ثلثمائة سفينة^(٢)
 فى كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة من العجائب [ثم خرج فى جيوش كثيرة، فلقى
 جموع السودان] وكانوا فى زهاء ألف ألف فهزموهم، وقتلوا أكثرهم أرح قتل، وأسر
 منهم خلقا كثيرا، وتبعهم حتى وصل إلى أرض الفيلة من بلاد الزنج فأخذ منها
 عدة من النمر والوحش وذللها وساقها معه إلى مصر. وعمل على حدود بلده
 منارات وزبر عليها مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه. ولما وصل إلى مصر
 أعتل ورأى رؤيا تدل على موته، فعمل لنفسه ناووسا ونقل إليه شيئا كثيرا من
 أصنام الكواكب والذهب والجوهر والصنعة والتماثيل وهلك، فحمل إليه وزبر
 عليه اسمه وتاريخ الوقت الذى هلك فيه، وجعل عليه طلسما تمنع منه.

وعهد إلى ابنه مالىق بن تدارس، فملك بعد أبيه. وكان غلاما كريما
 حسن الوجه، مجتريا، مخالفا لأبيه وأهل بلده فى عبادة الكواكب والبقر.

(١) التكملة من المقرئى (ج ١ ص ٢٨٨ طبعة فيث).

(٢) فى المقرئى: « فى النيل ».

(٣) التكملة من المقرئى. وفى الأصل: « وتوجه هو ».

(٤) بلاد الزنج هى الآن بلاد الصومال والحبشة وبلاد زنجبار (راجع معجم الخريطة التاريخية).

ويقال : إنه كان موحدًا على دين أجداده قبطيم ومصرم ، وكانت القبط تذمه لذلك . وكان سبب إيمانه فيما حكي أنه رأى في منامه أن رجلين لهما أجنحة أتياه فأخطفاه وحمله إلى الفلك ، فأوقفاه بين يدي شيخ أسود أبيض الرأس والحية ، فقال : هل عرفتنى ؟ فدخلته فزعة الحداثة ، وكانت سنته نيفًا وثلاثين سنة ، فقال له : ما أعرفك ! فقال : أنا قرويس ، يعنى زحل ، فقال : قد عرفتك ، أنت إلهى ، فقال : إنك وإن كنت تدعونى إلهًا فإنى مربوب مثلك ، وإلهى الذى خلق السموات والأرض وخلقنى وخلقك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : هو فى العلو لا تراه العيون ، ولا تلحقه الأوهام ، وهو الذى جعلنا سببا لتدبير العالم الأسفل . قال له مالىق الملك : فكيف أعمل ؟ قال : تُضْمِرْ فى نفسك ربو بيتنا . وتُخْلِصْ فى وحدانيته وتعرف بأزليته . ثم إنه أمر الرجلين فأنزلاه ، فانقبه وهو مذعور ، فدعا رأس الكهنة فقص عليه رؤياه فقال : قد نهاك عن عبادة الأوثان فإنها لا تنفع ولا تنفع ، فقال له : من أعبد ؟ قال : الله الذى خلق السموات والكواكب التى فيها والأرض ومن عليها . فكان الملك يحضر الهيكل فإذا سجد انحرف عن الصنم وأضمر السجود لخالق السموات والأرض دون غيره ، ثم أخذ فى الغزو والغية عن أهل مصر وجال فى البلدان .

قال : وقال بعض أهل مصر : إن الله تعالى أيده بملك من الملائكة يعصده ويرشده ، وربما أتاه فى نومه ، فأمره أن يأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل ، واتخاذ السلاح وما يصلح للأسفار ، وإعداد الزاد ، واتخذ فى بحر الغرب مائتى سفينة ، ونخرج فى جيش عظيم فى البر والبحر ، فلقبه جموع البربر فى جموع لا تحصى فهبهم واستأصل أكثرهم ، وبلغ إلى إفريقية وسار منها ، وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن عدى من ناحية الأندلس يريد الإفريقية ، وكان بها ملك عظيم يقال له : أرقبوس ، فأقام يحاربه شهرا ثم طلب صلحه وأهدى له هدايا كثيرة فسار عنه ، ودوخ الأمم المتصلة

بالبحر الأخضر^(١) وأطاعه أكثرها . ومرت بأمة عُمرة لهم حوافر في أرجهم ، وقرون صفار ، وشعور كشعور الدواب ، ولهم أنياب بارزة من أفواههم ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى أثنهم ، فنَفَرُوا منه إلى غيرانٍ لهم مظلمة عظام .

والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة ، وعمل أعلاما على البحر وزبر عليها أسماء ومسيرة ، وخرّب مدن البربر حيث كانت ، وألجأهم إلى قرون الجبال ورجع ؛ فتلّقاء أهل مصر بأصناف اللهو والطيب والرياحين ، وفُرشت له الطرقات ولقوه بأبنه بلهقانس وكان ولّد بعد مسيره فُسْرَبَه . واتصل خبره بالملوك فهابوه وحملوا إليه الهدايا من كل وجه ومكان .

قال : وبلغه أن قوما من البربر سحرة لهم تحايل عجيبة وبخورت بدّلون بها ، وأنهم في مدينة لهم يقال لها : قرميدة ، في الغرب من مصر ، قد ملكو عليهم امرأة ساحرة يقال لها : اسطافا ، فاتصل به كثرة أذاهم للناس فغزاهم ؛ فلما قرب منهم ستروا عنه مدينتهم بسحرهم فلم يرها ، وطمّوا مياههم فلم يعرفها ، فهلك أكثر أصحابه عطشا . فلما ستروا عنه البلد صعد إلى ناحية الجنوب ، ثم رجع على غير الطريق التي سار إليهم فيها ، فترهبىكل كان لهم يحضرونه في أعيادهم ، فهدم بعضه وسقط منه موضع على جماعة ممن تولى هدمه فأهلكهم ، فلما رأى ذلك تركهم وأنصرف ، وخرجوا إلى هيكلم فبنوا ما سقط منه وحرسوه بطلسّيات محكمة ، ونصبوا فوق قبة طلسّيا من نحاس مذهب ، وكان إذا قصده أحد صاح صياحا منكرا يرعد منه من سمعه ويهت فيخرجون إليه ويصطلمون . وكانت ملكتهم أحذق منهم بالسحر فقالت :

(١) البحر الأخضر ، ويقال له بحر الظلمات : هو المحيط الأطلسي ، ويسمى أيضا : بحر الظلمة أو بحر أفيانس أو البحر الأعظم ، ويقرأ في بعض الكتب « بحر أفتانس » وهو تصحيف ظاهر (راجع معجم الخريطة التاريخية للملك الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) . (٢) غيران : جمع غار ، وهو ما يمت في الجبل شبه المغارة فإذا اتسع قبل كهف . (٣) يصطلونه : بنت صولونه .

إني أعمل الحيلة في إفساد مصر وأذى أهلها، فعملت أشياء وأرسلتها مع من
ألقاها في النيل، ففاض النيل على مزارعهم وغلاتهم، وكثرت فيه التماسيح
والضفادع، وكثرت العال في الناس، وأنبتت فيهم الثعابين والعقارب، فأحضر
ماليق الكهنة والحكماء وقال: أخبروني عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا
ما هي؟ ولِمَ لم تشرحوها في طالع السنة؟ فأجتمعوا في دار حكمتهم ونظروا
حتى علموا أنه من ناحية الغرب، وأن امرأة عملته وألقته في النيل، فعلم أنه من
فعل تلك الساحرة، فقال لهم: اجهدوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم مرادها،
فأجتمعوا للهيكल الذي فيه صور الكواكب وأصنامها، وسألوا الملك الحضور معهم
فلم يمكنه الخلاف عليهم. فلما أمسى لبس مسحا وافترش رمادا وأستقبل مصلاه
وأقبل على الآبتهال إلى الله والتضرع وقال: يا رب يا الله، أنت إله الآلهة، وخالق
الخلق، ولا يكون شيء إلا بقضائك، أسألك أن تكفيني أمر هؤلاء القوم، وغلبه
السهر فأغفى في مصلاه، فرأى آتيا يقول له: قد رحم الله تضرعك، وأجاب
دعاءك، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمر عليهم، وصارف عنك الماء المفسد
والدواب المضرة. فلما أصبح الكهنة غدّوا عليه وسألوه حضور هيكلكم، فقال لهم:
قد كفيتكم أمر عدوكم وأهلكتهم، وأزلت الماء الفاسد والدواب المضرة عنكم،
ولن تروا بعدها شيئا تكرهونه، فنظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين لقوله وقالوا:
قد سررنا بما ذكره الملك، وهم يضمرون الاستهزاء به والتكذيب له، ومضّوا إلى
دار الحكمة فقال بعضهم: الرأي ألا تقولوا في هذا شيئا، فإن كان حقا وقفتم
عليه، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ في لومه، وسيتبين لكم أمره.

فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء الفاسد، وهلكت تلك الدواب المضرة،
فعلّموا أن الذي أخبرهم به حق، وأمر قائدا من قواده ورجالا من الكهنة أن يمشوا

- حتى يعلموا علم هؤلاء القوم، فأتوا المدينة فوجدوا حصنها قد سقط وقد هلكوا بجمعهم واحترقوا وأسودت وجوههم؛ ووجدوا الأصنام منكسة على وجوها، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم، فطرقوا المدينة فلم يجدوا فيها غير رجل واحد كان مخالفا لهم بسبب رؤيا رآها؛ ووجدوا من الأموال والجواهر وأصنام الذهب والتماثيل ما لا يحصى ولا تعرف له قيمة، ووجدوا صورة كاهن لهم من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباد شم؛ ووجدوا صورة روحاني من ذهب، ورأسه من جوهر أحمر، وله جناحان من در، وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر ملون؛ ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك، وفيها فضلة من الماء الدافع لأسقامهم، وفرسا من فضة من عزم عليه بعزائم ودخنه بدخنة وركبه طار به فيما يزعمون، وغير ذلك من العجائب والأصنام؛ فحملوا من ذلك ما قدروا عليه من الأموال والجواهر، وسأل الملك ذلك الرجل: ما أعجب ما رأيت من أعمالهم؟ فقال: نعم أخبرك أيها الملك؛ إنه قصدهم بعض ملوك البربر، وكان جبارا من أهل بيت سحر، بجاء بالجموع الكثيرة وتجايل هائلة، فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولجأوا إلى أصنامهم يخضعون لها ويتضرعون إليها، وكان لهم كاهن عظيم الشأن، فسار إليه رؤسائهم وشكوا إليه ما دهمهم من عدوهم، فأتى إلى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها، فجاس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها وزمزم على ماء البركة، فلم يزل كذلك حتى فار الماء وفاض، ونجست من وسطه نار نتاج، وظهر من وسطها وجه كدارة الشمس وعلى صورتها وضوؤها، فخر الجماعة وسجدوا لذلك الوجه، وتجايلهم نور؛ وجعل يعظم حتى ملأ البركة، وصعد حتى خرق سقف القبة، ثم ارتفع إلى رأسها وسمعه يقول: قد كفيتكم شر عدوكم، وأمرهم أن يأخذوا دوابهم ففعلوا

ذلك ، وهَلَكَ الملك الذي قصدهم وجميع من كان معه ، وأنصرفوا ، فأقبلوا يأكلون ويشربون ، فقلت لبعض الكهنة : لقد رأيت عجبا من ذلك الوجه فما هو ؟ فقال : تلك الشمس تبَدَّت لنا في صورتها وأهلكت عدونا ، صاحت بهم صيحة أحرقتهم فأصبحوا خامدين .

قال : وكان هذا الرجل عاقلا فاتخذهُ مَالِيقَ وزيراً . ولم يزل مَالِيقُ على التوحيد ، وهو مع ذلك يسير أهل البلد خوفاً من اضطراب مُلكه ، وأمر أن يُعْمَلَ له ناووس ، فكان يقصده ويتعبد فيه ، وأمر ألا يُدْفَن معه ذهب ولا جواهر ، فلم يُدْفَن معه شيء سوى الطَّيِّب وصحيفة مكتوبة بخطه فيها : هذا ناووس ملك مصر مَالِيقٌ ، مات مؤمناً بالله العليم لا يعبد معه غيره ، بريثاً من الأصنام وعبادتها ، مؤمناً بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال ، عاش كذا وكذا سنة ، ملك فيها كذا وكذا ، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليدين بما دان به . وأوصى ألا يُدْفَن معه في ناووسه أحد من أهله ، وكان قد كنز كنوزاً عظيمة وزبر عليها أن تخرجها أمة النبي المبعوث في آخر الزمان .

وأسخلف ابنه حرماً بن مَالِيق . قال : وكان ليّناً سهلاً الخلق ، لم يمت أبوه حتى شرح له التوحيد ، وأمره أن يدين به ، ونهاه عن عبادة الأصنام ، وكان معه على ذلك في حياته ، ثم رجع عنه بعد وفاته إلى دينهم . وكان سبب رجوعه إلى عبادة الأصنام أن أمه كانت من بنات كبار الكهّان ، فنقلته بعد موت أبيه إلى دينها وغلبته على رأيه ، وأمرت بتجديد الهياكل وتشدت في عبادة الأصنام . وتزوج حرماً امرأة من بنى عمه فأحبها حباً شديداً وهام بها ، فأفسدته على جميع نسائه ،

فاشتد ذلك على أمه، وكانت له قهرمانة من أهل سيوط ساحرة لا نطاق، وكانت تميل الى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أخاها، فزادت في صهرها لتلك المرأة فأوحشت ما بين الملك وأمّه حتى رفضها وأستخفّ بأمرها، وزاد الأمر حتى حلف ألا يجاورها، وأنه يغزو وينصرف فلا يرجع الى مصر أو يتصل به موثها، ففعل ذلك وغزا بلد الهند وأرض السودان .

- وكان سبب خروجه الى الهند أن ملكا من ملوكها يقال له مسور خرج في عدد كثير وسأيرته مراكبه في البحر ففتح بلدانا وجزائر، وأكثرت القتل والسبي، وذكرت له مصر فقصدتها وأعتل فرجع من طريقه، فأمر حرم الملك بعنل مائة سفينة على شكل سفن الهند، وتجهز وركب وحمل معه المرأة ووجوه أصحابه وقواده، وأستخلف أبنه كلكن على مصر وكان صبيا، وجعل معه وزيرا يقال له لاون، وكاهنا يقال له ويسموس، وخرج فمرّ على ساحل اليمن وعاث في مدائنه . وكان لا يمر بمدينة إلا أقام صنما وزبر عليه اسمه وسيرة ووقته، وبلغ سرنديب فأوقع بأهلها، وغنم منها مالا وجوهرا كثيرا، وحمل معه حكيما لهم، وبلغ جزيرة بين الهند والصين بها قوم سمر طوال يجزون شعورهم، ورأى لهم الدواب والطيور وشجر الطيب والتارجيل والفواكه التي لا تكون إلا عندهم، فأذعنوا له بالطاعة وحملوا اليه أموالا وهدايا فقبلها وسار عنهم . وأقبل ينتقل في تلك الجزائر عدة سنين ؛ فقبل : إنه أقام في سفره سبع عشرة سنة، ورجع إلى مصر بالظفر والغنيمة، ووجد أمه قد هلكت، ووجد أبنه على الملك كما أستخلفه ؛ فسر بذلك وهابه من حوله من الملوك . وبني عدة هياكل وأقام فيها أصنام الكواكب ؛ لأنها - فيما زعم - هي التي أيدته في سفره حتى ظفر بما ظفر به وغنم ما غنمه . وقد كان حمل

$\frac{10}{13}$

معه من الهند حكيا وطيبيا ، وكان معهما من كتبهم وحكمهم ما أظهرها به في مصر عجائب مشهورة ، وحمل معه صنما من أصنام الهند من الذهب مقرطا بالجواهر ، فنصبه على بعض الهياكل التي عملها . وكان حكم الهند يقوم به ويخذه ويقرب له . وكان يخبرهم بما يريدون منه .

قال : وأقام حرما بعد مُنْصَرَفِهِ من الهند مدة ثم غزا نواحي الشام فاطاعه أهلها وهادؤهُ ورجع إلى مصر . ثم غزا نواحي النوبة والسودان فصالحوه على خراج يحملونه له ، ورفع أقدار الكهنة وزاد في تعظيم دينهم ؛ فصوروه في هياكلهم ومضاجعهم ، وملكهم نحسا وسبعين سنة . وعمل لنفسه في صحراء الغرب ناووسا ، وعمل برقودة مصانع وعجائب ، وأقام بها إلى أن مات وأبْنُهُ كلكن بمنف ، فضمده جسده بالمويا والكافور والمز ، وجعل في تابوت من ذهب ، وجعل معه مَالٌ كثير ، وجوهر نفيس ، وسلاح عجيب ، وتماثيل وصنعة وعقاقير ، ومصحف الحكمة . وصور في جانب الناووس صورا وزبر عليها ذكر السفن التي سار فيها ، والبلدان التي فتحها ، وسد باب الناووس وزبر عليه اسمه ومدته وتاريخ الوقت الذي هلك فيه ، وقتل جماعة من نسائه أنفسهن عليه . وكان جميلا سمح الأخلاق ، وأغتم عليه الكهنة لإكرامه لهم ، وأهل المملكة لاتباعه لهم .

وملك بعده أبْنُهُ كلكن بن حرما ، وعقد التاج على رأسه بالإسكندرية بعد موت أبيه وأقام بها شهرا ورجع إلى منف . وكان أصناميا على دين أبيه وأستبشر به أهل مصر . وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم . ولم يزل يعمل الكيمياء في مدة ملكه ؛ فخرن أموالا عظيمة بصحارى الغرب . وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان مكتوما . وكان الملوك قبله

أمروا بترك صنعها لبلا تجتمع ملوك الأمم على غزوهم ، فعملها ولكن وملا دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب بمصر أكثر منه في وقته ولا الخراج ؛ لأنه كان في وقته — فيما حكاه القبط — مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف مثقال . قال : وكان المنقال الواحد من الصنعة يطرح على القناطير الكثيرة فيصبغها ،

فأستغنوا عن إثارة المعادن لقلة حاجتهم إليها . وعمل من الحجارة المسبوكة الملونة الصم التي تشف شيئا كثيرا لم يعمل مثله أحد من تقدمه . وعمل من الأدرك الملون والفيروز أشياء تخرج عن العقول ، حتى كان يسمى حكيم الملوك . وغلب جميع الكهنة في علومهم ، وكان يجبرهم بما يغيب عنهم ، فهاجوا إلى علمه .

وكان نمروذ بن كنعان الذي أهلكه الله تعالى على يد إبراهيم الخليل عليه السلام

في وقته ، يقال : إنه لما اتصل بنمروذ خبر حكمته استزاره فوجه إليه أن يلقاه

منفردا من أهله وحشمه بموضع كذا ، ففعل النمروذ ذلك وسار إلى الموضع الذي

ذكره ، وأقبل ولكن على أربعة أفراس تحمله ذوات أجنحة ، وقد أحاط به نور

كالنار ، وحوله صور هائلة قد خيل بها ، وهو متوشح بشعبان محتزما ببعضه ، والشعبان

فاغر فاه ، ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك الشعبان رأسه ضربه بالقضيب . فلما

رآه النمروذ هاله أمره وخاطبه ، فاعترف له بجليل الملك والحكمة ، وسأله أن يكون

ظهيرا له .

وتقول القبط : إن كلكن الملك كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة

تلوح على رأسه . وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم . ويقولون :

إنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب ، ثم أستتر عنهم مدة حتى

توهموا أنه هلك . وكان يبول في الأرض وحده حتى طمعت الملوك التي حوله

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ٥ من هذا الجزء .

في ملكه؛ فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له «سادوم» في جيش عظيم، وأقبل من ناحية المغرب من نحو وادي هيب ليكبس البلد، فأقبل حتى وافاهم، ثم جالهم بشيء من سحره كالغمام شديد الحرارة، فأقاموا تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون، فطار إلى مصر فاستأنس الناس لمقدمه، فعرفهم ما جرى وأمرهم بالخروج إليهم ليعرفوا خبرهم، فوجدوهم ودواهم أمواتا فعجبوا لذلك، وهابه الكهنة هيبة لم يهابوها أحدا قبله، وصوروه في جميع الهياكل، وملكهم زمانا.

وبنى في آخر عمره هيكلا لزحل من صوان أسود في ناحية الغرب، وجعل له عيدا، وجعل في وسطه ناووسا، وحمل إليه ما أراد من ذهب وجوهر، وحكم وعقاقير، وعرفهم بموته، وجعل على باب الناووس طائسات تمنع منه، وغاب عنهم فلم يقفوا على موته.

وكان قد أوصى إلى ابنه ماليا بن كككن فملك بعد أبيه. وكان شريها كثير الأكل والشرب، منفردا بالرفاهة، غير ناظر في شيء من الحكمة، وجعل أمر البلد إلى وزيره. وكان معجبا بالنساء، وكان له ثمانون امرأة، ثم اتخذ امرأة من بنات الملوك التي بمنف وكانت عاقلة سديدة الرأي، وكان بها معجبا فحتمه النساء. وكان له بنون وبنات، وكان أكبر بنيها يقال له: طوطيس، فكان يستجمل أباه فاعمل الحيلة في قتله، وإنما حملته على ذلك أمه وجماعة نسائه وبعض وزراء أبيه؛ فهجم عليه في وزرائه وهو سكران وتلك المرأة عنده فقتله وقتل المرأة وصلبها.

(١) وادي هيب: هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر فيا بين مريوط والقيوم، يجلب منه الملح والنطرون. عرف بهيب بن محمد الفقاري أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد فتح مصر (راجع خطط المقرئ ج ١ ص ١٨٦ طبع بلاق).

وملك بعده آبنه طوطيس بن ماليا وجلس على سرير الملك . وكان جبّارا جريئا شديد البأس مهيبا ؛ فدخل عليه الأشراف وهشوه ودعّوا له ، وأمرهم بالإقبال على مصالحهم وما يعينهم ، ووعدهم الإحسان .

والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر ، وهو فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقولون إن الفراعنة سبعة هو أولهم . قال : ثم تذاكر الناس ما فعله بأبيه وأنكره .
وآستقبحوا صلبه المرأة فأنزلها ودفنها ، وآستخف بالكهنة والهاياكل .

ولنذكر خبره مع إبراهيم الخليل عليه السلام في أمر سارة^(١) ، ونورد من ذلك ما أورده أهل الأثر وما ورد في الحديث الصحيح النبوي من هذه القصة . قال إبراهيم بن القاسم الكاتب في سياقه أخباره : لما فارق إبراهيم عليه السلام قومه والتمروذ بن كنعان ونزل الشام ثم خرج إلى مصر ومعه سارة امرأته وخلف ابن أخيه لوطا بالشام وسار إلى مصر ، وكانت سارة أحسن نساء العالمين في وقتها ، ويقال إن يوسف الصديق ورث جزءا من حسناتها لأنها جدّة أبيه . قال : فلمّا سار إبراهيم إلى مصر وآتى الحرس المقيمون على أبواب المدينة فرأوا سارة وعجبوا من حسناتها ورفعوا خبرها إلى طوطيس^(٢) . وقد روينا في ذلك حديثا بسندنا الذي قدّمناه إلى أبي عبد الله البخاري رحمه الله قال : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك

(١) سارة : بخفيف الراء . وقيل بتشديد ها .

(٢) في شرح البخاري للقسطلاني (ج ٤ ص ١٢٢ طبع بلاق سنة ١٢٩٣ هـ) أن اسم هذا الملك

صاروق ، وقيل ستان بن علوان ، وقيل عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر .

(٣) في شرح البخاري للقسطلاني : « هي مصر . وقال ابن قتيبة : الأردن » .

من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء ؛
 فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك ؟ قال : أختي . ثم رجع إليها فقال : لا تكذبي
 حديثي فإني أخبرتكم أنك أختي ؛ والله إن على الأرض من مؤمن غيري وغيرك ؛ فأرسل
 بها إليه فقام إليها فقامت تَوْضاً وتصلى ، فقالت : اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك
 وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر ، فغَطَّ حتى ركض برجله .
 قال الأعرج : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : إن أباه ريرة قال : قالت : اللهم إن يمت
 يقال هي قتلته فأرسل ، ثم قام إليها فقامت تَوْضاً وتصلى وتقول : اللهم إن كنتُ
 آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر ،
 فغَطَّ حتى ركض برجله . قال عبد الرحمن : قال أبو سلمة : قال أبوه ريرة : فقالت :
 اللهم إن يمت فيقال هي قتلته فأرسل في الثانية أو في الثالثة . فقال : والله ما أرسلتم إلى
 إلا شيطاناً ! إرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها أجر ، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام
 فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة . هذا ما روينا من صحيح
 البخارى . وقد ورد في أخبار طوطيس زيادات نذكرها ؛ وهو أن الملك لما أطلقته
 في المرة الثالثة قال لها : إن لك رباً عظيماً لا يُضَيِّعُك ، وأعظم قدرها وسألها عن إبراهيم
 فقالت : هو قريبي وزوجي . قال : فإنه ذكر أنك أخته . قالت : صدق أنا أخته
 في الدين ، وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا . قال : نعم الدين دينكم ! ووجهها إلى
 ابنته حوريا ، وكانت من العقل والكمال بمكان كبير ، فألقى الله تعالى محبة سارة في قلبها
 فعظمتها حوريا وأضافتها أحسن ضيافة ، ووهبت لها جوهرها ومالا ، فأتت

(١) إن بكسر الهمزة وسكون النون نافية بمعنى « ما » . (٢) غط : بضم الغين
 المعجمة وتشديد الطاء المهملة ، أى أخذ يحجى نفسه حتى صعب له غطيظ . (٣) يقال هي قتلته :
 ببايات الألف في « يقال » على أن جواب الشرط المحذوف تقديره « ... أعذب ويقال ... » .
 (٤) هي حابرام اسماعيل كما يأتي بعد . (٥) راجع (ج ٣ ص ٣٥ طبع بلاى سنة ١٢٩٠) .

به إبراهيم عليه السلام فقال لها : رُدِّيهِ فلا حاجة لنا به فردته ؛ فذكرت حوريا ذلك لأبيها فعجب منها وقال : هؤلاء من قوم كرام ومن أهل بيت طهارة فتحلى في برّها بكل حيلة ، فوهبت لها جاريةً قبطيةً من أحسن الجوارى يقال لها آجر ، وهى هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وعملت لها ميلالا من الحلوى وقالت : يكون معك هذا للزاد . وجعلت تحت الحلوى جوهرًا نفيسًا وحليًا مصبوغًا مكّلاً . فقالت :
 ٥ أشاور صاحبي ؛ فأتى إبراهيم عليه السلام فشاورته فقال : إذا كان ما كولا نخذه ، فقبلته منها وخرج إبراهيم عليه السلام . فلما أمعنوا في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابها الجوهر والحلى ، فعرفت إبراهيم ذلك ، فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل وفرق بعضه في وجوه البر ، وكان يُضيف كل من مرّ به .

١٠ قال : وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة فعزّفه أنها بمكان جذب وتستغيثه ، فأمر بحفر نهر في شرقي مصر يمرّ بسفح الجبل حتى يتمى إلى مرفأ السفن في البحر المالح ، فكان يحمل إليهما الحنطة وأصناف الغلات فتصل إلى جُدّة وتحمل من هناك على المطايا ، فأحيا بلد الحجاز مدة . ويقال : إن كل ما حُلِّيت به الكعبة في ذلك العصر هو مما أهداه ملك مصر . ويقال : إنه لكثرة ما كان طوطيس يحمله إلى الحجاز سُمّيته العرب «جُرْمُ الصادق» وكذلك يسمّيه كثير من أهل الأثر . وقد تقدّم في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام أن أسم الملك صادق ، ويقال : إنه سأل إبراهيم عليه السلام أن يبارك له في بلده ، فدعا بالبركة لمصر ، وعزّفه إبراهيم أن ولده سيملكها و يصير أمرها إليه .

٢٠ قال : وطوطيس أول الفراعنة بمصر ؛ وذلك أنه أكثر القتل حتى قتل قرايبته وأهل بيته وبني عمه وخدمه ونسائه ، وأكثر الكهنة والحكماء . وكان حريصا على الولد

فلم يرزقه الله ولدا غير ابنته حوريا، وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء، فأبغضته وأبغضه الخلق : الخاص والعام . فلما رأت أمره يزيد خافت على زوال ملكهم فسمته فهلك . وكان ملكه سبعين سنة . ولما مات اختلفوا فيمن يملكوه عليهم بعده فقالوا : لا يملك علينا أحد من أهل بيته، وأرادوا تملك بعض ولد أتريب ، فقام بعض الوزراء ودعا إلى تملك ابنته لصنيعها فيه، ولما كانت تنكر عليه، وتبعه أكثر القواد والوجوه قتم لها الأمر .

وملكت حوريا بنة طوطيس وجلست على سرير الملك، ووعدت الناس بالإحسان، وأخذت في جمع الأموال وحفظها، فاجتمع لها من الأموال والجوهر والحلى والطيب ما لم يجتمع لملك، وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم، وأمرت بتجديد الهياكل وتعظيمها . وسار من لم يرضها إلى مدينة أتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد أتريب يقال له أنداخس ، فعقد على رأسه تاجا وأنضم إليه جماعة من بنى عمه وأهل بيته، فأنفذ إليه جيشا فخاربه ، فلما رأى أنه لا طاقة له بهادعاها إلى الصلح وخطبها إلى نفسه وقال لها : إن الملك لا يقوم بالنساء، وخوفها أن يزول ملكهم بملكها، فعملت صنيعا وأمرت أن يحضره الناس على منازلهم ، فحضروا وأكوا وشربوا وبذلت لهم الأموال وعزفتهم ما جرى من خطبتها، فبعض صوب الرأي، وبعض امتنع وقالوا : لا يتولى علينا غيرها معرفتنا بعقلها وحكمتها، وهى وارثة الملك ، وشبوا على نفر من خالفها فقتلوه، وخرجوا في جيش كثيف فلقوا جيش الخارج بأتريب فهزموه وقتلوا كثيرا من أصحابه، فهرب إلى أرض الشام وبها الكنعانيون من ولد عمليق، فاستغاث بملكهم وضمن له أخذ مصر وفتحها، فجهزه بجيش عظيم إلى مصر، فاجتمع الناس كلهم إلى حوريا، ففتحت خزائن أبيها وقرقت ما فيها على الناس فأحبوها، وقوت السحرة بالمسال ووعدتهم الإحسان .

- فلما تقدّم أنداخس بالجيش أمرت السحرة أن يعملوا له عملاً ، وكان على جيوشهم قائدٌ من عظماء قواد ملكهم يقال له جيرون ؛ فلما نزلوا أرض مصر بعث ظئراً لها من عقلاء النساء إلى جيرون سرّاً من أنداخس تعرّفه رغبته في تزويجه ، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها ، وأنه إن قتل أنداخس تزوجت به وسلمت إليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه . فرغب في ذلك وسمّ أنداخس بسم أنفذته إليه . فقتله ؛ فوجهت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تُظهر في بلدي قوتك وحكمتك وتنبئ لي مدينةً عجيبة — وكان اختارهم حينئذ بالبتيان وإقامة الأعلام وعمل العجائب — وقالت له : انتقل من موضعك هذا إلى غربي بلدي فم آثار لنا كثيرة فاقف تلك الأعمال الغريبة وآبن عليها . ففعل ذلك وبني لها مدينة بصحراء الغرب يقال لها تندومة^(١) ، وجرّ إليها من النيل نهراً وغرس عليها غروما كثيرة ، وأقام بها منارا عالياً ، وعمل فوقه منظراً وصفّه بالذهب والفضة والصُّفْر والرَّخام المأوّن والزجاج المسبوك وأبدع في عمله . وكانت تمذه بالأموال وتكتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لا يعلم . فلما فرغ من بناء المدينة قالت له : إن لنا مدينة حصينة كانت لأوائنا وقد تحربت منها أمكنة [وتسمعت حصنها] فامض إليها واعمل في إصلاحها إلى أن أنتقل إلى هذه المدينة التي بنيتها وأنقل إليها جميع ما يحتاج إليه ، فإذا فرغت من إصلاح تلك المدينة فأنفذ إلى جيشا حتى أصير إليك وأنظر ما صنعت ، وأبعد عن مدينتي وأهل بيتي فإني أكره أن آتيك بالقرب منهم . ففضى وجدّ في عمل الإسكندرية الثالثة . قال : وأهل التاريخ يسوقون شيئا من أخبار أنداخس ويذكرون أنه الذي قصده الوايد بن دومع العمليقي ، وهو ثاني الفراعنة . وكان سبب قصده له أنه كانت به علة فوجهه إلى المواضع ليحمل إليه من مياهاها حتى يعرف ما يلائم جسده ، فوجهه
- (١) في خطط المقرئ (ج ٣ ص ٧٤ طبعة فيث) : « أندومة » . وأشار في الهامش إلى أنها وزدت أيضا باسم « تندومة . قندومة . فندومة » . (٢) الزيادة من المقرئ .

غلاما له فأتى مملكة مصر ووقف على كثرة خيراتها^(١) وحمل إلى صاحبه من مائها
والطائفها وعاد إليه ، فعزفه حال مصر فتصدها في جيش كثيف حتى حط عليها ،
وكتب الملكة وخطب إليها نفسها ، فوجهت إليه من أشرف على حاله فوجد قوما
عظاما لا يقوم بحربهم ، فأجابته إلى الزواج والطفقة وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة
يظهر فيها أيده وقوته ويجعلها مهرا لها ، فأجابها ودخل مصر وأتى إلى ناحية الغرب
ليبنى لها المدينة ناحية الإسكندرية ، فأمرت أن يتلقى بأصناف الرياحين والفواكه
وتحلق وجوه الخيل ، فضى إلى الإسكندرية - وقد خربت بعد خروج العادية منها^(٢) -
فنقل منها ما كان من حجارها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث
إليها مائة ألف فاعل ، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال ، وكان
كلما بنى بناء خرجت من البحر دواب تقلعه فإذا أصبح لم يجد منه شيئا ، فاهتم لذلك .

١٤
١٣

وكانت حوريا قد أنفذت إليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها
في مطبخه ، وكانت مع راع يثق به ، وكان ذلك الراعى يطوف بها ويرعاه هناك ،
فكان إذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت إليه من البحر جارية حسنة فتتوق
نفسه إليها ، فإذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه فإن صرعها كانت له وإن صرعه
أخذت رأسين من المعز ، فكانت على طول الأيام تصارعه وتأخذ من الغنم حتى
أخذت أكثر من نصفها وتغير باقيا لشغله بحب تلك الصورة عن رعيها ، وتغدير
هو أيضا في جسمه وتحمل ، فمز به صاحبه وسأله عن حاله وحال الغنم فخبره الخبر
خوف سطوته فقال : أى وقت تخرج ؟ قال : قرب المساء . فلبس ثياب الراعى
وتولّى رعية الغنم يومه إلى المساء ، وخرجت الجارية فشرطت عليه كما شرطت على
الراعى ، فأجابها وصارعه فصرعها وقبض عليها وشدها فقالت له : إن كان لا بد

(١) كذا في المقرئ . وفي الأصول : « خزانها » . (٢) كذا في الأصول والمقرئ .
والعادية : نسبة إلى قبيلة عاد البائدة . (٣) رعية : بكسر الزاء ، اسم من رعى الماشية يرعاها .

من أخذنى لصاحبى الأول فإنه ألطف بى ، وقد عذبته مرة بعد مرة ،
 فردّها إليه وقال له : سلها عن هذا البنيان الذى بنيتّه ويزول من ليلته من يفعل به
 ذلك ؛ وهل فى بنائه من حيلة ؟ فسألها الراعى عن ذلك فقالت : إن دوابّ البحر
 التى تترع بانيانكم . قال : فهل فيها من حيلة ؟ قالت : نعم . قال : وما هى ؟
 ٥ قالت : تعمل تواييت من زجاج كثيف بأغطية وتجعل فيها قوما يحسنون الصناعة
 فى التصوير ، وتجعل معهم صحفاً وأنقasha وزادا يكفيهم أياما ، وتجعل التواييت
 فى المراكب بعد أن تشدّها بالحبال ، فإذا توسطوا الماء صوّر المصوّرون جميع
 ما مرّ بهم وترفع تلك التواييت من الماء ، فإذا وقفت على تلك الصور فاعملوا لها
 أشباها من الصّفّر أو من الحجارة أو من الرصاص وأنصبوها أمام البنيان الذى تبنونه
 ١٠ من جانب البحر ، فإن تلك الدوابّ إذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد .
 فعترفه الراعى ذلك ففعله ، وتمّ بناء المدينة .

وقال قوم من أهل التاريخ : إن صاحب البناء والغم جيرون [المؤتفكي^(١)]
 وكان قصدهم قبل الوليد ، وإنما أنام بعد حوريا وقهرهم جيرون وملك مصر .
 وذكروا أن الأموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدة ولم يتم البناء ،
 ١٥ فأمر الراعى فسأل تلك الجارية فقالت : إن فى المدينة التى نحريت ملعبا مستديرا
 حوله سبعة عمود على رؤوسها تماثيل^(١) [من] صُفّر قيام ، فقرب لكل تماثل منها نورا
 سمينا واطّخ العمود الذى عليه التماثل من دم الثور ، وبخره بشعر من ذنبه وشيء من
 نخاعه قرونه وأظلافه ، وقل له : هذا قربانك فأطلق لى ماعنك ، ثم قس من كل عمود
 إلى الجهة التى يتوجّه إليها وجه التماثل مائة ذراع وأحفر ، ولكن ذلك فى وقت أمّلاء
 ٢٠ القمر واستقامة زحل ؛ فإنك تنتهى بعد خمسين ذراعا إلى بلاطة عظيمة فلطّخها بمرارة
 الثور وأقلعها فإنك تنزل منها إلى سرب طوله خمسون ذراعا فى آخره خزانة مقفلة ومفتاح

القفل تحت عتبة الباب نغذه ولطخ الباب ببقية مرارة الثور ودمه وبجره بئحة قرونه وأظلافه وشعره، وأدخل الباب بعد أن تخرج الرياح التي فيه، فإنه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صُفْر معلق مكتوب فيه جميع ما في الخزانة من مال وجوهر وتمثال وأعجوبة، نغذ منه ما شئت ولا نتعرض لميت تجده ولا لما عليه؛ وكذلك فافعل بكل عمود وتمثاله؛ فإنك تجد في تلك الخزائن نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم. فلما سمع ذلك سرّ به وفعله فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد من العجائب شيئا كثيرا؛ فتم بناء المدينة. وأتصل ذلك بحوريا فساءها؛ وإنما كانت أرادت إتمامه وهلاكه بالحيلة عليه. فيقال: إنه فيما وجد من العجائب درج ذهب مختوم بطين ذهب فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعها عرق جوهر أحمر، من اكتحل من ذلك الذرور وكان أشيب عاد شابا وأسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك النظر إلى أصناف الروحانيين، ويوجد تمثال من الذهب إذا أظهر غيمت السماء وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوّت وأجاب عنه. ويقال: إنه كان في كل خزانة عشر أعجوبات.

قال: فلما فرغ جيرون من بناء المدينة وجه إليها يعلمها ذلك ويحتمها على القدم، فحملت إليه فرشا فاخرة وقالت: أبسطها في المجلس الذي تجلس فيه، وأقسم جيشك أنلانا وأنفذ إلى ثلثه، حتى إذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ إلى الثلث الآخر، فإذا جرت نصف الطريق فأنفذ إلى الثلث الباقي، ويكونون من وراني لثلاثين في جوار إذا دخلت عليك، ولا يكن عندك إلا صبية تنق بهم يخدمونك فإني أوافيك في جوار تكفيك الخدمة ولا أحشمهم؛ ففعل. وأقامت تحمل إليه الجهاز والأموال حتى علم بمسيرها ووجه إليها ثلث جيشه فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة، فلما أتوها استترهم جوارها وحشمها وأقبلوا عليهم بتلك الأطعمة والأشربة والطيب والكساء.

واللهو فلم يصبح منهم أحد يعيش ، ولقيها الثلث الثاني والثالث بعده ففعلت بهم كذلك ،
وهي توجه إليه أنها أنفذت جيشه إلى قصرها وملكتها يحفظونه ، إلى أن دخلت
عليه هي وظئرها وجوار كن معها ، فنفتحت ظئرها في وجهه نفخة بُهِت إليها ورشت
عليه ماء كان معها فأرتعدت مفاصله فقال : من ظن أنه يغلب النساء فقد كدّبه نفسه
وغلبته النساء ، ثم فصّدت عروقه وأسالت دمه وقالت : دماء الملوك شفاء .
وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فنصب عليه وحملت تلك الأموال إلى منف .
وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها وآسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت .
قال : ولما اتصل خبرها بالملوك الذين يتأخون بلدها ، هابوها وأذعنوا لها
وهادّوها . وعمات بمصر عجائب كثيرة ، وأقطعت أهل بيتها وقوادها وحشمها أقطاعا
كثيرة ، وأمرت أن يبنى على حد مصر من ناحية النوبة حصن وقنطرة يجرى ماء
النيل من تحتها . وأعلنت حوريا فاجتمع إليها أهل مملكتها وسألوها أن تقدّم عليهم
ملكا ، ولم يكن في ذلك الوقت من ولد أبيها وأهل بيته من يصلح لذلك ، فقلدت
عمتها دليفة بنت ماموم ، وكانت عذراء من عقلاء النساء وكبراهن ، فعيّدت إليها
وأخذت لها المواثيق على أهل مصر ألا يُسلّوها وأن يتبعوا أمرها ، وسلمت إليها
مفاتيح خزانها ، وأطاعتها على مواضع كنوز آبائها وكنوزها ، وأمرت أن يضمّد
جسدها بالكافور وتحمل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب ، وقد كانت
عملت لها فيها ناووسا وعملت فيه عجائب ونقات إليه أصنام الكواكب ، وزينته
بأحسن الزينة ونصبت له قومة ، وأسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة وأصحاب
العلوم والمهن وبعض الجيش ، وعمرت تلك المدينة فلم تزل على حالها من العماره
إلى أن حرقها مُخْتَصِر وحمل بفض كنوزها .

(١) في المقرئى : « مامون » بالنون .

وجلست دليفة بنت ماموم على سرير الملك بعد وفاة حوريا، واجتمعت الكلمة عليها وأحسنّت الى الناس ووضعت عنهم راج سنة، وقام عليها أيمن بطاب^(١) بنار خاله انداخس، واستنصر بملك العالقة فوجه معه قائدا من قواده في جيش كثيف، فأخرجت اليه دليفة بعض قوادها فالتقوا بالعريش، وجعل سحرة الفريقين يُظهرون التخلييل الهائلة والعجائب العظيمة والأصوات التي تفرع الأسماع وتؤلّمها، فأقاموا مدة يتكافئون الحرب ويتراجعون فهلك بينهم خلق كثير، ثم أنهزم أصحاب دليفة الى منف وسار أصحاب أيمن في آثارهم، ومضت دليفة في جمع من جيوشها الى ناحية الصعيد فزلت الأشمونين وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش ووقعت الحرب بينهم بناحية الفيوم وختل أصحاب دليفة الماء بينهم وبين عدوهم، واستنجدت دليفة بأهل مدائن الصعيد فحاربوا أصحاب أيمن حتى أزالوهم عن منف، وكانوا قد ظفروا بها وعاثوا فيها، فهزموهم حتى ركبوا المراكب وعدوا الى ناحية الخوف، وكان معهم ساحر من أهل ناحية قفط فأظهر بسحره نارا حالت بينهم وبين أصحاب دليفة، فلما زاد الأمر وأشفق أهل مصر من خروجها عن أيديهم سَفَر السفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قسمة بينهم فأجاب كل منهما الى الصلح، ثم غدرت دليفة بعد ذلك بأيمن وأخرجت الأموال والجواهر وفرقتها في الناس، وكان بعضهم قد لامها في الصلح، فرجعت الى الحرب فأقاموا ثلاثة أشهر ثم ظهر أيمن عليها وهزمها الى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة، فلما رأت ذلك سَمَت نفسها فهلكت.

وملك بعدها أيمن، فتجبر وقتل خلقا كثيرا ممن كان حاربه. وكان الوليد بن

دومع العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن

(١) العالقة : من ولد عمليق بن لاد بن سام بن نوح عليه السلام.

ما يوافقه منها؛ فلما صار بالشام انتهى إليه خبر مصر وعظم قدرها ، وأن أمرها قد صار إلى النساء وبادت ملوكها؛ فوجه غلاما له يقال له عون، فسار إلى مصر وفتحها وحوى أموالا، ومولاه لا يعرف خبره ولا يشك في هلاكه وهلاك الجيش الذي معه ، لما كان يسمع عما بمصر من الطلسمات والسحر؛ ثم اتصل به خبره فسار إلى مصر فلتقاه عون وعرفه أنه كان عزم على المسير إليه وإنما أراد تعديل البلد وإصلاحه فقبل قوله ودخل .

- وملك مصر الوليد بن دومع العمليقي ، واستباح أهلها وأخذ أموالها وقتل جماعة من كهنتها، ثم سئح له أن يخرج فيقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الأمم ويفزوهم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه . وأصلح ما يحتاج إليه ، واستخاف عونا على البلد وخرج في جيش كثيف فلم يمز بأمة إلا أبادها . فيقال : ١٠ إنه أقام في سفره سنين كثيرة ، وإنه مر على أمم من السودان وجاوزهم ، ومر على أرض الذهب وفيها قضبان نابتة؛ ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل إليها من الأنهار التي تخرج من تحت جبل القمر^(١)؛ ثم سار حتى بلغ هيكल الشمس فدخله . ويقال : إنه خطب فيه . وسار حتى بلغ جبل القمر؛ وهو جبل عال . وإنما سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لخروجه عن خط الاستواء . ونظر ١٥ إلى النيل يخرج من تحته . وقد تقدم خير النيل^(٢) .

(١) توجد بالجهات الاستوائية في المصوّرات الجغرافية القديمة ومنها « الخريطة المنسوبة إلى الإدريسي عن ملر » ثلاث بحيرات هي التي تسمى : البطيحة الغربية ، والبطيحة الشرقية ، وبينهما البطيحة الكبرى ، وهي التي يخرج منها نهر النيل المصري ، ونهر النيل السوداني الذي يطلق عليه اسم النيجر ، وإلى الجنوب من هذه البطائح توجد سلسلة جبال القمر ، ويظن أن البطيحة الكبرى هي التي تسمى الآن « فيكتور بانيازره » وهي التي أشار إليها المؤلف هنا (أفانديه الأستاذ الجليل الشيخ محمد نغر الدين بك) .

(٢) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم . والثقات منهم على أنه بضم القاف وسكون الميم (انظر تقويم البلدان ص ٦٤ طبع باريس) . (٣) راجع (ج ١ ص ٢٦٢ من هذه الطبعة) .

قال : ودخل الوليد القصر الذي فيه تماثيل النحاس التي عَمِلَهَا هِرْمِس الأول في وقت البودسير الأول بن قفطريم . قال : ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليا فأعمل الحيلة وصعد عليه ليرى ما خلفه ، فأشرف على البحر الأسود الزرقى المتن ، ونظر إلى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق ، وأنته من ذلك البحر روائح منتنة هلك كثير من أصحابه من ريحها فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك .

قال : وذكر قوم أنهم لم يروا شمس ولا قمر وإنما رأوا نورا أحمر كنور الشمس عند مغيبها . وأقام الوليد في غيبته أربعين سنة . وأما عون الذي استخلفه بمصر فإنه فعل في غيبة الوليد ما نذره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر عون وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها

قال : ولما مضت من غيبة الوليد بن دوع سبع سنين تجبر غلامه عون بمصر ، وآذع أنه الملك ، وأنكر أن يكون غلاما للوليد ، وأنه أخوه وقَّده الملك بعده ، ووثب على الناس وغلَّبهم بالسحرة وأسنى جوائزهم ولم يمنعهم محابهم ؛ فقالوا إليه ووثقوا أمره ، فلم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا إلا أخذه وقتل صاحبه . وكان مع ذلك يلزم الهياكل ويكرم الكهنة ، فكانوا يُسْكُون عنه إشفاقا منه وخوفا من السحرة الذين معه ؛ إلى أن رأى في منامه الوليد بن دوع وكأنه يقول له : مَنْ أَمْرُكَ أَنْ تُتَسَمَّى بِأَسْمِ الْمَلِكِ ، وقد علمت أنه من فعل ذلك استحققت القتل ، ونكحت بنات الملوك وأخذت الأموال بغير واجب ، ثم أمر بقدر فقلت زيتا وأحميت على أنه يغمر فيها ، فلما غلت أمر بترع ثيابه فأتى طائر في صورة عقاب فاخطفه من أيديهم وحلق به في الجوز جعله في هوة على رأس جبل ، وأنه سقط من رأس الجبل إلى واد فيه حية ، فأنبته مرعوبا طائر العقل . وقد

كان في فعله ذلك وتملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرة كاد عقله يزول، خوفا منه لما يعلمه من فظاظته وبطشه وقوته . ولم يتيقن هلاكه وأضر في نفسه الحرب من مصر بما معه من الأموال .

قال : ولما رأى الرؤيا لم يشك في حياة الوليد وأنه سيعود ، فأطلع بعض السحرة ممن يشق به على أمره وقال : إني خائف من الوليد وقد عزمت على الخروج من مصر فما الوجه عندكم ؟ قالوا : نحن نُحْيِيكَ منه على أن تقبل منا . قال : قولوا ، قالوا : تعمل عقابا وتعبد به ، فإن الذي حصنك منه أحد الروحانيين وهو يريد ذلك منك . قال عون : أشهد لقد قال لي وأنا معه : أعرف لي هذا المقام ولا تنسه . قالوا : قد بينا لك . فأجابهم إلى ذلك وعمل عقابا من ذهب وعمل عيذه جوهريتين ووشحه بأصناف من الجواهر ، وعمل له هيكلا لطيفا وجعله في صدره وأرعى عليه ستور الحرير ، وأقبل أولئك يتخرونه ويقربون إليه ويستحرون إلى أن نطق لهم ، فأقبل عون على عبادته ودعا الناس إليها فأجابوه .

فلما مضى لذلك مدة أمره العقاب ببناء مدينة يحوله إليها وتكون معقلا له وحرزا من كل أحد . فأمر عون أصحابه أن يخرجوا إلى صحارى الغرب ويطلبوا كل أرض سهلة حسنة الاستواء ، ويكون المدخل إليها بين هجول صعبة وجبال وعرة ، ويتوخوا أن تكون قريبة من ناحية مغيض المساء التي هي اليوم الفيوم . وكانت مغیضا لماء النيل حتى أصلحها يوسف عليه السلام على ما نذكره إن شاء الله . وإنما أراد عون بذلك ليجر الماء منها إلى مدينته التي بينها ، فخرج أصحابه وأقاموا شهرا يطوفون الصحارى حتى وجدوا له بغيته ، ولم يبق فاعل ولا مهندس ولا أحد ممن

٢٠ (١) هجول : جمع هجل (يفتح فسكون) ، وهو المطنن من الأرض .

يُصْرَبُ البناء ويقطع الصخور ويختها إلا وجهه به عون إليها ، وأنفذ معهم ألف رجل من جيشه وسبعائة ساحر يعاونونهم بالروحانيين الذين في طاعتهم ، وأنفذ معهم جميع الآلات وأقام يحمل لهم الزاد إلى هناك شهورا على العجل ، وطريق العجل على الفيوم واضحة في صحراء الغرب وخلف الأهرام — وهي التي يقصدها أصحاب المطالب — مشهورة .

قال : فلما تكامل له ما أراد من ذلك ومن نحت الأحجار حَفَلُوا المدينة فرسخين في فرسخين ، وحفروا في الوسط بئرا وجعلوا في تلك البئر تمثال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة من نحاس وجعلوا وجهه إلى الشرق ، وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له في شرفه ، وأخذوا خنزيرا فذبجوه له ولطخوا وجهه بدمه ويجزوه بشعره ، وأخذوا شيئا من عظامه ولحمه ومرارته فجعلوه في جوف ذلك الخنزير النحاس ، وجعلوا في أذنيه شيئا من مرارته ، وأحرقوا بقية الخنزير ، وجعلوا رماده في قلة نحاس بين يدي الخنزير النحاس ، ونقشوا عليه آيات زحل ، ثم شقوا في البئر أخذودا من أربعة وجوه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ومدوا تلك الأخاديد إلى حيطان المدينة ، وعملوا على أفواهاها مسارب تجلب الرياح إليها ، ثم سدوا البئر وعملوا عليها قبة على عمد مربعة ، وجعلوا منها شوارع كل شارع ينتهي إلى باب من أبواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل ، وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديهما حراب ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب ، وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود وفوقه أحمر وفوقه أصفر وفوقه أخضر ، وفوق الجميع أبيض يشق ، مثبتة كلها بالرصاص المصبوب بين الحجارة ، وقلوبها أعمدة من حديد على وضع بناء الأهرام ، وجعل طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين ذراعا ، ونُصِبَ على كل رأس باب من أبوابها في أعلا الحصن تمثال عقاب كبير من صنف وأخلاق ناشر الجناحين أجوف ، وعلى كل ركن صورة فارس بيده حرب ووجهه

إلى خارج المدينة؛ وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقى ينحدر في صَبَبٍ إلى الباب الغربى ويخرج إلى صهاريج هناك، وكذلك من الباب الجنوبي إلى الشمالى، وقرب تلك العقبان عقباناً ذكوراً، واجتذب الرياح إلى أفواه التماثيل، فكانت الرياح إذا دخلتها سُمِعَتْ لها أصواتٌ شديدة لا يسمعها أحد إلا هالته، وصمدها بعقاريت تمنع الداخل إليها إلا أن يكون من أهلها، ونصب العقاب الذى كان يعبدته تحت القبة التى فى وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان فى كل ركن منها وجه شيطان، وجعلها على عمود يديرها، والعقاب يدور إلى كل الجهات الأربع، ويقم فيها ربع السنة، يقرب إليه من جهتها .

فلما فرغ من ذلك كله حمل إليها جميع الأموال والجواهر المخزونة بمصر وما وجدته فى خزانى الملوك، ومن التماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وغير ذلك، وحول إليها بكار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار، وقسم المساكن بينهم لا يختلط أهل صنعة بغيرها، وعمل لها رِبَضٌ^(٢) يحيط بها، وبني فيه منازل لأصحاب المهن والزراعة، وعقد على تلك الأنهار قناطر يمر عليها الداخل إلى المدينة، وجعل الماء يدور حول الرِبَضِ؛ ونصب عليها أعلاماً وحرساً، ثم غرس وراء ذلك بالبرية النخل والكروم وأصناف الأشجار، ومن وراء ذلك مزارع الغلات من كل جهة، وكان يرتفع له بها فى كل سنة ما يكفيه لعشر سنين، كل ذلك خوفاً من الوليد .

قال : وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام؛ فكان عونٌ يخرج إليها فيقيم بها عشرة أيام ثم يعود إلى منف، وكان لها أربعة أعياد فى السنة، وهى الأوقات التى يتحول العقاب فيها . فلما تم ذلك كله لعون أطمأن قلبه، وسكنت نفسه .

(١) فى خطط المقرئى (ج ١ ص ٢٤١ طبع بلاق) : «وركل بها أرواحا تمنع الداخل إليها...» .

(٢) الرِبَض هنا : سور المدينة .

ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته

قال : ثم وافا كتاب الوليد بن دؤم من نواحي النوبة إلى عون يأمره أن يُنفذ^(١) إليه الأزواد وينصب له الأسواق؛ فوجه إليه ذلك في المراكب وعلى الظهر، وحول جميع عياله ومن أصطفاه من بنات ملوك مصر وكبرائها إلى المدينة، حتى إذا قرب دخول الوليد إلى مصر خرج عون إلى مدينته وخلف خليفة على مصر يكون بين يدي الوليد. ودخل الوليد مدينة منف وتلقاه أهل مصر وشكروا إليه عوناً وما حل بهم منه. قال : وأين هو؟ قالوا : فر منك. فغضب الوليد وأمر بجيش كثيف ينفذ إليه، فعرفوه أن الجيش لا يصل إليه، وأخبروه خبر المدينة وكيف بناها وخبر السحرة الذين معه. فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ويحذره التخلف عنه، ويقسم أنه إن لم يفعل وظفر به بضغ لمح يَضَعاً. فردّ جوابه يقول : ما على الملك مني مؤنة، وأنا لا أتعرض إلى بلده ولا أعيش فيه؛ لأني عبده، وأنا له في هذا الموضع أرد كل عبدو يأتيه من نواحي الغرب، ولا أقدر على المصير إليه لخوفي منه، فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه إليه ما يلزمني من الخراج والهدايا. ووجه إليه بأموال جليلة وجوهر نفيس. فلما رأى ذلك كف عنه. وأقام الوليد بمصر فاستعبد أهلها واستباح حريمهم وأموالهم. وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسئموا أيامه. واتفق أنه ركب في بعض الأيام إلى الصيد فالتقاء فرسه في وهدة فهلك. وكان ابنه الريان يُكر عليه فعله ولا يرضاه. فلما هلك عمل له ناووسا قرب الأهرام. وقيل : بل دفن في الهرم.

(١) الظهر : الركاب التي يحمل الأثقال في السفر، حملها إياها على ظهرها.

ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد بن دوميح، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نهراوش^(١)، وجلس على سرير الملك. وكان عظيم الخلق، جميل الوجه، عاقلا متمكنا، فتكلم ومتى الناس وضمن لهم الإحسان وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين، فأنشوا عليه وشكروه، وأمر بفتح الخزان ونزق ما فيها على الخاص والعام، وتمكنت منه أربحية الصبا فللك على الرعية رجلا من أهل بيته يقال له أطفين، وقيل في اسمه: قطفير، وقيل: قوطيفر، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز. وكان من أولاد الوزراء. وكان عاقلا أديبا متمكنا صائب الرأي كثير النزاهة مستعملا للعدل والعامة والإصلاح. وأمر الريان أن ينصب له في قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه ويغدو ويروح إلى باب الملك، ويخرج بجميع الوزراء والعلماء والكتاب بين يديه، فكفى الريان ما خلف سريره وقام بجميع أمره وأخلاه لذاته، فأقام الريان منعكفا على قصفه وهوة منعكسا في لذته لا ينظر في عمل ولا يظهر للناس ولا يخاطبهم، فأقاموا بذلك حيناً. هذا والبلد عامر.

وبلغ الخراج في وقته سبعة وتسعين ألف ألف مثقال فجعلها أقساما، فما كان للملك وأسبابه وموائده حمل إليه، وما كان في أرزاق الجيش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع ومصالح البلد وأهل المهنة صرف إليهم، والملك مع ذلك غير سائل عن شيء؛ قد عملت له مجالس من الزجاج الملون وأجرى حولها الماء وأرسلت فيها الأسماك المقترطة، فكانت الشمس إذا وقعت على المجلس منها أرسل شعاعا عجيبا يبهّر العيون. وعملت له عدة متزهات على عدد أيام السنة، فكان كل يوم في موضع منها، وفي كل موضع منها من الفرش والآنية والآلات ما ليس في غيره.

(١) هو أحد العالقة، وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظم ملكا. والعالقة: ولد علقم بن لارذ بن سام بن نوح (راجع المقرئ). (٢) في المقرئ: «ما خلف ستره».

فلما اتصل بملوك النواحي تشاغل الريان بلداته وتدير العزيز لأمره، قصده رجل من العالقة يقال له عاكن بن يحوم وكنيته أبو قابوس، وقصد مصر حتى نزل على حدودها، فأنفذ إليه العزيز جيشا كثيفا وجعل عليه قائدا يقال له بريانس، فأقام ثلاث سنين يحاربه، ثم ظفر به العمليقي ودخل من الحدود وهدم أعلاما ومصانع كثيرة، وتمكن طمعه في البلد فأعظم أهل مصر ذلك واجتمعوا إلى قصر الملك وجعلوا يصيحون ويستغيثون ويرفعون أصواتهم حتى سمعها الملك فقال: ما بال الناس؟ فأخبر خبر العمليقي وأنه قد دخل عمّل مصر وعاث وأفسد المزارع والمصانع والأعلام، وأنه سار يبيشه إلى قصر الملك، فأرتاع الريان لذلك وأنف منه وأنبه من غفلته وعرض جيوشه وأصلح أمره وخرج في ستمائة ألف مقاتل من الأتباع، فالتقوا من وراء الأحياف في تلك الصحراء، واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم العمليقي وآتبعه الريان إلى حدود الشام وقتل من أصحابه خلقا وأفسد زرعهم وأكثر أشجار الفواكه والزيتون، وأحرق وصلب ونصب أعلاما على الموضع الذي بلغه وزبر عليها: إني لمن يجاوز هذا المكان بالمرصاد. فلما تم له هذا الظفر هابته الملوك ولاطفوه وأعظموه. وقيل: إنه بلغ الموصل وضرب على الشام خراجا وبني عند العريش مدينة لطيفة وشحنها هي وتلك الناحية بالرجال، ورجع إلى مصر فحشد جنوده من جميع الأعمال، وأستعد لغزو ملوك الغرب فخرج في تسعمائة ألف واتصل بالملوك خبره، فمنهم من تخلى عن طريقه، ومنهم من دخل تحت طاعته. ومر بأرض البربر فأجلى كثيرا منهم، ووجه قائدا يقال له مريبطس في سفن فركب البحر من ناحية رقودة. ومر الريان بجزائر بني يافت فعاث فيها وأصطلم أهلها، وخرج من ناحية أرض البربر فقتل بعضهم وصالح بعضهم وحملوا إليه الأموال، ومضى إلى إفريقية وقرطاجنة فصالحوه على أموال

- والطاف كثيرة حملوها إليه، ومرت حتى بلغ مصب البحر الأخضر وهو موضع الأصنام^(١) النحاس، فأقام هناك صنما وزبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذي خرج فيه، وضرب على أهل تلك النواحي خراجا، وعدى إلى الأرض الكبيرة وصار في الإفرنجية، والأندلس في حوزهم وعليها لذريق الأصغر، فخاربه أياما وقتل من أصحابه خانقا وصالحه بعد ذلك على ذهب مضروب، وعلى ألا يفزوا بمصر ويمنع من رام ذلك من جميع أهل النواحي، وأنصرف مشرقا فشق بلد البربر فلم يمر بموضع إلا خرج أهله بين يديه وأهدوا له ودخلوا تحت طاعته. ثم أخذ نحو الجنوب ومر ببلد الكوسانيين فخاربوه فقتل خلقا كثيرا، وبعث قائدا إلى مدينة على عبر البحر الأخضر فخرج إليه ملك المدينة وأهلها فعرفهم حال الريان ومصالحة الملوك له فقالوا: ما بلغنا أحد قط، وسألهم هل ركب هذا البحر أحد؟ فقالوا: ما يستطيع أحد أن يركبه، وأخبروه أنه ربما أظله الغمام فلا يروونه أياما، وأتى الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة أكثرها الموز، وحجارة سود فإذا جعلت في الماء صارت بيضاء، ثم تركهم وسار إلى أمم السودان حتى بلغ ملك الدمدم^(٢) الذين يأكلون الناس، فخرجوا إليه عراة بأيديهم العمد الحديد، وخرج ملكهم على دابة وهو عظيم الخلق له قرون، وكان جسيما أحمر العينين، فظفير بهم فانهزموا إلى أوحال وأدغال فلم يتهيا له اتباعهم فيها، وجازهم إلى قوم على خلق القروء لهم أجنحة صفار يثبون بها من غير ريش. ومرت على عبر البحر المظلم ففشيهم منه غمام فرجع شمالا حتى انتهى إلى جبل يقال له وسن، فرأى فوقه تمثالا من حجر أحمر يرمي

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٦ من هذا الجزء.

(٢) في المقرئ « على البحر الأسود ».

(٣) كذا في الأصل. وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ج ١ ص ٤٩): « نتم » وكتب

بالهامش ما نصه: « ولعلها نتم ».

بيده : إرجعوا ، وعلى صدره مزبور : ما ورائي أحد . فتركه وسار راجعا فاتتهى إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها . ومضى حتى بلغ الوادى المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحدا لشدة ظلمته . وسار حتى انتهى إلى وادى الرمل ورأى على عبره أصناما عليها أسماء الملوك قبله فأقام معها صنما وزر عليها اسمه . فلما أسبت الرمل جاز عليه إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود ، وسمع جلبة وصياحا هائلا نخرج في شجعان أصحابه حتى أشرف على السباع المقرنة الأنوف ، فإذا بعضها تهزوتا كل بعضها بعضا ، فعلم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع ، وعدى وادى الرمل ومر بأرض العقارب فهلك بعض أصحابه ورفعوها عنهم بالرقى التى يعرفونها ، ثم جاوزهم حتى انتهى إلى مكان صلوفاً وهى حية عظيمة ، فهجموا عليها ولم يعرفوها وظنوا أنها جبل ، ثم عرجوا عنها وتعوذوا منها بالرقى . قال : ويزعم القبط أنه منعها من الحركة بسحره وتركها فهلكت . وقيل : إن تعرج هذه الحية ميلٌ وأنها كانت تبتلع السباع هناك .

وسار حتى بلغ مدينة الكند ، وهى مدينة الحكماء ، فتهاربوا منه إلى جبل صعدوه من مواضع يعرفونها من داخل مدينتهم لم يعرفها غيرهم ، ولم يجد الريان ومن معه إلى الصعود إليها سبيلا ، فأقاموا عليها أياما وكادوا يهلكون من العطش ، فزل إليهم من الجبل رجل يقال له مندوس ، كان من أفاضل الحكماء وقد لبس شعره جسده ، فقال : أين تريد أيها المغرور الممدود له فى الأجل ! المرزوق الكفاية ! أتعبت نفسك وجيشك ! ألا اقتنعت بما تملكه وأتكلت على خالفك [وربحت الراحة^(١)] وتركت العناء والغرور بهذا الخلق . فعجب الملك من قوله وسأله عن الماء فدلّه عليه ، وسأله عن

(١) أسبت هنا : سكن ولم يهزك .

(٢) فى هامش خطط القرينى طبعة قيت : «الكهنة» .

(٣) الكلمة من القرينى .

- موضعهم فقال : موضع لا يصل إليه احد ولا بلغه قبلك أحد . قال : فما عيشكم ؟ قال :
 من أصول نبات لنا نعتصم به ونقنع بأكله ويكفيننا اليسير . قال : فمن أين تشربون ؟
 قال : من نِقار الماء من الأمطار . قال : فلم هربتم منا ؟ قال : رغبة عن خلطكم
 والا فليس لنا ما نخاف عليه . قال : فكيف تكونون إذا حيت عليكم الشمس ؟
 قال : في غير آن تحت هذه الجبال . قال : فهل تحتاجون إلى مال أخافه لكم ؟ قال :
 إنما يريد المال أهل البذخ ونحن لا نستعمل منه شيئا ، أستغنيانا عنه بما قد اكتفينا
 به ، وعندنا منه ما لو رأيت له لحقرت ما عندك . قال : فأرني ، فانطلق به مع نفس
 من أصحابه إلى أرض في سفح جبلهم فيها قضبان الذهب نابتة ، وأراهم واديا حافتاه
 حجارة الزبرجد والفيروزج ، فأمر الزيان أصحابه أن يأخذوا من كبار تلك الحجارة
 ففعلوا ؛ وأراهم الحكيم يصلون إلى صنم يحملونه معهم ، فسألهم ألا يقيموا بأرضهم
 خوفا من عبادة الأصنام ، فسأله الملك أن يدلّه على الطريق ففعل ، وودّع الحكيم
 وسار على السمب الذي وصفه له . فلم يمر بأمة إلا أبادها وأثر فيها إلى أن بلغ بلد
 النوبة ، فصالح أهلها على مال يحملونه إليه ، ثم أتى دُقْلَةَ فأقام بها علما وزبر عليه
 اسمه ومسيره . ومرة يريد منف ؛ فكان أهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح
 والسرور والطيب والرياحين والملاهي إلى أن بلغ منف . فلم يبق أحد من أهلها
 إلا خرج إليه مع العزيز وتلقوه بأصناف الطيب والبخورات والرياحين .
 وكان العزيز قد بنى له مجلسا من الزجاج الملون وفرشه بأحسن القُرُش المذهبة ،
 وغرس حوله جميع الأشجار والرياحين ، وجعل فيه صهريجا من زجاج سمانى ،
 وجعل في أرضه شبه السمك من زجاج أبيض وأنزله فيه ، وأقام الناس يأكلون
 ويشربون أياما كثيرة . وأمر بعرض جيشه فوجد أنه قد قُتِدَ منهم سبعون ألفا ،
 وكان قد خرج في ألف ألف ، ووجد من أنصاف إليه من الغرباء والمساورين نيفا .

ونحسين ألفاء، وكان مسيره وغيبته إحدى وعشرين سنة . فلما سمع الملوك بذكره وما فتح من البلاد وما أسرها بود ، وخافوا شدة بأسه وعظم سلطانه . وتجبّر وبني بالجانب الشرقى قصورا من الرخام ونصب عليها أعلاما ، فكان يقيم بها الأيام الكثيرة . وكان الخراج قد بلغ في وقته سبعة وتسعين ألف ألف فأحب أن يمته مائة ألف دينار ، فأمر بوجود العمارات وإصلاح الجسور والزيادة في استنباط الأراضي حتى بلغ ذلك وزاد عليه .

ثم كان من خبر يوسف الصديق عليه السلام وبيعه بمصر وخبره مع امرأة العزيز وسجنه وقصته مع صاحبي الملك ورؤيا الملك وتعبيرها وتولية الريان بن الوليد يوسف عليه السلام رتبة العزيز وخبر الفحط ، ما قدمنا ذكره في أخبار يوسف عليه السلام ، وهو في السفر الحادى عشر من نسخة الأصل . فلا فائدة في إعادته . إلا أنه قد وردت زيادات أنحر لم ترد هناك نحن نذكرها الآن . وهو ما حكاه مؤلف هذا الكتاب الذى نقلنا منه إبراهيم بن القاسم الكاتب عن إبراهيم بن وصيف شاه قال : إن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر بأهله وولده ، خرج يوسف عليه السلام في وجود أهل مصر فتلقاه وأدخله على الملك ، وكان يعقوب عليه السلام مهييا جميلا فقربه الملك وعظمه وقال له : يا شيخ ، كم سنوك وما صناعتك وما تعبد ؟ فقال : أما سنى فعمشرون ومائة سنة ، وأما صناعتى فلأنا غنم نرعاها وننتفع بها ، وأما الذى أعبد فرب العالمين ، وهو الذى خلقتنى وخلقك ، وهو إله آبائى وإلهك وإله كل شىء .

قال : وكان فى مجلس الملك فيامين ، وهو كاهن جليل القدر ، فلما سمع كلام يعقوب ضاق به ذرعا وقال لللك بلغتهم : أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا .

فقال له الملك : فأني لنا خبره ؟ فقال الكاهن : أرونا إهلك أيها الشيخ . قال :
 إلهي أعظم من أن يرى . قال : فإننا نحن نرى آلهتنا . قال : لأن آلهتكم ذهبٌ
 وفضة ونحاس وخشب ، وما يعملها بنو آدم عبيدُ إلهي الذي أحتجب عن خلقه
 بعز ربوبيته ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . قال له فنيامين : إن لكل شيء دليلاً ،
 وكل شيء لا تراه العيون فليس بشيء ، فغضب يعقوب وقال : كذبت يا عدو الله
 وطينت في هذه الدنيا ؛ إن الله سبحانه وتعالى شيءٌ وليس كالأشياء ، وهو خالق كل
 شيء لا إله إلا هو . قال : فصفه لنا . قال : إنما يوصف المخلوقون ولا يوصف
 الخالق عز وجل ؛ لأنه يرتفع عن الصفات ؛ لأنه واحد قديم مدبر للأشياء في كل
 مكان يرى ولا يرى . ثم قام يعقوب مُنْضِياً ، فأجلسه الملك وأمر فنيامين أن يكف
 عنه ويكون بين يديه ويأخذ في غير هذا . ثم قال الملك : كم عدة من دخل معك إلى
 مصر ؟ قال ستون رجلاً . قال الكاهن : كذلك نجده في كتبنا ؛ إن خراب مصر يجري
 على أيديهم . قال الملك : فهل يكون في أيامنا ؟ قال : لا ، ولا إلى مدة كبيرة . والصواب
 أن يقتله الملك ولا يستبق من ذريته أحداً . قال الملك : إن كان الأمر كما تقول فما
 يمكننا أن ندفعه ولا نقتل هؤلاء ، وإن لهم إلهاً عظيماً ، وقد قبل قلبي هذا الشيخ ، وما لي
 إلى قتله من سبيل ، نخطبه بالبن الكلام ؛ فحرت بينهما بعد ذلك مخاطبات ألان
 له فيها القول .

قال : ثم إن يعقوب عليه السلام أحب أن يعرف خبر مصر ومدانها وكيف
 بنيت وخبر طليسماتها وعجائبها . فسأله عن ذلك وسأله بحق الملك ألا يكتمه شيئاً من
 أمرها فأخبره . قال : وأقام يعقوب عليه السلام مع الريان بن الوليد الملك يعظمه
 ويحمله إلى أن حضرته الوفاة ، فأوصى أن يُحمل إلى مكانه من الشام ، فحُمِلَ في تابوت

وخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه مصر حتى بلغ الى موضعه ورجعوا . وقيل :
إن عيصو منعهم من دفنه هناك لأن إسحاق عليه السلام كان قد وهبه الموضع فأشتراه
يوسف عليه السلام منه . ويقال : إن الريان آمن بيوسف وكنم إيمانه خوفا من
فساد ملكه .

وملك الريان مائة وعشرين سنة . وفي وقته عمل يوسف عليه السلام القيوم
لأبنة الملك ، وكان أهل مصر قد وشوا به وقالوا : قد كبر ونقص نفقه فأخبره .
فقال له الملك : قد وهبت هذه الناحية لأبنتي ، وكانت مغايض للماء فدبرها .
قال : فقلع أذغالها ، وساق المنهى ، وبني الألاهون^(٢) ، وجعل الماء فيه مقسوما
موزونا ، وفرغ من ذلك كله في أربعة أشهر ، فمجبوا من حكمة يوسف عليه السلام .
قال : ولما مات الريان بن الوليد ملك بعده أبنة دريموس بن الريان^(٣)
ابن الوليد ويسميه أهل الأثر دارم ، وهو الفرعون الرابع عندهم . قال : ولما ملك خالف
سنة أبنة ، وكان يوسف عليه السلام خليفته كما كان مع أبيه ، وذلك بأمر الريان .
وكان يوسف يستدده فربما قبل منه وربما خالفه ، وظهر في وقته معدن فضة على
ثلاثة أيام من النيل فأبان^(٤) منه شيئا عظيما ، وعمل منه صنما على أسم القمر ، لأن
طالعها كان بالسرطان ، ونصبه على القصر الرخام الذي كان أبوه بناء في شرق النيل ،
ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل لها عيدا في كل
سنة ، وهو إذا نزل القمر السرطان .^(٥)

(١) المنهى : اسم فم النهر الذي احتفروه يوسف الصديق يفضى الى القيوم مأخذه من النيل .

(٢) الألاهون : هو السكر الذي بناء لرة الماء الى القيوم .

(٣) كذا في نسخة «ب» والمقرئى . وفي نسخة «أ» ديموش بالشين المعجمة .

(٤) أبان : فضلي .

(٥) كذا في نسخة أ . وفي نسخة ب «شهر» .

وكان ينتقل الى مواضع شتى يتزده فيها ، وإذا أراد أن يضر الناس بشيء منعه يوسف عليه السلام ودفعه عنه الى أن توفى يوسف عليه السلام ، كما تقدم في خبر وفاته ، فاستوزر الملك دارم بعده بلاطس بن مذسا الكاهن ، فكان بلاطس يطلق له ما كان يوسف يمنعه عنه ، وحمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ منهم كل مبلغ . وعمل الزادى المنحوت بين الجبلين في الناحية الغربية وكثر الأموال فلا يؤصل إليها ، وجعل صقالة من الوادى الى باب الخباء ، وجعل له بابا من الحديد يتوصل إليه من تلك الصقالة ، وصمده بجاعة من العفارىت يمنعون من ذلك الخباء ، فمن رآه من الناس سقط في الوادى . وقال آخرون : كثرها في موضع منه يدخل إليه ويُنظر الى الأموال مكشوفة مضروبة ، في كل دينار عشرة مثاقيل عليها صورته ، فإن أخذ الداخل منها شيئا انطبق عليه الباب فلم يقدر على الخروج ، فإذا رده الى موضعه انفتح له الباب . وهو بحاله الى هذا الوقت كما زعموا .

قال : ثم زاد دارم في التجبر الى أن اختلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها ، ولا يسمع بأمرأة حسنة في ناحية من النواحي إلا وجه حُملت إليه . وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله وشق عليهم أمره الى أن شغبوا عليه وعطلوا الصنائع والأعمال والأسواق فعدا على جماعة منهم فقتلهم . وزاد الأمر حتى اجتمعوا على خلعه ، تخاف بلاطس الوزير أن يفسد أمر المملكة فدخل على الملك وأشار عليه أن يتوّد الى الناس ويعتذر إليهم ويردّ نساءهم فأبى إلا مخالفتهم ، وهم أن يخرج الى الناس في خاصته ويقتل منهم وقال : إنما هم عبيدى وعبيد أبائى . فلم يزل يرفق به الى أن سكن غضبه ، فأمره أن يعتذر الى الناس عنه ، ففعل الوزير ذلك وذكر عنه جميلا . فأبى الناس أن يقبلوا منه دون مخاطبتهم الملك فضمن لهم ذلك وخاطبه وأشار به عليه ، فأمره أن ينادى في الناس بالحضور في يوم عينة ،

ثم لبس أرفع ثيابه وأكبر تيجانه وجلس ودخل الناس عليه فذكروا ما حل بهم من أخذ أموالهم ، وعزفوه أنه لم يحضر عليهم من ملكٍ قبله مثلُ هذا ، فاعتذر إليهم ووعدهم الإقلاع عما شكوا منه وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين .

ثم أمر بعمل قصر من خشب على أساطين خشب ممدودة بأضلاع مسمرة يتنزّه فيه ، فعمل ودّهن بالأدهان والأصباغ الملونة المذهبة ، وضُيّبَ بالفضة والنحاس المذهب ، وعمل فوقه قبة من الفضة المذهبة مصوّرة بالزجاج الملون وعلّق فيها الحجر المضىء الذى أتى به أبوه من المغرب . فلما فرغ القصر فرشه بأحسن الفرش وجعله طبقتين : طبقة له يجلس فيها مع من يحبّه ، وطبقة لحشمه ، وجعل حول ذلك أروقة ملصقة بالمجلس يجلس فيها من يريد ؛ فكان يركب فيه بمن احبّه من خاصته ونسائه ويصعدّ فيه في المساء إلى ناحية الصعيد وتنبه المراكب فيها أصحابه وغلمانهم بالعدد والسلاح وينحدر إلى أسفل الأرض ، فإذا مرّ بمكان يستحسنه أقام فيه أياما .

وأتفق أنه خرج في بعض الأيام مُصعّداً فوثب رجل من الإسرائيليين على رجل من سدّة الهياكل فضربه حتى أدماه وعاب دين الكهنة ، فغضب القبط لذلك وخطبوا خليفة الملك أن يُخْرِجَهُم من مصر فامتنع دون مشاورة الملك ، وكتب إليه يعزّفه ذلك ، فكتب إليه ألا يُحَدِّث في القوم حادثة دون موافاته ، فشغبوا وأجمعوا على خلعه وتمليك غيره ، وتعرّض بعضهم إلى ذكر الملك فحشد أهل الصعيد وأنحدر إليهم فغار به فهلك بينهم خلق كثير . وعاونته امرأة أبيه ، وكانت ساحرة ، فأظهرت من سحرها وتخايلها ودُخْنِها ما أعماه عن النظر ، وأضعف حواسهم وأسكهم ، فقتل خلقاً منهم وصلب خلقاً على عبر النيل ، ورجع إلى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء ونهب الأموال واستخدام الأشراف والوجوه من القبط ومن بنى إسرائيل ؛

فاجمع الكل على ذمه . وكانت الساحرة لا تُحْلِيهِ من معوتها الى أن ركب في ذلك القصر في بعض الليالي وقد أحرق النيل بالبلد ، وهو من الجبل الى الجبل ، وامتد القمر على الماء ، فأراد أن يعدى من العدو الى العدو الأخرى فلم يتهأ له سَوَقُ القصر بسرعة لعظمه ، فركب مركبا لطيفا مع ثلاثة من خدمه والساحرة ، فلما توسط البحر هاجت ريح عاصف ففرق هو ومن معه ، وأصبح الناس شائكين في أمره لا يعلمون ما نزل به ، الى أن وجدت جثته بِسَطْنُونٍ ^(١) فَعُرِفَ بجثته ويجوهر كان يتقلد به فحمل الى منف .

وملك بعده آينه معاديوس بن دريموس ، ويسميه أهل الأثر معدان ابن دارم ، وهو الفرعون الخامس . وذلك بتدبير الوزير ، فأجلسه على سرير الملك وبايعه الجيش ، وكان صبيا فكرهه الناس ثم رَضُوا به ، فأسقط عن الناس الخراج الذي كان أبوه أسقطه ، وزادهم سنة وأحسن إليهم فأطاعوه ، وأستقام له الأمر ورد نساءهم . وكان ينكر على أبيه فعله ولا يرضاه ، فلذلك رَضُوا به .

قال : وفي زمانه كان طوفانٌ أضرَّ ببعض البلد فلزم الملك الإقبال على الهياكل والتعبد ، وطلب القاطر ووجوه الكهنة بالحضور معه ، وأنصف بعض الناس من بعض . وكثر بنو إسرائيل وعابوا الأصنام وثلبوها . وكان الوزير قد هلك فاستوزر كاهنا يقال له املاده ، فلما رأى ما فعله بنو إسرائيل أنكره وأمر أن يُغردوا بناحية من البلد لا يختلط بهم أحد غيرهم ، فأقطعهم موضعا في قِبل منف ، واجتمعوا إليه وعملوا لأنفسهم معبدا كانوا يتلون فيه صحف إبراهيم عليه السلام ، واتفق أن رجلا من أهل بيت الكهنة عشق امرأة من بنى إسرائيل كانت قد جاءت

٢٤
١٣

لشكّي أخاها أنه غصبها ميراثها، وأرادت أن يعنّى بأمرها عند وزير الملك، فراها
أبنه فأحبها وسأل والده أن يزوجه منها، فخطبها من أهلها فأبوا ذلك، فانكر
الناس فعلهم واجتمعوا الى الوزير وقالوا: هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عنا،
ولا نحب أن يجاورونا إلا أن يدينوا بديننا. فقال الوزير: قد علمتم إكرام
الريان الملك بلحّهم يوسف عليه السلام، وقد وقفتم على بركة جدّهم يوسف
عليه السلام حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانبا مصر بمكانه فلا تخوضوا
في هذا، فأمسكوا.

قال: وتقلب أحد ملوك الكنعانيين على الشام وامتنع أهله أن يحملوا الضريبة
التي كانت عليهم ملك مصر، فانكر أهل مصر ذلك وأشفقوا من غلبة صاحب
الشام على بلدهم، فخصّوا الملك على غزو الشام فقال: إن رام أحد حدود بلدنا
غزواته، وما لنا في ذلك البلد من حاجة؛ فاستنقصوا رأيهم. وأقام على ملازمة
الهيكل والتعبد فيها؛ فيزعم القبط أنه بينا ذات يوم قائم في هيكل زحل حذاء
صورتها، وقد أجهد نفسه في التعب، إذ تغشاه النوم فتجلّى له زحل وخاطبه وقال:
قد جمعتك رباً على أهلك وأهل بلدك، وحيوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم، وسأرفعك
إلى فلا تخل من ذكرى؛ فعظم عند نفسه، وأتصل خبره بأهل البلد، وأخبرهم
سَدَنَةُ الهيكل أنهم رأوا النور وسمعوا الخطاب، وأعظم الناس أمره، فتجبر في نفسه
وأمر الناس أن يسموه رباً، وترفع أن ينظر في شيء من أمر الملك، وأحضر
الناس وقال: قد وقفتم على ما خُصصت به دون الملوك، وهذه موهبة يلزمي
الشكر لواهبا عابها، ولست أنفرغ للنظر في أموركم، وقد رأيت أن أجعل الملك
إلى أبني أكسامس، وأكون من وراثته إلى أن يغيب شخصي عنكم كما وعدت، وقد
أيدته بالقاطرين، فأنظروا كيف تكونون، ولا تنظالموا فإنكم مني بمرأى ومسمع،

فرضوا بذلك وقالوا : نحن عبيد الملك ومن رضيت الالهة لحكم الخلق أن يرضوه ولا يخالفونه .

- فلك ابنه أكسامس بن معاديوس ؛ ويسميه أهل الأثر كاسم
 ابن معدان ، وهو الفرعون السادس ، وجلس على سرير الملك وتزوج بتاج أبيه
 وقام القاطرون بين يديه ، فجعل لكل واحد منهم رتبة ، ورتب الناس مراتب ،
 وقسم الكور والأعمال ، وأمر باستنباط العمارات وإظهار الصناعات ، ووسع على
 الناس في أرزاقهم وعلى حاشيته وحاشية أبيه ، وأمر بتنظيف الهياكل وتجديد
 لباسها وأوانها ، وزاد في القرابين ؛ وكلما أتى شيئا من ذلك لم تخالفه الكهنة
 وقدروا أن ذلك عن أمر أبيه برضى الكواكب ، واحتجب أبوه عن الناس . وأقام
 كلاما كثيرا حول منف وجعل عليها أساطين يُمَرُّ عليها من بعضها إلى بعض .
 وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد وأسفل الأرض مدنا كثيرة وأعلاما ومنائر للوقود
 والطلسمات . وعمل كورة من الفضة على عمل البيضة الفلكية ونقش عليها صور
 الكواكب النابتة ودهنها بدهن الصبني وركبها على منار في وسط منف . وعمل
 في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر . وعمل في وقته الميزان الذي
 يعتبر به الناس ، وجعلت كفتاه من ذهب وعلائقه من فضة وخيوطه سلاسل ذهب ؛
 وكان معلقا في هيكل الشمس ، وكتب على إحدى كفتيه حق ، والأخرى باطل ،
 وتحتيه فصوص قد نقش عليها أسماء كل شيء من الكواكب ؛ فيدخل الظالم
 والمظلوم ويأخذ كل واحد منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليها ما يريد ،
 ويعمل أحد الفصين في كفة والآخر في الأخرى ، فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة
 المظلوم . وكذلك من أراد سفرا أخذ فصين فذكر على واحد اسم السفر ، والآخر
 اسم الجلوس ، ويعمل كل واحد في كفة ، فإن لم يرتفع أحدهما على الآخر جلس ،

وإن ارتفعوا خرج ، وإن ارتفع أحدهما مكث شهرا . ومن نحو هذا من غائب
ودين وفساد وصلاح . ويقال إن بُخْتَنَصَّرَ لما ظَفِرَ بمصر جملة في جملة ما حمل
إلى بابل وجعله في بيت من بيوت النار .

قال : وطالب كاسم الناس بلزوم الأعمال وإظهار الصنائع ، فعملت كل
غريبة منها : التنور الذي يشوى من غير نار فيه ، والقذور التي يطبخ فيها من غير
نار ، والسكين التي تُنصب فإذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها ،
والماء الذي يستحيل نارا ، والزجاج الذي يستحيل هواء ، وأشياء من ذلك .

قال : فأقام في أول ولايته ثلاث سنين بأجل أمر وأصلح حال ، ومات وزير
أبيه الذي كان معه فاستخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له طلما ، وكان
شجاعا فارسا كاهنا كاتباً حكيماً دهباً متصرفاً في كل فن ، وكانت نفسه تنازعه الملك .
فصلح أمر المملكة بمكانه وأحبه الناس ، فعمل معالم كثيرة وعمر خراباً وبني مدناً من
الحنانيين . ورأى في نجومه أنه ستكون شدة فاستعمل ما استعمله نهرأوش ، وبني
بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع . وشكا القبط إليه حال الإسرائيليين
فقال : هم عبيد لكم ، فكان القبطى إذا أراد حاجة سخر الإسرائيلي ، وكان القبطى
يضرب الإسرائيلي فلا ينكر عليه أحد ، وإن ضرب الإسرائيلي القبطى قُتل ، فكان
أول من أذى بني إسرائيل ، ويفعل نساء القبط بنساء بني إسرائيل ما يفعل الرجال
بالرجال من السخر والضرب .

قال : وفي أيام أكسامس بُنيت منارة الإسكندرية . وفي زمانه حاج البحر
المالح ففرق كثيراً من القسرى والحنان والمصانع . وحكى أن أكسامس تفتب عن
الناس مدة . وقيل : مات وكنعوا موته . وكانت مدة ملكه إلى أن غاب إحدى
وثلاثين سنة ، وأقام طلما إحدى عشرة سنة يدبر المملكة ثم اضطرب الناس على

طلما وتغيروا واتصل بهم أنه قتل الملك بسم سقاه إياه فاجتمعوا وقالوا : لا بد لنا من النظر إلى الملك ، فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى ابنه لا طس فلم يقبلوا ذلك .

فأمر طلما الجيوش فركبت في السلاح وأجلس لا طس بن أكسامس

على سرير الملك ولبس التاج . وكان جريثا معجبا فوجد الناس جيلا وقال : أنا

مستقيم لكم ما استقمتم ، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم ، وأمر ونهى وألزم الناس

أعمالهم ، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم ، وصرف طلما عن خلافة المملكة

وأستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا الملك ودفع إليه خاتمه ، وأنفذ طلما

عاملا على الصعيد وأنفذ معه جماعة من الإسرائيليين ، وعمل الأعلام وأصلح الهياكل

وبنى قرى كثيرة ، وأثيرت^(١) في أيامه معادن كثيرة وكنوز في صحراء المشرق ، واستعمل

آنية كثيرة من الجوهز الأخضر وأصناف الزجاج . وكان محبا للحكم ثم تجبر وعلا ،

وأمر ألا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك من الكهنة وغيرهم ، بل يقومون

على أرجلهم إلى أن ينصرفوا ، وزاد في أذى الناس والعنف بهم ، ثم منع الناس

فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت ، وجمع أموالهم وطلب النساء فأتزع كثيرا

منهن ، وفعل في ذلك أكثر من فعل من تقدمه من الملوك ، وقهر الناس بالسطوة

واستعبد بنى إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعامة .

وكان طلما لما صرفه لا طس عن خلافته وجد في نفسه وأضر الغدر به .

فلما خرج إلى الصعيد احتجز الأموال فلم يحملها ، وحال بين الملك وبين المعادن ،

وأراد أن يقيم ملكا من ولد قبطريم ويجلسه في الملك ، فأشار بعض الكهنة على طلما

أن يطلب الملك لنفسه وعمره أنه سيكون له حال . فلما شجعه الكاهن وجزأه على

٢٦
١٣

(١) أثيرت : من الإثارة ، ومن الإخراج من تحت الأرض .

(٢) وجد بالتخريك : غضب .

ذلك دعا إلى نفسه وكاتب وجوه أهل البلد، فبعض أجاياه وبعض توقف، وزفع كل واحد من ولد الملوك رأسه وطمع في الملك .

قال : وفي بعض كتبهم أن بعض الروحانيين ظهر له وقال : إني أطعمك إن أطعني ، وأقلدك مضر زمانا طويلا ، فأجابه إلى مأسأله وقرب له أشياء ذكرها له ، منها غلام إسرائيلي ؛ فعاونه حينئذ وكان له رسولا إلى رؤساء مصر ، فكان يتصور بصور بعضهم ويشير بتلك عليهم إلى أن استقام له الأمر ، قال : ولما منع طلما لاطس من مال الصعيد كتب بصرفه عن العمل فأبى أن ينصرف ، فوجه إليه قائدا من أهل بيته وقلده مكانه وأمره أن يحمله إليه ، فخاربه وأعانه الروحاني فظفر به طلما واعتقله ثم خلّاه وقربه وأدخله في جملته ، واتصل الخبر بلاطس فأنفذ إليه قائدا آخر فهزمه طلما وسار في أثره بجيش كثيف ، وكاتب جميع القواد وأهل البلد وبذل لهم الأموال ، وخرج إليه لاطس فخاربه طلما وعاونه الروحاني فظفر به طلما وقتله وسار حتى دخل منف وجاء فيها .

وملك طلما بن قومس ؛ ونزل قصر المملكة وجلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائهم . قال : وطلما هذا هو ابن قومس ، وهو الذي يذكر القبط أنه فرعون موسى عليه السلام . وأهل الأثر يسمونه الوليد بن مصعب وأنه من العماقة . وذكروا أن الفراعنة سبعة فأولهم : طوطيس بن ماليا ، ثم الوليد بن دومع ، ثم ابنه الريان بن الوليد ، ثم دريموس بن الريان ، ثم معاديوس بن دريموس ، ثم أكسامس بن معاديوس ، ثم طلما .

قال : وكان طلما فيما زعموا قصيرا . قيل : كان طوله أربعة أشبار ، طويل الخلية ، أشبه العينين ، صغير العين اليسرى ، في جبينه شامة . ويقولون : إنه

كان أعرج . وزعم قوم أنه من القبط . قال : والدليل على ذلك ميله إليهم ونكاحه فيهم ؛ ونسب أهل بيته مشهورٌ عندهم .

وقد اختلف الناس في سبب ملكه وعمن تلقى الملك ، فقبيل ما ذكرناه ، وقيل ما قدمناه في قصة موسى بن عمران عليه السلام ، والله تعالى أعلم .

- قال : ولما جلس طالما على سرير الملك اضطرب الناس عليه فبذل الأموال وأرغب من أطاعه ، وقتل من خالفه ، فاعتدل الأمر له . وكان أول ما عمل أن رتب المراتب ، وشيد الأعلام ، وبني المدن ، وخندق الخنادق ، وعمل بناحية العريش حصنا ، وكذلك على حدود مصر ، وأستخلف هامان ، وكان يقرب منه في نفسه ونسبه ، فأنار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدن والعمارات ، وحفر خلجانا كثيرة . ويقال : إنه الذي حفر خليج المردوس^(٢) ، وكان كلما عمرجه إلى قرية من قرى الحوف حمل إليه أهلها مالا ؛ فاجتمع له من ذلك شيء كثير ، فأمر برده على أهله^(٣) .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٥ من هذه الطبعة) .

- (٢) ذكر ابن دقاق في كتاب الانتصار (ج ٥ ص ٤٧) هذا الخليج أثناء كلامه عن مدينة قلوب فقال : « وبها خليج المردوس وهو أحد تزهات الدنيا وهو خليج يسار فيه بين بساتين مشبكة وأشجار ملئمة وفواكه دائية ... الخ » . وورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٠٤) بعد وصفه لهذا الخليج ما نصه : « قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعرض عه بجرأبي المنجا » .
- (٣) هذا ما رواه ابن وصيف شاه . وذكر المقرئ بعد هذا ما قاله ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو تتم لهذه الرواية ونصه :

- « إن فرعون استعمل هامان على حفر خليج مردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجري الخليج تحت قريةهم ويعطونه مالا . قال : وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو الشرق ثم يرده إلى أهل قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده إلى قرية في الغرب ثم يرده إلى أهل قرية في القبلة ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك بحمله إلى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره ، فقال له فرعون : ويحك ! إنه يذنب للسبد أن يعطف على عباده ويقبض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم ؛ رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم . فردّه كله على أهله » (وراجع أيضا فوج مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ٦ طبع أوروبا) .

وأنتهى الخراج في وقته الى سبعة وتسعين ألف ألف دينار ، وكان يُتزل
الناس على مراتبهم . وهو أول من عرف العرفاء على الناس ، وكان ممن صحبه
من الإسرائيليين رجل يقال له إمرى ، وهو عمران أبو موسى عليه السلام ، وهو
أخو مزاحم لأبويه ، ومزاحم أبو آسية ، فهي آبنة عم موسى وبنت خالته ،
بفعل فرعون عمران حارسا لقصره يتولى حفظه وفتح وإغلاقه . وكان رأى
في كهنته أن هلاكه على يد مولود من الإسرائيليين ، فمنعهم المناخة ثلاث سنين ؛
لأنه رأى أن ذلك المولود يكون فيها . ثم كان من خبر موسى في حمل أمه به
وولادته وغير ذلك من أمره ما قدّمنا^(١) ذكره في قصة موسى عليه السلام فلا فائدة
في إعادته .

وقد نقل أن موسى عليه السلام لما كبر عند فرعون عظم شأنه وردّ فرعون
إليه كثيرا من أمره وجعله من قواده ، وكانت له سطوة ؛ ثم وجهه فرعون لغزو
الكوثانيين ، وكانوا قد عاثوا في أطراف مصر ، فخرج في جيش كثيف فرزقه الله
عز وجل الظفر ، فقتل منهم خلقا وأسر خلقا وأنصرف مائلا فمرّ به فرعون
وآسية . قال : وأستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون وأراد أن
يستخلفه حتى قتل رجلا من أشرف القبط فكان من أمره ما تقدّم ذكره .
والله أعلم .

هذا ما أورده إبراهيم في كتابه ؛ ولم يذكر من أخبار ملوك مصر بعد غرق فرعون
شيئا ولا ذكر من ملك بعده . وقد أشار المسعودى في مروج الذهب الى نبذة من
أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون نحن نذكرها . وأما سياقة أخباره فيما كان
قبل فرعون فهذا الذى ذكرناه أتم منه وأكثر استيعابا .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٣ - ٢٣٢ من هذه الطبعة) .

ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن

الجوهر : لما أهلك الله تعالى فرعون وقومه بالغرق خشى من يبق بمصر من

الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب ، فملكوا عليهم امرأة يقال

لها دُلُوكة ؛ فبنت على أرض مصر حائطاً يحيط بجميع البلاد من حد أرض رَجْ

إلى برقة ، وجعلت الخزاس على مسافة كل ميل منها يصل أخبار بعضهم إلى بعض ،

فإذا حدث أمر في أول ملكها بلبيل رُفعت النيران في وقت حدوته فلم في آخر المملكة

بالخبر من ليلته ، وإن كان بالنهار دخن . وهذا الحائط موجود إلى حين وضعنا

لهذا الكتاب ويسمى حائط العجوز . وقيل فيه : حائط المجوز . وقيل : إنها بنت

هذا الحائط من خوفها على ولدها .

واتخذت دُلُوكة بمصر البرابي وصورت فيها الصور ، وأحكمت آلات السحر ،

وجعلت في البرابي صور من يرد في البر ودوابهم إبلا كانت أو خيلاً ، ومن يرد

(١) راجع (ج ١ ص ١٧١ طبع بلاق) .

(٢) ذكر المؤلف فيما سبق (ج ١ ص ٣٩٢ من هذه الطبعة) ما نصه :

«وهذا الحائط من العريش (وهو حد مصر من جهة الشام) إلى أسوان (وهي حد مصر من جهة النوبة)

شاملاً للديار المصرية من الجانب الشرقي» .

وقد وصف ابن فضل الله العسرى جزءاً من هذا السور في كتابه مسالك الأبصار (ج ١ ص ٢٣٩) فقال :

«وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، ممتداً على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حاجزاً بين الرمل

والمزدرع . على أنه غير عالي الذرى .

مشيت معه إلى دندرا ، من الصعيد الأعلى ، ورأيت قد دثر غابه ، ومنقطعه أكثر من متصله ، وهو مبنى

من طوب ، ليس بمرىض السمك ولا عالي الجدار وأنه يصل إلى ما بين العريش ورفح ، منتهى الحد

الفاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسافل أرض مصر» .

في البحر في المراكب من بلاد الغرب وسواحل الشام، وأحكمت جميع ذلك بحركات
فلكية . فكان إذا ورد عليها عدو من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الشخص
التي في البرابي من الإبل وغيرها فيحدث العور في ذلك الجيش وتهلك دوابهم ،
وكذلك كل من يقدم عليها من البر والبحر إذا بلغها خبر مقدمه صنعت في تلك الصور
ما يحدث مثله في ذلك الجيش من الآفات ، فهاها سائر ملوك الأمم . وخبر هذه المرأة
مشهور . وأكثر هذه البرابي باق إلى وقتنا هذا وفيها التصاوير إلا أنها لا فعل لها .
وقد قيل في البرابي : إنها اتخذت مع الأهرام قبل الطوفان . والله تعالى أعلم .

وقيل أيضا : إن مما أنشأته هذه المرأة منارة الإسكندرية ، وقد تقدم ذكر
خبرها في المباني القديمة وهو في السفر الأول من كتابنا هذا بن هذه النسخة .

قال : وملك هذه المرأة نحوا من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ولما هلكت دلوكة ملك بعدها دركوس بن بلوطس . ثم ملك بعده بورش .^(٣)

ثم ملك بعده بغاش بن بورش نحوا من خمسين سنة . ثم ملك بعده دني^(٤)
ابن بورش نحوا من عشرين سنة . ثم ملك بعده بلوطس عشرين سنة . ثم ملك بعده
بلوطس بن متنا كيل^(٥) أربعين سنة . ثم ملك بعده مالس بن بلوطس^(٦) . ثم ملك

(١) راجع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة) .

(٢) في المقرئى : « دركون » وفي صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٦) : « دركون بن بطروس ،
ويقال : دركوس بن بلوطس » .

(٣) في المقرئى : « بورس » وفي صبح الأعشى : « تودس » .

(٤) في المقرئى : « لفاس » . (٥) في المقرئى : « مرتيا بن مريوس » .

(٦) في المقرئى : « منا كيل » وفي صبح الأعشى : « مايكيل » .

(٧) في المقرئى و صبح الأعشى : « مالوس » .

بعده بوليه بن متنا كيل ؛ وكانت له حروب وسير في الأرض وهو فرعون الأعرج ^(٢)
 الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس . ثم ملك بعده وينوس بن مريئوس ^(٣)
 ثمانين سنة . ثم ملك بعده قومس بن بغاس ^(٤) عشر سنين . ثم ملك بعده مكاييل ^(٥)
 وكانت له حروب مع ملوك الغرب ، وهو الذي غزا به بختنصر فقتله وقتل رجاله
 وخرب أرض مصر ، فقبل إنها خربت مدة أربعين سنة . وانقرض ملك الفراعنة .



وملك الروم أرض مصر فنتصر أهلها ؛ ولم تزل بيد ملوك الروم الى أن ملك
 كسرى أنوشروان فارس فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر ، فملك
 الفرس أرض مصر ، وغلبوا عليها نحو من عشر سنين . وكانت بين الروم وفارس
 حروب كثيرة ، فصار أهل مصر يؤدون خراجين : للروم وللفرس ، ثم انفجرت الفرس
 عن الشام ومصر لأمر حدث في بلادهم ، فغلبت الروم على مصر والشام وأظهروا
 النصرانية ، واستمر ذلك الى أن جاء الله تعالى بالإسلام . وكان المقوقس ينوب
 عن ملك الروم ، وهادى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم تزل الديار المصرية

٢٨
١٣

(١) في المقرئى : « بولة » .

(٢) ورد في المقرئى (ج ٣ ص ٦٢ طبعة فييت) ما نصه : « وقيل له الأعرج لأنه لما غزا
 بيت المقدس ونهبها وصبي ملكها يوشيا بن آمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان
 ابن داود وكان بلول لا يمكن أحدا أن يصعد عليه إلا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار
 اللولب على ساقه الأخرى فاندقت ، فلم يزل ينجم بها الى أن مات فذلك معنى الأعرج » .

(٣) في المقرئى : « مريئوس بن بولة » ثم ذكر أن الذى استخلف بعده ابنه « قرقورة » ومكث
 ملكه ستين سنة . ثم توفى واستخلف أخاه « نقاس بن مريئوس » . وانهدم البراء في زمته فلم يقدر أحد
 على إصلاحه . ثم توفى نقاس واستخلف ابنه « قوميس بن نقاس ... » .

(٤) في المقرئى : « قوميس » .

(٥) في المقرئى : « نقاس » . وفي صبح الأعشى : « بغاس » .

والشام بيد ملوك الروم الى أن فتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما سنورد ذلك إن شاء الله تعالى في خلافة عمر في الباب الثاني من القسم الخامس من هذا الفن، وهو في السفر السابع عشر من هذه النسخة .

قال المسعودى رحمه الله : والذى انفقت عليه التواريخ ، مع تباين ما فيها ، في عدد ملوك مصر الى آخر أيام الفراعنة أنهم اثنان وثلاثون ملكا . قال : فمن ملوك بابل الى آخر أيام آبنه ماموم — يشير الى دليقة — أحد عشر ملكا وملكة . ومن العماليق أربعة ملوك . ومن الفراعنة من لدن الوليد بن مصعب فرعون موسى بن عمران عليه السلام ، والى أن خرج بختنصر الفارسي على مكاييل وقتله سبعة عشر ملكا بما في ذلك من ملك دلوكة ، وهو إنما يشير الى من ملكها بعد الطوفان . وأما من ملكها قبل الطوفان فإنه لم يتعرض الى ذكرهم . قال : وملكها من الروم سبعة ملوك . ومن اليونان عشرة ملوك . قال : وذلك قبل ظهور المسيح عليه السلام . قال : وملكها أناس من الفرس فكانت مدة من ملكها من الفراعنة ومن بعدهم والعماليق والفرس والروم واليونان ألفى سنة وثلثمائة سنة . والله أعلم بالصواب .

جزوب
معين التاريخ
لاهل التاريخ

الباب الثالث

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم ؛ وهم ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف من الفرس ، والملوك الساسانية واليونان والسريريان والكلوانيين والروم والصقالبة والنوكبرد والإفرنجية والحلالقة وطوائف السودان

ذكر أخبار ملوك الفرس

وهي الفرس الأول

وقد اختلف الناس في الفرس وآسابهم وكم من دولة كانت لهم . وسند ذكرها هنا مقالاتهم في ذلك واختلافهم . فمن الناس من زعم أنهم من فارس بن ياسور ابن سام بن نوح ، وهذا قول هشام بن محمد . ومنهم من زعم أنهم من ولد يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم من زعم أنهم من ولد هدرام ابن أرغشد بن سام بن نوح ، وأنه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم كان فارسا شجاعا ؛ فسموا الفرس لفروسيتهم ، وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي :

وبنا سُميَ الفوارس فُرسا نا ومنا مناجِبُ الفتيان^(١)

وزعم قوم أن الفرس من ولد لوط من آبنتيه رشا ورغوشا . وذكر آخرون أنهم من ولد يوان بن أزان بن الأسود بن سام بن نوح ، ولبيان هذا ينسب شعب يوان وهو أحد متزهات الدنيا . وقد تقدم ذكره في باب الرياض من الفن الرابع .

(١) في مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١١٣ طبع بلاق) (... مناجب الفرسان) وبعد البيت :

وكهول طوامم الركب والك* ركش الحرات يوم الطعان

(٢) راجع (ج ١١ ص ٢٥٧ من هذه الطبعة) .

ومن الناس من يرى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، ولا خلاف بين
الفرس أجمع أنهم من ولد كيومرث وهو الأشهر ، وإليه يرجع جميع الفرس الأول^(١)
وملوك الطوائف والملوك الساسانية .

وأما التنازع في دولهم فمن الناس من زعم أنهم أربعة أصناف ، وأن الصنف الأول
منهم كان من كيومرث إلى أفريدون وهم الجرمانية ، وقيل الجهدانية . والصنف
الثاني من كان إلى دارا بن دارا وهم الكيانية . والصنف الثالث ملوك الطوائف .
والصنف الرابع الساسانية . ومن الناس من جعلهم صنفين : فجعل الصنف الأول
من كيومرث إلى دارا بن دارا . والصنف الثاني من أردشير بن بابك إلى يزيدجرد
ابن شهریار المقتول في خلافة عثمان رضى الله عنه . فمدة ملكهم في الدولة الأولى ثلاثة
آلاف سنة وثلاثمائة وستة وعشرون سنة . ومدة ملوكهم عشرون ملكاً فيهم امرأة واحدة .

فأول ملك ملك من الفرس الأول كيومرث وقيل فيه جيومرث .

وقد اختلف في نسبه ، فمن الناس من قال : إنه ولد آدم لصلبه . ومنهم من
قال : إنه ولد لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . وقد قيل : إنه أول ملك ملك
من بنى آدم . وكان السبب في ملكه أنه لما كثر البغي والظلم في الناس اجتمع
أكابر أهل زمانه ورأوا أنه لا يقيم أمرهم إلا ملك يرجعون إليه فيما يأمر وينهى ،
فأتوه وقالوا : أنت أكبر أهل زمانك وبقية أبينا ، والناس قد بغى بعضهم على
بعض ، وأكل القوى الضعيف ، فضم أمرنا إليك وكن القائم بصلاحنا . فأخذ
عليهم اليهود والمواثيق بالسمع والطاعة له وترك الخلاف عليه . فصنعوا له تاجاً
ووضعوه على رأسه . وهو أول من وضع التاج على رأسه . فاستوثق له الأمر وقام

(١) كذا في مروج الذهب لتسعودي (ج ١ ص ١٠٥ طبع بلاط) وغرر أخبار ملوك الفرس
وسيرهم للعالي (ص ٢) وفي الأصل : « كيومرث » بالثاء المثناة . (٢) وفي غرر أخبار
ملوك الفرس وسيرهم : « وزعم علماء الفرس أن كيومرث هو آدم عليه السلام » .

بأمر الناس وحسنت سيرته فيهم . وكانت مدة ملكه عليهم أربعين سنة . وكان يتزل مصطخر من أرض فارس حتى مات . واختلّف في مقدار عمره ، فقيل : إنه عاش ألف سنة ، وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .

فلما مات قام بالأمر من بعده أوشهنيج ابنه وقيل : أخوه ، وقيل : أوشهنيج

- (١) ابن فيشداد بن كيومرث . وفي الناس من يزعم أنه أول ملك ملك من الفرس ، وهو الذي جمع الأقاليم السبعة ، ورتب الملك ونظم الأعمال ، ولقب بفيشداد ، وتفسيره بالعربية أول سيرة العدل . ويقال : إن أوشهنيج هذا كان بعد الطوفان بمائتي سنة ، وهو أول من قطع الحجر وبني به ، واستخرج المعادن ، وبني مدينتي بابل والسوس . وكان فاضلا حسن السياسة محمود الأثر . قال : ونزل الهند وتنقل في البلاد وعقد التاج وجلس على السرير . وكان من حسن سياسته أنه نفى أهل الفساد والدعارة من البلدان وأبلاهم إلى رؤوس الجبال وجزائر البحر ، واستخدم منهم من كان يصلح للخدمة وسمّاهم الشياطين والعفاريت ، وقرب أهل الخير والصلاح . وكانت مدة ملكه أربعين سنة . ولمّا مات ملك بعده طهمورث^(٢) وقيل فيه طهورث بن أنوجهان بن أوشهنيج ، وقيل بل بينهما عدة آباء . قال : ولمّا ملك سار في الناس سيرة جدّه أوشهنيج . وكان يتزل نيسابور . وقيل إنه الذي أنشأها ثم جددها بعد ذلك سابور . وقيل : إنه أول من كتب بالفارسية^(٣) ونفى أهل الدعارة والشرّ واستقام له نظام الملك . قيل : وفي أيامه ظهر بوداسف الذي أحدث دين الصابئة . وكان ملكه ثمانين سنة . وقيل ثلاثين سنة .

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢٠٧ من القسم الأول طبع أوربا) : « أوشهني بن فرالك » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « أوشهنيج بن سيامك بن كيومرث » . (٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٧٤ من القسم الأول طبع أوربا) ومروج الذهب للسعودي وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . وفي الأصل : « طهورث » . (٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ١٠٠) : « بالفهلوية » . (٤) كذا في الأصول ، وفي الطبري (ص ١٧٦ من القسم الأول) : « بوداسف » . بابا ، الموحدة ؛ وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) : « أبوداسف » .

ولما مات ملك بعده أخوه جمشيد^(١)، وتفسير شيد : الشعاع ، سمي بذلك
لوضاءة وجهه . قال : ولما ملك سلك سيرة من تقدم وزاد عليها بأن صُنِفَ
الناس وطبقتهم ورتب منازل الكتاب وأمر لكل واحد وظيفة وأمره أن يلزمها .
وعمل أربعة خواتيم : خاتماً للحرب والشرط^(٢) وكتب عليه الأناة، وخاتماً للخراج
وجباية الأموال وكتب عليه العارة، وخاتماً للبريد وكتب عليه الوحا ، وخاتماً للاظالم
وكتب عليه العدل . فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس الى أن جاء الإسلام .

وكان ملكه ستمائة سنة . وقيل سبعمائة سنة وستة أشهر . وقيل ألف سنة
إلا عشرين . وفي أيامه أحدث التبروز وجعله عيداً ، وأمر الناس أن يتنعموا
فيه . ثم بدل سيرته بالجور بعد الإنصاف ، والظلم بعد العدل ، والإساءة بعد
الإحسان ، فتقلت وطاته على الناس . ثم أظهر الكبر على وزرائه وكتابه وقواده .
ثم أنهمك على لذاته وترك مراعاة كثير من السياسة المملوكية التي جرت عادة الملك
أن يتولاها بنفسه . وقيل : إنه ادعى الإلهية فخرج عليه بيوراسب ، وكان من
جملة عماله ، واستجلب الناس وجمعهم عليه وأستصلحهم لنفسه ، وقصد جمشيد بعد
أن كثرت أتباعه وقويت شوكته ، فهرب منه فأتبعه حتى أدركه وظفربه ونشره بمنشار .
وملك بعد جمشيد بيوراسب ، وهو الذي يسميه العرب الضحاك . قالوا :
وهو بيوراسب^(٤) بن أرونداسف بن بناداس بن طوخ بن قروال بن ساعل بن فرس
ابن كيومرث ، وهو الدَّهَّاك ، فُعُزِبَ اسمه فقيـل الضحاك . وقيل : إنه ملك
ألف سنة . وزعم قوم أنه نمروز . وزعم قوم آخرون أنه كان من عمال بيوراسب
على كثير من أعماله .

(١) راجع معناه فيما تقدم (ج ١ ص ١٨٥ من هذه الطبعة) . (٢) الشرط هنا : أول كنية
تشهد الحرب وتنبأ للوت . (٣) تقدم الكلام عليه في الجزء الأول (ص ١٨٥ من هذه الطبعة) .
(٤) ورد هذا النسب في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) باختلاف في الأسماء .

قال : ولما ملك بيوراسب ظهر منه خبث شديد وبخور كثير ، وملك الأرض كلها ، فسار فيها بالجوز والعسف وسفك الدماء والصلب ، وهول على الناس ومحاسرة من تقدمه من الملوك ، وسن الأعشار وأخذ الملاحى والغناء . وكان على منيكيه سلعتان يحترقهما إذا شاء كما يحرك يده ، فأدعى أنهما حيَّتان تهويلا على ضعفاء الناس . وقد تقدم ذكره في الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الأول ، وهو في السفر الأول^(١) من نسخة الأصل في أخبار أعياد الفرس ، فلا حاجة إلى إعادة ما قدما ذكره من أمره .

قال : ولما عم الناس جورده كان من سوء عاقبة ذلك أن ظهر بأصبهان رجل يقال له كابي^(٢) من عوام الناس . ويقال : إنه كان حدادا . وكان الضحاك قتل لكابي ابنين ، فبلغ به الجزع على ولديه مبلغا عظيما ، فقام وأخذ عصا وعلق عليها جرابا . وقيل : بل علق النطع الذى كان يشده على وسطه يتقى به النار إذا صنع الحدادة . وقيل : بل كان جلد أسد . وقيل : بل جلد نمر ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ، فحمل الناس ما كانوا فيه من البلاء إن أتبعوه وأطاعوه ، فاستفحل أمره ، وكثرت أتباعه ، واجتمع عليه أشراف الناس وأكابرهم ، فقصده بيوراسب . فلما أشرف عليه هرب عن منزله ، فجاء أشراف الناس إلى كابي لأصبهاني واجتمعوا عليه ليملكوه ، فامتنع من ذلك وقال : إني لست من بيت الملك ، ولكن التمسوا من هو من بيت الملك فتوليه علينا . وكان أفريدون بن اثفيان قد استخفى من الضحاك^(٣)

(١) سلعتان : متى سلعة بالكسر ، وهى زيادة تحدث في الجسد مثل القدة تمور بين الجسد واللحم إذ أضغط ، وتكون من قدر حصاة إلى بطيخة . (٢) راجع (ج ١ ص ١٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٢٢) : « كابة » .

(٤) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٢٥٣١ من القسم الأول) و غرر أخبار الفرس وسيرهم (ص ٣٥١)

وخطه المقرئ (ج ٣ ص ١٠٣ طبعة فينت) . وفى الأصل : « أفريدون » بالبدال المهذبة .

في بعض النواحي ، فجاء إلى كابي الأصهباني ففرح الناس به واستبشروا بمقدمه ، وكان مرشحاً للملك فلكوه عليهم ، وصار كابي من جملة أعوان أفرizon .

قال : وتفاعل الفرس وتبركوا بذلك العلم الذي كان قد رفعه كابي الأصهباني وعظموه ورصعوه بعد ذلك بالجواهر وسموه الدرّقس وجعلوه علمهم الأكبر الذي يتبركون به ، وهو الذي صار إلى المسلمين في وقعة القادسية . وكانت الفرس لا ينشرونه إلا في الأمور العظيمة .

قال : ولما هرب بيوراسب ملك بعده أفرizon ؛ وهو التاسع من ولد جمشيد . قال : فأقول ما بدأ به أن أتبع بيوراسب فأدركه بدنياوند وقتله . وفي يوم قتله أحدث المهرجان على ما قدمناه . قال : ثم رد أفرizon مظالم الناس وأمر بالإنصاف وبسط العدل ، ونظر إلى ما كان بيوراسب قد اغتصبه من أموال الناس وأملاكهم وأراضيهم ، فرد ذلك على أهله ، وما لم يجد أهله وقفه على المساكين ومصالح العامة . وكان مؤثراً للعلم وأهله . وكان صاحب طب وفلسفة ونجوم .

وزعم بعض الفرس أن بيوراسب الضحاك هو التمرود ، وأن أفرizon هو إبراهيم عليه السلام . قال : ودام ملكه خمسمائة سنة . وقال : هو أول من تسمى بكى ، فكان يقال له : كى أفرizon ، وهي كلمة يراد بها التزيه ؛ أى روحاني متزه متصل بالروحانية . وهو أول من ذلل القبيلة وقاتل بها الأعداء . قال : وكان لأفرizon

(١) القادسية : بلدة قرب الكوفة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ؛ وكانت بها وقعة القادسية المعروفة بين المسلمين والفرس في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٦ من الهجرة . وهذه الوقعة من أعظم وقائع المسلمين خيراً وبركة . (٢) دنياوند : جبل من نواحي الري ، وهو جبل عال مشرف شامخ لا يفارق أعلاه الطلج شتاء ولا صيفاً ، ولا يقدر أحد من الناس يعلو ذروته ولا يقاربها ، ويعرف بجبل البيوراسب يراه الناس من مرج القلعة ومن عقبة همدان ، والناظر إليه من الري يظن أنه مشرف عليه ، وأن المسافة بينها ثلاثة فراسخ أو أثنان ... وبهذا الجبل عين كبريتية (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٣) وراجع الجزء الأول (ص ١٠٨٨ من هذه الطبعة) .

ثلاثة أولاد وهم : سَرم وقيل فيه سلم ، وطوخ ، وإبرج وقيل فيه إيران ؛ نفثى أفريزون ألا يتفقوا بعده وأن ينبغي بعضهم على بعض ، وظن أنه إذا قسم الملك بينهم في حياته بقى الأمر بعده على انتظام واتساق قسمه بينهم . فجعل الروم والشام وناحية المغرب لسرم . وجعل الترك والصين لطوخ . وجعل العراق والهند لإبرج ، وهو صاحب التاج والسرير . ففى ذلك يقول شاعرهم :

وَقَسَمْنَا مَلَكَنَا فِي دَهْرِنَا * قَسَمَةَ اللَّحْمِ عَلَى ظَهْرِ الْوَضْمِ^(١)
 جَعَلْنَا الرُّومَ وَالشَّامَ إِلَى * مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَلِكِ سَرَمَ
 وَلَطُوخَ جُعِلَ التُّرْكُ لَهُ * فَبِلَادُ الصِّينِ بِحُيُومِهَا أَبْنُ عَمِ
 وَلِإِيرَانَ جَعَلْنَا عَنُوءَ * فَارِسَ الْمَلِكِ وَفَرَزْنَا بِالنَّعَمِ

فلما مات أفريزون وثب طوخ وسرم بأخيهما إيران فقتلاه وملكا الأرض بينهما ، ولذلك نشأت العداوة بين الترك والروم ، وقامت الحروب ، وطلب بعضهم بعضا بالدماء . فكان من سوء عاقبة غدرهما بأخيهما وتغلبهما على ملكه أن نشأ ابن لإيران بن أفريزون يقال له منوجهر ، وقيل اسمه منوشجهر ، وقيل فيه منوشهر ، فغلب على ملك أبيه إيران .

وملك منوجهر بن إيران بلاد فارس ، ثم نشأ ابن لطوخ التركي فنفى منوجهر عن بلاده وجرت بينهما حروب ، ثم ظفر منوجهر وعاد إلى ملكه ، ونفى ولد طوخ وقوى أمره وظهر اسمه . وكان منوجهر موصوفا بالعدل والإحسان في مملكته . ويقال : إنه أول من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحروب ، وأول من وضع الدهقنة^(٢) ، وجعل لكل قرية دُهقاناً ، وجعل أهلها عبيداً وخولاً وألبسهم لباس

(١) في تاريخ الطبرى (ص ٢٣٠ من القسم الأول) : « طوج » . وفي غرر أخبار ملوك القرس وسيرهم : « توز » . (٢) الوضم : خشبة الحزاز يقطع عليها اللحم .

(٣) الدهقنة : مصدر . واسم من دهقن ، والدهقان (بالكسر وضم) هنا : رئيس الإقليم ، معزب دهقان . (من محيط المحيط للبستاني) مادة دهقن .

المنذلة . ولما قوى أمره سار نحو الترك وطلب بدم أبيه فقتل عميه اللذين قتلا أباه ، وأدرك ثاره وأنصرف الى بلاده .

ثم نشأ فراسياب^(١) بن ترك من ولد طوخ بن أفريزون وإليه ينسب الترك ، فخارب منوجهر وحاصره بطبرستان^(٢) ، ثم اصطالحا وضربا بينهما حدا لا يجاوزه واحد منهما ، وهو نهر بلخ ، فانقطعت الحرب بين فراسياب ومنوجهر . وكان لمنوجهر هذا خطب تدل على سداد رأيه ، ووفور عقله ، وجودة فهمه ؛ قد ذكرنا بعضها في الباب الرابع^(٣) من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك . قال : وفي أيام منوجهر ظهر موسى بن عمران عليه السلام .

قال : ولما مات منوجهر تغلب فراسياب على إقليم بابل أثنى عشرة سنة ، وأكثر الفساد ، وخرّب البلاد ، وطم الأنهار ودفن القنى ، فقحط الناس الى أن ظهر زوبن طهماسب فأخرجه عن بلاد فارس الى تركستان .

وملك زوبن طهماسب وقيل فيه : زاع ، وقيل فيه : زاب ، وقيل : راسب ، وهو من أولاد منوجهر ، وبينه وبين منوجهر عدة آباء . قال : ولما ملك ابتداء في عمارة ما خربه فراسياب ، وأمر ببناء ما هدم من الحصون ، وحفر الأنهار والقنى ، حتى عادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه ، ووضع عن الناس الخراج

(١) كذا في نسخة (١) ومروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٠٨) . وفي نسخة (ب) وتاريخ الطبري (ص ٤٣٤ من القسم الأول طبع أوربا) : « فراسيات » بالهاء المثناة .

(٢) طبرستان : ناحية واسعة الأرجاء ببلاد الفرس بين جرجان والديلم ، على بحر قزوين الذي يسمى أيضا باسمها « بحر طبرستان » وأشهر مدنها : آمل ، أو عامل ، والدامغان ، وقومسان (وهي الآن إقليم ما زندان) من مملكة إيران ، فتحها سويد بن مقرن في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (راجع معجم الخريطة الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

(٣) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة) ، وقد راجعنا هذا الباب فلم نجد لتلك الخطب أثرا ، ولعلها سقطت من الأصل .

سبع سنين، ففترت البلاد في أيامه، ودرت معاش الناس، واحتفر بالسواد نهرا
وسماه الزاب، وبني على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة، وكورها
كورا، وجعلها ثلاثة طساسيج: الزاب الأعلى، والزاب الأوسط، والزاب الأسفل،
ونقل إليها بنو الرياحين، وأصول الأشجار،

٣٢
٣١

وزو هذا أول من اتخذ ألوان الطيخ، وأنواع الأطعمة، وقسم الغنائم على
جنوده. وكانت مدة ملكه ثلاث سنين.

ثم ملك بعده كرشاسب بن أسباس، وأمه من سبط يامين بن يعقوب عليه
السلام. قال: وكان مسكنه بابل. ومدة ملكه عشرون سنة. وبعض المؤرخين
لم يذكروا في الملوك. وقال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم
بتجارب الأمم: إن كرشاسب كان وزيرا لزق بن طهماسب، وأنه من أولاد طوخ
ابن أفريدون. قال: وقد حكى أن زقا وكرشاسب اشتراكا في الملك. قال:
والصحيح من أمره أنه كان وزيرا لزق ومعينا له، والذي أثبت كرشاسب في الملوك
الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن عبدون الحضرمي الشامي في كتابه المترجم بكامة
الزهر وصدقة الدرر، وقال: ولم يذكره بعض المؤرخين.

ثم ملك بعده كيقباز بن زق، وقيل فيه: ابن زاب بن تور، وسلك سبيل
أبيه فكثرت الكور، وبين حدودها، وأمر الناس بالعمارات، وأخذ العشر من
الغلات لأرزاق الجند. وكان حريصا على العمارة، مانعا لحوزته. والملوك
الكية من نسله. وكان بينه وبين الترك حروب كثيرة. وكانت إقامته في الحد

(١) يريد بالسواد العراق. (٢) طساسيج: جمع طسوج بالشد، وهي الناحية.

(٣) الكية: الذين تجددت أسماءهم بلفظ (كي) وهي كلمة يراد بها التزييد.

الذي بين مملكة الفرس والترك بناحية بلخ . وكان ملكه مائة وعشرين سنة
ثم مات .

وملك بعده كيقابوس^(١) بن كينة بن كيُباد الملك . قال : ولما ملك شدد على
أعدائه ، وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن بلخ ، وولد له ابن لم ير مثله
في عصره جمالا وتمام خلقه ، وسماه سياوخش وضمه إلى رستم الشديد بن دستان من
ولد كرشاسب . وكان أصهبذا بسجستان وما يليها من قبل كيقابوس وأمره بتريته .
فمضى به رستم إلى سجستان وتخير له الخواضن والمراضع إلى أن عقل ، فجمع له
المعلمين ، ثم علمه الفروسية حتى فاق فيها ، فقدم به على أبيه وهو كامل الصفات
من العقل والأدب والفروسية ، فأمتحنه والده فوجده فوق ما يجب .

قال : وكان لكيقابوس زوجة بارعة الجمال يقال إنها بنت فراسياب ملك الترك ؛
ويقال : إنها ابنة ملك اليمن ، فهويت سياوخش وهويها ، ويقال : إنها كانت ساحرة
فسحرت ، وآل أمرهما إلى أن انكشف لأبيه كيقابوس وأطلع على ما كان من أمر
أبنة وزوجته ، فأشفق سياوخش على نفسه وخشى عاقبة أبيه فتلطف في البعد عنه ،
فسأل رستم أن يُشير على أبيه لإرساله لحرب فراسياب ملك الترك ، وكان قد تجددت
بين فراسياب وكيقابوس وحشة ، ففعل رستم ذلك وخاطب كيقابوس فيه واستأذن له
في جند يضمهم إليه ، فأذن له وضم إليه جندا كثيرا وأخص سياوخش إلى بلاد
الترك ، فسار حتى التقى بفراسياب فانتظم الصلح بينهما من غير حرب ، فكتب
سياوخش إلى أبيه يخبره بما كان بينه وبين فراسياب من الصلح والاتفاق ، فكتب
إليه كيقابوس بإنكار ذلك عليه وأمره بمناهضته ومناجرتة الحرب ، فرأى سياوخش

(١) كذا في نسخة (١) و(ب) . وفي تاريخ الطبري (ص ٦٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) :

« كيقابوس بن كينة » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « كيكابوس » ويقال له بالعربية قابوس » .

أنه إن فعل ما أمره به والده من الحرب وتقض الهدنة من غير سبب وقع يوجب تقضها، يكون ذلك عارا عليه ومنقصة، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه وأجمع رأيه على الحرب منه، فكتب الى فراسياب ملك الترك يطلب منه الأمان لنفسه، وعرفه أنه أثر الخاق به فأجابه الى ذلك. وكان السفير بينهما أحد عظماء الترك وأكابرهم يسمى قيران. فلما استوثق سياوخش من ملك الترك سار نحوه وأنصرف من كان معه من جند أبيه ورجعوا إليه. قال: ولما وصل سياوخش الى فراسياب ملك الترك أكرمه وعظمه وزوجه بابنته، وهي أم كيخسرو الذي ملك الفرس. ولم يزل على إكرامه الى أن ظهر له من أدبه وحسن سياسته وجميل تطفه ما أشفق منه وخشى على ملكه لميل الناس إليه فقتله. وكانت ابنة الملك قد اشتمت من سياوخش على حمل، فقصدها أن يسقطه وتحملوا في ذلك فلم تسقط؛ ثم جاء قيران، وهو الذي كان ١٠ السفير في الصالح بين الترك وسياوخش، وأنكر ما كان من فعل الملك وحذره عاقبة الغدر والطلب بالثأر، وأشار عليه أن يدفع ابنته زوجة سياوخش إليه لتكون عنده الى أن تضع وقال: اذا أردت بعد ذلك قتل ولدها فاقتله؛ فأجابه الملك الى ذلك وسلم إليه ابنته، فكانت عنده الى أن وضعت كيخسرو؛ فلما وضعت امتنع قيران ١٥ من قتله وستر أمره، فكان عند قيران حتى بلغ، ثم احتال جده كيقابوس الى أن أخرجه هو وأمه من بلاد الترك.

قال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم: وللفرس في أمر كيقابوس خرافات كثيرة منها: أنهم يزعمون أن الشياطين مسخوه، وقوم منهم يزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام أمرهم بذلك في خرافات كثيرة. ظاهرة الإحالة: من الصعود الى السماء، وبناء مدينة كنكر بأسوار من ذهب وفضة ٢٠

وحديد ونحاس وأنهار، وأنها ما بين السماء والأرض؛ وأشياء ذلك مما تُحيله العقول السليمة؛ لأن ذلك ليس في قدرة البشر.

قال : ولما تمّ لكيقابوس أكثر ما كان يقصده سار من خراسان ونزل بآبِل وترك ما كان يتولاه بنفسه من السياسات، واحتجب عن الناس وتعاضم عليهم، وآثر الخلوة، فكان من عاقبة ذلك أن فسد عليه ملكه وغزته الملوك؛ فكان بعد ذلك يغزّوهم فيظفر بهم مرةً ويُنكّب أخرى، إلى أن غزا بلاد اليمن، والملك بها يومئذ ذوالأذعار بن أبرهة بن ذى المنار. فلما أتاه كيقابوس خرج إليه ذوالأذعار في جموعه من حمير وولد قطان، فظفر به ذوالأذعار وأسرّه وأستباح عسكره وحبسّه في بر وأطبق عليه طباقاً، فخرج رسم الشديّد من سجستان في جموع كثيرة من الفرس؛ فالفرس تزعم أنه أوغل في بلاد اليمن واستخرج كيقابوس من محبسه، واليمن تقول غير ذلك، وأنّ ملكهم ذوالأذعار لما بلغه إقبال رسم خرج إليه في جموعه وجنود عظيمة، وخندق كل منهما على نفسه وعسكره، وأنهما أشفقا على جندهما من البوار، فانفقا على أن دفع لهما ملك اليمن كيقابوس وانصرف رسم من غير حرب ورجع بكيقابوس إلى بابل، فكتب له كيقابوس كتاباً بالعتق وأقطعه سجستان. ونسخة الكتاب الذى كتبه : من كيقابوس بن كيقباز إلى رسم. إني قد أعتقتك من العبودية، وملكك بلاد سجستان، وأجلس على سرير من فضة ممّوزه بالذهب، والبس قلنسوة من الحرير منسوجة بالذهب متوجة. قال : ومما يدل على صحة ما نقل من أمر كيقابوس قول الحسن بن هانئ :

وقاظ قابوس في سلاسلنا * سنين سبعا وفّت لحاسبها

٣٤
١٣

ولما مات كيقابوس ملك بغداد ولد أبنه كيخسرو بن سياوخش بن كيقابوس . قال : ولما ملك عقد التاج على رأسه وخطب رعيته خطبة بليغة أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سياوخش قبل فراسياب ملك الترك ، وكتب إلى جودرز بأصبهان - وكان أصهبذا على خراسان - يأمره بالمسير إليه ، وأمره أن يعرض جنده وأن ينتخب ثلاثين ألف راجل ويضمهم إلى طوس ^(١) [بن نوذران] .
وكان فيمن أشخص معه برزافره [بن كيقاوس ^(١)] عم كيخسرو وابن جودرز وجماعة من إخوانه ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ، وأمره أن يقصد فراسياب وطراخته وحذره من ناحية بلاد الترك فيها أخ له من أبيه سياوخش يقال له فروذ ، وكان قد رزقه من بعض نساء الأتراك ، كان سياوخش قد تزوجها لما سار إلى فراسياب فولدت له فروذ ، وأقام بموضعه إلى أن شب ، فسار طوس وكان من غلظه الذي فعله أنه لما صار بالقرب من المدينة التي فيها فروذ حاربه فقتل فروذ في الواقعة . فلما اتصل الخبر بكيخسرو غضب لذلك وشق عليه ، فكتب إلى عمه برزافره ذلك كتابا غليظا يخبره بما ورد عليه من خبر طوس ومخالفته له ومحاربتة لأخيه فروذ وقتله إياه ، وأمره بإشخاص طوس إليه مقيدا مغلولا ، وأن يتقدم هو على العسكرويتوجه . ففعل برزافره ذلك وتولى أمر العسكر ، وسار وعبر النهر المعروف بكاشرود ، وانتهى خبره إلى فراسياب فوجه للقائه وحر به جماعة من إخوانه وطراخته ، فالتقوا وفيهم قيران وإخوانه ، فاقتلوا قتالا شديدا ، وظهر من برزافره عم كيخسرو في ذلك اليوم فشل لما اشتدت الحرب ، فهرب وأنحاز بالعلم إلى رموس الجبال ، واضطرب على ولد جودرز الأثر ، فقتل منهم في تلك الملاحمة في وقعة

٢٠

(١) الزيادة من تاريخ الطبري .

(٢) طراخته : الطراخنة جمع طرخان (بالفتح) ، والطرخان : زعيم القوم المنفي من الضرائب

(فارسي) .

واحدة سبعون رجلا، وقتل خلق كثير، وأنصرف برزافره ومن أقبلت معه إلى كيخسرو،
فرميت الكتابة في وجهه وأمتع عن الطعام والشراب أياما، ثم أتاه جودرز وشكا
إليه عمه برزافره وأنه كان سبب الهزيمة، ولاطفه كيخسرو وقال : إن حقك لازم
لنا لخدمتك إيانا، وهذا جندنا وخزائننا مبدولة لك فاطلب رتلك^(١) واستعد وتجهز
للتوجه إلى فراسياب . فنهض جودرز وقبل يده وقال : نحن رعيك وعبيدك
أيها الملك ، فإن كانت آفة أو نازلة فلتكن بالعبيد دون الملوك ، وأولادى الذين قتلوا
فداؤك ، ونحن من وراء الانتقام من فراسياب والاستيفاء من الترك^(٢) . فكتب
كيخسرو إلى وجوه عساكره وأكابر أجناده يأمرهم بموافاته في صحراء تعرف بشاه
اسطون من كورة بلخ في وقت وقته لهم ، فوافوه في ذلك الوقت ، وشخص كيخسرو
بأصهبذيته وأصحابهم وفيهم برزافره عمه وجودرز وولده ، فعرض كيخسرو الجند
بنفسه حتى عرف عدتهم وأطلع على أحوالهم ، ثم أحضر جودرز وثلاثة قهرمعه
من القواد فأعلمهم أنه يريد إدخال العساكر على الترك من أربعة وجوه ليحيطوا بهم
من جميع جهاتهم ، وقود على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جودرز ،
ودفع إليه يومئذ درفش كايان^(٣) ، ولم يكن يدفع قبل ذلك لأحد من القواد ، بل مع
أولاد الملوك .

قال : وأمر أحد القواد بالدخول مما يلي الصين وضم إليه ثلاثين ألف رجل ،
وأمرهم بالدخول من ناحية الخزر من طريق بين جودرز وبين الذى دخل من
طريق الصين ، ودخل جودرز من ناحية خراسان وبدأ بغيران والتحمت بينهما

(١) القرة هنا : الثأر . (٢) في تاريخ الطبرى : « والاشطاء » .

(٣) في تاريخ الطبرى (ص ٦٠٩ من القسم الأول) : « درفش كايان » بالشين المعجمة وقال :

إنه العلم الأكبر الذى كانوا يحملونه .

الحرب واشتد القتال ، فقتل جوذرز أخا لقيران ، ثم قتل قيران مبارزة ، ثم قصد فراسياب وألتحمت عليه العساكر من كل جهة ، وأتبع كيخسرو القوم بنفسه وقصد الوجه الذي كان فيه جوذرز ، وقد أثنى في القتل وقتل أصهبد فراسياب والمرشح للكل بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته وأولاده ، وأسر برويز وهو الذي قتل سیاوخش .

قال : ولما جاء كيخسرو وجد جوذرز قد أحصى الأسرى والقتلى وما غنم من الكراع والأموال ^(١) ، فوجد ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفا ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفا على ما تزعم الفرس ، وحاز من الكراع والأموال ما لا يحصى كثرة ، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره ورأس قتيله [عند علمه ^(٢)] لينظر إلى ذلك كيخسرو عند موافاته . فلما وافى كيخسرو موضع الملحمة تلقاه جوذرز وعرض عليه الأسرى والقتلى ، فرأى قيران قتيلًا ، وأتى بقاتل أبيه الذي مثل به بعد قتله . فقتله كيخسرو شر قتله ، قطعه عضوا عضوا ثم ذبحه ، وأحسن صلة جوذرز وفوض إليه الوزارة التي يقال لها بزر جفرمذار وجعل إليه مع ذلك أصهبان وجرجان ، وأحسن لكل من أبلى من قواده ورجاله ، ثم أنه أخبار قواده الثلاثة الأخر أنهم قد أحاطوا بفراسياب ، وبرز فراسياب ومن بقى من ولده وعساكره وتوجه نحو كيخسرو بجيوش عظيمة ، فيقال إن كيخسرو أشفق منه وهابه حتى ظن أنه لا قبل له به ، ودام القتال بين العسكريين أربعة أيام ، فقتل شيده مقدم عسكر فراسياب ، وكانت هذه

(١) الكراع بالضم : اسم يجمع الخيل وال سلاح . (٢) التكلة من تاريخ الطبرى (ص ٦١٢)

من القسم الأول (و العبارة في الأصل مضطربة . (٣) في تاريخ الطبرى أن اسم هذا القاتل

« بروان فشنجان » . (٤) كذا في الطبرى وفي نسخة (١) « بزرخ فرمدار » وفي نسخة

(ب) « بزرخ فرمدار » .

الحرب معه ، ثم أقبل فراسياب في جمع عظيم من الأتراك وألتقى هو وكيخسرو ونشبت بينهما حروب عظيمة يقال إنه لم ير مثلها قبلها قط على وجه الأرض ، فكانت الدائرة على الترك ، وأنهزم فراسياب وكثر القتل في أصحابه وأتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان فظفر به وأستوثق منه بالحديد ووثقه على ما كان منه من قتل سياوخش ، فلم يكن له حجة ، فذبحه ثم أنصرف . وقد غم غنائم عظيمة لا تحصى وأدرك بناره .

قال : ولما فرغ كيخسرو من أمر الترك ورجع إلى بلاده واستقر بدار ملكه زهد في الملك وتنسك ، وأعلم وجوه أهل بيته وأكابر مملكته أنه قد عزم على التخلي والآنفراد وترك الملك ، فجزعوا من ذلك وسألوه ألا يفعل ، فأبى عليهم . فلما أيسوا منه سألوه أن ينصب في الملك من يراه له أهلا ، فأشار بيده إلى هراسف وأعلمهم أنه خاصته ووصيته ، فقبل هراسف ذلك وأقبل الناس عليه . وقُفِد كيخسرو . فمنهم من يقول : إنه غاب للتنسك ، وبعضهم يقول غير ذلك ، إلا أنه لم تُعلم جهة وفاته . قال : وكان ملكه ستين سنة . قال : وفي أيام ملكه كان سليمان بن داود عليه السلام .

ثم ملك بعده هراسف^(١) ؛ وقيل فيه بهراسف بن تنوف بن كيمش وهو ابن أنحى كيقابوس ويلقب بكى هراسف . قال : ولما ملك اتخذ سريرا من ذهب مكللا بالجواهر للجلوس عليه ، وبنيت له بأرض خراسان مدينة ، سماها بلخ الحسنة . قال : وهو أول من دَوَّن الدواوين ، وقوى ملكه بانتخاب الجنود ، وعمر الأرض . وكانت شوكة الأتراك اشتدت في زمانه ، فترل بلخ لمقاتلتهم ، ووجه يختصر

(١) كذا في نسخة (ب) وفي نسخة (أ) « كهراسف » وفي تاريخ الطبري : « كي فراسب »

وفي مرجع الذهب (ج ١ ص ١٠٩ طبع بلاق) : « هراسب » .

أصبهنا ما بين الأهواز إلى أرض الروم، من غربي الفرات . وسند ذكر أخباره
إذا انتهت أخبار لهراسف .

قال : وكان لهراسف بعيد الهمة ، طويل الفكرة ، شديد القمع للملوك المحيطة
لإيران شهر . وكانت ملوك الروم والمغرب والهند يؤتون إليه إلتوة معلومة في كل
سنة ، ويُقرون له أنه ملك الملوك حينئذ له ، واستمر في الملك إلى أن كبرت سنه
وأحسن بالضعف فاعتزل الملك ونصب ابنه بشتاسب . وكان ملكه فيما ذكر
مائة وعشرين سنة .

ذكر أخبار مختصر

ويقال في اسمه بالفارسية بخترشه ، وكان مرزباناً للهراسف ، ومعنى المرزبان
أنه ملك على ربع من أرباع المملكة . وقد قدمنا أن الملك لهراسف كان قد
جعله أصبهنا ما بين الأهواز إلى أرض الروم . قال : فسار حتى أتى دمشق
فصالحه أهلها ، ووجه قائدا له فأتى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل ، وهو
رجل من بني داود النبي عليه السلام ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية
وثب بنو إسرائيل على ملكهم قتلوه وقالوا له : إنك هادنت أهل الكفر وخذلنا
واستعنا للقتال ، فكان عاقبة ذلك أن قائد مختصر — لما بلغه ما كان من بني
إسرائيل — كتب إليه يخبره بقتلهم ملكهم ، فأجاب مختصر أن يقيم بموضعه حتى
يوافقه ، وأمره بضرب أعناق الرهائن الذين معه . وسار مختصر حتى أتى بيت

(١) هكذا في تاريخ الطبري . وفي غرر أخبار ملوك القروس : « بشتاسف » وفي نسخة أ ، ب :
« بشتاسف » .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري : (ص ٦٤٥ من القسم الأول) و غرر أخبار القروس وسيرهم للعالي
(ص ٤٤ طبع باريس) . وفي نسخة (أ) هكذا « تحت زسي » وفي نسخة (ب) « تحت يرسي » :

٣٦.
١٣

المقدس فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبي الذرية وهرب الباقون إلى مصر، فكتب بختنصر إلى ملك مصر: «أن عبيدا لي هربوا مني إليك فسرّحهم إلىي وإلا غزوتك وأوطأت خيلي بلادك»، فكتب إليه ملك مصر: «إنهم ليسوا عبيدك، ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار، وأمتنع من إعادتهم إليك، فغزاه بختنصر وقتله وسبي أهل مصر، ثم سار في أرض المغرب حتى بلغ أقصى نواحيها».

قال صاحب كتاب تجارب الأمم: وقد حكى أهل التوراة وغيرهم في أمر بختنصر أقوالا مختلفة، فذكروا منها: أن بختنصر لما خرب بيت المقدس أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس، فقدفوا فيه من التراب ما ملأه. قال: ولما أنصرف إلى بابل اجتمع معه سبائا بيت المقدس من بني إسرائيل وغيرهم، فاختر منهم سبعين ألف صبي، فلما فزق القنائم على جنوده سألوه أن يقسم فيهم الصبيان، فقسمهم في الملوك منهم، فأصاب كل رجل منهم أربعة، وكان من أولئك الغلبة الذين سباهم، دانيال النبي وحنين ومنشائيل، وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأخذوا عشرين ألفا من سبط بشرين يعقوب، ثم غزا بختنصر العزب، وذلك في زمن معد بن عدنان.

قال: وكانت مدة غلبة بختنصر إلى أن مات أربعين سنة، ثم قام ابن له يقال له أونمروذ ثم [هلك، وملك مكانه ابن له يقال له] بختنصر، وذلك في زمن بهمن، فلم يرض بهمن أمره فعزله وملك مكانه كيرش، وتقدم إليه بهمن أن يرفق بيني إسرائيل ويمكنهم من النزول حيث سألوا، أو الرجوع إلى أرضهم، وأن يولي

(١) في تاريخ الطبري: «أولمروخ».

(٢) الكلمة من تاريخ الطبري. وفي نسخة (١٠) هكذا: «ثم بن بختنصر». وفي نسخة (ب): «ثم ابن يقال له بختنصر».

عليهم من يختارونه ، فاختاروا دانيال فولاه أمرهم . فكانت مدة خراب بيت المقدس سبعين سنة ، وقيل غير ذلك . ولترجع إلى أخبار الفرس .

ولما أعتزل لهراسف الملك كما ذكرناه ، ملك بعده كي بشتاسف ^(١) بن كي لهراسف . قال : ولما ملك بنى مدينة فسا ^(٢) ، وهو أول من بسط دواوين الكتاب لا سيما ديوان الرسائل ، وكان له ديوانان أحدهما : ديوان الخراج ، والآخر ديوان النفقات ، فكل ما يرد إلى ديوان الخراج ، وكل ما يصرف من ديوان النفقات . وكان له كاتب موكل بدار المملكة ، فإن وقع تقصير بأحد في منزلته ، أو حُطَّ من درجته رجع إلى ذلك الكاتب ليبين له حال مرتبته فيجربى على رسمه وعادته .

- ١٠ . وفي أيامه ظهر زرادشت [بعد ثلاثين سنة من ملكه فأدعى النبوة ^(٣)] فأرادته على قبول دينه فامتنع من ذلك ثم صدقه وقيل دعواه ، وأناه بكتاب يكتب في جلد اثنتي عشرة ألف بقرة حفرا في الجلود ونقشا بالذهب ، فصير بشتاسف ذلك الكتاب بإصطخرو وكل به الهراينة ^(٤) ، ومنع من تعليمه العامة . وبني بيلاد الهند بيوتا للنيران ، وتنسك واشتغل بالعبادة ، وهادن كي خرزاسف بن كي سواسف ^(٥) ابن أخى فراسياب ملك الترك على ضروب من الصلح ، وفي جملة شريطة الصلح ألا يكون

(١) في تاريخ الطبرى : « كي بشتاسب بن كي لهراسب » .

(٢) فسا (بالفتح والفصر) ويقال لها بسا (بالباء) : مدينة بفارس أتره مدينة بها فيما قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهى مدينة واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز ، وهى أصح هواء منها .

(٣) التكملة من تاريخ الطبرى (ص ٦٧٦ من القسم الأول طبع أوروبا) .

(٤) الهراينة جمع الهريذ (بالكسر) : هم خدام النار . وقيل : حكام المحروس الذين يصلون
٢٠ م . (راجع المغرب للجوالق ص ٣٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٥) في تاريخ الطبرى : « أنسى » .

ببلاد خرزاسف دابة موقوفة في منزلة الدواب التي تكون على أبواب الملوك ، وغير ذلك مما وقعت عليه المهادنة . فأشار زرادشت على بشتاسف بتقض الهدنة ومفاسدة ملك الترك ، فبلغ ملك الترك ذلك ، فغضب وكتب إليه كتابا غليظا من جملته أن يوجه إليه زرادشت ، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه ودماء أهل بيته ؛ فأجابه بشتاسف بجواب أغلظ من كتابه وآذنه بالحرب وأعلمه أنه غير ممسك عنه إن أمسك هو . فسار كل منهما إلى الآخر ، ومع كل واحد منهما إخوته وأهل بيته ، والتقوا واقتلوا قتالا شديدا ، فكانت الدائرة على الترك ، وقتل اسفنديار بن بشتاسف بيدرفش الساحر مبارزة ؛ وقُتِلَ التركُ قتلا ذريعا ، وهرب ملكهم خرزاسف ورجع بشتاسف إلى بلخ .

قال : فلما مضت لتلك الحرب سنون سعى رجل يقال فروخ بإسفنديار إلى بشتاسف ونسبه أنه تطاول لل ملك ، وزعم أنه أحقُّ به ، فأفسد بذلك قلب بشتاسف عليه ، وصدق مقالة فروخ ، فأخذ في التدبير على إسفنديار وجعل يرسله إلى حرب بعد حرب ، وهو يظفر وينجح ويرجع بالغنائم ، ثم أمر بتقييده فقيداً ، وصيره في الحبس في حصن من حصونه ، وسار بشتاسف إلى جبل يقال له طميدر لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسف في مدينة بلخ ، وقد كبرت سنه وهرم وعجز .

قال : فاتصل هذا الخبر بخرزاسف ملك الترك ، فجمع من الجنود مالا يحصى كثرة ، وشخص من بلاده نحو بلخ حتى [إذا] انتهى إلى تخوم ملك فارس قدم أمامه

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصول : « بندرفش » بالنون .

(٢) في تاريخ الطبري : « فرزم » .

(٣) زيادة يقضها الباق .

- (١) جوهر من أخيه، وكان مرشحاً للثقل، في جماعة كثيرة من المقاتلة، وأمرهم أن يُغْدُوا السير حتى يتوسطوا المملكة، ثم يوقعوا بأهلها ويشتنوا الغارة على المدن والقرى .
- ف فعل جوهر من ذلك وسفك الدماء وأستباح الحرم، وسي ما لا يحصى، وأتبعه خراساف ملك الترك حتى انتهى إلى مدينة بلخ، فأحرق الدواوين وقتل لهراساف والهرا بذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسي آبنين لبشتاساف وأخذ درفس كايان، وسار في طلب بشتاساف فتحصن منه في جبل طميدر، فعند ذلك ندم بشتاساف على ما كان منه في حق أبنة إسفنديار، فيقال: إنه وجه من استخرجه من محبسه، وجاء به، فلما دخل عليه اعتذر منه ووعدته عقد التاج على رأسه، وأن يفعل معه كما فعل لهراساف به . وقده أمر عساكره وندبه لحرب ملك الترك . فطابت نفس إسفنديار بكلام أبيه له، وتأهب لوقته، وسار بالجنود صبيحة النهار نحو الترك . فلما قرب منهم تبادروا الحرب، فكان ممن خرج إليه منهم جوهر من واندريمان، فالتقوا والتحمت بينهم الحرب، فانقض إسفنديار على عساكر الترك بنفسه واختلط بهم، وقاتل حتى نل منهم ثلثة عظيمة، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من محبسه، وأنه هو الذي يقاتلهم، فانهزموا لا يلوون على شيء . واسترجع إسفنديار من الترك الدرفس وعاد إلى أبيه، فاستبشر وأمره باتباع القوم وقتال خراساف وقتله — إن ظفر به — بجده لهراساف، وقتل جوهر من واندريمان بمن قُتل من ولده، وأن يهدم حصون الترك ويحرق مدنهم ويقتل أهلها بمن قتلوا من أهل بلاده، ويستنقذ من سبوه من بناته . فدخل إسفنديار بلاد الترك ورام ما لم يرمه أحد قبله، واعترض العناء ورامها على ما يزعم الفرس، ودخل مدينة الصفرة عنوة، وقتل ملكها وأخوته ومقاتلته، واستباح

أمواله وسبي ذراريه ونساءه واستنقذ أخته، وكتب بالفتح الى أبيه، ولم يستقل إسفنديار هذا بالملك .

والذى ملك الفرس بعد بشتاسف أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسف . وتفسير بهمن بالعربية : الحسن النية .^(١)

قال : ولما ملك أردشير انبسط يده وتناول الممالك حتى ملك الأقاليم . وكانت ملوك الأرض تحمل اليه الإتاوة، وأبنتى بالسواد مدينة وهى المعروفة بهمينيا، وهو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان . قال : وكان بهمن كريما متواضعا . وكانت تخرج كتبه : من أردشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمرهم . ويقال : إنه غزا رومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل . ومن المؤرخين من ذهب الى أن بهمن هذا هو الذى جهز بختنصر لغزو العرب وغيرهم . وكانت مدة ملك أردشير [مائة و]أثنى عشرة سنة .^(٢)

ولما مات ملكت بعده أبنته جماز هرازاد، وهى جماني أم أبنته دارا . قال : وكانت قد حملت منه بدارا الأكبر وسألته أن يعقد التاج للذى فى بطنها ويؤثره بالملك، ففعل أردشير ذلك . وكان أبنته ساسان يتصنع للملك ولا يشك أنه يكون هو الملك بعد أبيه . فلما رأى ما فعل أبوه شق ذلك عليه، فاحق بإصطخر وترهد، وخرج عن حلية الملوك، وأخذ غنيمة وكان يتولاها بنفسه، فاستشنع الناس ذلك^(٣)

٣٨
١٣

(١) كذا فى نسخة (ب) وتاريخ الطبرى . وفى نسخة (أ) « أردشير » بالزاي المعجمة .

(٢) همينيا ويقال لها همانية : قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والعمانية فى وسط البرية ليس بقربها شئ من العارات وهى فى حفة دجلة . (٣) الذكالة من تاريخ الطبرى .

(٤) كذا فى نسخة (ب) وفى نسخة (أ) « جماني » بالخاء المعجمة . وفى تاريخ الطبرى (ص ٦٨٨ من القسم الأول) : « جماني » بالخاء المعجمة . (٥) استشنع الناس ذلك : استنقبوه واستهجنوه .

من فعله وقالوا : صار ساسان راعيا ، ولم تزل جماني قائمة بأمر الملك ، ضابطة له ، وأغزت الروم جيشا ^(١) [بعد جيش] وأوتيت ظفرا ، فقمعت الأعداء وشغلهم عن التطرق الى شيء من بلادها ، ونال رعيّتها بتديرها رفاهية وأمن إلى أن كبر آبنها .

فملك دارا بن أردشير بهمن . قال : ولما كبر حوّل التاج الى رأسه ونزل بابل . وكان ضابطا للملك ، قاهرا لمن حوله من الملوك ، يؤدون اليه الخراج . وآبى بفراس مدينة وسمّاها دارا بيجرد . وربّ دواب البريد . وكانت مدة ملكه آنثى عشرة سنة .

وملك بعده آبنه دارا بن دارا بن أردشير ، وكان دارا هذا حقودا جبارا ، فله قومه . وغزاه الإسكندر بن فيلبس اليوناني ، والتقوا واقتلوا قتالا شديدا ، فقتل دارا بن دارا . وسند ذكر خبر مقتله في أخبار الإسكندر .

فهؤلاء ملوك الفرس الأول ، ثم تبدّد ملك الفرس وانتثر لقتل دارا بن دارا ، واستقل الإسكندر بالملك . وملك بعده من نذكره من ملوك اليونان ، وتفترق ملك الفرس أربع مائة سنة الى أن عاد الى بني ساسان . وهأنا ذا ذكر خبر ملوك الطوائف ما بين دارا بن دارا وأردشير بن بابك .

ذكر أخبار ملوك الطوائف

وملوك الطوائف هم الذين ملكوا بلاد فارس ما بين دارا بن دارا وأردشير ابن بابك الذي جمع ملك الفرس بعد تبدده ، ونظّمه بعد انتثاره . وكان من خبرهم أن الإسكندر لما قتل دارا بن دارا وغلب على بلاد الفرس هم بقتل أكابرهم ، فكتب الى معلمه أرسطاطاليس يستشير في ذلك ، فنهاء عن قتلهم وقال : هذا

من الفساد في الأرض ، وإذا قتلهم أنبتت أرض بابل امثالهم ، وأشار عليه أن يفرق المملكة بين أولاد الملوك ، فإنهم يتنافسون الملك فلا يجتمعون على ملك واحد منهم ، فمضى خالفك واحد كانت مؤنته عليك خفيفة ؛ ففعل ذلك ، وفرق الملك حتى أمكنه أن يتجاوز أرض فارس الى بلاد الهند والصين . فكانت ملوك الطوائف في إقليم بابل لا يدين بعضهم الى بعض .

فكان من ملوكهم الذين ملكهم الإسكندر : أشك بن دارا الأكبر ، فقوى أشك هذا وعظمته الملوك وقدموه على أنفسهم ، وبدأوا به في كتبهم إليه إجلاله ، وبدأ في كتبه اليهم بنفسه ، وسموه ملكا ، وأهدوا اليه من غير أن يطيعوه أو يستعمل أحدا منهم أو يعزله ، وكثرت جموعه وسار الى أنطيوخس ، وكان مقيا بسواد العراق من قبل الروم ، وتقدم أنطيوخس اليه وألقيا ببلاد الموصل وأقتلا فقتل أنطيوخس ، وغلب أشك على السواد ، وصار في يده من الموصل الى الرى وأصفهان ، ولذلك عظمته ملوك الطوائف .

ثم ملك جودرز بن أشكان . وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة الثانية ؛ وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، فسلطه الله تعالى عليهم فأكثر فيهم القتل فلم يعد لهم جماعة بعد ذلك ؛ ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم الذل .

وكان من سنة الفرس بعد الإسكندر أن يخضعوا لمن ملك بلاد الجبل ، وهم الأشغانية ؛ فأولهم أشك بن أشكان ، ثم سابور بن أشكان ، وفي أيامه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأرض فلسطين . ثم ملك جودرز بن أشغان الأكبر . ثم ملك بيزن الأشغاني . ثم ملك جودرز الأشغاني . ثم نرسي الأشغاني . ثم هرمز . ثم أردوان الأشغاني . ثم كسرى الأشغاني . ثم بلاش الأشغاني . ثم أردوان الأصغر

الأشغاني . ثم اردشير بن بابك . فكانت مدة هؤلاء ، الى أن وثب أردشير بن بابك على الإردوان فقتله ، مائتين وستا وستين سنة .
وفي أيام ملوك الطوائف اصطلمت^(١) طسم وجديس . وسنذكر إن شاء الله خبرهم .

ذكر أخبار الملوك الساسانية

وهم الفرس الأخر . وأول من ملك منهم أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر . وكان من أعظم ملوك الطوائف وملوك الأشغانية ، فوثب بالإردوان وقتله واستولى على الممالك وقاد الملوك الى طاعته رغبة ورهبة . وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاجتماع اليه : بسم الله ولي الرحمة . من أردشير المستأثر^(٢) دونه بحقه ، المغلوب على ثراث آبائه ، الداعى الى قوام دين الله وسنته ، المستنصر بالله ، الذى وعد المحققين الفلخ ، وجعل لهم العواقب ؛ الى من بلغه كتابي هذا من ملوك الطوائف . سلام عليكم بقدر ما تستوجبون بمعرفة الحق ، وإنكار الباطل والجور . ودعاهم الى الطاعة : ففهم من أقزله بالطاعة ، ومنهم من تربص حتى قدم عليه ، ومنهم من عصاه فكانت عاقبة أمره الى القتل والهلاك ؛ حتى استوثق له الأمر . فكانت طائفة الأشكانية ممن امتنعت من طاعة أردشير ، فأقسم أنه لا يبق منهم — إن قدر عليهم — رجلا ولا امرأة . فلما غلب عليهم ما نجا منهم إلا من أخفى اسمه ونسبه . وقد كان أخذ في جملة من أخذ منهم ابنة ملكهم ، وكانت بارعة الجمال ، وافرة العقل . فلما رآها قال لها : أنت من بنات ملوكهم ؟ قالت : بل من خدمهم . فاصطفاها لنفسه ، فجعلت منه . فلما علمت بالحمل شهرت نفسها وقالت : أنا ابنة ملكهم .

(١) اصطلمت : أي دت .

(٢) الفلخ (محركة) : الفوز بما يقتبط به وفيه صلاح الحال .

فَعَدَ ذَلِكَ أَمْرَ شَيْخٍ مِنْ رِجَالِهِ الَّذِينَ يَشُقُّ بِهِمْ يُقَالُ لَهُ هَرَجَنْدُ^(١) [بَنِ سَام] بِأَنْ
يُودِعَهَا فِي بَطْنِ الْأَرْضِ إِشَارَةً إِلَى قَتْلِهَا . فَقَالَتْ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، إِنِّي قَدْ حَمَلْتُ
مِنَ الْمَلِكِ . فَلَا تُبْطِلْ زَرْعَهُ . فَعَمِلَ لَهَا سَرًّا تَحْتَ الْأَرْضِ وَجَعَلَهَا فِيهِ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى
مَذَاكِيرِهِ فَجَبَّهَا وَوَضَعَهَا فِي حُقٍّ وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ أَوْدَعْتُهَا
بَطْنَ الْأَرْضِ ، وَدَفَعْتُ لَهُ الْحَقَّ وَقَالَ : إِنْ فِيهِ وَدِيعَةٌ وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْمَلِكِ
إِلَى أَنْ أُحْتَاجَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَوْدَعَهُ الْمَلِكُ ، وَأَقَامَتِ الْجَارِيَةُ فِي السَّرْبِ حَتَّى كَلَّتْ مَدَّةَ
حَمْلِهَا ، فَوَضَعَتْ غُلَامًا فَسَمَاهُ الشَّيْخُ : شَاهُ بُوْر ، أَيْ وَلَدَ الْمَلِكِ ، فَسَمَاهُ النَّاسُ سَابُوْر .
وَبَقِيَ أَرْدَشِيرُ هَذَا دَهْرًا لَا يُؤَلِّدُ لَهُ ، فَرَأَاهُ الشَّيْخُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ
الْحُزْنُ ، وَكَانَ خَاصًّا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْحُزْنُ سَرَّكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَعَمَّرَكَ^(٢) .
فَقَالَ : مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَدٌ يَرِثُ مَلِكِي . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : إِنْ لَكَ عِنْدِي وَلَدٌ
طَيِّبٌ قَادِعٌ بِالْحَقِّ . وَأَمَرَ أَرْدَشِيرُ بِإِحْضَارِهِ فَاحْضَرَهُ ، فَفَضَّ خَتَمَهُ فَإِذَا فِيهِ مَذَاكِيرُ
الشَّيْخِ وَكِتَابٌ فِيهِ : إِنَّهُ لَمَّا أَمَرَنِي الْمَلِكُ بِقَتْلِ الْمَرْأَةِ الْأَشْكَانِيَّةِ الَّتِي عَالَقَتْ مِنْ مَلِكِ
الْمُلُوكِ أَرْدَشِيرُ لَمْ أَرَأَنَّ أَبْطَلَ زَرْعِ الْمَلِكِ الطَّيِّبِ فَأَوْدَعْتُهَا بَطْنَ الْأَرْضِ كَمَا أَمَرَنِي ،
وَتَبَرَّأتُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِي لِثَلَا يَجِدَ عَائِبٌ إِلَى عِيْبِهَا سَبِيلًا ، فَسَرَّ أَرْدَشِيرُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ
الشَّيْخَ أَنْ يَجْعَلَ السَّلَامَ بَيْنَ مَائَةِ غُلَامٍ مِنْ أَشْبَاهِهِ فِي الْهَيْئَةِ وَأَقْرَانِهِ فِي السِّنِّ ، ثُمَّ
يُدْخِلُهُمْ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَعَرَفَهُ أَرْدَشِيرُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَبِلَتْهُ نَفْسُهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ
يَلْعَبُوا فِي حِجْرَةِ الْإِيْوَانِ بِالصُّوَالِجِ ، فَدَخَلَتِ الْأَكْرَةُ الْإِيْوَانَ ، فَاحْجَمَ الْعُلَمَاءُ عَنْ
دُخُولِهِمْ وَأَقْدَمَ سَابُوْر ، فَأَمَرَ أَرْدَشِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ بِعَقْدِ التَّاجِ لَهُ .

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ الطَّبْرِی (ص ٨٢٣ مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ طَبْعُ أَوْرَبَا) . وَفِي نَسْخَةِ ١ : « جَنْدَان » .

وَفِي نَسْخَةِ ب : « جَنْد » . وَالتَّكْوِينُ

(٢) كَذَا فِي الطَّبْرِی ، وَفِي نَسْخَةِ (ب) « بَشْرَكَ » ، وَفِي نَسْخَةِ (١) « يَنْزَرَكَ » .

وكان أردشير من أهل العقل والمعرفة وحسن التدبير، وله وصايا ومكتابات صدرت عنه تدل على حكمة ورجاحة عقل . وقد تقدم إيرادها في الباب الرابع^(١) من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك . وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر .

٤٠
١٣

ثم ملك بعده ابنه سابور بن أردشير، والعرب تسميه سابور الجنود . وسابور هذا هو الذي حصر الضيزن^(٢)، وملك حصن الحضّر، وهو من مباني العرب المشهورة . وقد تقدم ذكره في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول، وهو في السفر الأول . فلا حاجة الى إعادة ذكره .

وفي أيامه ظهر ماني الزنديق تلميذ قاردون وقال بالاثنتين، فرجع سابور الى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة، ثم عاد الى دين المجوسية وترك المانوية، وهو المسمى عندهم بدين الثنوية . وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة . وقيل إحدى وثلاثين سنة ونصف سنة وثمانية عشر يوما .

ثم ملك بعده ابنه هرمز بن سابور، وهو الذي يدعى هرمز البطل، ويلقب أيضا بالجرى . وبني مدينة رامهرمز بين كور الأهواز . وكانت مدة ملكه سنة وعشرة أشهر .

ثم ملك بعده ابنه بهرام بن هرمز . قال : ولما ملك جاءه ماني الزنديق فعرض عليه مذاهب الثنوية فأجابته الى ذلك احتيالا منه عليه، الى أن أحضره دعائه للمتفرقين في البلاد الذين يدعون الناس الى مذاهب الثنوية . فلما أحضرهم اليه قتلهم وقتل ماني وسلخه .

٢٠ (١) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة) .

(٢) هو الضيزن بن معاوية بن العيد من قبيلة قضاة ويلقب بالساطرون .

(٣) راجع (ج ١ ص ٣٨١ من هذه الطبعة) .

وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذين أضيفت إليهم الزندقة . وذلك أن الفرس كان لهم كتاب يسمونه السناء ، وكان له شرح يسمى الزند . فكان من أتاهم بزيادة على ما في كتابهم يسمونه زنديا . فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس فعرّبته وقالت زنديق . فالتنوية هم الزنادقة ، فالخلق هذا الاسم بسائر من اعتقد القِدَمَ وأبى حدوث العالم وأذكر البعث .

والذي أتى الفرس بهذا الكتاب زرادشت في زمن الفرس الأول . وقد قدمنا ذكره في أخبار بشتاسف . وهذا زرادشت هو الذي تزعم المجوس أنه نبيها الذي أرسل إليها . وكان زرادشت خادماً شعيّاً فدعا شعيّاً عليه فبرّص . وكان صاحب نيرجات^(١) وسحر . وكان يحزّر^(٢) بعض الكوائن قبل أن تنع مم كان قد سمعه من شعيّاً وقت خدمته له ، وآدعى النبوة في المجوس وعمل لهم الكتاب الذي قدمنا ذكره ، وزعم أنه أنزل عليه من السماء ، وجعل كلامه فيه يدور على نيّف وسبعين حرفاً ، فلم يقدر أحد منهم على قراءته فأختصره لهم وسمى مختصره الزند .

فلما قام ماني بدين التنوية ستمه المجوس "زندين" وسموا أصحابه الزنادقة لأبنة زاد في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت ، فقتل بهرام هذا مانياً وصلبه على باب^(٣) من أبواب مدينة من مدنه بالعراق ؛ فيُدعى ذلك الباب إلى آخر وقت باب ماني . وكانت مدة ملك بهرام ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده أبنة بهرام بن بهرام . قال : ولما ملك أقبل في أول ملكه على اللهو والصيد والنزه ، وترك ملكه لا يفكر فيه ولا في رعيته ؛ فخربت البلاد ونقصت

(١) النيرجات : جمع نيرج . والنيرج : أخذ كالسحر وليس بسحر ، إنما هو تشبيه وتليس .
(٢) حزر الشئ : قدره بالحدس . (٣) في تاريخ الطبري (ص ٨٣٤ من القسم الأول طبع أودبا) : « فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب جنديسابور يدعى باب الماني » . (٤) في تاريخ الطبري : « ثلاث سنين » .

- بيوت الأموال . فلما كان في بعض الأحيان ركب الى بعض متفرقاته وضيده
 بفتح الليل وهو يسير نحو المدائن ، وكانت ليلة قراء . فدعا بالموبد لأمر خطر بهاله ،
 والموبد عند المجوس كالتفسير عند النصارى ، فجعل يحادثه فتوسطا في مسيرهم
 بين خرابات كانت من أمهات الضياع غربت في ملكه ، وإذا يوم يصبح وآخر
 يحاويه ، فقال الملك : أرى أحدا من الناس أعطى قهْم ما يقول هذا الطائر ؟
 فقال الموبد : أنا أيها الملك ممن خصه الله تعالى بذلك . قال : فما يقول هذا
 الطائر ، وما يقول الآخر ؟ فقال الموبد : هذا يوم ذكر يخاطب بومة أنثى ويقول :
 متعني من نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى . فأجابته البومة :
 إن الذي دعوتني إليه هو الخط الأكبر ، والنصيب الأوفر ، إلا أنني أشرت عليك
 شرائط . فقال : وما هي ؟ فقالت : أن تُقِطَعَنِي من خرابات أمهات الديار عشرين
 قرية مما تحربت في أيام هذا الملك السعيد . فقال له الملك : فما الذي قال الذ ذكر ؟
 قال الموبد : كان من قوله لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعك منها ألف
 قرية ، فما تصنعين بها ؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد ، فتقطع كل
 واحد من الأولاد ضيعة . فقال الذكر : هذا سهل ما حيي الملك .
- ١٥ فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبد عَمِلَ في نفسه وفكر فيما خوطب به ،
 فنزل من ساعته وخلا بالموبد وقال له : ما هذا الكلام الذي خاطبتني به ؟ فقد حركت
 مني ما كان ساكنا . فقال : صادفت من الملك وقت سعيد بالعباد والبلاد ، فجعلت
 الكلام مثلا وموقفا على لسان الطائر عند سؤال الملك إياي . فقال له الملك :
 أيها الناصح للملك ، [المنبه على^(١)] ما أغفله من أمور ملكه ، وأضاعه من أمور بلاده
 ورعيته ، اكشف لي عن هذا الغرض ما المراد منه . فقال له : أيها الملك ! إن الملك

٤١
١٣

(١) الكلمة من مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٢١ طبع بلاي) .

لا يتم إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته ، ولا قوام للشريعة إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قيام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل للمال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، والعدل هو الميزان المنصوب بين البرية ، نصبه الرب وجعل له قِيَمًا وهو الملك .

قال : أما ما وصفت حق ، فَأَيُّ شَيْءٍ عَمَّا إِلَيْهِ تَقْصِدُ ، وَأَوْضَحْ لِي فِي الْبَيَانِ .
 قال : نعم أيها الملك ! عمدت إلى الضياع فاقطعتها الخدم وأهل البطالة فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا في الخراج لقرهم من الملك ، ووقع الحيف على الرعية وعمّار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم ، وقلت الأموال ، وهلكت البند والرعية ، وطمع في ملك فارس من طمع فيه من الملوك والأمم ، لعلمهم بانقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام ، وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين ، فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردّت إلى أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا بالعمارة ، وقوى من ضعف منهم ، وعمرت البلاد ، وكثرت الأموال ، وقويت الجند ، وانتظم ملكه حتى كانت أيامه تدعى بالأعياد ، لما عم الناس من الخصب ، وشملهم من العدل . وكان ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك أبنه بهرام بن بهرام البطل ، وكان يدعى سكان شاه ، وهو الذي يقال له شاهنشاه . فكان ملكه أربعين سنة وأربعة أشهر .

ثم ملك بعده أخوه نرسی بن بهرام الثاني فكان ملكه تسع سنين . وقيل سبع سنين وخمسة أشهر .

(١) شاهنشاه : معناه ملك الملوك . (٢) في تاريخ الطبري : « أربع سنين » .

ثم ملك بعده آبنه هر مرز بن نرسی . قال : وكان فظا إلا أنه كان يرفق بالبيعة ، وكان حسن السيرة فيهم . وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر .

ثم ملك بعده آبنه سابور بن هر مرز ؛ وهو الملقب بذي الأكتاف . وكان هر مرز قد تركه حملا في بطن أمه ، فمقدروا التاج على بطنها ، وقام الوزراء بتدبير الأمر مدة حملها ، وفي مدة رضاع سابور وطفولته وصغره حتى كبر ؛ فكتب إليه الناس الكتب من الآفاق وأجابهم ، ووجه البريد إلى الآفاق والأطراف ، ورتب الوزراء والكتّاب وقزر العمال .

قال : وكان قد شاع في الممالك أن ملك الفرس صغير السن ، وأنه يتدبر برأى وزرائه ، ولا يدري ما يراد منه ، ولا ما يكون من الأمر ، فطمع في مملكة الفرس الترك والروم والعرب . وكانت أدنى بلاد الأعداء إلى الفرس بلاد العرب . وكانت العرب من أحوج الأمم إلى تساول شيء من المعاش لسوء حالهم وشظف عيشهم ، فانبسطت أيديهم في البلاد وغلبوا أهلها عليها وآتسعت حالهم وكثرت مواشيهم ، وأفسدوا في بلاد فارس ، ومكثوا كذلك حيناً ، وقد أمنوا جانب الفرس وأطمأنوا من قتالهم لقلّة هيبتهم . وكان الذي غلب على سواد العراق من العرب جمرّة العرب ولدُ إباد بن نزار . وكان يقال لها طبق لإطباقها على البلاد ، ومَلِكُها يومئذ الحارث بن الأغبر الإيادي . قال : ولما ترعرع سابور جعل الوزراء يعرضون عليه أمر الجنود الذين في الثغور ، وأن الأخبار وردت عليهم أن أكثرهم قد أخلّ ، وعظموا عليه الأمر وهولوه ، فقال لهم : لا يهولنكم ذلك ، فالخطب فيه غير جسيم ، والحيلة في ذلك يسيرة . وأمر الكتّاب أن يكتبوا إلى أولئك الجنود أنه قد انتهى إلى طول مكثكم في النواحي التي أتم فيها ، وعظم عنائكم وذبحكم عن إخوانكم وأوليانكم ، فمن أحب منكم الانصراف إلى أهله فليصرف مأذوناً له في ذلك ،

ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرفنا له ذلك ؛ وتقدم الى من اختار الانصراف منهم بلزوم أهله وبلاده الى وقت الحاجة إليه . فلما سمع الوزراء قوله ورأيه استحسونه وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور وسياسة الجنود مازاد على ماسمعه . ثم تابعت آراؤه في تقويم أصحابه وقمع أعدائه ؛ حتى إذا تمت له ست عشرة سنة جمع أساورته وأمرهم بالاستعداد لقتال العرب . وكانت إياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق . وكان في جيش سابور رجل منهم يقال له لقيط^(١) ، فكتب الى إياد شعرا ينذرهم وهو :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث آتيكم دليفا^(٢) فلا يجبسكم سهو النقاد
أناكم منهم سبعون ألفا^(٣) يزجون الكئاب كالجراد

(١) هو لقيط بن بكر ، شاعر جاهلي قديم مقل ، كما ورد في كتاب الأغاني (ج ٢٠ ص ٢٣ طبع بلاق) . وفي المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم للآمدي (ص ١٧٥ طبع مصر) وكتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ١٠٤ طبع أوربا) : « لقيط بن معبد الإيادي » . وفي كتاب « منتهى الطلب من أشعار العرب » لمحمد بن المبارك المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ أدب ش خمس ورفات (من ص ٣٥٠ - ٣٥٩) كتب في أولها : « ديوان شعر لقيط بن يعمر الإيادي » ، وتشتمل هذه الورقات على الأبيات المذكورة هنا وقصيدته العينية المشهورة التي مطلعها :

بادار عمسرة من محلها الجرجا هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

(٢) كذا في شرح القاموس مادة « دلف » والمؤلف والمختلف . وفي الأصول : « يأتيكم دلافا » وهو تحريف . وورد هذا البيت في الأغاني ومنتهى الطلب هكذا :

بأن الليث كسرى قد أناكم فلا يشفلكم سهو النقاد

وقوله : « آتيكم دليفا » يريد : يمشي مشى المقيد . والنقاد : الغنم .

(٣) في المؤلف والمختلف ومنتهى الطلب :

* أناكم منهم سنون ألفا *

فلم يعبثوا بكتابه ، وسراياهم تَكَرَّ نحو العراق وتغير على السواد . فلما تجهَّز القوم
 نحوهم ظفروهم سابور فعمهم بالقتل ، وما أفلت منهم إلا نفرٌ لحقوا بأرض وبار^(١) ،
 وخاع سابور أكثاف كثير منهم ، فلذلك سُمِّي ذا الأكثاف . وكان سابور في مسيره
 أتى البحرين وفيها بنو تميم فهربوا ، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مرة وعمره
 ثلثمائة سنة ، وكان يُعَلَّق في عمود البيت في قُفَّة ، فأرادوا حمله فأبى عليهم إلا أن يتركوه
 في ديارهم وقال لهم : أنا هالك اليوم أو غدا فتركوه . فلما صبحت خيل سابور
 الديار لقوها خالية ، فلما سمع عمرو صهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف ،
 فحمل إلى سابور ، فلما نظر إلى دلائل الحرم ومزور الأيام عليه قال له : من أنت
 أيها الفاني ؟ قال : أنا عمرو بن تميم بن مرة ، قد بلغت من الكبر ما ترى ، وقد
 هرب الناس منك لإسرافك في القتل ، فأثرت الفناء على يديك ليبقى من بقى من قومي ،
 ولعل الله يُجرى على يديك فرَجهم ، وأنا سائلك عن أمر إن أذنت فيه ؛ فقال سابور :
 قُلْ نَسْمَعْ ؛ فقال : ما الذي حملك على قتل رعيتك من رجال العرب ؟ فقال سابور :
 أقتلهم لما ارتكبوا في بلادى وأهل مملكتي ؛ فقال عمرو : فعلوا ذلك ولست بقيم
 عليهم ؛ فلما ملكت وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ؛ قال سابور : وأقتلهم
 لأننا نجد في مخزون علمنا وما ساف من أنباء أوائلنا أن العرب ستُدَال علينا . فقال
 عمرو : هذا أمر تظنه أم تتحققه ؟ قال : بل أتتحققه ولا بد أن يكون ؛ فقال
 عمرو : فلم تَسْئِ إليها ؟ والله لئن تَبَقَّ عليها وتُحَسَّن إليها ليكافئون قومك عند إدالة
 الدول إليهم بإحسانك ، وإن أنت طالبت بك المدة كافئوك عند مصير الأمر إليهم
 إن كان حقاً ، وإن كان باطلاً فلم تستعجل الإثم وتَسْفِك دماء رعيتك ؟ فقال

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٢) « بأرض الروم » ، و « بار » على وزن قطام
 وحذام : أرض واقعة ما بين الشجر إلى تخوم صنعاء . (انظر معجم البلدان لياقوت) .

سابور : الأمر صحيح والحق ما قلت ، ولقد صدقت في القول ونصحت .
فنادى منادى سابور بأمان الناس ورفع السيف . ويقال : إن عمرا بقي بعد هذا
الوقت ثمانين سنة .

ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن وقتل خلائق من الروم وقال لمن
معه : إني أريد أن أدخل بلاد الروم متنكرا لأتعرّف أحوالهم وسيرهم ومسالك^(١)
بلادهم ، فإذا بلغت من ذلك حاجتي انصرفت إلى بلدي فسرت إليهم بالجنود ؛
فحذروه التغير بِنفسه فلم يقبل قولهم . وسار متنكرا إلى أرض القسطنطينية فصادف
وليمة لقيصر اجتمع فيها الخاص والعامة ، فدخل في جملتهم وجلس على بعض
موائدهم ، وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره وجاء إلى قيصر
بالصورة ، فأمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة ، وأتى
بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس ، فنظر بعض الخدم إلى الصورة
التي على الكأس ، وسابور مقابل له ، فانطبعت مثالا لصورة سابور ، فقام إلى
الملك فأخبره ، فقتل بين يدي الملك ، فسأله عن خبره فقال : أنا من أساورة
سابور وهربت منه لأمر خفته منه . فلم يقبل ذلك منه ، وقُدِّم إلى السيف فأقر^(٢)
بِنفسه ، فجعل في جلد بقرة ، وسار قيصر في جنود حتى توسط العراق ، فافتتح
المدن ، وشن الغارات ، وعقر النخل ، وانهى إلى مدينة نيسابور ، وقد تحصن بها
وجوه فارس ، فنزّل عليها وحضر عيدا للنصارى فأغفل الموكلون بسابور أمره ،
وأخذ منهم الشراب ، وكان بالقرب من سابور أسارى من الفرس ، فراطنهم بالفارسية
أن يحمل بعضهم بعضا ، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاق الزيت ففعلوا ، فلان عليه^(٣)

(١) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٤ طبع أوروبا) . وفي الأصل : « مالك » .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٤ طبع بلوق) . وفي الأصل : « إليه » .

(٣) الزقاق : جمع زق (بالكسر) ، والزق جلد يجز ولا ينف يستعمل للشراب وغيره .

الجلد وتخلص، وأتى المدينة فراطنهم فرفعوه بالحبال، ففتح خزان السلاح وخرج على الروم فكبس جيشهم عند ضرب النواقيس، فانهزم الروم، وأتى بقيصر أسيرا، فأبقى عليه وضم إليه من أسر من أصحابه، وأخذهم بغرس الزيتون بالعراق بدلا من النخل التي عقروها؛ ولم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك. وفي فعل سابور ودخوله الى أرض الروم يقول بعض شعراء الفرس:

وكان سابور صفا في أرومته * اختير منها فاضحى خير مختار
إذ كان بالروم جاسوسا يحول بها * حوم المنيّة من ذى كيد مكار^(١)
فاستأسروه، وكانت كبة عجا * وزلة سبقت من غير عثار
وأصبح الملك الرومى مغتربا * أرض العراق على هول وأخطار
فراطن الفرس بالأبواب فافترقوا * كما تجأبب أسد الغاب بالغار^(٢)
بغذ بالسيف أصل الروم فامتحقوا * لله درك من طلاب أوتار
إذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا * من النخيل وما حقوا بمنشار^(٣)

وسابور هذا هو الذى بنى الإيوان المعروف بإيوان كبرى، وبنى السوس والكرج ونيسابور. قال صاحب كتاب تجارب الأمم: وبنى بالسواد مدينة نرجس سابور، وبنى الأنبار. قال: وبنى مدائن أحر بالسند وسمجستان، ونقل

(١) كذا فى مروج الذهب. وفى الأصل: «جزل البرية». (٢) كذا فى مروج الذهب. وفى الأصل: «الغار». (٣) السوس: مدينة قديمة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي ولها بساتين وورد فى معجم البلدان لياقوت أن أول من بنى كور السوس وحفر أنهرها رديش بن نهجن. (٤) الكرج: وتسمى قديما إيريا، وهى بين جبال القبيج من الشمال وأرمينية وأران من الجنوب، وأشهر مدنها: تقليس وبابكو. واسم الكرج مشتق من نهر الكر الذى يجرى هناك؛ وهى إقليم القوقاز الآن. (٥) نيسابور: حاضرة نراسان، واسمها أيضا «نشار» وكانت قاعدة الدولة الظاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ). (٦) الأنبار: هى «فيروز سابور» مدينة بالعراق بينها وبين بغداد ١٠ فراسخ على نهر الفرات قرب مخرج نهر عيسى. واختلف المؤرخون فىمن بناها، فقيل هو سابور بن هرمز (ذو الأكتاف) كما أورده المؤلف هنا. وقال ابن الأثير: بنيت الحسيرة والأنبار أيام بختنصر. وضحت هذه المدينة فى خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه سنة ١٢ هـ. الهجرة على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه.

طيبيا من الهند وأسكنه السوس، فوريث طِبِّه أهل السوس . وهلك سابور بعد
٤
٣
أثنين وسبعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أردشير بن هرم وهو أخو سابور بن هرم هذا . قال :
ولما ملك ظهر منه شر كثير وقتل من العظماء وذوى الرياسة خلقا كثيرا، فاجتمع
الناس على خلعه فخلعوه بعد أن ملك أربع سنين .

ثم ملكوا عليهم بعده سابور بن سابور . قال : ولما ملك استبشرت الرعية
برجوع ملك أبيه إليه، فأحسن السيرة ورَفَقَ بالرعية . وكانت له حروب كثيرة
مع إياد بن نزار وغيرها [من العرب ^(١)]، وفيه يقول شاعر إيادى :

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب إياد حولها الخيل والنعم

وكان ملكه خمس سنين وأربعة أشهر، وسقط عليه فسطاط كان ضرب عليه فمات .

وملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف، وهو الملقب كَرْمَان شاذ؛
لأن سابور كان ولّاه كَرْمَان . قال : وكان حسن السيرة ، جميل السياسة ، محمود
الأثر ، محباً للرعية . وكان ملكه عشر سنين . وقيل إحدى عشرة سنة وخمسة
أشهر وثمانية عشر يوما .

وملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام المعروف بالأنيم . قال : وكان فظاً غليظاً ،
ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وضعه ما آتاه الله من ذكاء ذهن وحسن
أدب فى غير موضعهما ؛ وذلك أنه كان كثير الروية فى المضار من الأمور، واستعمل
الذى أوتيته فى الدهاء والخيال ، واستخف بكل علم كان عند الناس ، وأحقر آدابهم ،
وتعاطم عليهم واستطال بما عنده . وكان مُعْجَباً بنفسه سيء الخلق ، حتى بلغ من
شدته وحدته أنه كان يستعظم صغار الزلات ، ولا يرضى فى عقوبتها إلا بما لا يُستطاع .

(١) الزيادة من مرجع الذهب .

وكان لا يقدر أحد من بطانته — وإن كان لطيف المتزلة منه — أن يشفع عنده لمن
أُبْتُلَ به وإن كان ذنب المُبْتُلى به يسيرا، ولم يكن يأتى أحدا على شيء البتة، ولا يكافئ
على حسن البلاء . وكان يعتد بالخسيس من المعروف إذا أولاه ويستجزل ذلك ،
فإن جَسَرَ على كلامه أحد في أمر قال له : ما قدر جَعَّالتك في هذا الأمر الذى كلنتا
فيه ، وما الذى بُذِل لك بسببه ؟ وما أشبه ذلك . فلما اشتدت بلية الناس به ،
وكرث إهانتة للعظماء ، وأكثر من سفك الدماء ، واستعمل الضعفاء فى الأعمال
الشاقة ، وحملهم مالا طاقة لهم به ، تضرعوا الى الله عز وجل وسألوه أن يُنْقِذَهم
منه . فزعم الفرس أنه كان ذات يوم مطلعا من قصره إذ رأى فرسا عاثرا لم ير مثله
قط فى الخيل من حسن الصورة وتمام الخلقة حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس
من ذلك ، فأمر يزدجرد أن يُسْرَج ويُلْجِم ويدخل عليه به ، فحاول السؤاس وأصحاب
المراكيب أن يلجموه أو يسرجوه فعجزوا عن ذلك ، ولا مكنهم الفرس من نفسه ،
فخرج يزدجرد بنفسه الى الفرس وتقدم اليه وأسرجه وألجمه وليبه وهو لم يتحرك ، فلما
استدار ورفع ذنبه لِيُثْفِرَهُ رَمَحَ الفَرَسُ على فؤاده رَمَحَةً فهلك منها لساعته ، ثم لم يعاين
الفرس بعد ذلك ، فأكثر الفرس فى حديثه فظنوا الظنون . وكان أحسنهم مذهبا
وأمثلهم طريقة مَنْ قال : إنما استجاب الله عز وجل دعاءنا . فكان ملكه الى أن
هلك إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما . وقيل اثنتين وعشرين سنة
غير شهرين .

قال : وكان أبنة بهرام جور فى حجر النعمان بن المنذر بن ماء السماء أسلمه أبوه
اليه ليربِّيه بالحيرة لصحة هواها . وقد تقدم خبره فى ذكر بناء الخورنق والسدير .

(١) أنفَره : وضع الفرس تحت ذنبه . والنفر (بالتحريك ويسكن) السير الذى يوضع فى مؤخر الرجل
وتحت ذنب الدابة . (٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٥ من هذه الطبعة) .

فعدل الفرس عنه لسوء أثر يزدجرد فيهم وملكوا عليهم كسرى، وهو رجل من عترة
ساسان، فاستعان بهرام جور بالغرب وأرسل إلى الفرس وأعلمهم إنكاره سيرة أبيه،
ووعدهم بإصلاح مافسد، وأنه إن مضى للملك سنة ولم يَفِ لهم بما بذل تبرأ من
الملك طائعا، فمال إليه قوم وبقيت طائفة مع كسرى، ففرضوا أن يوضع تاج الملك
بين أسدين مُشَلَّين فن تناوله فهو الملك. وكان بهرام جور شجاعا بطالا، فلما وقف
هو وكسرى إلى جانب الأسدین هابهما كسرى، فوثب بهرام جور فإذا هو على ظهر
الأسد وعصر جنيده بفخذه، فلما تمكن منه قبض على أذنيه، ولم يزل يضرب رأس
الأسد برأس الآخر حتى قتلهما. فكان كسرى أول من هتف به وأذعن له.

١٣

فلما بهرام جور بن يزدجرد، فأحسن السيرة، وجلس سبعة أيام متوالية
للجند والرعية، يعدم الخير من نفسه ويحضرهم على تقوى الله وطاعته. وكان جلوسه
على سرير الملك وهو ابن عشرين سنة، فبرز زمانا وهو يحسن السيرة، ويعمر البلاد،
ويدبر الأرزاق، ثم أثر اللهو على ذلك وكثرت خلواته بأصحاب الملاهي حتى كثرت
عليه الملازمة من أرباب دولته، وطمع من حوله من الملوك في استباحة بلاده والغلبة
على ملوكه. وكان أول من سبق إلى مغالبتة ومكاثرتة خاقان ملك الترك، وغزاه
في مائتي ألف وخمسين ألفا من الأتراك، فبلغ الفرس إقبال الترك في هذه الجموع
العظيمة فهاهم ذلك، ودخل على بهرام جور جماعة من عظماء الفرس وأهل الرأي
والنجدة وقالوا: أيها الملك، قد أرهقك من بائقة عدوك ما يشغلك عما أنت فيه
من اللهو والتلذذ، فتأحب له لئلا يلحقك منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار. وكان بهرام
لثقتة بنفسه ورأيه يحجب القوم بأن يقول: الله ربنا قوي ونحن أولياؤه. ثم يقبل
على ما هو عليه من اللهو والصيد.

(١) البائقة: الدامية.

قال: ثم أظهر بهرام جور التجهز الى أذربيجان ليتسك في بيت نارها، ويتوجه منها الى أرمينية ويتصيد في آجامها، وسار في سبعة رهط من عطاء الفرس وأهل البيوتات، وثلاثمائة رجل من رابطة ذوى بأس وشدة ونجدة، واستخلف أخاه يقال له نرسی على ملكه، فهاشك الناس — لما بلغهم ذلك — أنه هرب من خاقان، فتأمر الفرس في مراسلة خاقان والانقياد الى طاعته والإقرار له بالخراج؛ مخافة منه أن يستيحي بلادهم، فانصل هذا الخبر بخاقان فاطمأن وترك التحفظ والاستعداد وآثر المسالمة. وتعترف بهرام خبر خاقان وحال جنده وما هم عليه من الطمأنينة والفور وعدم الاستعداد، فسار بمن معه وبيت خاقان وقتله بيده. فلما علم الأتراك أن ملكهم خاقان قد قتل انهزموا لا يلوون على شيء وخلفوا أتقاهم وأموالهم. فأكثر بهرام فيهم القتل وأمعن في طلبهم، وحاز غنائم لم يسمع بمثالها، وسبي من ذريتهم كثيرا. وكان مما غنمه تاج خاقان وإكليله، وغلب على بلاد الترك وانصرف بالظفر والغنائم، وكتب الى أهل مملكته يعلمهم بما حصل له من الظفر بخاقان وجموعه بمن كان معه من أولئك القوم الذين استصحبهم معه.

وكان بهرام يتكلم بلغات كثيرة، منها اللغة العربية. وما حفظ من شعره يوم ظفّره بخاقان:

أقول له لما فضضت جموعه * كأنك لم تسمع بصولات بهرام
وأنى حامى مملك فارس كلها * وما خير ملك لا يكون له حامى
ومن شعره أيضا:

لقد علم الأنام بكل أرض * بأنهم قد أصبحوا الى عبيدا
ملك ملوكهم وفهرت منهم * عزيزهم الأسود والمسودا

فذلك أسودهم تبغى حذارى * وترهب من مخافتى الورودا
 وكنت إذا تشاوس ملك أرض * عبأت له الكتائب والجنودا
 فيعطيني المقادة أو أوافي * به يشكو السلاسل والقيودا

- قال : ولما قُتل خاقان بعث بهرام جور أحد قواده إلى ما وراء النهر فغزاهم
 وأقتروا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية . قال : وأسقط بهرام جور عن رعيته إثر
 هذا الظفر خراج ثلاث سنين ، وترك ما كان قد بقي من الخراج ولم يُستخرج من
 قسطن تلك السنة ، وكان سبعين ألف ألف درهم ، وقسم في الفقراء مالا عظيما
 وفي أهل البيوتات والأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وتَحَلَّ بيت النار
 بأذر بيجان جميع غنمه من الترك من اليواقيت والجواهر والتاج والإكليل .
 ويقال إن بهرام دخل إلى أرض الهند متنكرا فكث حيناً لا يُعرف حتى بلغه أن
 فيلا قد هاج وقطع السبل وأهلك الناس ، فسألهم أن يدلوه عليه ، فرُفِع أمره إلى الملك
 فأرسل معه رسولا ، فلما انتهى إليه أوفى الرسول على شجرة لينظر ما يصنع بهرام مع الفيل ،
 فصرخ بالفيل فخرج إليه ، بفعل يرميه ويثبت الشباب بين عينيه ، ثم دنا وأخذ بمشفره
 وجذبه جذبة تخر منها الفيل ، ثم أحتر رأسه وأقبل به إلى الملك فباه وأحسن إليه .
 ثم إن ملكا من أعداء ذلك الملك أقبل لغزوه بفرع ذلك الملك من كثرة
 جنود الملك الذي أتى نحوه ، فقال له بهرام : لا يهولتك أيها الملك أمره ،
 فركب بهرام وقال لأساورة الهند : احموا ظهرى ، وانظروا إلى عملى ، وكانوا لا يُحسنون
 الرمي ، وأكثرهم رجالة ، فحمل عليهم حملة هذهم بها ، ثم جعل يضرب الرجل فيقطعه
 (١) في مروج الذهب للسعودى « تقي » ، والإفناء : أن يلقى ألبته بالأرض . ينصب ساقه
 ٢٠ و يضع يديه على الأرض . (٢) تشاوس إليه ، نظر إليه بمؤخر العين تكبرا .
 (٣) أوفى : أشرف عليها .

نصفين ، و يأتي الفيل فيضرب مشفره ويكبه و يأخذ من عليه فيقتله ، و يأخذ
 الفارس فيذبحه على قزبوس سرجه ، و يتناول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان
 جميعا ، ويرى فلا تقع له تشابة إلا في رجل ، فولوا أمانة منهزمين ، وحمل الذين
 كانوا يحرسون ظهره عليهم فأكثروا القتل فيهم ، فزوجه ملك الهند بنته وتخله
 الدليل^(١) ومكران وما يليهما من أرض السند وأشهد له بذلك ، وأنصرف بهرام جور
 إلى مملكته وضم ذلك إلى بلاده وحمل خراجها إليه ، ثم أغزى بهرام جور أخاه
 نرسی إلى بلاد الروم في أربعين ألفا فدخل القسطنطينية وهادن ملك الروم على
 إتاة يحملها إلى أخيه . ثم مضى بهرام جور إلى أرض السودان على طريق اليمن
 فأوقع بهم وعاد إلى مملكته وهلك بعد ذلك في ماء . وذلك أنه توجه إلى الصيد
 فشد على غير وأمعن في طلبه ، فارتطم في ماء في سبخة فغرق فيه ، فسارت أمه إلى
 ذلك الموضع بمال عظيم ونزلت بالقرب منه ، وأمرت بإتفاق تلك الأموال على
 من يخرجها ، فنقلوا طينا عظيما وحماة كثيرة حتى صار من ذلك آكبا عظاما ولم
 يقدروا على [استنقاذ^(٢)] جثته . وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة .

وحكى عنه في صغره ما يدل على نباهته ، وجودة فكره وجميل رأيه . فمن
 ذلك أنه قال للنعمان بن المنذر لما بلغ عمره خمس سنين : أ حضر لي مؤذنين ليعلموني
 الكتابة والفيقه والرماية والفروسية . فقال له المنذر : إنك بعد صغير السن ، ولم يأن
 لك ذلك بعد . فقال له بهرام : أما تعلم أيها الرجل أني من ولد الملوك ، وأن الملك

(١) الدليل (فتح الدال المشددة وسكون اليا التجنة وضم الباء الموحدة) : بلد صغير شديد الحر
 على شط ماء السند ، وهي من أكبر فرضه وأشهرها ، وبها سمسم كثير ، ويجلب إليها التمر من البصرة ، ويجلب
 منها المتاع الدليل . ومكران (بضم الميم وسكون الكاف) : بلدة من بلاد كرمان ، وهي ناحية واسعة عريضة ،
 والغالب عليها المفاوز والقطر والضيق ١٥ ملخصا من كتاب تقويم البلدان لأبي القداء ، طبع باريس .
 (٢) الزيادة عن كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص ٦٨ طبع أوروبا) .

صائر إلى ، وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح العلم ؛ لأنه زين لهم وركن ، وبه يعرفون . أما تعلم أن كل ما يُتقدم في طلبه ، يُنال في وقته ، وما لم يُتقدم فيه و يُطلب في وقته ، يُنال في غير وقته ، وما يُفترط فيه وفي طلبه يفوت ولا يُنال ؟ عَجَّل على بما سألتك . فبعث المنذر من ساعته إلى باب الملك من أتاه برهط من المعلمين الفقهاء والرماة ، وجمع له حكماء الروم وفارس وغيرهم ، وألزمهم إياه ، ووقت أوقانا لكل منهم ؛ فتعلم بهرام من كل عِلْم أحسنه ، وسمع الحكمة ووعى ما سمع منها ، وثقف كل ما علم بأيسر شيء ، وبلغ أربع عشرة سنة ، وقد فاق معلميه ، وحفظ للنعمان حق التربية ، فلكه على العرب لما صار الملك إليه .

ولما هلك بهرام جور ملك بعده أبوه يزيد جرد بن بهرام جور ؛ فسار بسيرة أبيه ؛ ولم يزل قاعما لعدوه ، كثير الرفق برعيته . وكان له آبنان أحدهما يسمى هرمز ، والآخر فيروز . ودام ملك يزيد جرد تسع عشرة سنة ، وقيل ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما ثم هلك .

فقتل على الملك بعده ابنه هرمز بن يزيد جرد . ولما ملك هرمز هرب منه فيروز ولحق ببلاد الهياطلة^(١) ، وأخبر ملكها بقصته وقصة أخيه هرمز ، وذكر أنه أحق منه بالملك ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل به أخاه ، فأبى عليه ملك الهياطلة وقال : سأعلم خبره ثم أمرك بعد ذلك بما تفعل . وكشف ملك الهياطلة عن خبر هرمز وتعزف أحواله فبلغه أنه غشوم ظَلوم ؛ فقال عند ذلك : إن الجور لا يرضاه الله تعالى ، ولا يصلح عليه الملك ، ولا تقوم به سياسته ؛ وأمد فيروز بالمساكر ودفع له الطالقان^(٢) ، فأقبل فيروز من عنده بجيش طخارستان وطوائف خراسان ، فظفر بأخيه فحبسه .

(١) الهياطلة : الصفد ، وهم بين بخارى وسمرقند .

(٢) طالقان : بلدة بخراسان بين مرور الروز وبلخ بينها وبين مرور الروز ثلاث مراحل وهي أكبر مدينة بطخارستان . عن (معجم البلدان لياقوت) .

وملك فيروز بن يزدجرد . ولما ملك أظهر العدل وحسن السيرة ، وكان يتدين إلا أنه كان مشغولاً على رعيته ، فقحط الناس في زمانه سبع سنين ، فأحسن فيها إلى الناس ، وقسم ما في بيوت الأموال . ويقال : إن الأنهار غارت في مدة القحط ، وكذلك القنى والعيون ، وحلت الأشجار والغياض ، وهلكت الوحوش والطير ، وجاعت الدواب حتى كادت لا تطيق الحموله ، وعم أهل البلاد الجهد والمجاعة ، فبلغ من حسن سياسة فيروز لهذا الأمر أن كتب إلى جميع الرعية : أنه لاخراج عليكم ولا جزية ولا سخرة ، وأنه قد ملكهم أنفسهم ، وأمرهم بالسعى فيما يقوتهم ويصلحهم ، وكتب بإخراج ما في المطامير من الأطعمة وقسمها في الناس ، وترك الاستئثار عنهم وتساوى بهم ، وأخبر أهل الغنى والشرف ، بكل مدينة وقرية ، أنه إن بلغه أن إنساناً مات جوعاً عاقب أهل تلك المدينة أو الجهة التي يموت بها ، ويُنكَل بهم أشد النكال . ففيل إنه لم يهلك في هذا القحط والمجاعة من رعيته إلا رجل واحد من رُستاق^(١) .

قال : ثم أغاثه الله فأمطرت السماء ، وجرت الأنهار ونبتت العيون ، وصلحت الأشجار ، وسمنت المواشي ، فاستوثق له الملك ، وأخذ في غزو أعدائه وقهرهم . وبني مدناً إحداها بين جرجان [و باب صول]^(٢) وأخرى بناحية آذر بيجان . ثم سار يحنوده نحو خراسان لقصد حرب أخشنوار ملك الهياطلة لأشياء كانت في نفسه ، ولأن الهياطلة كانوا يأتون الذكران ويركبون الفواحش فسار إليهم ، فلما

(١) رستاق (بضم الراء) : مدينة بخارى من ناحية كرمان .

(٢) النكة بن الطبري (ص ٨٧٤ من القسم الأول) .

(٣) كذا في تاريخ الطبري وتجب المعارف لابن فنية (ص ٣٢٧) . وفي الأصل «أخشنوار» .

بلغ أخشنوار ملك الهياطلة خبره خافه واشتد رعبه منه ، وعلم أنه لا طاقة له به ، وأن جيشه يضعف عن مقابلة الجيوش التي أقبل بها فيروز فخار في أمره ، ففتقدم اليه رجل كبير السن من أهل بلاده وقال : أنا أفدى الملك وأهل مملكته بنفسى ، فليأمر الملك بقطع يدي ورجلي ويؤثر في جسدي آثار العقوبة بضرب السياط ، ويلقى في الطريق التي يمر فيروز بها ، ويحسن إلى ولدي وعيالي الذين أخلفهم ؛ ففعل به ذلك وأمر بإلقائه في الطريق . فلما مر به فيروز أنكر حاله ، فأخبره أن أخشنوار فعل به ذلك ؛ لأنه أشار عليه بالانقياد إلى طاعة فيروز والإقرار بعبوديته ، وأن يحمل إليه من الأموال والتحف ما يرضيه ؛ فرق له الملك فيروز ورجحه وأمر بحمله معه ، فنهاه أكابر قومه عن تقريبه فلم يرجع إليهم ، ثم قال له ذلك الأقطع كالمتنصّح^(١) له : أنا أدلّ الملك على طريق مختصر تدخل منه في مفازة إلى بلاد أخشنوار ، فتصادف غيخته ؛ وسأله أن يشفى له منه . فاغتر فيروز بذلك ؛ وأخذ الأقطع بفيزوز ومن معه وعدل بهم عن الطريق الجادة وشرع يقطع بهم مفازة بصد مفازة . فلما شكوا العطش متاهم بقرب الماء وقطع المفازة . ولم يزل يتقدم بهم حتى بلغ بهم موضعا علم أنهم لا يقدرّون فيه على التقدّم ولا الرجوع ، فتبين لهم أمره ، فعندها سقط في أيدي القوم وقالوا لفيزوز : ألم تنهك عن هذا الرجل فلم تنته ؟ فهلك أكثر أصحابه من العطش ، ومضى على وجهه بمن نجا معه ؛ فوافى أخشنوار وقومه ؛ وهو ومن نجا معه على أسوأ حال ، وقد أجهدهم العطش ، فدعوا أخشنوار إلى الصباح على أن يُخلّى سبيلهم وينصرفوا إلى بلادهم ، وعاهدوه على ألا يغزوهم أبدا ، فرضى أخشنوار بذلك وحصل اتفاقهما على أن يعمل بينهما حدا لا يتجاوزه واحد منهما ، ووضع عند الحدّ حجر ، وحلقه أخشنوار أنه لا يتجاوز ذلك الحجر ،

(١) المتنصّح : الذي ينشبه بالنصحاء .

خلف له وأخذ عليه اليهود والمواثيق وأطلقه أخشنوار ، فعاد فيروز إلى بلاده .

- فلما سار إلى مملكته داخلته الحمية وحلته الأنفة على محاربة أخشنوار والغدر به ،
 فنهاه أهل مملكته عن ذلك وقبحوا عليه نقض اليهود والمواثيق ، فلم يرجع إلى أقوالهم
 وأبى إلا غزوه . وسار بجيوشه حتى أتى الحد الذي بينهما والحجر الذي حلف أنه
 لا يتجاوزه إلى بلاد الهياطلة ، فأمر فيروز بالحجر أن يصمد فيه خمسون فيلا وثلاثمائة
 رجل ، بغيره أمامه وأمر العسكر ألا يتجاوز ذلك الحجر ولا يتقدم الفيلة ، وزعم أنه
 يكون قد وفى بيمينه ولم يتجاوز ما عاهد عليه . فلما بلغ أخشنوار ذلك أرسل إليه
 يقول : إن الله عز وجل لا يُخَادِع ولا يُمَاكِر ، ونهاه عن الغدر وقبحه عليه ، وهو
 لا يكثر بقوله ، وأحجم أخشنوار عن محاربة فيروز وكرهها ، ثم أعمل الفكرة وأخذ
 يفكر في وجوه المكاييد والمكر والخداع ، فحفر حول عسكره خندقاً عرضه عشرة
 أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغطاه بخشب ضعيف وألقى عليه التراب ، ثم ارتحل
 بمن معه ومضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحيل أخشنوار فيجند من معسكره ، فهاشك
 أنه انهزم منه ، فركب في طلبه وأغذ السير يجنوده — وكان مسلحهم على الخندق —
 فلما مروا عليه تردى فيروز وعامة جنوده فيه فهلكوا عن آخرهم وعطف عليهم
 أخشنوار وأحتوى على كل شيء كان في معسكر فيروز ، وأسر موبدآن موبد
 وجماعة من نساء فيروز منهم دخت ابنة فيروز ، فكان هذا عاقبة مكره . وكان
 ملكه سبعا وعشرين سنة .

- ولما هلك تنازع الملك بعده أبناء قباز وبلاش ، فلك بلاش بن فيروز
 ابن يزدجرد . وكان حسن السيرة حريصاً على العماره ، وبلغ من حسن نظره أنه كان
 لا يبلغه أن يتأخر بوجلا عنه أهله إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك

البيت على تركهم إناش أهله وسد فاقهم حتى لا يضطرون إلى الجلاء عن
أوطانهم . ثم هلك بعد أربع سنين .

وملك بعده أخوه قباد بن فيروز . قال : وكان قباد لما ملك أخوه بلاش
سار إلى خاقان يستنصره على أخيه ويذكر أنه أحق منه بالملك ؛ فطلبه بذلك
أربع سنين ثم جهزه بجيش ، فلما عاد وبلغ نيسابور بلغه وفاة أخيه بلاش . وكان
قباد في مسيره إلى خاقان مر على نيسابور متكررا وتزوج بها بآبنة رجل من الأساورة
وواقعها ، فحملت منه بأنوشروان وتركها بنيسابور ، فلما عاد في هذا الوقت سأل
عن الجارية فأتي بها وآبنة منها أنوشروان ، فتبرك بهما وفرح بآبنة ، ثم عاد إلى بلاد
فارس وبني مدينة أرجان وحلوان وعدة مدن أخر .

قول : وكان لقباذ خال يقال له سوحرا وقيل فيه : ساخورا ، وكان يخلف فيروز
والد قباد على مدينة الملك بالمداين ، فجمع جموعا كثيرة من الفرس وقصد أخشنوار
ملك الهياطلة وحاربه وأنتقم منه وأستنقذ جميع من كان أسره من الفرس ومن
سباه من نساء فيروز ، وأكثر ما كان قد احتوى عليه أخشنوار من خزان فيروز ؛
فعظم قدره عند الفرس ، وحسن فيهم أثره ، وكبرت منزلته عند بلاش وقباد إلى
أن لم يبق بينه وبين الملك إلا مرتبة واحدة ، وتولى سياسة الأمر بحكمة وتجربة ؛
ومال إليه الناس وأطاعوه ، وأستخفوا بقباد ولم يعباوا بأمره ، وهان عندهم فما
حلبت نفسه هذه الإهانة والذل ، فأخذ في التدبير على ساخورا . وكتب إلى سابور
الرازي ، وهو الذي يقال له اللبيب ، وهو أصهب بلد البلاد ، في القدوم عليه بمن قبله
من الجند ، فقدم بهم سابور بخاطبه قباد في أمر خاله ، فوافقه سابور عليه ، فأمره

(١) كذا في نسخة أ . وتاريخ الطبري . وفي نسخة ب « سوحرا وقيل فيه ساخورا »

قباد بالتلطف في هذا الأمر وكتمانه ، وإعمال الحيلة وحسن التدبير فيه ، فقبذا سابور على قباد فوجد خاله ساخورا عنده ، فتقدم سابور إليه وهو آمن ، فألقى ^(١) وثقا في عنقه وأجثذبه وأوثقه بالحديد ثم أودعه السجن ، وقتله قباد وخافته الفرس بعده .

- وفي أيام قباد ظهر مزردق — ويقال فيه : مزردك ، وتفسيره : حديد الملك ؛
 وإليه تضاف المزدقية ، ويقال لهم العدلية — وقال : إن الله تعالى إنما جعل الأرزاق في الأرض مبسوطة ليقسمها عباده بينهم بالسوية ، ولكن الناس يظلمون ؛ واستأثر بعضهم على بعض ، فانضم اليه جماعة وقالوا : نحن نقسم بين الناس بالسوية وزد على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، ومن عنده فضل من المال والقوت والنساء والمتاع وغير ذلك فليس هو له ولا أولى به من غيره ؛ فاقرص السفلة ذلك واغتنموه^{١٠} واتبعوا مزردك وأصحابه ، فقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه ولا يستطيع أن يردهم عنه ولا يدافعهم . ورأى الملك قباد رأى مزردك وأصحابه وتابعهم فازداد قوة ، فلم يلبث الناس إلا قليلا حتى صار الأب لا يعرف ولده ، ولا الولد يعرف والده ، ولا يملك أحد شيئا ، وصيرت العدلية قباد في مكان لا يصل اليه غيرهم ، فاجتمعت الفرس على خاسع قباد من^{١٥} الملك ففعلوا ذلك .

وملكوا عليهم عند ذلك جاماسف بن فيروز . وهو أخو قباد . وقيل : إن المزدكية هم الذين أجلسوه . قال : ولما ملك جاماسف قبض على أخيه قباد وحبسه فاحتالت أخت قباد في خلاصه . وذلك أنها أتت إلى الحبس الذي هو

(١) الوثق (بخرىك الها . وتسكينها) : الحبل في طرفيه أنشودة يطرح في عتق الدابة والإنسان

حتى تؤخذ .

فيه وحاولت الدخول الى أخيها ، فنعها الموكل به من الدخول اليه ، وطمع أنه يفضحها ، وأعلمها أنه لا يمكنها من العبور إليه إلا إن وافقته على قصده ، فأطعمته في نفسها وقالت : إني لا أخالفك في شيء مما تهواه مني ، فمكنها من الدخول الى السجن والاجتماع بأخيها قباد ، فدخلت اليه وأقامت عنده أياما ، ثم لفته في بساط أمرت بعض الغلمان أن يحمله فحمله على عاتقه ، فلما مر الغلام بالموكل بالحبس سأله عن حمله فاضطرب الغلام فلحقته وقالت : إنه فراش كنت أفرشه تحتي وعمرتك فيه ؛ وأنها خرجت لتتطهر وتعود ، فصَدَّقَهَا ولم يمس البساط ولم يَدُنْ منه استفذارا له على مذهبه في ذلك ، فضى الغلام به وخرجت أخته في أثره ، وهرب قباد فلحق بأرض الهياطلة يستمد ملكها ليمد بجيش بجار ، من خالفه ، ويقال : إن زواجه بأم كسرى أنو شروان كان في هذه السفرة لا في تلك ، وأنه تزوجها بأبرشمر^(١) ، وهي ابنة رجل من عظمائها ، وأنه رجع به وبأمه عند عوده من بلاد الهياطلة . قال : وسار قباد الى ملك الهياطلة فأقام عنده عدة سنين ، ثم عاد الى بلاده بأمداده ، فغلب على أخيه ونزعه من الملك بعد أن ملك ست سنين .

ثم عاد قباد الى الملك ثانيا ، ولما عاد الى الملك وجد ابن ساخورا قد وثب في جماعة من أصحابه على مَزْدَك فقتله ، فسُيِّحَ به الى قباد فقتله بمزدك . قال : ثم غزا الروم وافتتح آمد ، ثم أدبر ملكه لسوء عقيدته . وهلك قباد إثر ذلك .

وكان سبب هلاكه أن الحارث بن عمرو الكندي قتل النعمان بن المنذر ابن أمري القيس ، وملك العرب وما كان ملكه النعمان ، فبعث قباد بن فيروز

(١) عركت المرأة : حاضت .

(٢) كذا في تاريخ الطبري ومعجم البلدان ياقوت وذكر أن شهر بالفارسية هو البلد ، وأبر : الغيم ، ونه أراهم أرادوا إلا خصبه . وأبرشمر هي نيسابور . وفي الأصل : « أبرشمر » .

- الى الحارث بن عمرو يقول : إنه كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهدٌ، وإنى أحب لقاءك ؛ وخرج للقائه في عدد وعدة ، وجاءه الحارث والتقى بمكان ، فأمر قباد بطبق من تمر فترع نواه ويطبق آخر على حالته ، فوضعا بين أيديهما ، وجعل المتزوع بين يدى قباد ، والذي هو بنواه بين يدى الحارث ، فجعل الحارث يأكل التمر ويلقى النوى ، وقباد يأكل التمر ولا يحتاج الى إلقاء شيء . فقال للحارث : مالك لا تأكل كما آكل ؟ فقال الحارث : إنما يأكل النوى إيلنا وغنمنا ، وعلم أن قباد يهزأ به . ثم أفترا على الصباح على ألا يجاوز الحارث وأصحابه الفرات ، إلا أن الحارث استضعف قباد وطمع فيه ، فأمر أصحابه أن يفتروا الفرات ويغيروا على قري السواد ففعلوا ذلك ، فجاء الصريح الى قباد وهو بالمدائن ، فكتب الى الحارث بن عمرو أن لصوصا من العرب قد أغاروا على السواد ، وأنه يحب لقاءه فلقبه ، فقال قباد كالعائب له : قد صنعت صديما ما صنعه أحد قبلك ، فطمع الحارث فيه من لين كلامه وقال : ما علمت بذلك ولا شعرت به ، وإنى لا أستطيع ضبط لصوص العرب ، وما أكل العرب تحت طاعتي ، ولا أتمكن منهم إلا بالمسال والجنود . فقال له قباد : فما الذى تريد ؟ قال : أريد أن تعطينى من السواد ما أتخذ به سلاحا ، فأمر له بما يلى جانب العرب من أسفل الفرات ؛ وهو ستة طساسيج ؛ فعند ذلك زاد طمع العرب فيه ، وأرسل الحارث بن عمرو الى تبع وهو باليمن : إنى قد طمعت فى ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج ، فأجمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء ؛ لأن الملك عليهم لا يأكل اللحم ولا يستحل هراقة الدماء ، وله دين يمنعه من ضبط الملك ، فبادر إليه بمجديك وعدتك ، وأطعمه فى الفرس . فجمع تبع جنوده وسار حتى نزل الحيرة ، وقرب من الفرات ، فأذاه البقي ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر الحيرة فتزل عليه ، ووجه ابن أخته

شَمِيرًا ذَا الجَنَاحِ إِلَى قُبَاذَ فَنَقَاتْلَهُ فَهَزَمَهُ شَمِرٌ حَتَّى لَحِقَ بِالرَّيِّ ، ثُمَّ أَدْرَكَهَا
فَقَتَّلَهَا .

وَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانُ بْنُ قُبَاذَ بْنِ فَيْرُوزَ . وَلَمَّا مَلَكَ اسْتَقْبَلَ
الْأَمْرَ بِحِدَّةٍ وَسِيَاسَةٍ وَحَزْمٍ . وَكَانَ جَيِّدَ الرَّأْيِ ، كَثِيرَ النَّظَرِ ، صَائِبَ التَّدْيِيرِ ، طَوِيلَ
الْفِكْرِ ، بَقْدَدَ سِيرَةِ أَرْدَشِيرَ وَعَمِلَ بِهَا ، وَنَظَرَ فِي عَهْدِهِ وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِهِ ، وَأَدَبَ رَعِيَّتَهُ
وَبَطَانَتَهُ ، وَبَحَثَ عَنِ سِيَاسَاتِ الْأُمَمِ فَاسْتَصْلَحَ لِنَفْسِهِ مِنْهَا مَا رَضِيَ ، وَنَظَرَ فِي تَدَابِيرِ
أَسْلَافِهِ الْمُسْتَحْسِنَةِ فَاقْتَدَى بِهَا . وَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِهِ أَنْ أَبْطَلَ مِلَّةَ زَرَادَشْتِ الثَّانِي
الَّذِي كَانَ مِنْ أَهْلِ قَسَا ، وَأَبْطَلَ مِلَّةَ الْمَزْدَكِيَّةِ وَقَتَلَ عَلَى ذَلِكَ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَسَفَكَ
مِنَ الدِّمَاءِ بِسَبَبِ إِبْطَالِ هَذَيْنِ الْمَذْهَبَيْنِ مَا لَا يَحْصَى كَثْرَةً ، وَقَتَلَ قَوْمًا مِنَ الْمَانَوِيَّةِ ،
وَتَبَّتْ مِلَّةُ الْحَوْسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، وَكُتِبَ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ بَلِيغٌ إِلَى أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ
وَالْأَصْبَهَانِيِّينَ ، وَقَوَّى مُلْكُ الْفَرَسِ بَعْدَ ضَعْفِهِ بِإِدَامَةِ النَّظَرِ وَتَجَرُّبِ الْمَلَاذِ وَتَرْكِ اللُّهُوِّ ،
وَقَوَّى جُنُودَهُ بِالْأَسَاحَةِ وَالْأَمْتَةِ وَالْكُرَاعِ ^(١) ، وَعَمَّرَ الْبِلَادَ وَحَفِظَ الْأَمْوَالَ وَثَمَرَهَا ،
وَسَدَّ الثُّغُورَ وَاسْتَعَادَ كَثِيرًا مِنَ الْأَطْرَافِ الَّتِي غَلَبَ عَلَيْهَا الْأُمَمُ .

قَالَ : وَأَمَّا تَدْيِيرُهُ فِي أَمْرِ الْمَزْدَكِيَّةِ وَإِبْطَالِ مَا فَعَلُوهُ فَإِنَّهُ ضَرَبَ أَعْنَاقَ
رُؤَسَائِهِمْ ، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ فِي أَهْلِ الْحَاجَةِ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِمَّنْ عَرَفَ مِنَ الَّذِينَ
كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى النَّاسِ فِي بَيْوتِهِمْ ، وَيُشَارِكُونَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ ، وَرَدَّ
الْأَمْوَالَ إِلَى أَرْبَابِهَا . وَأَمَرَ بِكُلِّ مَوْلُودٍ آخِثٌ فِيهِ أَنْ يُلْحَقَ بِمَنْ هُوَ فِي سِمَائِهِ ،
وَأَمَرَ بِكُلِّ أَمْرَأَةٍ غُلِبَ عَلَيْهَا أَنْ يُؤْخَذَ الْغَالِبُ عَلَيْهَا حَتَّى يَقْرَمَ لَهَا مَهْرٌ مِثْلُهَا ، ثُمَّ تُخَيَّرَ
الْمَرْأَةُ بَيْنَ الْإِقَامَةِ عِنْدَهُ وَبَيْنَ تَزْوِيجِ غَيْرِهِ ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا زَوْجٌ أَوَّلٌ فُتِرَدَ إِلَيْهِ .
وَأَمَرَ بِكُلِّ مَنْ أَضَرَ بَرَجُلًا فِي مَالِهِ أَوْ ظَلَمَهُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ الْحَقُّ ، وَيُعَاقَبَ الظَّالِمُ

(١) الْكُرَاعُ (بِالضَّمِّ) : أَوَّلُ جَمْعِ الْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ .

بعد ذلك بقدر جرمه . وأمر ببيع ذوى الأحساب الذين مات قيمتهم فكتبوا له
فأنكح بناتهم للأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح بنهم من بيوتات
الأشراف وأغنيائهم . وأمرهم بملازمة بابه ليستعين بهم فى أعماله ، وخير نساء والده
أن يقمن مع نسائه فيواسين ويصيرن فى الأحرار ، ويتنقن لهن الأكفاء من البعول ،
ثم أمر بكرى الأنهار وحفر القنى . وأمر بإعادة كل جسر قطع ، أو قنطرة خربت
أن ترد إلى أحسن ما كانت عليه ، وتخير الحكام والعمال وأمرهم أن يسيروا بسيرة
أردشير ووصاياه .

فلما انتظمت له هذه الأمور وأستوثق له الملك ووثق يمينه سار نحو أنطاكية
فافتتحها ، وأمر أن تصور له المدينة على هيئتها وذرعها وطرقها وعدة منازلها ،
وأن تُبنى له مدينة على صفتها إلى جانب المدائن ، فبُنيَت المدينة المعروفة بالرومية ،
ثم نقل أهل أنطاكية إليها . فلما دخلوا باب المدينة مضى كل أهل بيت إلى ما يشبه
منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكية . وفتح مدينة هرقل ثم الإسكندرية ، ثم أخذ نحو
الخرز ، ثم إلى الهياطلة فقتل ملكهم بفيروز ، وصاهر خاقان ملك الترك ، وتجاوز
بلغ وأزل جنوده قرغانة ، وبني باب الأبواب . وقد ذكرناه فى المباني القديمة .^(١)

ولما بنى هذا السور هابته الملوك ورأسلته وهادته ، فورد عليه رسول ملك
الروم بهدايا فنظر إلى إيوانه فرأى فى ميزانه أعوجاجا ، فقال : ما هذا الأعوجاج ؟
ف قيل له : إن عجوزا لها منزل فى جانب هذا الأعوجاج فأرادها الملك على بيعه
وأرغبها فى الثمن فابت ، فلم يُكرهها وبقي الأعوجاج على ما ترى . فقال الرومى : هذا
الأعوجاج أحسن من هذا الاستواء . وكتب إليه ملك الصين : من تقفوز ملك^(٢)

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٩ من هذه الطبعة) .

(٢) كذا فى الأصل : وفى مروج الذهب (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلاط) : « يبور » .

الصين ، صاحب قصر الدرّ والجوهر ، الذى يخرج من قصره نهران يسقيان العود والكافور ، والذى توجد رَأْتَحْتِه على فرسخين ، والذى يَخْدُمُهُ بنات ألف ملك ، والذى فى مَرَبِّطِه ألف فيل أبيض ، الى أخيه كمرى أنوشروان . وأهدى إليه هدايا عظيمة . وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق ، وصاحب قصر الذهب ، وأبواب الياقوت والدرّ ، الى أخيه كمرى أنوشروان ملك فارس ، صاحب الساج والراية . وأهدى إليه هدايا ، منها ألف من من العود يذوب على النار كالشمع ، ويختم عليه كما يختم على الشمع . وجاء من الياقوت الأحمر فتحته شبر مملوء دُرّاً ، وعشرة أمان كافور كالفسق ، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خديها ، وكأن بين أحفائها لمعان البرق مع إلتقان شكلها ، مقرونة الحاجبين ، لها صفائر تجرها ، وفراش من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشّى . وكان كتابه فى لحا الشجر المعروف بالكاذى مكتوباً بالذهب . وكتب إليه ملك التبت : من ملك التبت ومشارق الأرض المتاخمة للصين والهند ، الى أخيه كمرى المحمود السيرة والقدر ، ملك المملكة المتوسطة فى الأقاليم السبعة ، أنوشروان . وأهدى إليه أنواعاً مما عُجِّلَ من عجائب أرض تبت ، منها مائة جوشن ومائة ترس تُبَيِّة مذهبة ، وأربعة آلاف من من المسك من نوافج غزلانية . وأستفاث به آبن ذى يَزَن يستصرخه على الحبشة فبعث معه قائداً من قواده . وسنورد ذلك إن شاء الله فى خبر سيف بن ذى يزن .

(١) المَنَى : لغة فى المنا الذى يوزن به وهو رطلان . وجمعهما أمان ، وأمانه .

(٢) اللحاء : ما على العصا من قشرها ، يمد ويقصر . والكاذى : نوع من النبات عجيب ، لحاؤه

أرق من الورق الصيغى تنكأب فيه ملوك الصين والهند . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين . (راجع مروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ١٢١ طبع بلاط) .

- ولما استتب له الأمر، ووظف الوظائف على الترك والخزر، والهند والروم وغيرهم، نظر في الخراج وأبواب المال. وكانت رسوم الناس جارية على الثلث من البقاج، ومن بعضها الربع والخمس والسادس على حسب العمار. وكان قباز أبوه قد مسح الأرض وهلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة؛ فجمع أنوشروان أهل الرأي فانفقوا على أن جعلوا على كل جريب من الحنطة والشعير درهما، وعلى الجريب من الكرم ثمانية دراهم، وعلى الرطاب تسعة دراهم، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهما، وعلى كل ست نخلات ^(١) دقل مثل ذلك، وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك، ولم يضعوا إلا على نخل في حديقة، أو مجتمع غير شاذ، وتركوا فيما سوى ذلك من الغلات السبع، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعطاء والمقاتلة والهرابذة والكتاب، ومن كان في خدمة الملك، وصيروها على طبقات: اثني عشر درهما، وثمانية دراهم، وستة دراهم، وأربعة دراهم، على قدر إكثار الرجل وإقلاله، ولم يلزموا الجزية من كان أتى له من السنين دون العشرين أو فوق الخمسين، ورفعوا هذه الوضائع إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضاها وجباية مبلغها في ثلاثة أنجم في كل سنة، وسماها أبراسيار. ومعنى ذلك الأمر المترضى به.
- وكان أنوشروان — لما أراد أن يضع هذه الوضائع — أمر بإتمام المساحة التي بدأ بها قباز، وأحصى النخل والزيتون وغير ذلك، والجماجم؛ ثم أمر الكتاب فأخرجوا جمل ذلك غير تفصيله، وأذن للناس إذا عاقما، وأمر كاتب خواجه أن يقرأ عليهم الجمل المستخرجة من أصناف الغلات وعبد النخل والزيتون والجماجم، فقرأ ذلك عليهم. ثم قال كسرى: إنا قد رأينا أن نضع على ما أخصى من جربان

٢٠ (١) نخلات دقل: الدقل (بالنحر بك) أردأ التمر.

(٢) جربان: جمع جريب، والجريب ثلاثة آلاف وستمئة ذراع، وقيل: عشرة آلاف ذراع.

هذه المساحة وضائع ، ونأمر بإنجامها في السنة ثلاثة أنجم ، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أنانا عن نفر من الثغور أو طرف من الأطراف فتق أو ما نكرمه وأحتجنا الى تداركه أو حسمه بذلنا الأموال التي عندنا ولم نحتج الى استئناف جبايتها ، فما الذي ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟ فلم يُشر عليه أحد منهم بمشورة ، ولا نطق بكلمة . فكرر كسرى عليهم القول ثلاثا ، فقام رجل من عُرْضهم وقال : أتضع أيها الملك - عمرك الله - خالدا من هذا على الفاني ؟ من كرم يموت ، وزرع يهيج ، ونهر يفيض ، وعين أوقناة ينقطع ماؤها . فقال له كسرى : يا ذا الكُفَّة المشئوم ، من أي طبقات الناس أنت ؟ فقال : من الكتاب . فقال كسرى : اضربوه بالدُّوى حتى يموت ، فضربه الكتاب خاصة تبرؤا منهم الى كسرى من رأيه ، وما صدر من مقاتله حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون بما ألزمتنا أيها الملك به من خراج . ثم اجتمعت الآراء على وضع ما ذكرناه من الوضائع ، فاستقرت على ذلك إلى أن جاء الإسلام ، وبها أخذ عمر رضى الله عنه لما فتحت بلاد فارس .

ذكر قطعة من سير كسرى أنو شروان وسياسته

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم : إنه قرأ فيما كتبه أنو شروان من سيرة نفسه في كتاب عمله في سيرته وما ساس به مملكته : قال كسرى : كنت يوما جالسا بالدسكرة وأنا سائر الى همدان لنصيف هناك ، وقد أعد الطعام للرسل الذين بالباب من قبيل خاقان والهياطلة والصين وقبصر ونقفور ، ودخل رجل من الأساورة مختطبا سيفه حتى وصل الى الستر في ثلاثة أماكن ، وأراد الدخول حيث نحن والوثوب علينا ، فأشار على بعض خدعي

أن أخرج إليه سيفي ، فعلمت أنه إن كان إنما هو رجل واحد فسوف يحال بيننا وبينه ، وإن كانوا جماعة فإن سيفي لا يغني شيئا ؛ فلم أخف ولم أتحرك من مكاني ؛ وأخذ بعض الحرس فإذا هو رجل رازي من حشمتنا وخاصتنا ، فلم يشكوا أن على رأيه كثيرا من الناس ، فسألوني ألا أجلس ولا أحضر للشرب حتى يستبين الأمر ، فلم أجبهم إلى ذلك لئلا ترى الرسل متى جئنا ، فخرجت لشربي^(١) ، فلما فرغنا هدأت الرازي بالعقوبة وقطع اليمين ، وسألته أن يصدقني عن الذي حملة على ذلك ، وأنه إن صدقني لم تنله عقوبة بعد ذلك ؛ فذكر أن قوما وضعوا من قبل أنفسهم كتباً وكلاماً ، وذكروا أنه من عند الله ، أشاروا عليه بذلك وأخبروه أني إن قتله وإن قتلتني أدخل الجنة . فلما لفصت عن ذلك وجدته حقاً ؛ فأمرت بتخلية الرازي وبرد ما أخذ منه ، وتقدمت بضرب رقاب أولئك الذين أشاروا عليه حتى لم أَدع منهم أحدا .

٥٣
١٣

وقال أنوشروان : إني لما أحضرت القوم الذين اختلفوا في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه ، بلغ من جرأتهم وخبثهم وقوة شياطينهم أن لم يبالوا بالقتل والموت في إظهار دينهم الخبيث ، حتى إني سألت أفضلهم رجلاً على رؤوس الناس عن استحلاله قتلي ، فقال : نعم ، استحلّ قتلك وقتل من لا يطاوعنا على ديننا ؛ فلم آمر بقتله حتى إذا حضر وقت الغداء أمرت أن يُحبس الغداء وأرسلت إليه بطرف الطعام ، وأمرت الرسول أن يبلغه عني أن بقائي له أنفع مما ذكر ؛ فأجاب الرسول إن ذلك حق ، ولكن سألتني الملك أن أصدقته عن ذات نفسي ولا أكتمه شيئاً لما أدين به ، وإنما أدين بما أخذته من مؤدبي .

قال أنوشروان: لما غدر بي قيصر وغزوته فذلّ وطلب الصلح وأنفذ إلى بéal وأفرج بالخراج والفدية، تصدّقت على مساكين الروم وضعفائهم وضعفاء مزارعيهم مما بعث به قيصر بعشرة آلاف دينار، وذلك فيما وطّئته من أرض الروم دون غيرها.

وقال: لما أمرت بتصفّح أمر الرعية بنفسى ورفع البلاء والظلم عنهم، وما ينوبهم من ثقل الخراج؛ فإن فيه مع الأجر تزيين [أهل] المملكة وغناهم وقدره الوالى على أن يستخرج منهم إن هو أحتاج الى ذلك — وقد كان فى آبائنا من يرى أن وضع الخراج عنهم السنة والسنتين والتخفيف أحياناً مما يقوهم على عمارة أرضهم — جمعت العمال ومن يؤدّى الخراج فرأيت من تخليطهم ما لم أر له حيلة إلا التعديل والمقاطعة على بلدة بلدة، وكورة كورة، ورُستاق رُستاق، وقرية قرية، ورجل رجل؛ فاستعملت عليهم أهل الثقة والأمانة فى نفسى، وجعلت فى كل بلد مع كل عامل أمناء يحفظون عليه، ووليت قاضى القضاة بكل كورة النظر فى أهل كورته، وأمرت أهل الخراج أن يرفعوا ما يحتاجون الى رفعه إلينا الى القاضى الذى وليته أمر كورهم حتى لا يقدر العامل أن يزيد شيئاً، وأن يؤدوا الخراج بمشهد من القاضى، وأن تعطى به البراءة، وأن يرفع خراج من هلك منهم: ولا يزداد الخراج ممن لم يدرك من الأحداث، وأن يرفع القاضى وكاتب الكورة وكاتب أهل الكورة وكاتب أهل البلد والعمال محاسبهم الى ديواننا وقت الكتّاب بذلك.

وقال: رفع إلينا موبدان موبدان أن قوما ستمهم من أهل الشرف، بعضهم بالباب كان شاهداً وبعضهم ببلاد آخر، دينهم مخالف لما رويناه عن نبينا وعلماينا، وأنهم يتكلمون بدينهم سرّاً ويدعون اليه الناس، وأن ذلك مفسدة للكل، وحيث

لا تقوم الرعية [إلا] على هوى واحد، فيحزبون جميعا ما يحزّم الملك، ويستحلّون ما يستحلّ الملك في دينه؛ فإن ذلك إذا اجتمع للكل قوى يجنده لأجل الموافقة بينهم وبين الملك، فاستظهر على قتال الأعداء؛ فأحضرت أولئك المختلفين في الأهواء، وأمرت أن يخاصموا حتى يقفوا على الحقّ ويقزوا به، وأمرت أن يقصّبوا عن مدبّتي وعن بلادى ومملكتى، ويتّبع كل من هو على هواهم فيفعل به ذلك.

وقال: إن الترك الذين في ناحية الشمال كتبوا إلينا بما أصابهم من الحاجة، وأنهم لا يجحدون بدا — إن لم نعظم شيئا — من أن يغزونا، وسألوا خصالا إحداها أن نتخذهم في جندنا، ونجري عليهم ما يعيشون به، وأن نعطيهم من أرض الكرج^(٢) وبلنجر وتلك الناحية ما يعيشون به، فرأيت أن أسير في ذلك الطريق إلى باب صول^(١)؛ وأحببت أن يعرف من قبلنا من الملوك هناك نشاطنا للأسفار وقوتنا عليها متى همينا، وأن يروا ما رأوا من هبة الملوك وكثرة الجنود وتمام العدة وكال السلاح ما يقوّن به على أعدائهم، ويعرفون به قوة من خلفهم إن هم احتاجوا إليه، وأحببتنا بمسيرنا أن تجرى لهم على أيدينا الجوائز والحلّان، والقرب من المجلس واللفظ في الكلام ليزيدهم ذلك مودة لنا ورغبة فينا، وحرصا على قتال أعدائنا، وأحببت أيضا التعهد لحصونهم، وأن أسأل أهل الخراج عن أمرهم في مسيرنا.

٥٤
١٣

فسرت في طريق همذان وأذربيجان. فلما بلغت إلى باب الصول ومدينة فيروز خسرو يمت تلك المدائن العتيقة، وتلك الحدود، وأمرت ببناء حصون أئخر. فلما بلغ

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق والى همذان أقرب . (٣) بلنجر : وراء مدينة بلاد الخزر خلف باب الأبواب ، فتحها

عبد الرحمن بن ربيعة وقال البلاذري : سلمان بن ربيعة الياهلي .

(٤) صول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند .

(٥) الحلان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

خافان الخزر نزولنا هناك تخوف أن نفروه، فكُتب أنه لم يزل - منذ ملكْتُ - يحب موادعتي، وأنه يرى الدخول في طاعتي، ورأى بعضُ قواده - لما شاهد حاله - تركه وأنا في الفين من أصحابه، فقبلناه وأنزلناه في تلك الناحية، وأجريت عليه وعلى أصحابه الرزق، وأمرت لهم بحصن هناك، وأمرت بمصلى لأهل ديننا، وجعلت فيه موبدًا وقومًا نسًاكا، وأمرتهم أن يعلموا من دخل من الترك في طاعتنا ما في طاعة الولاة من المنفعة العاجلة في الدنيا، والثواب الآجل في الأخرى، وأن يحثوهم على المودة والصحبة والعدل والنصيحة ومجاهدة العدو، وأن يعلموا أحداشهم رأينا ومذهبنا، وأفت لهم في تلك التخوم الأسواق، وأصلحت طرقهم وقومت السكك. ونظرنا فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال فإذا هو بحيث لو كان بوسط فارس لكان منزلنا بها فضلا.

وقال : فلما أتى لملكنا ثمان وعشرون سنة جذبت النظر في أمر المملكة والعدل على الرعية، والنظر في أمرهم، وإحصاء مظلماهم، وإنصافهم. وأمرت موبدًا كل ثغر ومدينة وبلد وجند بإنهاء ذلك إلى. وأمرت بعرض الجند، من كان منهم بالباب بمشهد مني، ومن غاب في الثغور والأطراف بمشهد من القائد وبادوستان والقاضي وأمين من قبلنا. وأمرت بجمع أهل كور الخراج في كل ناحية من مملكتي إلى مبرها مع القائد وقاضي البلاد والكاظم والأمين. وسرحت من

(١) في الأصل : « الصحة » والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(٢) في الأصل : « طروسم » وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(٣) كذا في الأصول . ولعلها « باداستان » وهي كلمة فارسية مركبة من كبتين باد (بالاء الفارسية)

ومعناها الكورة وتخفف بحذف الألف ، يريد حاكم الجهة (راجع القاموس الفارسي الانجليزي لاستنجاس ومقدمة قاموس الأمانة والبقاع للرحوم علي بهجت بك) .

(٤) كذا في الأصول .

قَبِلَ مَنْ عَرَفَتْ صَحْبَتَهُ وَأَمَانَتَهُ وَتُسَكَّهَ وَعِلْمَهُ ، وَمَنْ جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ وَمَدِينَةٍ حَيْثُ أُولَئِكَ الْعَمَالُ وَالْعِلْمَانُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ لِيَجْمَعُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ أَرْضِهِمْ وَبَيْنَ وَضِيعِهِمْ وَشَرِيفِهِمْ ، وَأَنْ يُرْفَعَ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَلَى حَقِّهِ وَصِدْقِهِ ، فَمَا نَفَّذَ لَهُمْ فِيهِ أَمْرٌ أَوْ صَحَّ فِيهِ الْقَضَاءُ فَرَضَى بِهِ أَهْلُهُ فَرَعُوا مِنْهُ هُنَاكَ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفْعُهُ إِلَى .

وَبَلَغَ اهْتِمَامِي بِتَفَقُّدِ ذَلِكَ مَا لَوْلَا الَّذِي أُدَارِي مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالتَّنَوُّرِ لِبَاشَرَتِ أَمْرَ الْخِرَاجِ وَالرَّعِيَةِ بِنَفْسِي قَرْيَةً قَرْيَةً حَتَّى أَتَعَاهَدَهَا وَأَكَلَمَ رَجُلًا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي ؛ غَيْرَ أَنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ يَضِيعَ بِذَلِكَ السَّبَبِ أَمْرٌ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ غَنَائِي وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْكَامِهِ غَيْرِي ، وَلَا يَكْفِينِيهِ كَافٍ ، مَعَ الَّذِي فِي الشَّخْصِ إِلَى قَرْيَةٍ قَرْيَةً مِنَ الْمُتُونَةِ عَلَى الرَّعِيَةِ مِنْ جَنْدِنَا ، وَمَنْ لَا نَجِدُ بَدَأَ مِنْ إِخْرَاجِهِ مَعَنَا . وَكَرِهْنَا أَيْضًا إِشْتَغَالَهُمُ الْبِنَاءَ مَعَ تَخَوُّفِنَا أَنْ يَشْتَغَلَ أَهْلُ الْخِرَاجِ عَنْ عِمَارَةِ أَرْضِهِمْ ، أَوْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مِثُونَةً فِي تَكْلُفِ السَّيْرِ إِلَى بَابِنَا ، وَقَدْ ضَيَّعَ قُرَاهُ وَأَنْهَارُهُ وَمَا لَا يَجِدُ بَدَأَ مِنْ تَعَاهُدِهِ فِي السَّنَةِ كُلِّهَا فِي أَوْقَاتِ الْعِمَارَةِ ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ وَوَكَّلْنَا مُوبِذَانَ مُوبِذَ ذَلِكَ ، وَكَتَبْنَا بِهِ الْكُتُبَ وَسَرَّحْنَا مَنْ وَثَّقْنَا بِهِ ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَانَا وَأَشْخَصْنَاهُ وَقَلَدْنَاهُ ذَلِكَ .

قَالَ : وَلَمَّا أَتَمَّنَ اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ مَمْلَكَتِنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ أَلْفِي رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ عَسَّرَ افْتِتَاحُ حَصُونِهِمْ لَصُعُوبَةِ الْجِبَالِ عَلَيْهَا ، لَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَنْتَفَعَ لِمَمْلَكَتِنَا مِنْ أَنْ نَفْحَصَ عَنْ الرَّعِيَةِ ، وَأُولَئِكَ الْأُمْنَاءُ الَّذِينَ وَصَيْنَاهُمْ بِإِنْصَافِ أَهْلِ الْخِرَاجِ . وَكَانَ بَلَّغْنَا أَنْ أُولَئِكَ الْأُمْنَاءُ لَمْ يَبَالِغُوا عَلَى قَدَرِ رَأْيِنَا فِي ذَلِكَ ،

(١) موبذان موبذ : قاضي القضاء في دولة الفرس قبل الإسلام . وقد بقيت وظيفة الموبذ (القاضي) إلى أواخر الدولة العباسية ، للقيام بأمور المحجوس الذين دخلوا في الذمة .

فأمرت بالكتيب الى قاضي كورية كورية أن يجمع أهل الكورة بغير علم عاملهم وأولى أمرهم فيسألهم عن مظالمهم وما استخرج منهم ، ويفحص عن ذلك بجهود رأيه ويبلغ فيه ، ويكتب حال رجل رجل منهم ويختتم عليه بخاتمه وخاتم الرضا من أهل تلك الكورة ، ويبعث به الى ويسرّح ممن يجمع رأى أهل الكورة عليه بالرضا نفرا ، وإن أحبوا أن يكون فيمن يُشخص بعض سيفلتهم أيضا فعل ذلك .

فلما حضروا جلست للناس وأذنت لهم بمشهد من عطاء أرضنا وملوكهم وقضاتهم وأحرارهم وأشرفهم ، ونظرت في تلك الكتب والمظالم ، فأية مظلمة كانت من العمال ومن وكلائنا ، أو من وكلاء أولادنا ونسائنا وأهل بيتنا حططناها عنهم بغير بينة ؛ لعلمنا بضعف أهل الخراج منهم ، وظلم أهل القوة من السلطان لهم ، وأية مظلمة كانت لبعضهم من بعض ووضّحت لنا ، أمرت بإنصافهم قبل البرّاح ، وما أشكل وأوجب الفحص عنه شهود البلد وقاضيا سرّحت معه أمينا من الكتاب ، وأمينا من فقهاء ديننا وأمينا ممن وثقنا به من خدمنا وحاشيتنا ، فأحكمت ذلك إحكاما وثيقا . ولم يجعل الله لذوى قرابتنا ورحمنا وخدمنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق والعدل ؛ فإن من شأن قرابة الملك وحاشيته أن يستطيلوا بعزته وقوته ، فإذا أهمل السلطان أمرهم هلك من جاوره إلا أن يكون فيهم متأدب بأدب ملكه ، محافظ على دينه ، شفيق على رعيته ، وأولئك قليل ؛ فدعانا الذي أطلعنا عليه من ظلم أولئك ألا نطلب البيّنة عليهم فيما ادّعى قلوبهم . ولم نزل نرد المظالم ، ولم نرد أيضا ظلم أحد من كان عزيزا بنا ، متيعا بمكانه ومنزله عندنا ، فإن الحق واسع للضعفاء والأقوياء والفقراء والأغنياء ؛ ولكلما أشكلت الأمور في ذلك علينا كان الحمل على خواصنا وخدمنا أحبّ إلينا من أن نحمل على ضعفاء الناس ومساكينهم ، وأهل الفاقة والحاجة منهم . وعلمنا أن أولئك الضعفاء لا يقدرّون على ظلم من حولنا . وعلمنا مع ذلك

أن الذين أعدينا عليهم ^(١) من خاصتنا يرجعون من نعمتنا وكرامتنا الى ما لا يرجع اليه أولئك . ولعمري إن خواصنا الياء ، وآثر خدمتنا في أنفسنا الذين يحفظون سيرتنا في الرعية ، ويرحمون أهل الفاقة والمسكنة وينصفونهم ؛ فإنه قد ظلمنا من ظلمهم ، وجار علينا من جار عليهم ، وأراد تعطيل ذمتنا التي هي حرزهم وملجأهم .

- قال : ثم كتب اليانا على رأس سبع وثلاثين سنة من ملكنا ، أربعة أصناف من التبرك من ناحية الخزر ، ولكل صنف منهم ملك ، يذكرون مادخل عليهم من الحاجة ، وما لهم من الحظ في عبوديتنا ، وسألوا أن نأذن لهم في القنودوم بأصحابهم لخدمتنا ، والعمل لما نأمرهم به ، وألا نحقد عليهم ما سلف منهم قبل ملكنا ، وأن نتركهم منزلة سائر عبيدنا ، فلما سئروا في كل ما نأمرهم به من قتال وغيره كأفضل ما نرى من أهل نصيحتنا ، فرأيت في قبولي إياهم عدة منافع ، منها : جلدتهم وبأسهم ، ومنها : أني تخوفت أن تحملهم الحاجة على إتيان قيصر أو بعض الملوك فيقووا بهم علينا ، وقد كان فيما سلف يستأجر منهم قيصر لقتال ملوك ناحيتنا بأعلى الأجرة . وكان لهم في ذلك القتال بعض الشوكة بسبب أولئك الأتراك ؛ لأن الترك ليس عندهم لذة للحياة ، فهو الذي يجرئهم مع شقاء معاليثهم على الموت ؛ فكتبت اليهم أنا نقبل من دخل في طاعتنا ، ولا نجعل على أحد بما عندنا ، وكتب الى مرزبان ^(٢) الباب أمره بأن يدخلهم أولا أولا ، فكتب الى أنه قد أتاه منهم خمسون ألفا بنسائهم وأولادهم وعيالهم . ولما بلغني ذلك أحببت أن أقر بهم الى يعرفوا إحساننا اليهم ، وأعظمهم ليطمئنتوا الى قوادنا ، حتى إذا أردنا تسريحهم مع بعض قوادنا كان كل واحد بصاحبه واثقا ، فشخصنا الى أذربيجان ، فلما نزلنا أذنت

(١) أعدينا عليهم : ظلمناهم .

(٢) المرزبان : الرئيس من الفرس .

لهم في القدوم، وأتاني عند ذلك طرائف من هدايا قيصر، وأتاني رسول خاقان الأكبر، ورسول صاحب الروم، ورسول صاحب خوارزم، ورسول ملك الهند، والداور، وكابل شاه، وصاحب سرنديب^(٣)، وصاحب كله^(٤)، وكثير من الرسل، وتسعة وعشرون ملكا في يوم واحد، وانهت الى أولئك الأتراك الثلاثة والخمسين ألفا فأمرت أن يصفوا هناك وركبت لذلك، فكان يومئذ من أصحابي ومن قدم علي ومن دخل في طاعتي وعبودتي من لم يسمعهم مَرَج كان طوله عشرة فراسخ، فمَدت الله كثيرا وأمرت أن يصف أولئك الأتراك في أهل بيوتاتهم على سبع مراتب، ورأست عليهم منهم، وأقطعهم وكسوت أصحابهم، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرت لهم بالمياه والأرضين، وأسكنت بعضهم مع قائد لي باللان^(٥)، وقسمتهم في كل ما احتجنا اليه من الثغور، وضممتهم الى المرزبان، فلم أزل أرى من مناصحتهم واجتهادهم فيما نوجههم له ما يسرنا في جميع البلدان والثغور وغيرها.

(١) الداور : وأهل تلك الناحية يسمونها زمنداور، ومعناه أرض الداور، وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رخج وبست والثغور. قال الاصطخري : الداور : اسم إقليم خصيب، وهو ثغر الثغور من ناحية سجستان، ومدينة الداور، تل، ودرغور، وهما على نهر هند مند (راجع معجم البلدان لياقوت).
(٢) كابل وملكها يقال له الداه : ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة، وقيل : هي من ثغور طخارستان. ولها من المدن : واذان، رخواش، وخشك، وخبر، وبها القود والتارجيل والرءفران والأهليلج لأنها متاخمة للهند (راجع معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبي الفدا).

(٣) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن.

(٤) كله : فرقة بالهند وهي في منتصف الطريق بين عمان والصين، يسكنها المسلمون والهند والفرس، وبها معادن للرصاص ومنابت الخيزران وشجر الكافور (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا ومعجم البلدان لياقوت).
(٥) اللان : بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للجزر، والعامة يغلطون فيهم فيقولون علان، وهم نصارى تجلب منهم عيد أعياد. (راجع معجم البلدان لياقوت).

قال : وكتب الى خاقان الأكبر يعتذر الى من بعض غدراته ويسأل المراجعة والتجاوز ؛ وذكر في كتابه ورسالته أن الذي حملته على عداوتي وغزو أرضي مَنْ لم يُنظر له ، وناشدني الله أن أتجاوز عنه ، وتوثق لي بما أطمئن اليه . وذكر أن قيصر قد أرسل اليه وزعم أنه يستأذني في قبول رسله ، وأنه لا يعمل في قبول رسل أحد إلا بما أمره ، ولا يجاوز أمرى ، ولا يرغب في الأموال ولا في المودات لأحد إلا برضائي ، وكان دسيس^(١) لي في الترك يكاتبني بندم خاقان وندم أصحابه على غدره وعداوته إياي ، فأجبته : إني لعمري ما أبالي إن طبيعة نفسك وغيرتكَ غدرت بنا أم أطعت غيرك في ذلك ، وما ذنبك في طاعة مَنْ أطعت في ذلك إلا كذبتك فيما فعلته برأى نفسك ، وإني قد استحققت أشد العقوبة . وكتبتُ أني لا أظن شيئا من الوثيقة تفي لكم إلا وقد كنت ضيعته ، ولا أظن شيئا وثقت لنا به من قبل اليوم ثم غدرتم ، فكيف نظمتم اليك وثق بقولك ؟ ولستأ نأمنك على مثل ما فعلت من الغدر ونقض العهد والكذب في اليمين . وذكرت أن رسل قيصر عندك ، ووقفنا على استئذانك إيانا فيهم ؛ وإني لست أنهارك عن مودة أحد . وكرهت أن يرى أني أنخوف مصادفته وأهاب ذلك منه . وأحييت أن أعلمه أني لا أبالي بشيء مما جرى بينهما . ثم سرحت لرملة المدائن والحصون التي بخراسان وجمع الأطعمة والأعلاف إليها ما يحتاج اليه الجند ، وأمرت أن يكونوا على استعداد وحذر ، ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الأولى وهم على حال الصلح .

قال : وكان شكري لله تعالى لما وهب لي وأعطاني متصلا بنعمه الأول التي وهبها لي في أول خلقه إياي ؛ فإنما الشكر والنعم عِدْلَا كِفْتَي الميزان أيهما رج بصاحبه احتاج الأخف الى أن يُزاد فيه حتى يعادل صاحبه ، فإذا كانت النعم

(١) الدسيس : من تدسه ليأتيك بالأخبار (الحاسوس) .

كثيرة والشكر قليلا انقطع الجمل وهلك ظهر الحامل ، وإذا كان ذلك مستويا استمر الحامل . وكثير النعم يحتاج صاحبها الى كثير الشكر ، وكثير الشكر يحلب كثير النعم . ولما وجدت الشكر بعضه بالقول ، وبعضه بالعمل ، ونظرت في أحب الأعمال الى الله وجدته الشيء الذى أقام به السموات والأرض ، وأرسى به الجبال ، وأجرى به الأنهار وبرأ به البرية . وذلك الحق والعدل فلزمتها . ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التى بها معاش الناس والدواب والطير وسكان الأرض .

ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء أهل العماره ، ووجدت أهل العماره أجراء المقاتلة ، فإنهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمداقتهم عنهم ، ومجاهدتهم من ورائهم ، حتى على أهل العماره أن يقاتلهم أجورهم ؛ فإن عمارتهم تتم بهم ، وإن أبطأوا عليهم بذلك أو هتوهم ففوى عدوهم ؛ فرأيت من الحق على أهل الخراج ألا يكون لهم من عمارتهم إلا ما أقام معاشهم ، وعمرؤا به بلدانهم ، ورأيت ألا أجتاحهم وأستفرغ ذات أيديهم للزائن والمقاتلة ، فإنى إذا فعلت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم أهل الخراج ؛ وذلك أنه إذا فسد العامر فسد المعمور ، وكذلك أهل الأرض والأرض ، فإنه إذا لم يكن لأهل الخراج ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم هلك المقاتلة الذين قوتهم بعمار الأرض ؛ فلا عمارة للأرض إلا بفضل ما فى يد أهل الخراج ؛ فمن الإحسان الى المقاتلة والإكرام لهم أن أرفق بأهل الخراج وأعمر بلادهم ، وأدع لهم فضلا فى معاشهم ؛ فأهل الأرض وذوو الخراج أيدى المقاتلة والجنود وقوتهم ، والمقاتلة أيضا أيدى أهل الخراج وقوتهم . ولقد ميزت ذلك بجهدى وطاقتى ، وفكرت فيه فما رأيت أن أفضل هؤلاء

على هؤلاء إذ وجدتهما كاليدى المتعاونتين والرجلين المترادفتين .

ولعمري ما أعنى أهل الخراج من الظلم من أضر بالمقاتلة، ولا كف الظلم عن المقاتلة من تعدى على أهل الخراج . ولولا سفهاء الأساورة لأبقوا على أهل الخراج والبلاد إبقاء الرجل على ضيعته التي منها معيشته وحياته وقوته، ولولا جهال أهل الخراج لكفوا عن أنفسهم بعض ما يحتاجون إليه من المعاش لئلا يثارا للمقاتلة على أنفسهم .

٥٧
١٣

قال : ولما فرغنا من إصلاح العامة والخاصة بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتلة كان ذلك ثمرة العدل والحق الذي دبر الله العظيم خلائقه به ، وشكرت الله على نعمته والمقاتلة في أداء حقه على مواهبه ، وأحكامنا أمر المقاتلة وأهل الخراج بسط العدل ، وأقبلنا بعد ذلك على السير والسنن ، ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم من أمورنا ، والأكبر فالأكبر عائدا على جندنا ورعيتنا ، ونظرنا في سير آبائنا من لدن يستأسف إلى ملك قبائز أقرب آبائنا . ثم لم تترك إصلاحا في شيء من ذلك إلا أخذناه ، ولا فساد إلا أعرضنا عنه ، ولم يدعنا حب الآباء إلى قبول ما لا خير فيه من السنن ، ولكننا أثرا حب الله وشكره وطاعته .

ولما فرغنا من النظر في سير آبائنا وبدأنا بهم ، وكانوا أحق بذلك ، فلم ندع خفا إلا آثرناه ، ووجدنا الحق أقرب القرابة . نظرنا في سير أهل الروم والهند فاصطفينا محمودها ، وجعلنا عيار ذلك عقولنا ، وميزانه بأحلامنا ، فأخذنا من جميع ذلك ما زين سلطاننا ، وجعلناه سنة وعادة ، ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل به أهواؤنا ، وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به ، وكتبنا إليهم بما كرهناهم من السير ونهيناهم عنه وتقدمنا إليهم فيه ؛ غير أننا لم نكره أحدا على غير دينه وولته ، ولم نخسدهم ما قبلنا ، ولا منع ذلك أنقباض بعلم ما عندهم ، فإن الإقرار بمعرفة الحق

والعلم والاتباع له من أعظم ما تزينت به الملوك . ومن أعظم المضرة على الملوك
الإنفة من العلم والحمة من طلبه ، ولا يكون عالما من لا يتعلم .

ولما استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير والسياسة ، ووضعت
بين مكارم أسلافى ، وما أحدثته بالرأى ، وأخذت به نفسى ، وقبلته عن الملوك الذين
لم يكونوا منا ، وثبت على الأمر الذى نلت به الظفر والخير ، ورفضت سائر الأمم
لأنى لم أجد عندهم رأيا ولا عقولا ولا أحلاما ، ووجدتهم أصحاب بغي وحسد
وكلب وحرص وشخ وسوء تدبير وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافأة . وهذه أمور
لا تصالح عليها ولاية ، ولا تنم لها نعمة .

قال ابن مسكويه : وقرأت مع هذه السير فى آخر هذا الكتاب الذى كتبه
أنو شروان فى سيرة نفسه أن أنو شروان لما فرغ من أمور المملكة وهذبها جمع
إليه الأساورة مع القواد والعطاء والمرابذة والنسك والموايدة وأمانل الناس معهم
نخطبهم فقال :

ذكر خطبة أنو شروان

قال : أيها الناس ، أحضرونى فهمكم ، وأرغونى أسماعكم ، وناصحونى أنفسكم ،
فإنى لم أزل واضعا سيفى على عنقى منى وليت عليكم غرضا للسيف والأسنة ،
وكل ذلك للدافعة عنكم ، والإبقاء عليكم ، وإصلاح بلادكم مرة بأقصى الشرق ، وتارة
فى آخر المغرب ، وأخرى فى نهاية الجنوب ، ومثلها فى جانب الشمال ، ونقلت الذين
اتهمتهم إلى غير بلادهم ، ووضعيت الأوضاع فى بلدان الترك ، وأقت بيوت النيران
بقسطنطينية ، ولم أزل أصعد جبلا شامخا وأنزل عنه ، وأطأ حزنه بعد سهوله ،
وأصبر على الخمة^(١) والخافة ، وأكابد البرد والحر ، وأركب هول البحر وخطر المفازة ؛

(١) الخمة : خلا البطن جوعا .

إرادة هذا الأمر الذى قد أتمه الله لكم : من الإثخان فى الأعداء ، والتمكن فى البلاد ،
 والسعة فى المعاش ، ودرك العز ، وبلوغ ما نلتم ؛ فقد أصبحتم بحمد الله ونعمته على
 الشرف الأعلى من النعمة ، والفضل الأكبر من الكرامة والأمن ، وقد هزم الله
 أعداءكم وقتلهم ؛ فهم بين مقتول هالك ، وحي مطيع لكم سامع ؛ وقد بقي لكم عدو
 عددهم قليل ، وبأسهم شديد ، وشوكتهم عظيمة ؛ وهؤلاء الذين بقوا أخوف عندى
 عليكم ، وأحرى أن يهزموكم ويغلبوكم من الذين غلبتموهم من أعدائكم ، وأصحاب
 السيوف والرماح والخيول ؛ وإن أتم أيها الناس غلبتم عدوكم هذا الباقى ، غلبتكم
 لعدوكم الذين قاتلتهم وحاصرتهم ، فقد تم الظفر والنصر ، وتمت فيكم القوة ، وتم بكم
 العز ، وتمت عليكم النعمة ، وتم لكم الفضل ، وتم لكم الاجتماع والألفة والصحة
 والسلامة ؛ وإن أتم قصرتم ووهنتم ، وظفر هذا العدو بكم فأين الظفر الذى كان
 منكم ، فاطلبوا أن تقتلوا من هذا العدو الباقى مثل ما قتلتم من ذلك العدو الماضى ؛
 وليكن جدكم فى هذا واجتهادكم واحتشادكم أكبر وأجل وأحرز وأعزم وأصح وأشد ،
 فإن أحق الأعداء بالاستعداد له أعظمهم مكيده ، وأشدهم شوكة ، وليس الذى كنتم
 تخافون من عدوكم الذى قاتلتهم بقريب من هؤلاء الذين أمركم بقتالهم الآن ؛ فاطلبوه
 وصلوا ظفرا بظفر ، ونصرا بنصر ، وقوة بقوة ، وتأيدا بتأييد ، وعزما بحزم
 وعزم ، وجهادا بجهاد ؛ فإن بذلك اجتماع إصلاحكم ، وتمام النعمة عليكم ، والزيادة
 فى الكرامة من الله لكم ، والفوز برضوانه فى الآخرة .

ثم اعلموا أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم لم يكونوا يلبثوا منكم
 — إن ظهروا عليكم وغلبوكم — مثل الذى يبلغ هذا العدو منكم إن غلبكم وظهر
 عليكم ؛ فإن بأس هذا العدو أشد ، وكيدته أكبر ، وأمره أخوف من ذلك العدو .

يأيها الناس ، إني قد نصبتُ لكم كما رأيتم ، ولقيتُ ما قد علمتم بالسيف والرمح
والمقاوِز والبحار والسهولة والجبال ؛ أقارع عدوًا عدوًا ، وأكالب جنودًا جنودًا ،
وأكابِد ملكًا ملكًا ، لم أتضرع إليكم هذا التضرع في قتال أولئك الجنود والملوك ،
ولم أسألكم هذه المسألة في طلب الحَد منكم ، والاجتماع والاحتفال والاحتشاد ،
وإنما فعلت هذا لعظم خطره ، وشدة شوكته ، ومخافة صولته بكم . وإن أنا أيها
الناس لم أغلب هذا العدو وأنفِه عنكم ، فقد أبقيت فيكم أكبر الأعداء ، ونفيت
عنكم أضعفها ، فأعينوني على نفي هذا العدو المخوف عليكم ، القريب الدار منكم ؛
فأنشدكم الله أيها الناس لما أعتمقوا عليه حتى أنفِيه عنكم ، وأخرجته من بين
أظهركم فيتم بلائى عندكم ، وبلاءُ الله فيكم عندي ، وتمَّ النعمةُ عليّ وعليكم ، والكرامةُ
من الله لي ولكم ، ويتمَّ هذا العز والنصر ، وهذا الشرف والتمكين ، وهذه الثروة
والمستزلة .

يأيها الناس ، إني تفكرت بعد فراغى من كتابي هذا ، وما وصفتُ من نعمة
الله علينا في الأمر الذي لما غلب دارا الملوك والأمم وقهرها ، واستولى على بلادها ،
ولما تحمَّ أمر هذا العدو ، هلك وهلكت جنوده بعد السلامة والظفر والنصر
والغلبة ؛ وذلك أنه لم يرض بالأمر الذي تمَّ له به الملك ، واشتدَّ به السلطان ،
وقوى به على الأعداء ، وتمَّت عليه به النعمة ، وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلها
الكرامة ، حتى أحتمل له بوجوه النعمة والبنى ؛ فدعا البنى الحسد فتقوى به وتمكَّن ،
ودعا الحسد بض أهل الفقر لأهل الغنى ، وأهل الخمول لأهل الشرف ؛ ثم أتاهم
الإسكندر وهم على ذلك من تفرق الأهواء ، واختلاف الأمور ، وظهور البغضاء

(١) نصبت : يقال نصب الرجل (بكسر الصاد) نصبا ففتحها : أعيا ونصب .

(٢) في الأصول : فدعا البنى والحسد ، ولعل هذه الواو مقحمة من الناصح .

وقوة العداوة فيما بينهم والفساد منهم . ثم ارتفع ذلك إلى أن قتله صاحب حرسه وأمينه على دمه ، للذى شمل قلوب العامة من الشر والضعيفة ، ونبت فيها من العداوة والفرقة ، وكفى الإسكندر مؤنة نفسه ؛ وقد اتعظت بذلك اليوم وذكرته .

يا أيها الناس ، فلا أسمعن في هذه النعمة تفرقا ولا بغيا ولا حسدا ظاهرا ، ولا وشاية ولا سعاية ، فإن الله قد طهر من ذلك أخلاقنا وملئنا ، وأكرم عنه ولايتنا ، وما نلت ما نلت بنعمة ربنا وحده بشيء من الأمور الخبيثة التي نفتها العلماء ، وعافتها الحكماء ؛ ولكن نلت هذه الرتبة بالصحة والسلامة ، والحب للرعية ، والوفاء والعدل والاستقامة والتؤدة . وإنما تركنا أن نأخذ عن هذه الأمم التي سبيناها ، أعني من الترك والبربر والزنج والحبال وغيرهم ، مثل ما أخذنا عن الهند والروم لظهور هذه الأخلاق فيهم وغلبتها عليهم . ولا تصلح أمة قط وملكها على ظهور هذه الأخلاق التي هي أعدى أعدائكم .

يا أيها الناس ، إن فيما بسط الله علينا بالسلامة والعافية والاستصلاح غنى لنا عما نطلب بهذه الأخلاق الرديئة المشثومة ؛ فأكفوني في ذلك أنفسكم ، فإن قهر هذه الأعداء أحب إلى وخير لكم من قهر أعدائكم من الترك والروم . فأما أنا أيها الناس فقد طبئت نفسي بترك هذه الأمور ومحققها وقمعها ونفيها عنكم .

٥٩

١٣

يا أيها الناس ، إنني قد أحببت أن أنفي عدوكم الظاهر والباطن ؛ فأما الظاهر منهما فإننا بحمد الله ونعمته قد تقيناه وأعاننا الله عليه وحصد لنا شوكته ، وأحسبتم فيه وأجلمتم وآسيتم وأجهدتم ، فأفعلوا في هذا العدو كما فعلتم في ذلك العدو ، وأعملوا فيه كالذي عملتم في ذلك ، وأحفظوا عني ما أوصيكم به فلاني شفيق عليكم ناصح لكم . أيها الناس ، من أحميا هذه الأمور فينا فقد أفسد بلاءه عندنا بقتاله من كان يقاتلنا من أعدائنا ، فإن هذه أكثر مضرة ، وأشد شوكة ، وأعظم بلية ، وأضر تبعه .

وأعلموا أن خيركم يأبى الناس من جمع إلى بلائه السالف عندنا المعونة لنا على نفسه
 في هذا الغابر . وأعلموا أن من غلبه هذا غلبه ذاك ، ومن غلب هذا فقد قهر ذاك ؛
 وذلك أن بالسلامة والألفة والمودة والاجتماع والتناصح منكم يكون العز والقدرة والسلطان ،
 ومع التحاسد والبغى والنيمعة والسب يكون ذهاب العز ، وأنقطاع القوة وهلاك
 الدنيا والآخرة ؛ فعليكم بما أمرناكم به ، وأحذروا ما نهيناكم عنه ، ولا حول ولا قوة
 إلا بالله . عليكم بمواساة أهل الفاقة ، وضيافة السابلة^(١) ، وأكرموا جوار من جاوركم ،
 وأحسنوا صحبة من دخل فيكم من الأمم ، فإنهم في ذمتي ، ولا تجبهم وهم ولا نظموهم ،
 ولا تسلطوا عليهم ، ولا تخرجوهم ، فإن الإخراج يدعو إلى المعصية ، ولكن اصبروا
 لهم على بعض الأذى ، واحفظوا أمانتكم وعهدكم ، واحفظوا ما عاهدت إليكم من
 هذه الأخلاق ، فلا تصلحوا إلا معها ، وبالله تعالى ثقتنا في الأمور كلها . ثم هلك
 أنوشروان بعد ثمان وأربعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أبوه هرمز بن كسرى أنوشروان . وأمه قائم بنته خاقان
 ملك الترك . وقيل : بل ابنة ملك من ملوك الخزر . قال : وكان كثير
 الأدب ، حسن السياسة ، جميل النية ، وافر الإحسان إلى الضعفاء والمساكين .

وكان من سيرته المرتضاة أنه يُجرى الخير والعدل على الرعية ، ويشدد على العظماء
 المتسلطين على الضعفاء . وبلغ من عدله أنه كان يسير إلى المياه ليصيف هناك ، فأمر
 فنودي في مسيره أن يُتخامى مواضع الحروث ، ولا يسير فيها الراكب لئلا يضرها
 بأحد ، ووكل بتعهد ما يجري في عسكره ، ومعاينة من تعبدى أمره وتغير به لصاحب

(١) السابلة هنا : المارون على الطريق المسلك .

الحرث عوضا عما أفسده له . وكان ابنه كسرى أبرويز في عسكره فغار مركب^٥ من مزركبه ووقع في حرث كان على الطريق ، فأفسد ما مر عليه ، فأخذ ودفع إلى الرجل الموكل من جهة هرمز بمعاينة من أفسد هو أو دوابه شيئا من الحرث ، فلم يحسر الرجل الموكل من جهة هرمز أن ينقض أمر هرمز في ابنه أبرويز ، فرفع الأمر إلى هرمز فأمره أن يجدد أذنيه ، ويتردئبه ، ويفترم كسرى أبرويز لصاحب الحرث ، فخرج الرجل لإنفاذ الأمر ، فسدس له كسرى رهطا من العطاء يسألونه التثبيت في الأمر ، فكلموه فلم يجب إلى ذلك : فسألوه تأخير إنفاذ الأمر في المركب حتى يكلموا هرمز ، ففعل ، ولقي أولئك الرهط هرمزا وأعلموه أن ذلك المركب الذي غار إنما غار زعارة^(١) ، وأنه أخذ لوقته . وسألوه أن يأمر بالكف عن جدعه وبتره ، لما في ذلك من سوء الطيرة فلم يجهم إلى ما سألوه ، وأمر بالمركب بجدعت أذناه وبتردئبه ، وغرم كسرى كما يغرم غيره من الجند ثم ارتحل .

قال : وركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم يريد ساباط المدائن^(٢) ، وكان ممرة على بساتين وكروم ، فنظر بعض الأساورة إلى كرم فرأى حصرما ، فأصاب منه عناقيد ودفعها إلى غلامه وقال : اذهب بها إلى المنزل وأطبخها بلحم وأصنع منها مرققة فإنها نافعة في هذا الإبان ، فأتاه حافظ ذلك الكرم فلزمه وصاح به ، فبلغ إشفاق الأسوار من عقوبة هرمز أن دفع إلى حافظ الكرم منقطة محلاة بالذهب كانت في وسطه ، وسأله أن يأخذها عوضا عما أخذه من الحصرم ، ولا يرفع الأمر إلى الملك .

(١) زعارة : شرابة وسوء خلق .

(٢) ساباط المدائن : مدينة في جانب دجلة الغربي (راجع تقويم البلدان لأبي الفداء) .

فهذه كانت سيرته في العدل ، وهذا كان خوف جنده وأساورته منه . وكان مظفراً منصوراً ، وكان أديبا داهيا ، إلا أنه كان مُقْصِيًّا للأشراف وأهل البيوتات والعلماء . وقيل : إنه قتل ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل منهم ، ولم يكن له رأى إلا في تألف السفلة وأسقاط الناس واستصلاحهم . وحبس خلقا كثيرا من العظماء ، وحط مراتب جماعة كبيرة ، وقصر بالأساورة ففسدت عليه نيات أكابر جنده وعظماء مملكته ، فكان عاقبة سوء هذا التدبير أن خرج عليه جماعة من الملوك منهم شابه ^(١) [شاه] ملك الترك في ثلثة ألف مقاتل ، وسار إلى بادغيس ، وذلك بعد مضي إحدى عشرة سنة من ملكه ، وخرج عليه ملك الروم في ثمانين ألف مقاتل ، وخرج عليه ملك الخزر حتى سار إلى باب الأبواب ، وخرج عليه من العرب خلق كثير ، فتلوا في شاطئ الفرات وشنوا الغارات على أهل السواد ، فاجترأ عليه أعداؤه وغزوا بلاده .

فأما شابه ^(١) [شاه] ملك الترك فإنه أرسل إلى هرمز وإلى عظماء ملكه من الفرس يؤذنههم بإقباله في جيوشه زُمرًا زُمرًا ، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم ، ويسلك إليهم من بلادهم ، وأمرهم أن يفتدوا له قناطر على كل نهر يمر عليه في بلادهم من الأنهار التي لا قناطر عليها ، وكذلك في الأودية ، وأن يسمموا له الطرق والمسالك وقال : فإنني قد أجمعت على السير إلى بلاد الروم من بلادكم ، فاستفزع هرمز ما ورد عليه من ذلك ، وجمع أكابر مملكته وعرض ذلك عليهم ، وشاورهم فيما يفعله ، فاجتمعت الآراء على قصد ملك الترك وحربه ، فندب إليه رجلا من أهل الرأى والنجدة يقال له بهرام جوبين ، فاختر بهرام من العسكر اثني عشر ألفا

(١) التلمذة من غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للعلاني (ص ٦٤٢) .

(٢) بادغيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ .

من الكهول دون الشباب ، وسار بهم حتى انتهى إلى هراة ^(١) وباذغيس ، ولم يشعر شابه [شاه] ^(٢) ملك الترك بهرام حتى وافاه ونزل بالقرب من معسكره ، فكانت بينهما حروب كثيرة آخرها أن بهرام جوين قتل شابه برمية رماه ^(٣) [بها] فاستباح عسكره ، وأقام بهرام موضعه ، فوافاه برمودة ^(٤) بن شابه وكان يعدل بأبيه ، فخاربه فهزمه بهرام جوين وحصره في بعض الحصون ، ثم ألح عليه حتى استسلم له ، فوجهه أسيرا إلى هرمز ، وغنم كنوزا عظيمة ، فيقال إنه حمل إلى هرمز من الأموال والجواهر والأواني وسائر الأمتعة وقرمائي ألف وخمسين ألف بعير في مدة تلك الأيام ، فشكره هرمز على ذلك ، وأمره أن يتقدم بمن معه إلى بلاد الترك فلم يره بهرام صوابا ، ثم خاف سطوة هرمز .

- وَحِكِي لَهُ أَنْ الْمَلِكَ يَسْتَقِلُّ مَا حَمَلَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَائِمِ فِي جَنْبِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا ،
 ١٠ وَأَنَّهُ يَقُولُ فِي مَجَالِسِهِ قَدْ تَرَفَّهَ بِهَرَامٍ وَاسْتَطَابَ الدَّعَى ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْجَنْدَ خَفَافُوا مِثْلَ خَوْفِهِ .
 فَيَقَالُ إِنَّ بِهَرَامٍ جَمَعَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجُوهَ عَسْكَرِهِ وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي زِيِّ النِّسَاءِ وَبِيَدِهِ مِغْزَلٌ وَقَطَنَ حَتَّى جَلَسَ فِي مَوْضِعِهِ ؛ وَحَمَلَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ مِغْزَلَ وَقَطَنَ وَوَضَعَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَامْتَعْصَمُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوهُ وَقَالُوا : مَا هَذَا الزِّيُّ ! فَقَالَ بِهَرَامُ : إِنَّ كِتَابَ الْمَلِكِ وَرَدَ عَلَيَّ بِذَلِكَ وَلَا بَدَّ مِنْ امْتِثَالِ أَمْرِهِ إِنْ كُنْتُمْ طَائِعِينَ لَهُ ، فَأَظْهَرُوا أَنْفَهُ وَحِمِيَّةً وَأَجْمَعُوا كُلَّهُمْ عَلَى خَلْعِ

(١) هراة : مدينة عظيمة مشهورة بخراسان خربها التتر ، وكانت فتحت في أيام عثمان رضي الله عنه .
 (راجع تفويم البلدان لأبي الفداء) .

(٢) الكلمة من غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للعالبي (ص ٦٥٢) .

(٣) زيادة يقتضيا السياق .

(٤) كذا في تاريخ الطبري (ص ٩٩٣ من القسم الأول طبعة أوروبا) . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٣٤٢ طبعة أوروبا) : « برمودة بن شابه » وفي الأصول : « رمودة » .

هرمز ، نخلعوه وأظهروا أن ابنه كسرى أبرويز أصلح للملك منه ، وساعدهم على ذلك خلق كثير ممن كان بحضرة هرمز .

ولما اتصل ذلك بهرمز أنفذ جيشا كثيفا مع بعض قواده لمحاربة بهرام جوين ، فاشفق أبرويز من الحديث وخاف سطوة أبيه بهرام ، فهرب إلى أذربيجان ، فاجتمع إليه هناك عدة من المرازبة ومن الأصهبذين ، فاعطوه بيعتهم ولم يظهر أبرويز شيئا ، وأقام بمكانه إلى أن بلغه قتل القائد الذي كان قد بعثه هرمز لمحاربة بهرام جوين ، وهو أذبيحشيش ، وهزيمة الجيش الذي كان معه واضطراب أمر هرمز أبيه ، وكتبت أخت أذبيحشيش إلى كسرى أبرويز تخبره بضعف أبيه هرمز ، وأعلمته أن العطاء والوجوه قد أجمعوا على خلعه ، وأن بهرام جوين إن سبقه إلى المدائن احتوى على الملك . قال : ولم يلبث العطاء أن وثبت على هرمز وفيهم ^(١) يندويه وبسطام خلا أبرويز وخلعوه وسملوا عينيه ، وتركوه تحزجا من قتله . فكان ملكه إلى أن خلع وسمل اثنتي عشرة سنة .



ثم ملك بعده ابنه كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . قال : ولما ملك بادر بن معه إلى المدائن وسبق إليها بهرام جوين وتزوج وجمع إليه الوجوه والأشراف ، وجلس على السرير ومناهم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فاستبشر الناس به ودعوا له وأجابوه ودخلوا تحت طاعته . فلما كان في اليوم الثاني أتى إلى أبيه فسجد له ، واعتذر وقال : إنك تعلم أيها الملك إنني برىء مما جناه إليك هؤلاء القوم الذين فعلوا بك ما فعلوا ، وإنما هربتُ خوفا منك وإشفاقا على نفسي ، فصدقه هرمز وقال : يا بني ! إن لي إليك حاجتين فأسعفني بهما ، إحداهما : أن

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢١٦٩ من القسم الأول طبعة أوروبا) في كلامه على السفاطية بكسر : « ابنا خال كسرى يندويه ويترويه ابنا بسطام » .

تنتقم لي ممن عاون على خلعي وسمل عيني ولا تأخذك بهم رافة ، والأخرى تؤنسني كل يوم بثلاثة نفر من لهم أصالة رأي ، وتأذن لهم بالدخول إلى ؛ فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيها الملك ، إن المارق بهرام قد أطلنا^(١) ومعه أهل الشجاعة والنجدة ، ولسنا نقدر أن نمّيدا إلى من أتى إليك ما أتى ؛ فإنهم وجوه أصحابك ؛ ولكن إن أمكنني الله من المنافع فأنا خليفتك وطوع أمرك .

قال : وأما بهرام جويين فإنه ورد إلى النهران ، فخرج كسرى أبرويز إليه وواقفه بها وجعل النهر بينه وبينه ، ودار بينهما كلام كثير . كل ذلك في استصلاح بهرام ورجوعه إلى الطاعة ، وهو لا يُجيب إلى ذلك ولا يرد إلا ما يسوء أبرويز حتى يئس منه وأجمع على حربه والتقوا واقتلوا . وكان بينهما أخبار كثيرة وأحاديث طويلة آخرها أن أبرويز ضَعَفَ عنه بعد أن قتل بيده ثلاثة نفر من الأتراك ، وكانوا من أشدهم وأعظمهم شجاعة ووسامة ، وكانوا قد التزموا لبهرام بقتل أبرويز ، وضمن لهم بهرام على ذلك أموالا عظيمة .

قال : ثم رأى أبرويز من أصحابه فتورا فسار إلى أبيه وشاوره فرأى المسير إلى الروم ، وأحرز نساءه وشخص في عدة يسيرة فيهم يندويه وبسطام وكردى أخو بهرام ؛ لأنه كان معاديا لأخيه ، شديد الطاعة والنصيحة لأبرويز . فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام ، وأشفقوا أن يرد هرمز إلى الملك ، ويكتب ملك الروم عن هرمز في ردهم فيتلفوا ؛ فذكروا ذلك لأبرويز واستأذنه في إنلاف هرمز فلم يُجِر جوابا ، فانصرف يندويه وبسطام وطائفة معهما إلى هرمز فختقوه ثم رجعوا إلى كسرى فقالوا : سر على خير طالع ، وأيمن طائر ؛ فختقوا دوابهم وساروا إلى الفرات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له : خرشيدان

(١) أطلنا : أشرف علينا .

وساروا الى بعض الديارات التي في أطراف العماره ، فلما أوطنوه للراحة لحقتهم
 خيل بهرام جوين ، فلما نذروا بهم أنبه بندويه أبرويز من نومه وقال له : احتل
 لنفسك فإن القوم قد طلبوك . فقال كسرى : ما عندي حيلة . فقال بندويه :
 إني سأحتال لك بأن أبذل نفسي دونك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : تدفع لي ثوبك
 وزينتك لأعلو الدير وتجو أنت ومن معك من وراء الدير ، فإن القوم إذا وصلوا
 ورأوا هيتك على اشتغلوا بي عن غيري ، وطاولتهم حتى تفوتهم ، ففعل ذلك .
 وخرج أبرويز ومن معه ، ثم وافت خيل بهرام الدير وعليهم قائد لهم يقال له بهرام
 ابن سياوش فاطلع عليهم بندويه من فوق الدير وعليه زينة أبرويز وثيابه ، وأوهمهم
 أنه هو ، وسأله أن ينظره الى غد ليصير في يده سليما ريسا به الى بهرام جوين ،
 فأمسك عنه وحفظ الدير ليلة كاملة بالحرس . فلما أصبح اطلع عليه في بزته وحليته
 وقال : إن على وعلى أصحابي بقية شغل من استعداد وصلوات وعبادات فأمهلنا .
 ولم يزل يدافعه حتى مضى عامة النهار وأمعن أبرويز ، وعلم بندويه أنه قد فاتهم ،
 ففتح الباب حينئذ وأعلم بهرام سياوش بأمره ، فانصرف به الى بهرام جوين فخبسه .
 وأما بهرام جوين فإنه دخل المسدائن وجلس على سرير الملك ، وجمع
 العظماء لخطبهم وذم أبرويز ودار بينهم كلام ، فكان كلهم منصرفا عنه إلا أن بهرام
 تنوَج وانقاد له الناس خوفا ، ثم إن بهرام بن سياوش واطأ بندويه على الفتك بهرام
 جوين ، فظهر بهرام على ذلك ، فقتل سياوش وأفلت بندويه ولحق بأذربيجان ،
 وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية فكتب ملك الروم منها ، وراسله بجميع من كان معه
 وسأله نصرته ، فأجابه الى ذلك وزوجه ابنته مريم وحملها إليه ، وأمدّه بنيادوس
 أخيه ومعه ستون ألفا من المقاتلة ، عليهم رجل يقال له سرجس ، يتولى تدبير

(١) في تاريخ الطبري (ص ٩٩٨ من القسم الأول طبع أوربا) : « أطلوك » .

أمرهم ، ورجل آخر من أبطال الروم ، كان يعدّ بينهم بألف رجل ، وسأله ترك
الأتاوة التي كان أبوه ومن قبله من ملوك الفرس يستأدونها من ملوك الروم إذا هو
ملك ، فأجابه الى ذلك ، وفرح بالجيش الذي أمده به ملك الروم ، واعتبط بهم
وأراحهم خمسة أيام ، ثم عرضهم وعرف عليهم العرفاء وسار بهم حتى نزل من
أذربيجان في صحراء تدعى الدق^(١) فوافاه هناك بندويه ورجل من أصهبذى الناحية
يقال له موسى في أربعين ألف مقاتل ، فانضموا إليه ، ووافاه الناس بالخليل من
أصهبان وفارس ، وانتهى الى بهرام جوين مكانه بصحراء الدق ، فشنخص نحوه
من المدائن ، فحرت بينهما حروب شديدة قتل فيها الكي الرومي بضربة ضربه بها
بعض الفرس على رأسه فقد رأسه وبدنه ، وعاد فرسه بنصف بدنه الباقي الى المعركة .

- ١٠ فلما رآه أبرويز استضحك ، فعظم ذلك على الروم وعاتبوا أبرويز وقالوا له : هذا
جزاؤنا منك ! يقتل كيتا وواحد عصره في طاعتك وبين يديك ونضحك ونصرتك
وأنت تضحك لقتله ! فاعتذر بأن قال : إني والله ما ضحكت لما تكرهون . ولقد شق عليّ
أن فقدت مثله أكثر مما شق عليكم ، ولكنني رأيتمكم تستصغرون شأن جوين وتكرهون
هزري منه ، فذكرت ذلك من قولكم الآن وعلمت أنكم برؤيتكم هذه الضربة
تعذرونني وتعلمون يقينا أن هزري إنما كان من أمثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ
١٥ نكايتهم في الأبطال . ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفردا عن العسكر بأربعة عشر
رجلا منهم كردي أخو جوين وبندويه وبسطام حربا شديدا وصل فيها بعضهم
الى بعض ، وآخر الأمر أن أبرويز استظهر استظهارا يئس منه بهرام جوين ، وعلم

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٠ من القسم الأول طبع أوروبا) وفي الأصل وردت هكذا

٢٠ « الرق » بأعمال الحرف الذي قبل القاف . وفيه مصحح الطبري بالهامش بأنها وردت في بعض النسخ
هكذا : « الرق ، الرق ، الدق ، الرق » .

أنه لا حيلة له فيه ولا قدرة عليه ، فأنحاز عنه نحو خراسان ، ثم سار الى الترك ، وسار أبرويز الى المدائن بعد أن فرق في الجنود من الروم أموالا عظيمة وصرفهم الى ملك الروم .

قال : ولبت بهرام جوين في الترك مكرما عند الملك حتى احتال عليه كسرى أبرويز بتوجيهه رجلا يقال له هرمز الى الترك بجوهر نفيس وغيره من الهدايا الى امرأة ملك الترك حتى دسّت لبهرام من قتله ، فاعتمّ خاقان لموته وأرسل الى أخته كردية وأمراته يعلمهما بلوغ الحوادث ببهرام ، وسأل كردية أخت بهرام أن يتزوجها وفارق أمراته خاتون بهذا السبب ، فأجابته كردية جوابا لينا ، ثم ضمت إليها من كان مع أخيها بهرام من المقاتلة ، وخرجت بهم من بلاد الترك الى حدود مملكة فارس ، فأتبعها ملك الترك أخاه نظراً^(١) في آثني عشر ألف فارس . فيقال إن كردية قاتلت وقتلت نظرا بيدها ، ومضت لوجهها حتى بلغت حدود أرض فارس ، وكتبت الى أخيها كردى فأخذ لها أمانا من أبرويز ، فلما قدمت عليه اغتبط بها وتزوج بها أبرويز .

قال : ولم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذي نصره وأمدّه ويهاديه الى أن وثبت الروم عليه في شيء أنكره منه فقتلوه وملكوا غيره ، فبلغ ذلك أبرويز فتألم له وأوى الى أبرويز ابن الملك المقتول ، فتوجه أبرويز وملكه على الروم ، ووجه معه جنودا كثيفة مع شهر باز فدوخ بهم البلاد . وملك صاحب كسرى بيت المقدس وأخذ خشبة الصلب وبعث بها الى كسرى ، وذلك في أربع وعشرين سنة من ملكه ، ثم احتوى على مصر والاسكندرية وبلاد النوبة ، وبعث مفاتيح ثغر الإسكندرية الى كسرى في سنة ثمان وعشرين من ملكه ، وقصد قسطنطينية فأناخ

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « بطرا » .

على ضفة الخليج الذى هو بالقرب منها وخيم هنالك، فأمره كسرى فخر ببلاد
الروم غضبا على أهلها لما انتهكوا من ملكهم وانتقاما له، ومع ذلك لم يخضعوا
لأبن ملكهم المقتول ولا منحوه الطاعة، ولا مال إليه واحد منهم؛ غير أنهم قتلوا
الملك الذى ملكوه عليهم بعد أبيه المسمى قوقالما ظهر لهم من بخوره وسوء تدبيره؛
وملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل. فلما رأى هرقل عظم ما فيه أهل بلاد الروم
من تخريب جنود فارس بلادهم، وقتلهم مقاتلتهم، وسبيهم ذراريهم، واستباحيتهم
أموالهم تضرع إلى الله وأكثر الدعاء وابتهل. فيقال إنه رأى فى منامه رجلا ضخ
الجنة رفيع المجلس قد دخل عليه، فدخل عليهما داخل فالتقى ذلك الرجل عن مجلسه
وقال لهرقل: إني قد أسلمته فى يدك، فلم يقصص رؤياه تلك فى يقظته على أحد
حتى توات عليه أمثالها، فرأى فى بعض لياليه كأن رجلا دخل عليهما وبينده
سلسلة طويلة فالتقاها فى عنق صاحبه، أغنى صاحب المجلس الرفيع، ثم دفعه إليه
وقال له: ها قد دفعت إليك كسرى برقبته.

فلما تابعت هذه الأحلام قصصها على عظماء الروم وذوى العلم منهم، فأشاروا
عليه أن يغزوه، فاستعد هرقل واستخلف ابنه على مدينة قسطنطينية، وأخذ عن
الطريق الذى فيه شهر ياز صاحب كسرى وعدل إلى غيرها، وسار حتى أوغل فى بلاد
أرمينية وتزل نصيبين سنة^(١)، وكان صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى استدعى
للموعدة كانت من كسرى عليه. وأما شهر ياز فقد كانت كتب كسرى ترد عليه
فى الجحوم على الموضع الذى هو به وترك الأبراج، ثم بلغه أن هرقل قد أقام بجنوده

(١) فى تاريخ الطبرى (ص ١٠٢ من القسم الأول): «شهر ياز» وأشار مصححه بالهامش

إلى أنه ورد فى بعض المراجع: «شهر يران» و«شهر ياز».

بنصيبين ، فوجه كسرى لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له : راهزار^(١) في اثني عشر ألف رجل من الإنجاد ، وأمره أن يقيم بيننوى - وهى الموصل - على شاطئ دجلة ويمنع الروم أن يجوزوها . وكان كسرى بلغه خبر هرقل ، وهو يومذاك بدسكرة^(٢) الملك ، فنقذ الجيش لمنعه من جواز دجلة ، فعسكروا حيث أمرهم كسرى ، فقطع هرقل دجلة من موضع آخر الى الناحية التى فيها جنود فارس ، فأذكى راهزار العيون عليه ، فأخبروه أن هرقل فى سبعين ألف مقاتل ، فأيقن راهزار ومن معه من الجنود أنهم عاجزون عن مناهضته ، فكتب الى كسرى غير مرة أن هرقل قد دهمه بما لا طاقة له به ولا قبل من الجنود الكثيرة . كل ذلك يحبه كسرى بأنه إن عجز عن الروم فلن يعجز عن استقبالهم ، وبذل دماء الفرس فى طاعة .

فلما تابعت على راهزار أجوبة كسرى بذلك عبا جنده وناهض الروم بهم ؛ فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل من الفرس ، وانهمز بقيتهم وهربوا على وجوههم لا يلوون على شئ ، وبلغ كسرى ذلك فأنحاز من دسكرة الملك الى المدائن ، وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل ، وسار هرقل بجيوش الروم حتى كان قريبا من المدائن ، فاستعد كسرى لقتاله ، فلما بلغه ذلك أنصرف الى أرض الروم ، وكتب كسرى الى قواد الجنود الذين انهزموا يأمرهم أن يدلولوه على كل رجل انهزم منهم ، ومن قُبل فى تلك الحرب ، ولم يربط مركزه ، وأمر يعقوبتهم بحسب ما استوجبوا ، فأحوجهم بهذا الكتاب الى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب الى شهر ياز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ويصف ما نال هرقل منه ومن بلاده .

(١) كذا فى تاريخ الطبرى ، وكتب مصححه بهامشه : « راهزاذ » ، وفى الأصل : « زامراد » .

(٢) الدسكرة : بناء شبه قصر حوله بيوت يكون للوك (المعرب للجوالق) .

وقد حكى أن كسرى عرّف أن له امرأة في فارس لا تلد إلا الملوك والأبطال فدعاها وقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فاشيرى عليّ أيّهم أستعمل ، فوصفت له أولادها فقالت : هذا فرخان أتعذ من سينان ؛ وهذا شهر ياز ^(١) أحكم من كذا ، وهذا فلان أروغ من كذا ؛ فاستعمل شهر ياز ؛ فسار إلى الروم فظهر عليهم وهزمهم وخرّب مدائنهم .

فلما ظهرت فارس على الروم جلس في بعض الأيام فرخان يشرب ؛ فقال فرخان لأصحابه : لقد رأيت أني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كلمته كسرى ، فكتب إلى شهر ياز : إذا أتاك كتابي هذا فأبعث إلى برأس فرخان ، فكتب إليه : أيها الملك ، إنك لن تجد مثل فرخان ، وإن له نكاية في العدو وصيتا فلا تفعل ، فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفا منه ، فعجل إلى برأسه ، فراجعه فغضب كسرى ولم يجيبه ، وبعث يريد إلى أهل فارس : إني قد زعّيت عنكم شهر ياز وأستعملت فرخان ، فأنقاده شهر ياز وقال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس عليه فرخان ، ثم دفع البريد صحيفة صغيرة إلى فرخان كان كسرى قد أعطاها له وقال له : إذا أنقاده شهر ياز إلى طاعة فرخان فأعط فرخان هذه الصحيفة ، فلما قرأها فرخان قال : على شهر ياز ! فأتى به فقدم ليضرب عنقه فقال : لا تعجل عليّ حتى أكتب وصيتي ، ثم دعا بسفط وأخرج منه ثلاث صحائف ، وهي التي كان كسرى أمر شهر ياز فيها بقتل فرخان وقال له : كل هذه راجعت كسرى فيها عنك ، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد ؟ فردّ الملك ^(٢) إلى أخيه وأعتذر

(١) في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٧ من القسم الأول طبع أوربا) : « شهر ياز » وقد ورد فيه

هذا الخبر .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « عل » .

منه ، فكتب شهر ياز الى هِرَقْل ملك الروم : إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ لَا تَحْمِلُهَا الْبُرْدُ ،
وَلَا تُبَلِّغْهَا الصُّحُفَ ، فَأَلْقِنِي وَلَا تَأْتِنِي إِلَّا فِي خَمْسِينَ رُومِيًا ، فَإِنِّي أَيْضًا أَلْقَاكَ
فِي خَمْسِينَ فَارِسِيًا ، فَأَقْبِلْ هِرَقْل فِي خَمْسِمِائَةٍ ^(١) [أَلْف] رُومِيٍّ ، وَجَعَلَ يَضَعُ الْعِیُونَ بَيْنَ
يَدَيْهِ فِي الطَّرِيقِ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَكَّرَ بِهِ ، فَأَتَتْهُ عِیُونُهُ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَ شَهْرِيَّازَ
إِلَّا خَمْسِينَ رَجُلًا .

قال : ثُمَّ أَلْقِيَا وَقَدْ بَسَطَ لَهَا فِي قُبَّةٍ مِنَ الدِّيَابِاجِ ضُرِبَتْ لَهَا ، فَأَجْتَمَعَا مَعَ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَسْكِينٌ ، وَدَعَاوَا تَرْجُمَانًا يَتَرْجِمُ لِكُلِّ مِنْهُمَا عَنْ قَوْلِ الْآخَرِ ، فَقَالَ شَهْرِيَّازُ
لِهَرَقْل : إِنْ الَّذِينَ خَرَّبُوا مَدِينَتَكَ وَبَلَّغُوا مِنْكَ وَمِنْ جُنْدِكَ مَا بَلَّغُوا أَنَا وَأَنْحِي بِشَجَاعَتِنَا
وَكَيْدِنَا ، وَإِنْ كَسَرَى حَسَدَنَا وَأَرَادَ قَتْلَ أَنْحِي وَكَتَبَ إِلَيَّ بِقَتْلِهِ فَأَبَيْتُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْحِي
أَنْ يَقْتُلَنِي وَقَدْ خَلَعْنَاهُ جَمِيعًا وَنَحْنُ ثِقَاتُهُ مَعَكَ . قَالَ : قَدْ أَصَبْنَا وَوَقَّعْنَا ، ثُمَّ أَشَارَ
أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ : إِنْ السَّرَّ إِنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ أَثْنَيْنِ فَلِذَا جَاوَزَ أَثْنَيْنِ فَشَا ، قَالَ الْآخَرُ :
نَعَمْ ، فَقَامَا جَمِيعًا إِلَى التَّرْجُمَانِ بِسَكِينَتَيْهِمَا فَقَتَلَاهُ ، وَاتَّفَقَا عَلَى قَتْلِ كَسَرَى أَبْرُويزَ .

وَمَا اتَّفَقَ فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ يَوْمَ ذِي قَارٍ ، وَسَنَدَكْرَهَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -
فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا ، وَلَمْ نَذْكُرْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَوْمَ ذِي قَارٍ عَلَى سَبِيلِ الْإِرَادَةِ
بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ .

ذِكْرُ حِيلَةِ الْأَبْرُويزِ عَلَى مَلِكِ الرُّومِ

قال : كَانَ أَبْرُويزُ وَجْهَ رَجُلٍ مِنْ جِلَّةِ أَصْحَابِهِ فِي جَيْشِ جَرَّارٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَتَنَّا ^(٣)
فِيهِمْ ، وَبَلَغَ مِنْهُمْ ، وَفَتَحَ الشَّامَ ، وَبَلَغَ الدَّرْبَ فِي آثَارِ الرُّومِ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ حَتَّى خَافَهُ

(١) التَّكْلَةُ مِنَ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ .

(٢) الْجِلَّةُ (بِالْكَسْرِ) : الْعِظَامُ السَّادَةُ ذَوُو الْأَخْطَارِ .

(٣) تَنَّا فِي الْعَدُوِّ : قَتَلَ فِيهِمْ وَجَرَحَ وَأَخْزَنَ .

أبرويز، فكان به بكائين ، يأمره في أحدهما أن يستخلف على جيشه من يشق به ، ويقبل إليه ، ويأمره في الكتاب الآخر أن يقيم بمكانه ، وأنه لما تدبر أمره ، وأجال الرأي لم ير من يستد مسدته ، ولم يأمن الخلل إن غاب عن موضعه ، وأرسل بالكائين رسولا من ثقافته وقال له : أعطه الكتاب الأول بالأمر بالقدوم ، فإن أجاب الى ذلك فهو ما أردت ، وإن كره وتناقل عن الطاعة فأسكت عليه أياما وأعلمه أن الكتاب الثاني ورد عليك وأوصله اليه ليقيم بموضعه . فخرج رسول كسرى حتى أتى صاحب الجيـش ببلاد الشام فأوصل اليه الكتاب ، فلما قرأه قال : إما أن يكون كسرى قد تغير لي وكره موضعي ، أو يكون قد أخطأ عقله بصرف مثلي وأنا في تحر العدو ، فدعا أصحابه وقرأ عليهم الكتاب فأنكروه . فلما كان بعد ثلاثة أيام أوصل اليه الكتاب الثاني بالمقام وأوهمه أن رسولا ورد به . فلما قرأه قال : هذا تخليط ولم يقع منه موقعا ، ودس الى ملك الروم من باطنه في إيقاع الصلح بينهما على أن يُجلى الطريق لملك الروم حتى يدخل الى بلاد العراق على غرة من كسرى ، وعلى أن لملك الروم ما يغلب عليه من دون العراق ، وللفارسي ما وراء ذلك من بلاد فارس ، فأجابه ملك الروم الى ذلك وتحمى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة ، وأخذ أفواه الطريق ، فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا ، وكسرى على غير استعداد ، وجنده متفرقون في أعماله . فلما أتاه الخبر وثب عن سريره وقال : هذا وقت حيلة ومكيـدة ، لا وقت شدة ، وجعل ينكت الأرض مليا ، ثم دعا برقي فكتب فيه كتابا صغيرا بخط دقيق الى صاحبه بالجزيرة يقول فيه : قد علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم وأطاعهم في نفسك ، وتخليـة الطريق حتى اذا تولى بلادنا أخذته من أمامه ، وأخذته ومن نديناه معك من خلفه فيكون في ذلك

٦٥
١٣

(١) قرقيسيا : مدينة بالجزيرة مصب نهر الحابور بالقرات .

بواره، وقد تمّ في هذا الوقت ما دبرناه، وميعادك في الإيقاع به يوم كذا وكذا، ثم دعا راهبا في دير بجوار مدينته وقال له: أيّ جاري كنت لك، قال: أفضل جاري، فقال: قد بدت لنا إليك حاجة، فقال الراهب: الملك أجلّ من أن يكون له إلى حاجة، ولكن عندي بذل نفسي، فما الذي يأمر به الملك؟ قال كسرى: تحمل لي كتابا إلى فلان صاحبي، قال نعم، قال كسرى: ستمت بأصحابك النصاري فأخفه، فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى: أعلمت ما في الكتاب؟ قال لا، قال: فلا تحمله حتى تعلم ما فيه، فلما قرأه أدخله في جيبه ثم مضى. فلما صار في عسكر الروم ونظر إلى الصّلبان والقسيسين وصحّيجهم بالتقديس والصلوات أحترق قلب الراهب وأشفق عليهم وقال في نفسه: أنا شر الناس إن حملت بيدي حتف النصرانية، وهلاك هؤلاء الخلق، فصاح الراهب: أنا لم يحملني الملك كسرى رسالة ولا معي كتاب، فأخذوه فوجدوا الكتاب معه، وقد كان كسرى أيضا وجه رسولا قبل ذلك وأمره أن يمت بعسكر الروم كأنه رسول إلى كسرى من صاحبه الذي وافق ملك الروم معه كتاب فيه: إن الملك كان قد أمرني بمقاربة ملك الروم، وأن أخذه وأخلى له الطريق، فأخذه الملك من أمامه وأخذه أنا من خلفه، وقد فعلت ذلك، فرأى الملك في إعلامي وقت خروجه إليه. فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ الكتاب وقال: قد عجبْتُ من أن يكون هذا الفارسي معي على كسرى، ووفاه كسرى أبريز فيمن أمكنه من جنده، فوجد ملك الروم قد ولى دار باقَاتبعه يقتل ويأسر من أدرك، وبلغ صاحب كسرى هزيمة الروم فأحب أن يحمل نفسه ويستتر ذنبه. فلما فاتته ما دبر نخرج خلف ملك الروم يقتل فيهم ويأسر، فلم يسلم منهم إلا القليل.

ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله

قال : وكان سبب ذلك تجنّبه واحتقاره للعلماء وعُتُوّه ، وذلك أنه استخفّ بما لا يستخفّ به المملك الحازم ، وكان قد جمع من المال ما لم يجمعه أحد من الملوك ، وبلغت خيله إلى قسطنطينية وأفريقية ، وكانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا فيل واحد ، وخمسون ألف دابة ، ومن الجواهر والأواني والآلات ما يليق بذلك ، وأمر أن يُحصى ما نُجي من بلاده وسائر أبواب المال سنة ثمانى عشرة من مُلكه ، فُرفِع إليه أن الذى جُي في تلك السنة من الخراج وسائر الأبواب كان ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر أن يُحوّل إلى بيت مال بُني بمدينة طيسفون^(١) من ضُرب فيروز بن يزدجرد وقباد بن فيروز اثنتى عشرة ألف بدرّة من أنواع الجواهر وغير ذلك .

قال : فعنا وتجبر وأستهان بالناس والأحرار ، وبلغ من جرأته أنه رأى رجلا كان على حرس باب الحاصّة ، يقال له : زاذان فروخ ، فأمره أن يقتل كل مقيّد في سجن من سجنونه ، فأحصوا من بالسجون من المقيدين فبلغوا ستة وثلاثين ألفا ، فلم يقدر زاذان فروخ على قتلهم ، وتوقف عن إمضاء أمر كسرى وأعدّ عللا له فيما أمره به فيهم ، فكان هذا أحد الأسباب التي كسب بها كسرى عداوة أهل مملكته مع وجود احتقاره إياهم ، واستخفافه بهم ، وأطراحه لعظماهم . ومن ذلك أنه سلّط علجا ، يقال له : فرخان زاذ ، على الخراج فاستخرج بقاياهم منهم بعنف وعذاب . ومن ذلك أنه أجمع على قتل القلّ الذين أنصرفوا إليه من

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهى مدينة كسرى التي فيها الإبروان ، بينها وبين بغداد ثلاثة

فراخ . رقى الأصل : « بطيسون » وتاريخ الطبرى : « طيسون » .

(٢) القل (بالفتح) : الجماعة .

قَبْلَ هِرَقْلَ ، فَأَكَّدَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ بَغْضَهُ ، وَأَسْتَطَالَ النَّاسُ مَدَّتَهُ ، فَكَانَ نَتِيجَةُ ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعِظَاءِ أَنْصَرَفُوا إِلَى عَقْرِبَابِلَ ^(١) ، وَفِيهِ شِيرِي ^(٢) بْنُ أَبَرْوِيزَ مَعَ إِخْوَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ كَسْرَى أَبَرْوِيزَ وَكُلِّ بِهِمْ مُؤَدِّينَ وَأَسَاوِرَ ، يُحَوِّلُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يَجْتَمِعُ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الْبَرَاخِ ، فَأَخَذَهُ الْعِظَاءُ وَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى مَدِينَةِ بَهْرَسِيرَ وَدَخَلُوهَا لَيْلًا ، نَخَلَى عَمَّنْ كَانَ فِي سَجُونِهَا وَأَخْرَجَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفُلُ الَّذِينَ كَانُوا غَلَبُوا وَفَزُوا مِنْ هِرَقْلَ وَأَمَرَ كَسْرَى بِقَتْلِهِمْ ، فَتَادُوا : قُبَادُ شَاخَنْشَادَ ، وَصَارُوا كُلَّهُمْ عِنْدَ الصَّبَاحِ إِلَى رَحْبَةِ كَسْرَى ، فَهَرَبَ الْحَرَمُ ، وَأَخْجَازُ كَسْرَى بِنَفْسِهِ إِلَى بَاغٍ لَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ قَصْرِهِ ، يَعْرِفُ بِيَاغَ الْهِنْدُوَانِ ^(٣) ، فَأَرَأَى مَرْعُوبًا ، فَأَخَذَ وَحُيِسَ بِمَكَانٍ غَيْرِ دَارِ الْمَلِكَةِ ، فِي دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : مَارَا سَفَنْدَ ، إِلَى أَنَّ قُتِلَ بَعْدَ حَدِيثِ طَوِيلٍ وَمُرَاسَلَاتٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ شِيرِي بِمَوَاطَاةِ الْعِظَاءِ ، بَعْدَ تَقْرِيعِ عَظِيمٍ ، وَتَوْبِيخِ كَثِيرٍ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَمِنْ سُوءِ تَدْبِيرِهِ ، وَقُبْحِ فِعَالِهِ ، وَهُوَ يَجْبِيهِمْ بِأَجُوبَةٍ إِفْتِنَاعِيَّةٍ ، وَلَهُ مُرَاسَلَاتٌ وَوَصَايَا كَتَبَهَا إِلَى ابْنِهِ مِنَ السَّجْنِ ، قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَكَانَ هَالِكًا بَعْدَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . وَبِمَضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مُلْكِهِ ، كَانَتْ هِجْرَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

مَعِينُ التَّارِيخِ لِأَهْلِ التَّارِيخِ

- (١) عَقْرِبَابِلَ : مَوْضِعُ قُرْبِ كَرْبَلَاءَ مِنَ الْكُوفَةِ .
- (٢) هَكَذَا يُسَمِّيهِ الْعَرَبُ فِي كُتُبِهِمْ ، وَالْفُرسُ يُسَمُّونَهُ : « شِيرُوبَه » .
- (٣) بَهْرَسِيرَ : مِنْ نَوَاحِي سَوَادِ بَنْدَادَ قُرْبَ الْمَدَائِنِ . وَقِيلَ : هِيَ إِحْدَى الْمَدَائِنِ السَّجَّاتِ الَّتِي سَمَّيَتْ بِهَا الْمَدَائِنُ .

(٤) وَرَدَ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ بَحَاثِيَةِ نَصْبِهَا : « الْبَاغُ : الْبَتَانُ » .

(٥) كَذَا فِي تَارِيخِ الطَّيْرِ . وَفِي الْأَصْلِ : « بَاغُ الْمُنْدُوَانِ » .

قال : ولما قُبِضَ على كِسْرَى خَلَفَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْوَرِقِ أَرْبَعًا مِائَةَ أَلْفٍ ^(١)
بَدْرَةَ سِوَى الْكَنُوزِ وَالذَّخَائِرِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْآلَاتِ .

وكان وزيره والقائم بتدبير دولته بُزْرَجِمَهْرُ الْحَكِيمِ . ولَبَزْرَجِمَهْرُ هذا قضايا
وَحَكْمَ ومواعظَ في أيدي الناس . ويقال : إِنَّ بُزْرَجِمَهْرَ هذا إنما كان وزيراً لكسرى
أنو شروان ، وهو الذي قتله . وذلك أَنَّ بُزْرَجِمَهْرَ ترك المجوسية ورجع إلى دين
عيسى بن مريم عليه السلام ودان به ، فقتله كسرى لذلك . ويقال : إنه وُجِدَ
في مَنْطَقَتِهِ لَمَّا قُتِلَ كِتَابٌ فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْحَرُصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ
الْقَدَرُ فِي النَّاسِ طَبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ نَازِلًا فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى
الدُّنْيَا حَقٌّ .

- ١٠ قالوا : ولما بَلَغَ بُزْرَجِمَهْرُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً دَخَلَ عَلَى كِسْرَى ،
وَقَدْ جَلَسَتْ الْوُزَرَاءُ عَلَى كُرَاسِيهَا وَالْمَرَاذِبُ فِي مَجَالِسِهَا . ^(٢) فَوَقَفَ وَحَيَّا الْمَلِكَ بِتَحِيَّةِ
الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَأْمُونِ نِعْمَهُ ، الْمَرْهُوبِ نِقْمَهُ ، الدَّالِّ عَلَيْهِ ، بِالرَّغْبَةِ
إِلَيْهِ ، الْمُؤَيَّدِ الْمُلْكِ ، بِسَعُودِهِ فِي الْفُلْكِ ، حَتَّى رَفَعَ شَأْنَهُ ، وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ ، وَأَنَارَ
بِهِ الْبِلَادَ ، وَأَنعَشَ بِهِ الْعِبَادَ ، وَقَسَمَ بِهِ فِي التَّقْدِيرِ ، وَجَوَدَ التَّدْبِيرِ ، فَرَعَى رِعْيَتَهُ
بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ ، وَحَمَاهَا الْمَوْبِلَاتُ ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِبَاتُ ، ^(٣) وَزَادَ عَنْهَا الْأَكَالِينَ ،
وَأَلْفَهَا بِالرَّفَقِ وَاللِّينِ ، إِنْعَامًا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَثْبِيتًا لِمَا فِي يَدَيْهِ . وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَبَارِكَ
لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرْ لَهُ فِيمَا أَسْتَرْعَاهُ ، وَيَرْفَعُ قَدْرَهُ فِي السَّمَاءِ ، وَيَسِيرَ ذِكْرَهُ عَلَى وَجْهِ
الْمَاءِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ بَيْنَهُمَا مَنَآوَى ، وَلَا يُوجَدَ لَهُ مَسَاوَى . وَأَسْتَوْهَبُ اللَّهَ لَهُ

(١) الورق : الدراهم المضروبة من الفضة .

(٢) المرازبة : رؤساء الفرس .

(٣) الأصل : « ردادها » والسياق يقتضي ما أثبتناه .

حياة لا ينتقص فيها ، وقُدرة لا يجحد أحدٌ عنها ، ومُلكاً لا بُؤس فيه ، وعافية تُديم له البقاء ، وتُكثر له النماء ؛ وعِزّاً يؤمنه من انقلاب وعيته ، أو هجوم بليته ، فإنه مؤبّق الخير ، ودافع الشر .

فلما سمعه كسرى أمر فحشيّ فنه بثنفس الجواهر ، ولم تمنعه خدائهُ سنهُ أن استوزره ، وقلّده خيرة وشره ؛ فكان أوّل داخل ، وآخر خارج . وكان أبوه خامل القدر ، وضيع الحال ، سفيه المنطق ، اسمه البختكان .

قال : ولما قبض على أبرويز ملك بعده ابنه : قباد بن أبرويز ويعرف قباد بشيروه . وقباد هذا هو القابض على أبيه والقاتل له ، وقتل سبعة عشر أخاه ، وقيل ثمانية عشر ، ذوى آداب وشجاعة ؛ فكان عاقبة ذلك أن الله عز وجل ابتلاه بالأسقام ، فانتقض عليه بدنه ، ولم يلتذ بشئ من ملاذ الدنيا ، وجرّح بعد قتل إخوته جرّعا شديدا ؛ وكان يبكي حتى يرمى التاج عن رأسه ، وعاش ما عاش مهموما حزينا مدنفا . وفي أيامه فشا الطاعون فأهلك أكثر الفُرس . وكان ملكه ثمانية أشهر ، وقيل أكثر من ذلك .

وملك بعد وفاته ابنه أردشير بن شيرويه وهو ابن سبع سنين ولم يوجد من يبت الملك غيره .

قال : ولما ملكته الفُرس عليها حضنه رجلٌ يقال له : مهادر جشنس^(١) ، فأحسن سياسة الملك . وكان شهر براز المقيم بشفر الروم في جند ضمهم إليه كسرى أبرويز

(١) كذا في تاريخ الطبري ، وفي الأصول : « مهادر حشيس » بالميم ، وفي موضع آخر : « بهادر حشيس » بالباء .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وهو ماه إسفندار . وفي الأصل : « شهريران » .

وأبنة شيرويه ، وكانا يكتبان إليه ويستشيرانه في الأمر الذي يهمهما ويعملان
 برأيه . فلما مات شيرويه ومَلَكَتِ الفُرسُ عليها أبنة أردشير - مع حداثة سنه - لم
 يشاوره عظماء الفرس في ذلك ، فعظم عليه أفرادهم عنه ، وجعل ذلك ذنباً لهم ،
 وبسط يده وطمع في الملك ، وأستهان بعظماء الفرس ، ودعا الناس لنفسه ، وأقبل
 بجُنْدِه نحو المدائن ، فعمد منها دَرَجُشْنِسَ إلى مدينة طَيْسَبُون ، فخصنها وحول أردشير .
 ومن بقي من نسل الملوك ونسائهم والأموال والخزائن والكُراع^(١) وغير ذلك إليها ،
 فورد شهر براز إلى مدينة طَيْسَبُون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ، فعمز عنها
 لحصاتها ، فأخذ في أعمال المكاييد والحيل ، فلم يزل يتلطف برجل يقال له : نيوخسرو
 ويراسله هو وغيره ، حتى فتحوا له باب المدينة فدخلها ، وقتل جماعة من الرؤساء
 وأستصفى أموالهم وقتل أردشير بن شيرويه . وكان ملكه سنة ونصفاً ، وقيل :
 إنما ملك نصف سنة ، وقيل : خمسة أشهر .

وملك بعده شهر براز ، وقيل فيه : شهر يار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة .
 قال : ولما جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه
 أنه لم يقدر على إتيان الخلا ، فدعا بالطست ، فوضع أمام ذلك السرير ، ومد أمامه
 ما يستربه ، وبقي يتبرز في ذلك الطست .

قال : ثم أمتعض رجلٌ يقال له : فُسْفَرُوخ^(٢) [بن مائرشيدان^(٣)] وأخوان له من
 قتل شهر براز أردشيرين شيرويه وغلبته على الملك ، فتحالفوا على قتله . وكان
 من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سِماطين عليهم الدروع والبيض ،

(١) الكراع (بالضم) : يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « امفروج » .

(٣) التهمة من تاريخ الطبري .

وبأيديهم السيوف والتّراس^(١) والرّماح؛ فإذا حاذاهم الملك وضع كلّ واحد منهم ثُرسه على قَرَبُوسٍ مَرَّجِه، ثم يضع جبهته عليه كهيئة السجود .

قال : واتفق ركوب شَهْرَبَاز في بعض الأيام فوقف فُسْفَرُوخ وأخواه وهم بالقرب من بعضهم بعضاً، فلمّا حاذاهم شهربراز طعنه فُسْفَرُوخ، ثم طعنه أخواه فسقط عن دابّته، فشذّوا رجله بحبل وجرّوه إقبالا وإدبارا ساعةً، وساعدهم العطاء على ذلك، وقتلوا جماعةً من كان قد ساعد شَهْرَبَاز على قتل أردشير . فكان مُلكه أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً .

وملكت بعده بُوران بنت كسرى أبرويز ويقال لها : بوران دخت .

قال : فأحسنَت السّيرة وبسطت العدل، وأمرت برّم القناطر والجسور، وإعادة ما تشعّث من العمارات، ووضعت بقايا الخراج، وكتبت إلى الناس عاقمة كتباً تعلمهم ما هي عليه من الإحسان، وأنها ترجو أن يريهم الله من الرّفاهة والاستقامة بمكانها، ومن العدل وحفظ الثغور ما يعلمون أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد، ولا بياسهم تُستباح العساكر، ولا بمكائدهم ينال الظفر وأُطفأ النواير؛ ولكن ذلك بالله عز وجل، وحسن النية واستقامة التدبير . وأمرت بالمناححة وحسن الطاعة، وردّت خشبة الصليب على ملك الروم . وكان مُلكها سنةً وأربعة أشهر .

ثم ملك رجلٌ يقال له : جُشنَسَده وهو ابن عم أبرويز، وكان مُلكه أقل من شهر، وقيل : إن الذي يزدهرذ بن كسرى وهو طفل .

(١) التّراس (بالكسر) : جمع ترس، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(٢) في تاريخ الطبري (ص ١٠٦٣ من القسم الأول طبع أوروبا) : « وساعدهم على قتله رجل من العطاء يقال له : زاذان قزوخ بن شهرداران، ورجل يقال : له ماهيى ، كان مؤدّب الأساورة، وكثير من العطاء... الخ » .

ثم ملكت بعده آزر مِيدُخْت بنت كسرى أبرويز، وكانت من أجل نساء
دهرها، وكان عظيم فارس يومئذ فرُّخ هُرْمَزُ أَصْهَبُ خراسان؛ فأرسل إليها يسألها
أن تزوجه نفسها، فأرسلت إليه: التزويج للملكة غير جائز، وقد علمت أن أريك
فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك مني؛ فصر إلى ليلة كذا وكذا، ففعل وركب إليها
في تلك الليلة، وتقدمت إلى صاحب حرمها أن يرصده في الليلة التي تواعدا للالتقاء
فيها، فإذا رآه يقتله، فرصده صاحب الحرس؛ فلما جاء قتله وجرّ برجله وطرحه
في رجة دار الملك.

فلما أصبح الناس ورأوه علموا أنه لم يُقتل إلا لأمر عظيم، ثم أمرت بتغيب
جثته فُغِيَّتْ. وكان رُسْتَمُ بن فرُّخ هُرْمَزُ هذا — وهو رُسْتَمُ صاحب القادسية —
عظيم البأس، قويًا في نفسه، فلما بلغه ما صنع أباه أقبل في جُند عظيم حتى نزل
المدائن؛ فقبض على آزر مِيدُخْت وسَمَل عينيها وقتلها بعد ذلك. فكانت مدة ملكها
سنة أشهر.

واختلف فيمن ملك بعد آزر مِيدُخْت، فقليل رجل من عقب أردشير بن بابك
كان ينزل الأهواز يقال له: كسرى [بن] مَهْرَجُشْنَسْ، فلبس التاج وقتل بعد
أيام. ويقال: بل كان رجل يسكن ميسان يقال له فيروز، فملكوه كرها. وكان
ضخم الرأس، فلما تَوَجَّع قال: ما أضيق هذا التاج! فتطير العلماء من افتتاح الأمر
بالضيق وقتلوه. ثم أتى رجل من أولاد كسرى كان قد لجأ إلى موضع من الغرب
بالقرب من نصيبين، يقال له: «حصن الحجارة» حين قتل شيرويه بن كسرى أبرويز
إخوته، وهو فرُّخ زاباذ خُسْرو بن كسرى أبرويز، فألقاد الناس له طوعًا زمانًا

٢٠ (١) كذا في تاريخ الطبري. وفي الأصول: «كسرى بهر حنيدش».

(٢) كذا في تاريخ الطبري وقرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للشعالي (ص ٧٣٧ طبع أوروبا).

وفي الأصول: «فرخ باذ».

يسيراً ثم استعصوا عليه وخالفوه . وكان مُلكه ستة أشهر . وكان أهل اصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن أبرويز بأصطخر، وكان قد هرب إليها حين قتل شيرويه إخوته . فلما بلغ عظماء أهل اصطخر أن من بالمدائن خالفوا الملك فرُخ زاد خُسرُو أتوا بيزدجرد بيت نار أردشير، فتوجوه هناك وملكوه، وكان حدنا، ثم أقبلوا به الى المدائن وقتلوا فرُخ زاد خُسرُو بحيل احتالوها عليه .

٥

وملك بيزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشهر بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ؛ فملك وكان العظماء والوزراء يدبرون الملك لحدائنه سنة، وهو آخر الملوك الساسانية وعليه أقرضت دولتهم، فلم تقم لهم قائمة، وتردد الى بلاد خراسان والى بلاد الترك، وعاد فقُتل بمرو من بلاد خراسان في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة لسبع سنين خلت من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

١٠

وكانت مدة ملك بيزدجرد منذ ملك وإلى أن قُتل عشرين سنة، إلا أن فيها مدة لا يعد فيها مع الملوك ؛ لأنه كان مشرداً طريداً على ما نذكر أخباره مفصلة، وكيف فُتحت بلاده ومُدنه بلداً بلداً، ومدينةً مدينةً في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما .

١٥

فعدة ملوك الفرس الأول والساسانية على هذا المساق الذى ذكرناه أثنان وخمسون ملكاً منهم ثلاث نسوة . فالفرس الأول عشرون ملكاً منهم امرأة واحدة . والملوك الساسانية أثنان وثلاثون ملكاً فيهم امرأتان . وذكر بعض المؤرخين أن ملوك الفرس ستون ملكاً، وأن مدة ملكهم أربعة آلاف سنة وسبعون سنة وشهوراً . والله أعلم .

٢٠

ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسابهم

قد تنازع الناس في اليونانيين، فذهبت طائفة منهم أنهم ينتمون إلى الروم ويضافون إلى ولد إسحاق؛ وقالت طائفة: إن يونان هو ابن يافث بن نوح. وقال آخرون: إنه يافث بن الأصغر. وذهب قوم إلى أنهم من ولد أوراش بن ماذان ابن سام بن نوح. وذهب آخرون إلى أنهم من قبيل متقدم في الزمن الأول.

وقال المسعودي: وقد ذكر أن يونان أخو قحطان، وأنه من ولد عابر بن شالخ، وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب، وأنه خرج من أرض الين. وكان يونان جباراً عظيماً، وسيماً جسيماً. وكان جزل الرأي، كبير الهممة، عظيم القدر. وهكذا ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي في نسب يونان أنه أخ لقحطان، ورد عليه أبو العباس [عبد الله بن محمد] الناشي في قصيدته حيث قال:

أبا يوسف إني نظرت فلم أجد على الفخض رأياً صحتك ولا عقداً
وصرت حكيماً عند قوم إذا أمرؤ بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عهداً
أتقنر الحاداً بدين محمد لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إذا
وتخلط خطانا بيونان ضلة لعمري لقد باعدت بينهما جدّاً

قيل: ولما كثر ولد يونان خرج يطالب موضعاً يسكنه، فأتى إلى موضع من الغرب، فأقام به هو ومن معه من ولده، وكثر نسله إلى أن أدركه الموت، فجعل

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق): «أوراش بن ياوران».

(٢) هذه عبارة المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق) وبعبارة الأصل: «وأن

أمره كان في الانفصال عن ديار أخيه قحطان وأنه... تلخ».

(٣) التكلة من المسعودي.

وصيته إلى الأكبر من ولده وأسمه جرينيوش ، وأوصاه بأولاده وتسله ، ومات
وبقي أبنته على مكانه ، وكثر نسلهم فغلبوا على بلاد الغرب من الفريجية والنوكرية
والصقلية وغيرهم .

وذكر بطليموس في كتابه : أن أول ملك ملك من ملوك اليونانيين فيليبس
وتفسيره محب الفرس ، وقيل اسمه نفليس ، وقيل فيلفوس ، وكانت مدة ملكه
سبع سنين .

ثم ملك بعده أبنته الإسكندر ذو القرنين وليس هو صاحب الحضرة
الله عنه . والإسكندر هذا هو الذي قتل دارا بن دارا ملك الفرس ، وترعى مملكة
فارس ، وقتر ملوك الطوائف فيها ذكرناه .

وكان سبب قتله لدارا أن سائر الملوك كانت تؤدي الإتاوة إلى ملوك الفرس
منذ دؤخ بختنصر البلاد ، وذلك لهم الملوك على ما ذكرناه آنفا في أخبار الفرس ،
ولا حاجة إلى إعادته .

قالوا : وكان فيليبس أبو الإسكندر قد صالح دارا على إتاوة يؤديها إليه في كل
سنة . فلما ولي الإسكندر وظهر أمره ، وكان بعيد الهمة ، فامتنع أن يؤدي إلى دارا
الخراج الذي كان يحمله أبوه إليه ، فأخط دارا ذلك ، فكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه
بتركه حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج وقال في كتابه : إنما دعاك إلى حبس ذلك
الصبا والجهل ، وبعث إليه بصولجان وكرة ويقفيز من السمسم . يُعلمه بذلك أنه

إنما ينبغي لك أن تلعب مع الصبيان بالصولجان ولا تتفقد الملك ولا تلبث به ،
ويعلم أنه إن لم يقتصر على ما أمره به وتماطى الملك بعد أن أمره باعتزاله بعث
إليه بمن يأتيه به في وثاق . وأن عتبة جنوده الذين يبعث بهم إليه كمدة حب السمسم
الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب ذلك : أنه قد فهم ما كتب به ، ونظر الى ما أرسله إليه من الصوبلجان والكزة وتبين به الإلقاء الملقى الكزة الى الصوبلجان وإحرازه إياها ، وأنه شبه الأرض بالكزة ، وتفاعل بملكه إياها وأحتوائه عليها ، وأنه يحتزم ملك دارا الى ملكه ، وبلاذه الى حمزه ، وأنه نظر الى السمسم الذي بعث به كنظره الى الصوبلجان والكزة لدسمه ، وبعده عن المראה والحرافة ، وبعث الى دارا مع كتابه بصره من خردل ، وأعلمه في الجواب أن ما بعث به إليه قليل ، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في القوة والحرافة والمראה ، وأن جنوده فيما وصف به منه .

فلما وصل الى دارا جواب كتاب الإسكندر . جمع جنوده وتأهب لحربه وسار نحو بلاده ، وتأهب الإسكندر أيضا للقائه وسار نحو دارا ، فالتقيا جميعا بأرض الجزيرة وأقتلا سنة ، وقد كان دارا مله قومه وأحبوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجود الفرس بالإسكندر وأطلعوه على غورة دارا وقوّه عليه ، ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقربا برأسه الى الإسكندر ، فلما أتوه بها أمر بقتلهما وقال : هذا جزء من تجزأ على ملكه .

وقد ذكرنا أنه سبق اليه أسير غدر به صاحب شرطته ، فقال له الإسكندر : بما أجترأ عليك صاحب شرطتك ؟ قال : بتركي تهيبه وقت إساءته ، وإعطائي إياه وقت الإحسان . بالسير من فعله نهاية رغبتيه ، فقال الإسكندر : نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالأموال ، وأصلح منه التهيب وقت الحاجة ، ثم أمر الإسكندر بقتله .

(١) الحرافة : طعم يحرق اللسان والقيم .

(٢) المراد بأرض الجزيرة : بلاد الجزيرة الحالية التي عاصمتها بغداد . وقد سميت الوقة التي ألحم فيها الجيشان (سنة ٣٣١ ق م) وقعة ابريل لقرب ميدان الحرب من تلك المدينة (راجع تاريخ اليونان لفرحون محمود فهمي ص ٢٤٣ طبع مصر) .

وقد قيل : إنه لما هزمه الإسكندر فز جريحا فخرج في طلبه في سنة آلاف حتى أدركه ، ثم لم يلبث دارا أن هلك ، فأظهر الإسكندر عليه الحزن ودقنه في مقابر الملوك .

وقيل : إن الإسكندر كان قد نادى ألا يقتل دارا وأن يؤسر . فلما علم الإسكندر بما تم على دارا سار حتى وقف عنده [فرآه يحود بنفسه] ^(٢) [الإسكندر] عن دابته وجلس عند رأسه ، وأخبره أنه ما أمر بقتله ، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه . وقال : سئلي ما بدا لك فلأني أسعفك به ، فقال له دارا : لي اليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين قتلتاني وستأهما له ، والأخرى أن تتزوج أيتي روشنك ، فأجابه الى ذلك ، وأمر بصلب الرجلين اللذين فتكا بدارا . ويقال : إن الرجلين اللذين قتلاه إنما فعلا ذلك عن رأى الإسكندر ، وأنه كان شرط لهما شرطا على قتله ، فلما طعناه دفع اليهما ما كان شرطه لهما ثم قال : قد وقيت لكما بالشرط ولم تكونا شرطيا لأنفسكما وأنا قاتلكما لا محالة ، فإنه ليس ينبغي لقتلة المالك أن يسبقوا إلا بذمة لا تخفّر ، فقتلتهما وصلبهما .

(١) المعروف في كتب التاريخ أنه بعد انتصار الاسكندر واحتلاله مدينة بابل قرر الاسكندر متابعة الزحف جهة الشمال للقبض على دارا والقضاء على دولته ، فخرج دارا من قلب مملكته طريقا شريدا هائما على وجهه طالبا النجاة بنفسه والاسكندر لم يغمض عيناه ولم يهدأ بالا مادام لم يقبض عليه . ذلك لعلمه بأنه قادر على المقاومة إما في الشمال من هضبة إيران ، وإما فيما وراء جبال بار باميسا ذس في سهول التركستان الفسيحة لأن سكان تلك الأقاليم الواقعة بين بحر قزوين وبحيرة آرال وبين نهري سيحون وجيحون يعرفون للملك الفرس بالسيادة عليهم .

وبينا الاسكندر يقضى أثره ، وشيع خطاه اذ علم بأن المرزبان فسوس قبض عليه وقتله بالقرب من هيكاتيميل لحزن لذلك حزنا شديدا ، واحتفل بتشييع جنازته احتفالا مهيبا ، وتبع القاتل حتى أدركه قريبا بين النهرين وسله الى آل دارا فقتلوه شر قتلة . (راجع تاريخ اليونان ص ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٢) التكلة من تاريخ الطبري (ص ٦٩٦ من القسم الأول طبع أودبا) .

ويقال : إن الإسكندر في الأيام التي نازل فيها دارا كان يسير إليه بنفسه على أنه رسول فيتوسط العسكر ويعرف كثيرا مما يحتاج إليه ، فكان دارا يستحسن سمته ، ويحسن صلته ومجازاته ، ثم آتته ، وأحسن الإسكندر بذلك فما عاد إليه بعدها .

ذكر شيء من مكاييد الإسكندر وحيله في حروبه

من ذلك أنه لما ألتقى بدارا يوم الحرب أمر مناديه فنادى : يا معشر الفرس ، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات ، فن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاء بما ضمنناه ، فآتهم الفرس بعضها بعضا ، وكان ذلك أول اضطراب حدث فيهم .

ومن ذلك أنه لما شتخص عن فارس الى أرض الهند تلقاه ملكها قور في جمع عظيم من الهندود ومعه ألف فيل عليها المفاتلة بالسلاح وفي خراطيمها السيوف والعمد ، فلم تقف لها دواب الإسكندر وفرت فكانت الهزيمة عليه ، فلما بلغ الإسكندر ما منه أمر باتخاذ فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها ، ثم أمر فليئت نبطا وكبريتا ، وألبسها الدروع وحررت على العجل ، وعاد حرب الهند ، وجعل بين كل تماثيل جماعة من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النيران في أخواف تلك التماثيل وأنكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند ، فخرجت

٧٠
١٣

(١) هكذا ورد في هذا الكتاب (ج ١٤ ص ٣٢١ من هذه الطبعة) ومروج الذهب للسعودي

(ج ١ ص ٣٩ طبع بلاق) . وورد في هذا الموضع في نسخة (١) باسم : « ذر » . وفي نسخة (ب)

باسم : « فوز » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص ٤١٦ طبع باريس سنة ١٩٠٠) :

« فوز » .

(٢) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « فنقدم بصنعة تماثيل مجوفة من النحاس والحديد بحكي

صور الرجال » .

البربان من خراطيم التنايل فوثت الفيلة مُذْرة ورجعت على أصحابها، فكانت الدائرة على الهند وقتل ملكهم قور .

ومما يُحكى عنه أنه نزل على مدينة حصينة فتحصن فيها أهلها ، فتعرّف خبرها فقيل له : إن فيها من الميرة ما يكفيهم زمنا طويلا ، وإن بها من العيون والأنهار ما لا يقدر على قطعه ، فارتحل عنها ودس جماعة من التجار متكرّين ، فدخلوها وأمدّهم بالأموال الكثيرة ، وأمرهم أن يتابعوا الأقوات ويغالوا في أثمانها ، ففعلوا ذلك حتى حازوا أكثر ما فيها . فلما علم الإسكندر بذلك كتب اليهم يأمرهم بإحراق ما حصلوه من الأقوات وأن يهربوا ، ففعلوا كما أمرهم ، وعاد الى المدينة وحاصرها وزحف عليها فأعطوه الطاعة وملك المدينة . وكان إذا أراد أن يحاصر مدينة شرد من حولها من أهل القرى وتهتدهم بالسبي فيلجأوا الى المدينة ويعتصموا بها ، فلا يزال كذلك حتى يعلم أنه قد دخلها أضعاف أهلها وأسرعوا في الميرة فيحاصروهم حينئذ ويفتح المدينة .

ومما يُحكى عنه أنه كتب الى معلمه أرسطاطاليس^(١) ، وكان الإسكندر يشاوره في كثير من أموره ، ويقتدى بأرائه ، ويعمل بما يشير به عليه ولا يعدل عنه . وأرسطاطاليس هذا هو تلميذ أفلاطون ، وأفلاطون صاحب الفراسة تلميذ سقراط .

(١) هو أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الفلاسفة المعروفين بالمشائين لأنه كان من عادته إلقاء الدروس على تلاميذه في بستان وهو يمشي ، ومن هنا سمي مشاء ، وسمي أتباعه بالمشائين . ويعرف بالعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد اختاره فيليب أستاذا لابنه الاسكندر وأرسل اليه خطابا يقول فيه : « إنني لأهني نفسي بولادة أبني بمقدار ما أهنتا بولادته في أيامك » . وكان الاسكندر في السنة الثالثة عشرة من عمره . فعليه وهذه . وكان له منزلة وتقود عند فيليب وأبيه وأقام على ذلك سنين عديدة (راجع تاريخ اليونان لفرحوم محمود فهمي)

وَيُحْكِي عَنْ أَفَلَاطُون أَنَّهُ كَانَ يَصُورُ لَهُ صُورَةَ إِنْسَانٍ لَمْ يَرَهُ قَطُّ وَلَا عَرَفَهُ فَيَقُولُ :
صَاحِبُ هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ أَخْلَاقِهِ كَذَا ، وَمِنْ هَيْئَتِهِ كَذَا ، فَيَكُونُ الرَّجُلُ كَمَا أَخْبَرَ
عَنْهُ ، فَيَقَالُ : إِنَّهُ صُورٌ لَهُ صُورَةُ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا عَايَنَهَا قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مَحَبٌّ فِي الزَّانَةِ
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا صُورَتُكَ ، فَقَالَ : نَعَمْ أَنَا كَذَلِكَ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَمْلِكُ نَفْسِي لَفَعَلْتُ
وَأَنَّى لِمَحَبٍّ فِيهِ .

نَرَجِعُ إِلَى أَخْبَارِ الإسْكَندَرِ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ وَمَا أَجَابَهُ بِهِ قَالُوا : إِنَّهُ
كَتَبَ إِلَيْهِ يَخْبِرُهُ أَنَّ فِي عَسْكَرِهِ مِنَ الرُّومِ جَمَاعَةً مِنْ خَاصَّتِهِ لَا يَأْمَنُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا يَرَى مِنْ
بُعْدِهِمْ فِي شَجَاعَتِهِمْ وَكَثْرَةِ آلَتِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى لَهُمْ عَقُولًا تَنْفِي بِتِلْكَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَمْنَعُهُمْ
مِنَ الْإِقْدَامِ وَالْجُرْأَةِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ بِجُرْدِ الظَّنِّ مَعَ وَجُوبِ
الْحُرْمَةِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَرِسْطَاطَالِيسَ : قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ ، وَمَا وَصَفْتَ بِهِ أَصْحَابَكَ .
أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بُعْدِ هِمَمِهِمْ فَإِنَّ الْوَفَاءَ مِنْ بُعْدِ الْهِمَّةِ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ
وَنَقِصِ عَقُولِهِمْ عَنْهَا ، فَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَرَفَّهُ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَخْصَصَهُ بِحِسَانِ
النِّسَاءِ ، فَإِنَّ رَفَاهِيَةَ الْعَيْشِ تُؤْهِنُ الْعِزْمَ ، وَتُجَبِّبُ السَّلَامَةَ ، وَتُبَاعِدُ مِنْ رُكُوبِ
الْخَطَرِ وَالْفَسْرِ ، وَلَيْكِنْ خَافُكَ حَسْبًا تَخْلُصُ إِلَيْكَ النِّيَّاتُ ، وَلَا تَتَنَاسَلُ مِنَ لَذِيذِ
الْعَيْشِ مَا لَا يُمْكِنُ أَوْسَاطُ إِخْوَتِكَ مِثْلَهُ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي مَعَ الْإِسْتِنَارَةِ مَحَبَّةٌ ، وَلَا نَمِيعُ
الْمُوَاسَاةِ بَغْضَةٌ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَسْأَلْ عَنْ مَالِ مَوْلَادِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ
عَنْ خُلُقِهِ .

(١) فكتب إليه الإسكندر يعلمه أنه شاهد بإيران شهر رجالا ذوى أصالة في الرأي ، وجمال في الوجوه ، ولهم مع ذلك صرامة وشجاعة ، وأنه رأى لهم هيات وخلفا لو كان عرف حقيقتها لما غزاهم ، وأنه إنما ملكهم بحسن الاتفاق والبيعت ، وأنه لا يأمن إذا ظعن عنهم وتوبهم ولا تسكن نفسه إلا بيوارهم .

فكتب إليه أرسطاطاليس : فهتكت كتابك في رجال فارس ، فأما قتلهم فهو من الفساد في الأرض ، ولو قتلهم لأثبتت أرض فارس أمثالهم ، لأن إقليم بابل يؤلف أمثال هؤلاء الرجال من أهل العقيل ، والسداد في الرأي ، والاعتدال في التركيب ، فصاروا أعداءك وأعداء عقبك بالطبع ، لأنك تكون قد وترت القوم وكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم ومن بعدهم ، وإخراجك إياهم في عسكرك مخاطرة بنفسك وأصحابك ، ولكني أشير عليك برأى هو أبلغ لك في كل ما تريد من القتل وغيره ، وهو أن تستدعي أولاد الملوك منهم ومن يستصلح لك وتترشح له ، فتقدمهم البلدان وتوليهم الولايات لينصير كل واحد منهم ملكا برأسه ، فتتفرق كلمتهم ، ويجتمعوا على الطاعة لك ، ولا يؤدي بعضهم إلى بعض طاعة ، ولا يتفقوا على أمر واحد ، ولا تجتمع كلمتهم . ففعل الإسكندر ذلك ، فتم أمره وأمكنه أن يتجاوز أرض فارس إلى أرض الهند حتى قتل ملكها مبارزة بعد حروب عظيمة . ثم صار إلى أرض الصين وطاف مما يلي القطب الشمالي ورجع إلى العراق فمات في طريقه بشهر زور ، ويقال : بل في قرية من قرى بابل . وكان عمره ستا وثلاثين

(١) إيران شهر : هي بلاد العراق وفارس والجزبال وخراسان يجمعها كلها هذا الاسم (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) شهر زور : بلدة بين الموصل وبين همدان ، بناها زور بن الضحاك فقبل شهر زور ، ومعناه مدينة الضحاك (تقويم البلدان لأبي القدا) .

سنة . وفي بعض النسخ ثلاثا وثلاثين سنة . وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وشهورا .
وقيل : سبعة عشر سنة . وقُتِلَ دارا في السنة الثالثة من مُلكه .

قال : وبني الإسكندر أُنْتِى عشرة مدينة وسمّاها كلّها الإسكندرية منها : مدينة
جى ^(١) بأصبهان ، وثلاث مُدُن بخراسان وهى : هراة ^(٢) ومرو ^(٣) وسمرقند . وبني بارض
بابل مدينة لروشنك ^(٤) . وبني بارض يونان سبع مُدُن .

ومن عجيب ما قيل في نسب الإسكندر : أنه من ولد دارا الأكبر ، وأنه
أخو دارا الأصغر ، وذلك أن دارا الأكبر بن أردشير تزوج بنت ملك الزنج هلاى ،
فلما حملت منه استخبت ربيحها ، فأمر أن تحتال لذلك ، فكانت تغتسل بماء السندروس ^(٥)
فأذهب ذلك كثيرا من دفرها ، ثم عافها وردّها [إلى أهلها] ^(٦) وقد علقت منه
بالإسكندر ف قيل له الإسكندروس . هذا ما نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم ^(٧)

(١) جى (بالفتح ثم التشديد) : اسم مدينة ناحية أصفهان القديم ، وهى الآن كالخراب مفردة ،
وتسمى الآن عند العجم : شهرستان وعند المحدثين المدينة . وفيها مشهد الراشد بن المسترشد معروف بزار ،
وهى على شاطئ نهر زندرود (راجع معجم البلدان لياقوت) وورد في تاريخ الطبرى (ص ٧٠٢ من
القسم الأول طبع أوروبا) أنها بنيت على مثال الجنة .

(٢) هراة : كانت مدينة عظيمة مشهورة بخراسان خربها التتر ، فحُت في زمان عثمان رضى الله
عنه . (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا) .

(٣) مرو الشاهجان : ومناه روح الملك . وهى مدينة عظيمة مشهورة بالقواكه . وبينها وبين
كل واحد من نيسابور ، وهراة ، وبلخ وبخارا ، مسيرة اثني عشر يوما (راجع تقويم البلدان) .
(٤) هى روشنك بنت دارا .

(٥) فى شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٥ طبع أوروبا) : « حملت اليه » .
(٦) السندروس : صنف أصفر يشبه الكهرباء . فى قوله إلا أنه أرنى منه وفيه شيء من حرارة ، وله
عدة فوائد شرحها ابن البيطار فى مقارادته (راجع ج ٣ ص ٣٨) .

(٧) الدفر (بسكون الفاء) : خبث الرائحة .
(٨) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون .

بكامة الزهر وصدفة الدر، قال : وأختلف في مدته فذكر الخوارزمي في تاريخه^(١) أنه [كان] قبل الهجرة بتسعمائة سنة ، وثلاث وثلاثين سنة . وذكر أبو محمد ابن قتيبة في كتاب المعارف : أن بينه وبين الهجرة أربعمائة سنة . والله أعلم بالصواب .

ذكر شيء من أخبار الإسكندر

وما اتفق له مع ملكي الهند والصين

فأما خبره مع ملك الهند قال عبد الملك بن عبدون : إن الإسكندر لما دوح البلاد وقهر الملوك سار نحو الهند وقتل ملكها الأعظم فوراً صاحب مدينة المانكير . فلما دانت له ملوك الهند بلغه أن بأقاصي ديارها ملكاً من ملوكها ذا حكمة وسياسة وإنصاف لرعيته ، وأنه ليس في بلاد الهند من فلاسفتهم وحكائهم مثله يقال له

(١) ويسمى هذا الكتاب أيضاً : « كامة الزهر وفريدة الدهر » ويسمى أيضاً : « شرح البسامة بأطواق الحمامة » وهو شرح للعلامة أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن يدرون الحضرمي السبئي من أدباء النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، على القصيدة الرائية المشابة بأطواق الحمامة المنسوبة للوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري ، وزير بني مسleme ، المعروفين ببني الأفطس بالأندلس ، المتوفى سنة ٢٠ هـ التي روى بها ملوك بني الأفطس ، وذكر فيها من أباده الخديتان من ملوك كل زمان ، وضمتها حكاي ومواعظ وأخلاقاً أدبية . وأول القصيدة :

الدهر يجمع بعد العين بالآثر فما البكاء على الأشباح والصور

وقد طبع هذا الكتاب بمدينة لندن سنة ١٨٤٦ م وعنى بتصحيحه المسيو ريخوت ديزي . ويعرف بشرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) التكملة من شرح قصيدة ابن عبدون .

(٣) في كتاب المعارف لأبن قتيبة (ص ٢٨ طبع أوروبا) مانصه : « وكان بين الاسكندروس وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نحو من تسعمائة سنة » وهو يخالف ما ذكره المؤلف .

(٤) هذه المدينة يقال لها بلهر باسم ملك من ملوك الهند يقال له بلهر وكان يقيم فيها (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٤٤ طبع أوروبا) .

كند كان، وأنه قاهر لنفسه مانع [لها] من الشهوة الفضيحة، فكتب إليه الإسكندر كتابا يقول فيه : أما بعنة ، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد ، وإن كنت ماشيا فلا تلتفت حتى تدخل في طاعتي ، وإلا مرقت منك والحقت بمن مضى من ملوك الهند من قبلك .

فلما ورد عليه الكتاب أجاب بأحسن جواب ، وحاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه قد اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند غيره مثلها : فمن ذلك آبنة له لم تطلُ الشمس على أحسن منها ، وفيلسوف يخبرك بمراك قبل أن تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته ، وأعتداله في بنيته ، وآتساعه في علمه ، وطيب لا يُحشَى عليه معه داء ولا شيء من العوارض إلا ما يطرأ من الفناء والدور الواقع بهذه البنية ، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي ، وإذا كانت بنية الإنسان وهيكله قد نُصِبَا في هذا العالم غرضا لآفات والخوف والبلايا ، وقدح إذا ملأته شرب منه عسكري بجمعه ولا ينقص منه شيء ، وإني منفذ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه .

فلما قرأ الإسكندر كتابه قال : كون هذه الأشياء عندي ونجاة هذا الحكيم من صَوْلتي أحب إلي من ألا تكون عندي ويهلك . فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من الحكماء اليونانيين والروم في عترة من الرجال وتقدم إليهم أنه إن كان قد صدق فيما كتب به إلي فآحملوا ذلك إلى عندي وأتركوه في موضعه، وإن تبينتم الأمر على خلاف ذلك ، وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه إلي . فلما انتهوا إلى مملكة الملك خرج إليهم وتلقاهم بأحسن لقاء ، وأزلهم بأحسن منزل . فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكام دون من كان معهم من المقاتلة . فقال بعضهم لبعض : إن صدقنا في الأول صدقنا فيما بعد ذلك مما ذكر .

(١) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون .

فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثا في أصول العلوم الفلسفية وفروعها ، وعلى كم فنّ يحتوى العلم الفلسفى في أصوله ، وإلى كم يتفرع .

قال عبد الملك بن عبد الله بن عبدون - رحمه الله - : وقد ذكر أن العلم الفلسفى ينقسم على أربعة أنواع : أحدها الرياضيات ، والثانى المنطقيات ، والثالث الطبيعيات ، والرابع الإلهيات . قال :

فأما الرياضيات فأربعة أنواع : الواحد علم الحساب ، والثانى علم الهندسة ، والأصل فيه النقطة ، وهى فيه كالواحد فى علم الحساب ، والثالث علم النجوم ، والرابع علم الموسيقى : وهو علم تأليف الألحان .

وأما العلوم المنطقيات فخمسة أنواع : الواحد معرفة صناعة الشعر ، وأنواع البديع كالشكافز والتفريع والحشو والتنبيع والتسميط والترصيع والالتفاتة والإشارة والمقابلة والاستعارة والتبليغ والتلويح والتصدير والتوشيح والتجنيس والتضاد والترديد والاستطراد والتقسيم والتسميم والإحالة والتتميم . والثانى معرفة صناعة الخطابة . والثالث صناعة الجدال . والرابع صناعة البرهان . والخامس صناعة المغالطين فى المناظرة وجدل .

وأما العلوم الطبيعيات فسبعة أنواع : الواحد علم الميادى الجسمانية ، وهى خمسة أشياء : الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة . والثانى علم السماء والأرض ، وهو معرفة ماهية جواهر الأفلاك والكواكب وكيفيتها وكيفية تركيبها وعلة دورانها ، وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الأركان الأربعة التى دون فلك القمر أولا ، وما علة حركات الكواكب وأختلافها فى السرعة والإبطاء ، وما علة سكنون الأرض فى وسط الفلك فى المركز ، وهل خارج العالم جسم آخر أم لا . وهل

- في الكون والفساد موضع فارغ لا شيء فيه . وما شا كل هذه المباحث . والثالث علم الكون والفساد وهو علم معرفة جواهر الأركان [الأربعة ^(١)] التي هي النار والهواء والماء والأرض . والرابع علم حدوث الجواهر بتغيرات الهواء وتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارج شعاعاتها على الأركان الأربعة وأنفعالاتها بعضها ببعض بقدرته الله تعالى . والخامس علم المعادن التي تنعقد من البخارات المختنقة في بطن الأرض . والعصارات المتحللة من الهواء . والسادس علم النبات على اختلاف أنواعه في حياته وأشكاله واختلاف صموغه وطعومه وخواصه وروائحها ومنافعها ومضارها . السابع علم الحيوان ، وهو معرفة كل جسم يفتدى ويحس ويعيش ويتحرك على اختلاف أنواعه ، وما شا كل ذلك مما ينسب الى علم الطبيعيات كعلم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور والحشرات والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في علم الطبيعيات .

- وأما العلوم الإلهيات فخمسة أنواع ؛ أولها : معرفة البارئ سبحانه وتعالى بجميع صفاته ، وأنه أول كل شيء وآخر كل شيء ، والخالق لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، وأنه ليس كمثله شيء . والثاني علم الروحانيات من الجواهر البسيطة العقلية ، وهي الصورة المجردة من الهوى المستعملة للأجسام المطهرة ، ومعرفة ارتباط بعضها ببعض ، وقبض بعضها عن بعض ، وهي أفلاك روحانية تحيط بأفلاك جسمانية . والثالث علم النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الأرض . والرابع علم السياسة وهي خمسة أنواع ؛ أولها : السياسة النبوية ، والسياسة الملوكية ، والسياسة العاقية والسياسة الخاصة والسياسة الذاتية . فأما السياسة النبوية فالله تبارك وتعالى يختص بها من يشاء من

(١) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٨ طبع أوربا) .

عباده ويهذى لأتباعهم مَنْ يشاء لا معقَّب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .
 وأما السياسة الملوكية فهي حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة والأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر . وأما السياسة العاقية فهي الرياضات على الجماعات كرياضة
 الأمراء على البلدان وقادة الجيوش وترتيب أحوالهم على ما يجب وينبغي من الأمور
 وإتقان التدبير . وأما السياسة الخاصة فهي معرفة كلِّ إنسان بنفسه ، وتديره
 أمر غلمانه وأولاده ، وَمَنْ يليهم من أتباعه وقضاء حقوق الإخوان . وأما السياسة
 الذاتية فهي أن يتفقد الإنسان أفعاله وأحواله وأخلاقه وشهوته فيزقيها بزمام عقله ،
 وغضبه فيرده وما شا كل ذلك . والخامس من العلوم الإلهيات علم المعاد وكيفية
 أنبعاث الأرواح وقيام الأجساد وحشرها للحساب يوم الدين ، ومعرفة حقيقة جزاء
 المحسنين وعقاب المسيئين .



نرجع إلى خبر الملك الهندي مع أصحاب الإسكندر ، قال : ولما تكلم مع الحكماء
 اليونانيين في العلوم الفلسفية وطال الخطب في مناظرتهم أخرج الجارية اليهم ، فلما
 ظهرت لأبصارهم لم يقع طَرْف كلِّ واحد منهم على عضو من أعضائها فتعدى
 ببصره إلى غير ذلك العضو اشتغالا بحسنه عما سواه حتى خاف القوم على عقولهم ،
 ثم رجعوا إلى أنفسهم وقهروا سلطان هواهم ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد
 به وضرر فهم ، وبعث بالفيلسوف والطبيب والجارية والقدرح [معهم]^(١) .

فلما وردوا على الإسكندر أمر بإتزال الفيلسوف والطبيب ، ونظر إلى الجارية
 فغار عند مشاهدتها ، فأمر قيِّمة الجوارى بالقيام عليها ، ثم صرف همهته إلى الفيلسوف
 والطبيب وإلى علم ما عندهما ، وقص عليه الحكماء ما جرى لهم مع الملك الهندي من

(١) التكلة من شرح قصيدة آين عبدون (ص ٢٠) .

المباحث في العلوم الفلسفية ، فأعجبه ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم ، وأقبل ينظر في مطاردة الهند يعللها في معلولاتها ، وما يصفه اليونانيون أيضا من عللها في معلولاتها على حسب ما قدست من أوضاعها ، ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما خبر عنه ، فأجال فكره فيما يختبره به ، فدعا بقدرح فملاه سمنا ولم يجعل للزيادة عليه موضعا ، ودفعه لرسول وقال : احمل هذا إلى الفيلسوف ولا تكلمه بشيء ، فلما دفعه إليه دعا الفيلسوف بألف إبرة فغرزها في السمن وصرفه إليه ، فأمر الإسكندر بضرب تلك الإبر كُرَّةً متساوية الأجزاء وردّها إليه ، فأمر الفيلسوف ببسطها وجلاؤها حتى صارت جسما تردّ صورة مقابلها لصفائها وردّها إلى الإسكندر ، فدعا بطست وجعل تلك المرأة فيه. وصبّ عليها الماء حتى غمرها وردّها إليه ، فأخذها الفيلسوف وعَمِلَ منها طَرَجْهارة طافية على الماء وصرفها إليه ، فملاها الإسكندر ترابا وردّها إليه ، فلما نظر الفيلسوف إلى التراب تغير لونه وبكى ثم ردّها إلى الإسكندر ولم يضع فيها شيئا .

فلما كان في اليوم الثاني جلس الإسكندر جلوسا خاصا ودعا بالفيلسوف ، ولم يكن رآه قبل ذلك اليوم ، فلما أقبل نظر الإسكندر [من الفيلسوف] إلى رجل طويل الجسم رَحِبَ الجبين معتدل البنية فقال في نفسه : هذه بَذَّةٌ تضاد الحكمة ، فإذا اجتمع له حسن الصورة والفهم كان أوحده زمانه ، فأدار الفيلسوف إصبعه حول وجهه ثم وضعه على أرنبة أنفه وأسرع نحو الإسكندر وحيّاه بحمّة الملك ، فأشار إليه بالجلوس وقال : لم أذرت إصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة

(١) طَرَجْهارة ويقال لها : طنجهرة من كلمة تركهار الفارسية : نوع من الصفحات أو الصفوح

يقطع عليها اللبن المتجمد (راجع قاموس دوزي) .

(٢) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٢١)

أنفك؟ قال : علمتُ أنك تقول في نفسك، إذا نظرت إلى حُسْنِ صورتي وإتقان
بُنْيَتِي قَلَمًا تجتمع هذه الحَلَقَةُ مع الحكمة، وإذا كان على هذا كان صاحبها أوحَدَ
زمانه، فأريْتُكَ مصداقًا لِمَا سَنَحَ لك أنه كما ليس لك في الوجه إلا أنف واحدٌ
فكذلك ليس في ديار الهند على هذه الصفة أحدٌ غيري .

٧٤

١٣

فقال الإسكندر : حَسَنٌ ما أَتَيْتَ به ! فما بالك حين بعثتُ اليك بالقدح السمن
غرزتَ فيه الإبر ورددته؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إن قلبي قد آمَنَ
علما فليس لأحد فيه مستراد، فأعلمتُك أن علمي سيزيد فيه كما زادت هذه الإبر
في هذا السمن . قال : فما بالك حين عَمِلْتُ لك الإبر كُرَّةً صنعتَ منها مرآةً صقيلةً
وصرفتها إلى؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إن قلبي قد قسا من سَفَكِ الدماءِ
وأشتغل بهذا العالم فلا يقبل العلم ولا يرغب فيه، فأخبرتُك أني سأعمل الحيلةَ في ذلك،
كما جعلتُ من الكُرَّةِ مرآةً مُورِيَةً للأجسام . قال : فما بالك حين جعلتها لك
في الطست وصببتُ عليها الماء جعلتها طَرْجَهاةً طافيةً على الماء؟ قال الفيلسوف :
علمتُ أنك تقول إن الأيام قد قُصُرَتْ والأجل قريب ، ولا يُدْرَكُ العلم الكثير
في المهل القليل، فأخبرتُك أني سأعمل الحيلةَ فيه في غير مدة طويلة، كما جعلتُ
هذه المرأةَ الراسيةَ طافيةً في أسرع وقت . قال : فما بالك حين ملأتُ ذلك الإناءَ
ترابًا رددته إلى ولم تُحدث فيه شيئًا؟ قال : علمتُ أنك تقول : ثم الموت، وأنه لا بدَ
منه . فأخبرتُك أن لا حيلةَ في ذلك . قال الإسكندر : قَبِدْ أَجَبَتْنِي على مُرادِي
في جميع ذلك ولأحسَنَ إلى الهند من أجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة . فقال له
الفيلسوف : لِمَا أَجَبْتُ المَالَ لِمَا كُنْتُ عالِمًا ، وَلَسْتُ أُدْخِلُ على علمي
ما يضاعفه، فإن الفَنيَّةَ تُوجِبُ الخِدمةَ، وقد ملكتُ أيها الملكُ الرِّحِمَ بسيفك أجسامَ
رعيِّكَ فأملك قلوبهم بإحسانك فهو حِرْآنُك سلطانيك، وأحذر العاقبةَ فإنها إذا قَدَّرَتِ

٥

١٠

١٥

٢٠

أَنْ تَقُولَ قَدَرْتُ أَنْ تَفْعَلَ فَأَحْتَرَزُ مِنْ أَنْ تَقُولَ تَأْمَنُ أَنْ تَفْعَلَ ، فَالْمَلِكُ السَّعِيدُ مِنْ
مَلِكِ الرِّعَاةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ بِأَفْعَالِ بَارِهِمُ الْإِحْسَانِ ،
نَحْفِيهِ الْإِسْكَندَرُ فِي الْمَقَامِ مَعَهُ ، أَوَّالًا نَصْرَافَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَاخْتَارَ الرَّجُوعَ إِلَى مَوْضِعِهِ .

وَأَمَّا الْقَدْحُ فَلَاهُ مَاءٌ ثُمَّ أورد عليه النَّاسُ فَلَمْ يَنْقُصْ شَرِبَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَيُقَالُ
إِنَّهُ كَانَ مَعْمُولًا مِنْ خَوَاصِّ الْهِنْدِ الرُّوحَانِيَّةِ مِمَّا تَدْعِيهِ الْهِنْدُ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِأَدَمَ
أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَبَارَكٌ لَهُ فِيهِ حِينَ كَانَ بِأَرْضِ سَرَئِدِيْبَ ، فَوُرِثَ عَنْهُ
إِلَى أَنْ أَتَاهِيَ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْهِنْدِيِّ .

وَأَمَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ مَعَهُ مَنْظَرَاتٌ دَلَّتْ عَلَى ثُبُوتِ قَدَمِهِ فِي عِلْمِهِ ، وَأَنَّهُ
كَمَا وَصَفَ صَاحِبُهُ أَوْ كَادَ . هَذَا خَبْرُهُ مَعَ مَلِكِ الْهِنْدِ .

وَأَمَّا خَبْرُهُ مَعَ مَلِكِ الصِّينِ ؛ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مَسْكُوِيهِ
فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ بِتَجَارِبِ الْأُمَمِ : وَفِي الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ الْإِسْكَندَرَ لَمَّا أَتَاهِيَ إِلَى
بِلَادِ الصِّينِ أَنَاءَ حَاجِبِهِ وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ مَلِكِ الصِّينِ
بِالْبَابِ يَسْتَأْذِنُ فِي الدَّخُولِ عَلَيْكَ ، قَالَ : أَدْخُلْهُ ، فَادْخُلْهُ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْإِسْكَندَرَ
وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَسْتَخْلِينِي فَعَلْ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَندَرُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ أَنْ
يَنْصَرِفُوا ، فَانْصَرَفُوا كُلُّهُمْ عَنْهُ وَبَقِيَ حَاجِبُهُ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي جِئْتُ لَهُ لَا يَحْتَمِلُ
أَنْ يَسْمَعَ غَيْرَكَ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَندَرُ أَنْ يُفْتَشَ فُفْتَشَ ، فَلَمْ يَجِدْ مَعَهُ سِلَاحًا ، فَوَضَعَ
بَيْنَ يَدَيْهِ سِيفًا مَسْلُورًا وَقَالَ لَهُ : قِفْ مَكَانَكَ وَقُلْ مَا سِئَلْتُ ، وَأَخْرَجَ الْحَاجِبَ
وَمَنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عَنْدهُ ، فَلَمَّا خَلَا الْمَجْلِسَ قَالَ لَهُ : أَنَا مَلِكُ الصِّينِ لَا رَسُولُهُ ،
جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَمَّا تَرِيدُ ، فَإِنْ كَانَ عَمَّا يُمْكِنُ عَمَلُهُ وَلَوْ عَلَى أَصْعَبِ الْوُجُوهِ عَمِلْتُهُ

وأغبتك عن الحرب ، فقال له الإسكندر : وما الذى آمّتك منى ؟ قال : علمى
بأنك عاقلٌ حكيمٌ ، ولم تك بيننا عداوةً ولا مطالبةً بدخُلٍ^(١) ، وأنت تعلم أنك إن
قتلتنى لم يكن ذلك سببا لتسليم أهل الصين إليك مُلُكُهم^(٢) ، ولم يمنعهم قتلى من أن
ينصبوا لأنفسهم ملكا غيرى ثم تنسب [أنت] إلى غير الجميل وضد الحزم . فاطرق^(٣)
الإسكندر وعلم أنه رجلٌ عاقلٌ ، ثم قال له : إن الذى أريد منك ارتفاع مملكك
لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاع مملكك لكل سنة . قال : هل غير هذا ؟
قال لا ، قال : قد أجبتك ، ولكن سألنى كيف تكون حالك ، قال : كيف تكون ؟
قال : أكون أول قتيلٍ محارب ، وأول أكيلةٍ مفترس . قال : فإن قنعتُ منك
بارتفاع سنتين . قال : أكون أصلح قليلا وأفسح مدة . قال : فإن قنعتُ بارتفاع
سنة . قال : يكون فى ذلك بقاءٌ مُلُكى ، وذهابٌ لجميع لذتى . قال : فإن قنعتُ منك
بثلث الارتفاع كيف تكون حالك ؟ قال : يكون السدس للفقراء ومصالح العباد ،
ويكون الباقي للجيشى ولسائر أسباب الملك . قال الإسكندر : قد آقتصرتُ منك^(٤)
على هذا ، فشكره وأنصرف .

فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين وقد طبق الأرض وأحاط بجيش
الإسكندر حتى خافوا الهلاك ، وتوالت أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب بعد

(١) الدخُل : النار . (٢) التكملة عن كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧) .

(٣) عبارة كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧ - ٤٣٨) « إن الذى أريد منك
ارتفاع مملكك فى خمس سنين فقال : هل تريد شيئا غير ذلك ؟ قال : لا ؛ قال : قد أجبتك إليه ؛
قال : فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال أكون قتيل أول محارب ، وأكل أول مفترس ؛ قال : فإن قنعت
منك بارتفاع ثلاث سنين كيف تكون حالك ؟ قال : تكون أصلح من ذلك وأفسح ؛ قال : فإن قنعت
منك بارتفاع سنة واحدة ؛ قال : يكون ذلك سدادا لأمر ملكى ، ومذهبا لجميع لذاتى ... الخ » .

(٤) فى كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « لحاشيتى » .

- الآمن والطمانينة إلى السلم . فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وهو راكب عليه التاج ، فلما تراءى الجمعان نظر الإسكندر إلى ملك الصين فظن أنه حضر للحرب ، فصاح به : أغدرت ؟ فترجل ملك الصين وقال : لا والله ، قال : فأذن متى فداناً منه ، فقال له الإسكندر : ما هذا الجيش الكثير ؟ فقال : إني أردت أن أريك أنى لم أطعك من قلة وضعف ، ولكنى رأيت العالم العلوى مقبلاً عليك ممكلاً لك .
- من هو أقوى منك وأكثر عدداً ، ومن حارب العالم العلوى غلب ، فأردت طاعته بطاعتك ، والتذلل له بالتذلل لك ، فقال الإسكندر له : ليس مثلك من يُسام الدل ، ولا من يؤذى الجزية ، فما رأيت بنى وبين الملوك من يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك . فقال
- ملك الصين : ولست تخسر [إذا ^(١)] ثم أنصرف عنه الإسكندر . فبعث إليه ملك
- الصين بضعف ما قزر معه وأنصرف عن الصين .

كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر

- قال : لما توفى الإسكندر جعل في نابوت من الذهب ، واجتمع الحكماء فتقدم الأول فقال : قد كان الإسكندر نجماً الذهب ، وقد أصبح الآن نجبؤه
- الذهب . وتقدم الثانى إليه والناس يبكون ويحزعون فقال : حركاً بسكونه . وتقدم

(١) الكلمة من كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وغيرهم (ص ٤٣٩) .

(٢) ورد في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٩) الأشياء التى بعث بها ملك الصين إلى الإسكندر وهى : « ألف حرية وألف فرنند وألف دياجة وألف من فضة ومن كل من جلود السمور والظنك والقاقم والسنباب والخرأف جلدة وألف منقال عنبرا وألف نابغة مسكا وألف وطلل هودا : وألف طاس ذهباً وفضة ومائة سيف هندية محلاة بالذهب والجوهر ومائة سرج ومائة لحام صينية مذهبة ومائة درع سابعة والزم الضريبة كل سنة فأخذها الإسكندر كلها وارتحل بها » .

(٣) هوديوجانس الفيلسوف . (٤) هو أفلاطون الفيلسوف .

(١) الثالث إليه فقال : قد كان يعظنا في حياته ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . وتقدم إليه الرابع فقال : قد جاب الأرضين وسلكتها ، ثم حصل منها في أربعة قوائم . ووقف عليه الخامس فقال : انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى ^(٢) ، وإلى ظل الغمام كيف أنجلى . ووقف عليه السادس فقال : قد أمت هذا الميت كثيرا من الناس لثلاث يموت ، وقد مات الآن . ووقف عليه السابع فقال : مالك لا تنقل عضوا من أعضائك ، وقد كنت تستقل بملك العباد . وقال الثامن : مالك لا ترغب بنفسك عن المكان الضيق ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد . وقال التاسع : كان لا يقدر عنده على الكلام ، واليوم لا يقدر عنده على الصمت . وقال العاشر : قد كان غالبا فصار مغلوبا ، وآكلا فصار مأكولا . وقال الحادي عشر : ما كان أقيح إفراطك في التجبر أمس مع شدة خضوعك اليوم ! . وقالت بنت دارا : ما كنت أحسب أن غالب أبي يغلب . وقال رئيس الأطباء : قد نضدت النضائد ، وألقيت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد القوم .

قال : ولما مات الإسكندر عرض المسلك على ابنه من بعده فأباه وأختار العبادة والنسك .

فلك بعد الإسكندر على اليونانيين بطليموس ، وهذه التسمية لكل من ملك اليونان ككسرى للأكامرة من الفرس ، وقيصصر للروم ، وخاقان للترك ، وطرخان للخرز ، والنجاشي للحبشة .

قال : وكان بطليموس هذا شابا مدبرا حكيما عالما . وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل عشرين سنة ، وقيل إنه أول من أفتى البراة وضراها ولعب بها .

(١) هو سقراط الحكيم . (٢) هو بطليموس الفيلسوف . (٣) هو بليناس الفيلسوف .

(٤) هو ديمقراطيس الفيلسوف . (٥) هو طويقا الفيلسوف .

ثم ملك بعده بطليموس الثانى ، وهو الذى يقال له : محب الأخ ، وأسمه هيفلوس ، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأب ، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس ، وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى .

فكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأم . فكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الصائغ . فكان ملكه سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الإسكندراني . فكان ملكه اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الحديدى . فكانت مدة ملكه ثمانين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الجوال . فكان ملكه أيضاً ثمانين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده بطليموس الحرب . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملكت بعده أباته قلوبطرة ، وكانت حكيمة متفلسفة معظمة للحكام ، ولها

كتب مصتفة فى الطب والزينة وغير ذلك ، مترجمة بأسمها ومنسوبة إليها ، وكان

زوجها بطليموس ويسمى أنطونيوس مشاركا لها فى ملك مقدونية وهى مصر .

فلما أراد الله تعالى ذهاب ملك اليونانيين أيد عليهم ملك رومية وهو أغسطس ،

فسار إليها ، وكان له مع الملكة قلوبطرة وزوجها حروب كثيرة ، فقتل زوج قلوبطرة ،

فأراد ملك الروم أن يزوجها لعله يحكمتها وليتعلم منها ، فراسلها فعلمت مراده منها ،

فطلبت حية تكون بالحجاز ومصر والشام ، وهى نوع من الحيات تراعى الإنسان

حتى إذا نظرت الى عضو من أعضائه قفزت أذرعاً نحوه فلم تخطئ ذلك العضو بعينه .

حتى تنفل عليه سماً فيموت لوقته ولا يعلم ما خبره ، فيتوهم الناس أنه مات بجأه
 خُفَّ أنفه . فَأَحْتَمَلَتْ لها . فلما كان في اليوم الذي علمت فيه أن أغسطس يدخل
 في قصرها أمرت بأنواع الرياحين والزهور أن تُسَطَّ في مجلسها وأمام سريرها ،
 وجلست على سرير مُلكها والتاج على رأسها وفزفت حشمها وقربت يدها من الإثاء
 الذي فيه تلك الحية فضربتها فماتت لوقتها ، وأنساب الحية في تلك الرياحين ودخل
 أغسطس حتى انتهى إلى المجلس ، فنظر إليها جالسة وهو يظن أنها باقية ، فدنا منها
 فتبين له أنها قد ماتت ، فنظر إلى تلك الرياحين فقفزت عليه تلك الحية فورته بسمها
 وقد خُفَّ ، فبطل شقه الذي ضربته من جهته ، ولولا أن سمها كان قد نُقِصَ لمات ،
 فعجب من قتلها لنفسها وما كادته به من إلقاء الحية . وكانت قلوبطرة هذه آخر
 من ملك من اليونانيين . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك السريان

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :
 ذكر ذوو العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك بعد الطوفان ملوك اليونان ، قال :
 وقد تُنَوِّع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ، ومنهم
 من رأى أنهم إخوان لولد ماس بن نبط ، ومنهم من رأى غير ذلك على حسب تباين
 الناس في الأجيال الماضية والقرون الخالية .

قال : فكان أول من ملك منهم رجلاً يقال له سوشان ، وهو أول من وضع
 التاج على رأسه في تاريخ السريانيين . قال : وأنقاد له ملوك الأرض ، فكان
 ملكه ست عشرة سنة باغيا في الأرض ، ومفسداً في البلاد ، وسفاكاً للدماء .

(١) راجع (ج ١ ص ١٠٠ طبع بلاق) .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي . وفي الأصول : « نودمانين » وهو تحريف .

(١١)

ثم ملك بعده يريز، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .

ثم ملك بعده سماسير بن أبوبا . فكان ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أهريمون نخط الخطط، وكور الكور، وجد في أهره، وأتقن

ملكه، وعمر أرضه . فلما استقامت له الأحوال وأنظم ملكه بلغ بعض ملوك

الهند وهو رتيشل، وهو أسم لمن يملك هذه الجهة من الهند، ما القوم عليه من

القوة، وما بلادهم عليه من العماره، وأنهم يحاولون الممالك، وقد كان هذا الملك

الهندي غلب على من حوله من ممالك الهند وأتقادت إلى أحكامه، وذلك أن ملكه

كان مما يلي بلاد الهند والسند، فسار نحو بلاد بست وغزني ونفرو بلاد الداور

على النهر المعروف بالهند مند، وهو نهر ببلاد سيجستان ويصرف بنهر بست تجزي

فيه السفن منها إلى سيجستان .

قال : وكان بين ملك الهند وملك السريانيين حروب كثيرة نحواً من سنة

ثم أجلت الحرب عن قتل السرياني وأحتوى الهندي على الصقع وملكه، فكان

ملك أهريمون عشرين سنين .

٧٧
١٣

(١) في مروج الذهب للسعودي : « يندس » .

(٢) كذا في معجم البلدان لباقوت . وهي مدينة بين سيجستان وغزني وهراة، وهي من البلاد

الحارة المزاج، وهي كبيرة، ويقال لناحياتها اليوم كرم سير، معناه التواحي الحارة المزاج، وهي كثيرة

الأنهار والبساتين . وفي نسخة أ « فسط » . وفي نسخة ب « بسط » وما محرفان .

(٣) كذا في معجم البلدان لباقوت . وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحدة

بين خراسان والهند . وفي نسخة أ « غرين » . وفي نسخة ب « غرين » وما محرفان .

(٤) كذا في معجم البلدان لباقوت . وهي مدينة ببلاد السند، بين وبين غزني ستة أيام، تعد

في أعمال السند . وفي الأصول « نغين » وهو تحريف .

(٥) بلاد الداور : هي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج وبيت والنور . وأهل

تلك الناحية يسمونها زمين داور، ومعناه أرض الداور .

قال : وبقى ذلك الصقع بيد الملك الهندي حتى صار إلى بعض الملوك فأتى عليه وملك العراق ورد السريانيين .

(١) فملكوا عليهم تسبوا بن سماسير . فكان ملكه إلى أن هلك ثمانى سنين .

ثم ملك بعده أهريمون . فكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعده هوريا فزاد في العماره وأحسن للرعايا وغرس الأشجار .

فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .

(٢) ثم ملك بعده ماروت وأستولى على الملك . فكان ملكه خمس عشرة سنة .

وقيل أكثر من ذلك .

(٣) ثم ملك بعده أزور وساحس ، ويقال إنهما كانا أخوين . قال : فأحسن

السيرة ، وتعاضدا على تدبير الملك . ويقال : إن أحد هذين المليكين كان جالسا

ذات يوم في أعلا قصره فنظر إلى طائر قد فرخ هنالك ، وهو يصيح ويضرب

بجناحه ، فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر لنا كل الفراخ التي للطائر ، فدعا بقوس

وسهم ورمى الحية فقتلها ، وسلمت الفراخ ، وغاب الطائر وعاد إلى الملك بعد

هنيهة وفي متقاره حبة وفي مخالبه حبتان ، وطار حتى وازى الملك ، وألقى الحب

بين يديه فتناوله الملك وقال : ما ألقى هذا الطائر هذا الحب إلا لأمر قصد به

مكافأتنا على ما فعلناه من خلاص فراخه ، ولم يعرف ما هو ذلك الحب ، وأستدعى

الحكام وأراهم فاعرفوه ، فقال له حكيم : ينبغي أن يزرع هذا الحب ببطن

الأرض لينظر ما يكون منه ، فأحضر الأكرة وأمرهم بزرعه فزرعوه ، والملك

(١) كذا في الأصول . وفي مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٠٢ طبع بلاط) : « سير » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة « ماروب » بالباء الموحدة . وفي مروج الذهب : « مارث » .

(٣) كذا في نسخة ب وفي نسخة « حلعاس » وفي مروج الذهب « خلنجاس » .

- يراعيه حتى طلع وأزهر وحصرم وأعنب ، وهم لا يقرّبونه خشية أن يكون مُتلفاً ، فأمر الملك أن يُعصر ماؤه ويُدّع الآنية وأُخرج الحبّ منه وترك بعضه على حاله . فلما صار في الآنية غلا وقذف بالزبد وفاحت له روائح عِقة ، فقال الملك :
- على بشيخ كبير ، فأُتي به ، فسقاه من هذا العصير . فلما شرب منه ثلاثاً صال وتكلّم وصفّق بيديه وحرك رأسه ووقع برجليه على الأرض ، فظهر عليه الطرب والفرح وتغنى . فقال الملك : هذا شرابٌ مذهبٌ للعقل ، وأخلق به أن يكون قتالا ، ألا ترون إلى هذا الشيخ كيف عاد إلى حال الصبا وقوة الشباب ، ثم أمر الملك بالشيخ فرقد ، فسكن ونام . فقال الملك : هَلَك ، ثم أفاق الشيخ وطلب الزيادة من الشراب وقال : لقد شربته فكشف عني الهموم والغموم ، وأزال عني الأحران . فقال الملك : هذا أشرفُ شراب الرجل ، فأكثر من غرس الكروم ، وأختص به دون غيره من الناس ، وأستعمله بقية أيامه ، ثم نما بعد ذلك وكثر في أيدي الناس . وهذا آخر ما أورده المسمودي من أخبار السريان .

ذكر أخبار الملوك الكلوانيين

وهم ملوك النبط ملوك بابل

- قال المسمودي ^(١) ، ذهب جماعة من أهل البحث والعناية بأخبار ملوك العالم أنهم ملوك العالم الذين مهدوا الأرض بالعارة ، وأن الفُرس الأول إنما أخذوا الملك من هؤلاء كآخذ الروم الملك من اليونان .
- فكان أول من ملك منهم ثَمْرُود الجبار . فكان مُلكه نحواً من ستين سنة . وقد قدّمنا أخبار ثَمْرُود في قصّة إبراهيم عليه السلام ^(٢) .

٢٠ (١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٣ طبع بلاق) . (٢) في مروج الذهب : «ذكر» .

(٣) راجع (ج ١٣ ص ٩٦ - ١٠٠ و ١١٣ - ١١٤ من هذه الطبعة) .

قال : ويُمرّوذ هذا هو الذي احتفر أنهارا بالعراق آخذةً من الفرات ، فيقال :
إن من ذلك نهر كوثي^(١) على طريق الكوفة ، وهو بين قصر آبن هيرة^(٢) وبغداد .
ثم ملك بعده أبولس ، وكان عظيم البطش جبّارا في الأرض . وكان مُلكه نحو
من سبعين سنة .

ثم ملك بعده فيزمنوس . وكان باغيا في الأرض ، ملك نحو من مائة سنة .
ثم ملك بعده سوسوس . فكان مُلكه نحو من تسعين سنة .
ثم ملك بعده كورس . فكان ملكه نحو من خمسين سنة .
ثم ملك بعده اذفرنجوا^(٣) . فكان ملكه نحو من عشر سنين .
ثم ملك بعده سبهزم . فكان ملكه نحو من أربعين سنة ، وقيل أكثر .
ثم ملك بعده قوسيس . فكان ملكه نحو من سبعين سنة .
ثم ملك بعده أنبوش^(٤) . فكان ملكه نحو من ثلاثين سنة .
ثم ملك بعده إيلاروس . فكان ملكه نحو من خمس عشرة سنة .
ثم ملك بعده الجلولس . وكان مُلكه نحو من أربعين سنة .

(١) نهر كوثي : هو أول نهر أخرج بالعراق من الفرات ، وسمى بكوثي من بني أرغشدين سام
آبن نوح عليه السلام ، وهو الذي كراه فنسب إليه ، وهو جد إبراهيم عليه السلام أبو أمه بونا بنت كزيبا
(راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) قصر ابن هيرة : ينسب إلى يزيد بن عمر بن هيرة ، بناء بالقرب من جسر سوراء لمساوى العراق
من قبل مروان بن محمد . فلما ملك السفاح نزل وأسلم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنيانه وسماه الهاشمية
وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هيرة على العادة الأولى (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) في مروج الذهب : « أنمر » .

(٤) كذا في نسخة ١ وفي نسخة « أنبوس » . وفي مروج الذهب : « أنبوس » .

ثم ملك بعده أونوبس^(١) . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده بعتكلوس : فكان ملكه نحوًا من ثلاثين شهرًا .
 ثم ملك بعده سقرين^(٢) . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة ، وقيل أقل .
 ثم ملك بعده مازنوس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده رسطاليم^(٣) . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .
 ثم ملك بعده أسطوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .
 ثم ملك بعده تاولوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .
 ثم ملك بعده العداس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده أطيروس . فكان ملكه نحوًا من ستين سنة .
 ثم ملك بعده ساوساس . فكان ملكه نحوًا من عشرين سنة .
 ثم ملك بعده فارينوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة ، وقيل خمسًا
 وأربعين سنة .

ثم ملك بعده أدرموس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة . وغزاه ملك
 من ملوك فارس في عُقر داره .

ثم ملك بعده مسروس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .
 ثم ملك بعده أفروس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .
 ثم ملك بعده طاطاوس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .

(١) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « أونوبس » وفي مروج الذهب : « أونوبس » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « سقرين » وفي مروج الذهب : « سفروس » .

(٣) في مروج الذهب : « رسطالين » . وقد وزد فيه أيضًا خلاف في بعض أسماء الملوك الذين

ذكروا هنا فاكفينا بما ورد في الأصول عوضًا عن التنبه في كل آسم .

ثم ملك بعده لاوسيس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل خمسا وأربعين سنة .

ثم ملك بعده قريطوس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده قروطالوس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قراقريس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل أثنين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده بوليس قنطروس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قولاقسما . [فكان ملكه ^(١) نحواً من ستين سنة .

ثم ملك بعده هيقلس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة . وقيل خمسين سنة .

وكانت له حروب مع ملوك الصقالية .

ثم ملك بعده سموجد . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده مردوج . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده سنحاريب . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة . وهو الذي أبنتى

بيت المقدس .

ثم ملك بعده منوشا . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده بُخْتَنْصَر الجبار . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقد تقدم

أن بُخْتَنْصَر لم يكن ملكاً وإنما كان مَرْزُبَاناً للملوك الفُرس الأول ، إلا أن يكون هذا

غير ذلك . والله أعلم .

ثم ملك بعده بيطسقر . فكانت مدة ملكه نحواً من ستين سنة ، وقيل أقل

من ذلك .

(١) زيادة يقتضيا السياق مراعاة لما ورد قبله وجاء بعده .

(٢) راجع (ج ١٤ ص ١٥٣ من هذه الطبعة) .

ثم ملك بعده دارنوس . فكان ملكه إحدى وثلاثين سنة ، وقيل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده كشرخوش [فكان ملكه] عشرين سنة .

ثم ملك بعده قرطياسة تسعة أشهر .

ثم ملك بعده فيجسمنه . فكان ملكه إحدى وأربعين سنة .

ثم ملك بعده أبرست . فكان ملكه ثلاثا وستين سنة .

ثم ملك بعده شعيا . فكان ملكه ثلاثين سنة ^(١) ، وقيل تسعة أشهر .

ثم ملك بعده داريوس . فكان ملكه عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة سنة .

ثم بعده أنطجست . فكان ملكه تسعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده اليسع . فكان ملكه خمس عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة .

- قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أتينا على أسمائهم ، وذكرنا مدة ملكهم ،
 هم الذين شيدوا البنيان ، ومدنوا المدن ، وكثروا الكور ، وحفروا الأنهار ، وغرسوا
 الأشجار ، واستنبطوا المياه ، وأثاروا الأرض ، واستخرجوا المعادن من الحديد
 والنحاس والرصاص وغير ذلك ، وطبعوا السيوف ، واتخذوا عدة الحرب ، ونصبوا
 قوانين الحروب ، ورتبوا الميمنة والميسرة والأجنحة ، وجعلوا ذلك مثالا
 لأجزاء أعضاء الإنسان ، ورتبوا الأعلام ؛ فجعلوا أعلام القلب على صورة الفيلة
 والنسور وما عظم من أجناس الحيوان ؛ وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة
 السباع ؛ وجعلوا في الأجنحة أمثال ما لطف منها كالنمر والذئب ؛ وجعلوا في الطلائع
 كصور الحيات وما خفى فعله من هوام الأرض ؛ وتغلغل القوم في هذه المعاني .

قال : والذي ذكرناه من أخبارهم هو المشهور . والله تعالى أعلم .

(١) في مروج الذهب : « سنة وقيل تسعة أشهر » ولعل كلمة ثلاثين مقحقة من الناسخ .

ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم

(١) قال المسعودي : قد تنازع الناس في الروم ولأى علة سُموا بهذا الاسم ، فقيل لإضافتهم لمدينة رُومِيَّة وأسمها بالرومية روماس ، فعُزِبَ هذا الاسم فسُميَ مَنْ كان بها روما ، والروم لا يسمون أنفسهم في لغتهم إلا رومس . ومنهم مَنْ رأى أن هذا الاسم أسم الأب الأول ، وهو روم بن شماخين بن هوبان بن علفا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم مَنْ رأى أنهم سُموا بأسم جدتهم رومس ابن لبطى بن نويفل بن رومي بن الأصغر بن النفر بن العيص ، وقيل غير ذلك . وقد ذكرنا في الأنساب شيئا من ذلك .

قال المسعودي : وغلبت الروم على ملك اليونانيين ، فكان أول مَنْ ملك منهم طوخاس وهو جانيوس الأصغر بن روم بن شماخين ، فكان مُلكه اثنتين وعشرين سنة .

وقيل إن أول مَنْ ملك من ملوك الروم قيصر ، واسمه غالوس أوليوس . فكان مُلكه ثمانى عشرة سنة .

وقيل أول مَنْ ملك منهم بعد ملوك اليونانيين برومية بوليس . فكان مُلكه سبع سنين ونصفا . قال : ورومية بنيت قبل الروم بأربعائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه أغسطس قيصر . وكان مُلكه ستا وخمسين سنة ، وهو أول مَنْ سُمي بقيصر ، وإنما سُمي بذلك لأن أمه ماتت وهي حامل به فشُقَّ بطنها عنه ، ومعنى قيصر بقر ، وكان يفتخر بأن النساء لم تلده ، وحقيقة هذه اللفظة بالعجمية

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٤٨ طبع بولاق) .

(٢) في مروج الذهب : « رميس » .

جَيْشَر، قيل إنَّما سُمِّيَ جَيْشَر لَأَنَّهُ وَلَدَ بَشَرٍ يَبْلُغُ عَيْنَهُ، وَأَسَمَ الشَّعْرَ بِالْعَجْمِيَّةِ حَسَارِيهِ وَقِيلَ جَشَارِيهِ، فَعَرَّبَ فَقِيلَ قَيْصَرٌ، وَهُوَ صَاحِبُ قُلُوبَطْرَةَ مَلِكَةِ الْيُونَانِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ. وَآخَتَوَى هَذَا الْمَلِكُ عَلَى مَقْدُونِيَّةٍ وَهِيَ مِصْرُ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَحَازَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْخَزَائِنِ، وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَوْتَانَ. وَبَنَى بِأَرْضِ الرُّومِ مَدِينًا تَنْسَبُ إِلَيْهِ، وَكَوْزُكُورًا. فَمِنْ مَدُنِهِ قَيْسَارِيَّةٌ. وَلَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً خَلَتْ مِنْ مُلْكِهِ وَلَدَ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعَاشَ هَذَا الْمَلِكُ بِقِيَّةِ عَمْرِهِ وَقَدْ بَطَلَ شَقُّهُ لَمَّا تَفَلَّتْ عَلَيْهِ الْحَيَّةُ عَلَى مَا قَدَّمَاهُ فِي أَخْبَارِ قُلُوبَطْرَةَ.

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ طِيَارِيْسُ. فَكَانَ مُلْكُهُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. قَالَ: وَلِثَلَاثِ سِنِينَ بِقِيَّةٍ مِنْ مُلْكِهِ رُفِعَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ: وَلَمَّا هَلَكَ هَذَا الْمَلِكُ رُومِيَّةٌ اخْتَلَفَتْ الرُّومَ وَتَحَزَّبَتْ وَأَقَامُوا عَلَى اخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ وَالتَّنَازُعِ مِائَتَيْنِ سَنَةً وَثَمَانِيَا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً لَا نِظَامَ لَهُمْ وَلَا مَلِكَ يَجْمَعُهُمْ.

ثُمَّ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ طَبَارِيْسُ عَابِسٌ بِمَدِينَةِ رُومِيَّةٍ. فَكَانَتْ مَدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعَ سِنِينَ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ قَلُورُسُ رُومِيَّةٍ. فَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ شَرَعَ فِي قَتْلِ النَّصَارَى وَآتِبَاعِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَتْ الرُّومُ تَعْبُدُ التَّمَاثِيلَ.

وَلَمَّا هَلَكَ هَذَا الْمَلِكُ مَلَكَ بَعْدَهُ نِيرُونُ. قَالَ: وَأَسْتَقَامَ مُلْكُهُ وَرَغِبَ فِي عِبَادَةِ التَّمَاثِيلِ وَالْأَصْنَامِ، وَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرًا.

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ طَطُسُ وَاسْبَابُوسُ مُشْتَرَكَيْنِ فِي الْمُلْكِ. فَكَانَتْ مُلْكُهُمَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلِسَنَةِ مِنْ مُلْكِهِمَا سَارَا إِلَى الشَّامِ، فَكَانَتْ لَهَا حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ فِيهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ وَخَرَّبَا بَيْتَ الْمَقْدَسِ وَأَزَالَا رُسْمَهُ، وَكَانَ يَعْبدَانِ الْأَصْنَامَ.

قال المسعودي : وذكر في بعض التواريخ أن الله تعالى عاقب الروم من ذلك اليوم الذي حرقوا فيه بيت المقدس أن يُسبي منهم في كل يوم سبيٌ فلا يومٌ إلا والسبي واقعٌ فيهم قل ذلك أو أكثر .

ثم ملك بعدهما ذو مطيانس . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده أبرنوس . فكانت مدة ملكه سنة واحدة .

ثم ملك من بعده طومانوس . فكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة .

ثم ملك بعده أذربالس . فكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة ، وخرَّب سائر ما بقي بالشام لبني إسرائيل .

ثم ملك بعده أبطونيس . فكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة . قال : وبني بيت المقدس وسماء إيلياء .

ثم ملك بعده فرمودس . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده سيريس . فكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة .

ثم ملك بعده ولده أنطويس . فكانت مدة ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أنطويس الثانى . فكانت مدة ملكه أربع سنين ، وفي آخر ملكه مات جالينوس الطيب .

ثم ملك بعده الإسكندر مامياس ، وتفسير مامياس العاجز . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده عردياس . فكانت مدة ملكه ست سنين .

ثم ملك بعده دقيوس وقيل فيه دقيوس . فكانت مدة ملكه ستين سنة .

قال : فأمن في قتل النصارى ، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف .

ذكر خبر أصحاب الكهف

قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسين الأنماطي في كتاب
الابتداء يرفعه الى وهب بن منبه : إن أصحاب الكهف كانوا فتية من الروم ، وهم
الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الآيات التي في سورة الكهف . قال :
وكان في إيمانهم عبرة وتفكر منهم في عظم الله وجلاله وملئكه وسلطانه وأصناف
خلقه ، لم يأتهم بذلك ونحو ولم يقرءوا كتابا ، ولم يُدركوا زمان نبوة ، وكانوا في زمن
فترة قبل أن يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا القول
مخالف لما ذكرناه آنفا ، فإن المساق الذي قدمناه من أخبار ملوك الروم يقتضي
أن بين رفع عيسى عليه السلام وبين ملك دقيوس ما يزيد على مائتي سنة . والله
عز وجل أعلم .

قال : وكانوا شبانا متقاربين في السن فلما يتفاوتون ، وكانوا من فصيلة واحدة
يجمعهم النسب ، وكانوا في حسب عظيم من أحساب الروم ، من ولد عظمائهم وملوكهم
وأشرافهم ، وكان للروم فيهم هوى وصبابة شديدة ، وكان ملك الروم الأول
في آباء أولئك الفتية وينقل في فصيلتهم التي كانوا منها أكثر من أربع مائة عام حتى
أنقرضت تلك الفصيلة وزال الملك عنهم . فكان أولئك الفتية عقب أولئك الملوك
وبقيتهم ، وكان الروم يتخون ملوكهم ويمدون اليهم أعناقهم لما قد بلغهم ما كان
الناس فيه في زمن أسلافهم من الخفض والدعة والعافية والبسط والأمن والسعة ،
فكانوا يؤملونهم ويرجونهم ، وكانت ملوك الروم قد جفوه وحرمهم وأقصوهم
وأضرؤوا بهم مخافة منهم على ملكهم لما يعلمون من رأى الروم فيهم ، وكانوا مع

ذلك يكفون عنهم أذاهم ، ويعرفون أنهم مَفْرَعُ الروم إن اختلفوا ومَعُولُهم عليهم ، فلم تزل تلك حالهم فيما بينهم وبين ملوكهم وقومهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد من هُدَاهم والإيمان الذي تَوَرَّه الله في قلوبهم .

٨١

١٣

قال قائلٌ منهم : إني قد رأيتُ رأيا وقع في قلبي وأمرًا ثبت فيه ، فلستُ أبصرُ غيره ، وليس يُخْرِجُهُ من قلبي شيء ، اسمعوا أعرضُ عليكم ، إني فُكِّرْتُ في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم والسحاب والمطر ، والأحياء والأموات ، والنبات ، والصغار والكبار ، والبقاء والفناء ، والشدة والرخاء ، وتقلب الدنيا بأهلها ، والأطباق التي تنصرف عليها الخلق طبقًا بعد طبق ، وقوما عن قوم : من مَوْتٍ وحياة ، ونقص وزيادة ، وخفيض ورفع ، وغنى وفقير ، وطولٍ وعمرٍ ونقصٍ وآخر ، وموتٍ صغيرٍ وهرمٍ كبير ، وأشباه ذلك كثيرة . وهي أكثر من أن تُعَدَّ وتُوصَفَ أو تُحصى ؛ فلما نظرتُ فيها وأعملتُ الرأي والنظر أجمع رأيتُ على أن لها خالفاً بديعاً أبدعها ، ورباً يملكها ويدبرها ، ويخلقها ويرزقها ، ويُغْنِيها ويُفْقِرُها ، ويرفعها ويخفِضُها ، ويحييها ويميتُها ويُفْنِيها ، تتقلب في قبضته وتعيش برزقه ؛ فلما تمَّ لي الرأي نظرتُ في عظمة هذا الرب الذي أبدع هذا الخلق وضبطه ، ودبره وأحكم أمره ، فإذا قدرته تأتي من وراء ذلك كله ، ليس من هذا الخلق شيء يُفوتها ولا يخرج منها ، وإذا هي محيطَةٌ بكل شيء ومن وراء كل شيء ، ثم نظرتُ في عظمة الرب هل أصفها كما وصفتها القدرة ، وهل أعلم كُنْهَهَا ؟ فتَحَيَّرْتُ فيها ، وعجز عنها الحلم والعلم ، وحسرتُ عنها العقل والنظر ، وما بقي مما لم أذكره لكم معرفة القلب ولا نصِّفه إلا أنه قد ألهم بمعرفته وأسرَّها أكثر وأعظم وأعجب مما وصفتُ وشرحتُ لكم ، فاذا تقولون ، وماذا تعرفون ، وماذا تقولون ؟

قالوا : قد قُلْتَ قولاً عظيماً ووصفتَ أمراً عجيباً ، وما نَحْسِبُكَ إلَّا قد أَصَبْتَ فيه الرأى والنظر ، وقد صدقتك وتابعتك ورأينا رأيك وواقعُ قلوبنا منه ومن معرفته مثل الذى عَرَفْتَ وواقعُ قلبك ، وإن كُنَّا لَنرى مثل الذى رَأَيْتَ من أعاجيب هذا الخلق وعظمة هذا الخالق ، وإن كان ليكثرُ أن يخطرُ على قلوبنا منه مثل ما خطرَ على قلبك ، ولكنا لم نشرح منه ما شرحتَ ولم نصف منه ما وصفتَ ، ولم نعمل الرأى والنظرَ في معرفته مثل ما أعملتَ وعَرَفْتَ ، ولكنَّ الله أراد هُناك وتفضيلَكَ وإكرامَكَ بما سَبَقَتْ إليه من هذا القول وهذا العلم وهذه المعرفة ، ولكن حَدَّثنا عما نَسألك عنه ، وإنما نظرنا فيه بعد ما سَمِعنا قولَكَ ؛ هل ينبغي لهذا الربِّ الذى وَصَفْتَهُ بما وَصَفْتَهُ من العظمة أن يكون له شريكٌ فى مُلكِهِ ، أو حاجةٌ إلى شىء من خَلْقِهِ ، أو هل يَقْبَلُهُ شىءٌ يَسْتَعِينُ عليه بغيره ؟

قال لهم : لو كان له شريكٌ فى شىء من أمرِهِ لَضَبَطَ ما ضَبَطَ ، ولو كانت به حاجةٌ إلى أحدٍ من خَلْقِهِ لكانَ مثلَهُمْ ، ولو كان يَسْتَعِينُ على شىء يقبله بغيره إِذَا ما بَلَغَتْ قُدْرَتُهُ ما بَلَغَتْ ، ولا أَحاطَتْ بما أَحاطَتْ به ، ولا وَسِعَ ما آتَسَعَ له من أمرِ خَلْقِهِ ، وتدير ما خَلَقَ ورَزَقَ وأَمَاتَ وأَحْيَا .

قالوا له : صدقتَ وعَرَفْنَا ما تقول وَثَبْتَ فى قلوبنا ، ولكن حَدَّثنا ما بَالُ خَلْقِهِ يَشْرَكُونَ به وهم يعرفونه حقَّ معرفته . قال : لأنَّه خَلَقَ فيهِم الأهواءَ وطعَ فيهِم الشهواتَ ، وجَبَّلَهُم على الضعف ، وَثَبْتَ معهم الشيطانُ ، فَمَنْ قَبِلَ هذا عَدَلُوا به وهم يعرفون أنَّ الذين يدعون من دونه لا يُحْيُونَهُمْ ولا يُمَيِّتُونَهُمْ ، ولا يَخْلُقُونَهُمْ ولا يَرْزُقُونَهُمْ ، ولا يَضُرُّونَهُمْ ولا يَنْفَعُونَهُمْ ، إِذَا مَسَّهُمُ الضَّرُّ فإِيَّاهُ يَدْعُونَ وإِلَيْهِ يَجْأَرُونَ ؛ فعند ذلك أَجْتَمَعَ رأيهم على أن يَأْوُوا إلى الكهف ، وأن يَعتَرِلُوا قومهم

وما يعبدون من دون الله ، فعندها قالوا : ﴿ رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ قال : فلما أعتزلوهم وما يعبدون من دون الله آوؤا إلى الكهف رجاء أن ينشرهم ربهم من رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مرفقا . قال : وأرادوا أن يكونوا في عزلة من قومهم وشركهم حتى يفرق لهم رأيهم ، فالتقى الله عليهم السببات .

قال : وهم من مدينة من مدائن الروم يقال لها أفسوس ^(١) ، ومليك الروم يومئذ دقيوس ، ويقال - والله أعلم - إن عدتهم سبعة ، كان عبد الله بن عباس يسميهم بأسمائهم ويقول : ما يعلمهم إلا قليل وأنا من أولئك القليل ، منهم مرطالوس ، ونونوس ، ودانيوس ، وسراقيون ، واسطارالوس ، ومكسليميس ، وتمليخا ، وهو الذي بعثوه يوزقهم إلى المدينة ليرتاد لهم . هذا قول ابن عباس ، قال : وكانوا قوما يطلبون الصيد لما مسهم من الضر والحاجة ليس لهم كبير معيشة غيره ، فقالوا قولهم هذا ونظروا ما نظروا ، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه كهفهم يطلبون الصيد ومعهم كلابهم وبزائهم وقسيهم وتبليهم . فلما أجمع رأيهم أن يآوؤا إلى الكهف ليأتمروا فيه ، هل يقيمون مع قومهم على شركهم ، أم يفارقونهم فينتجعون ناحية من الأرض يحلّون فيها ويوحّدون فيها ربهم . فبينما هم على ذلك ألقى الله عليهم السببات وأخفى على جميع خلقه مكانهم ، وصرف عنهم الأبصار والعقول ، فليس يبصرهم أحد ولا يقطن بمكانهم ، فليثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسما ، حتى انقرضت الأئمة التي كانوا فيها والمليك الذي كان عليهم ، وظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وآمن به الناس وأتبعوا ملته ورفع الله إليه وذهب زمانه وزمان أهل ملته وهم في كهفهم .

(١) أفسوس : مدينة في جزيرة باسما في البحر الأبيض على مقربة من ساحل آسيا الصغرى .

قال : وقد كان عيسى بن مريم عليه السلام قبل أن يرفع الله يحدّث عنهم وعن إيمانهم وبصيرتهم ، وكيف تفكّروا في عظمة إلههم ، وكيف ألقي الله عليهم السّباب في كهفهم ، وكيف أخفى مكانهم عن الناس ، ولا ينبغي لأحد أن يهتدى إليهم ولا يعرف مكانهم ، وكان يخبر أن الله سيرد إليهم أرواحهم ويدلّ على كهفهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم إن أراد أن يعتبر بهم .

قال : فسرّد الله إليهم أرواحهم بعد أن لبثوا في كهفهم العدة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في القرآن ولزمهم كلّهم ، فلبث سنينهم كلّها ، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . والوصيد : فناء الكهف الذي فيه موضع الباب ، وكان الكلب من كلاب صيدهم ولم يطعم ولم يشرب ليجمعه الله آية من آياته .

قال : فلما ردّ الله عليهم أرواحهم ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالَ لَيْسَ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ وهم حينئذ يظنون أن قومهم أحياء ، وأنهم على ما يعمدون من حالهم وشركهم وعتق ملكهم ، فأنطق رجل منهم يقال له تملّخا ، وكان أشدهم وأنجدهم ، فتوجّه حتى إذا خالط ربض المدينة أنكره وأنكر ما وجد به من الناس والدوابّ والبنيان وغير ذلك ، ووجد الناس على حال لم يكن يعهدها وسنة لم يكن يعرفها ، ووجدهم يتناعون بوريق لا يشبه الورق الذي معه ، فتحيّر وأنكر وأقبل وأدبر ، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا عليه ، وظنوا أنه فُطِن به وقدر عليه . فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحية أخرى من نواحيها خفية فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الرّيض في كلّ شيء ، فلما شكّ وأرتاب والتبس عليه رأيه عمّد إلى مشيخة من أهل المدينة توسّم فيه الخير لينجس ويسمع قولهم ، فوجد معهم الإنجيل يقرءونه ، فسمع ما فيه من توحيد الله وعظمته وعذابه وسنته وشرائعه وحلاله وحرامه ، فعرف ذلك وأذعن إليه وأنصت بسمع حتى إذا

فَرَّغُوا مِنْ قِرَاءَتِهِمْ سَالَهُمْ عَنْ كِتَابِهِمْ فَقَالُوا : هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيَّةٌ . قَالَ : وَأَيْنَ عِيسَى ؟ قَالُوا : قَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ . قَالَ : وَكَمْ لَبِثَ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . قَالَ : وَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَتَيْتُمُوهُ وَأَدْرَكْتُمْ زَمَانَهُ ؟ قَالُوا : لَا ، كَانَ قَبْلَ أَنْ نُؤَلَّدَ ، وَوَجَدْنَا كِتَابَهُ فِي أَيْدِي آبَائِنَا . قَالَ : أَفَكُلُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ تُؤْمِنُ بِهَذَا النَّبِيِّ وَبِهَذَا الْكِتَابِ وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِلَّا مُسْتَحَقًّا بِذَنْبٍ أَوْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ . قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَلِكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ دَقْيُوسُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَكَمْ لَهُ مِنْذُ هَلَكَ ؟ قَالُوا : أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا . قَالَ : فَهَلْ بَقِيَ لَهُ عَقِبٌ ، أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ بِهِ ؟ قَالُوا : نَقْتُلُهُ أَوْ نَخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرْنَا .

فَلَمَّا آمَنَهُمْ وَأَطَاعَاتِ إِلَيْهِمْ وَرَأَى سَمْتَ الْإِسْلَامِ وَهَدْيَهُ عَلَيْهِمْ وَفَقَهُ اللَّهَ وَهَدَاهُ لِمَسَالَةِ سَالَهُمْ عَنْهَا . قَالَ : أَخْبِرُونِي ، هَلْ كَانَ نَبِيِّكُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَبِّرُكُمْ عَنْ سَبْعَةِ رَهْطٍ خَرَجُوا مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ فَرَارًا مِنْ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَتَّى آوَوْا إِلَى الْكَهْفِ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ فَاسْتَخَفُّوا فِيهَا . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذَا أَوْجَسُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ كَانَ يُخَبِّرُنَا عَنْهُمْ فَلَعَلَّكَ مِنْهُمْ فَلَمَّا تَنَكَّرَ حَالُكَ كُلَّهُ . قَالَ : فَهَلْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا بَلَّغَكُمْ سَمِيَّ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَسَمَّوْهُمْ لِي بِأَسْمَائِهِمْ ، فَسَمَّوْهُمْ حَتَّى إِذَا ذَكَرُوا أَسْمَهُ تَمْلِيخًا قَالَ : فَأَنَا تَمْلِيخًا وَأَنَا أَحَدُهُمْ ، نَخَرُّوا لَهُ سَجْدًا كَمَا صَنَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بِيُوسُفَ يَوْمَ دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمُ السُّجُودَ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ أَدْخَلُوهُمُ مَسْجِدَهُمْ وَعَظَمُوهُ وَوَقَرُوهُ وَأَكْرَمُوهُ وَرَفَعُوهُ وَجَمَعُوا لَهُ أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ وَقَرَاءَهُمْ وَفَقَّهَهُمْ ، فَتَبَرَّكُوا بِهِ ، وَجَعَلُوا لَهُ عِبَادًا

عظيما ، وأقام أياما بين أظهرهم ثم قال لهم : إن أصحابي الذين يحدثكم عنهم عيسى عليه السلام لا أراهم إلا وقد خافوا على وساء ظنهم وهم يظنون أن دقيوس حتى ؛ وأن الزمان زمانه ، وأن الدين دينه ، فانطلقوا بنا نعلمهم كيف أهلكه الله وقومه وطهر الأرض منهم ، وكيف استبدل الله به وباهل ملته أمة يوحدونه ويعرفونه ويهدون بالحق وبه يعدلون . فانطلقوا معه حتى آتوا إلى الكهف فوجدوا كلهم باسطا ذراعيه بالوصيد فقالوا حين رأوه : وهذا الكلب أيضا من علامتنا التي كان يحدثنا عنها عيسى عليه السلام ، وقد كان يحدث أن أصحاب الكهف لا ينظر إليهم أحد من خلق الله من يوم يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام إلا رجلا واحدا منهم ، وهو الذي يدل عليهم وعلى مكانهم ؛ وأنت هو ؛ فدخل على أصحابه فأخبرهم بما رأى وما لقي ، ثم كان آخر العهد بهم . قال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَتَيْنَاهُم لِيُعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ فَقَالُوا أَتَيْنَاهُمْ بَنِيَانًا رَبَّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ . قال : فبنوه حول الكهف وجعلوا الكهف في وسطه وكتبوا القصة على حيطانه .

- ١٥ قال وهب : فبلغني — والله أعلم — أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن نزول أنبي عيسى بن مريم عليه السلام علم للساعة ، وإن الله ينشرهم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنه يخرج في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف لأنهم لم يموتوا ، ثم تقبل ريح صفراء يمانية ، ألين من الحرير ، وريحها ريح المسك فتقبض روح عيسى عليه السلام وأرواح من معه . انتهى خبر أصحاب الكهف ، فلنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار ملوك الروم .

٢٠

قال : ثم ملك بعد دقيوس جالش . فكانت مدة ملكه ثلاث سنين . ثم ملك بعده قليطانس . فكانت مدة ملكه عشر سنين ، ثم كانت بعده ملوك الروم المتنصرة .

ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة

وهم ملوك القسطنطينية

قال المسعودي: ^(١) لما هلك قليطانس ملك بعده قسطنطين رومية ، وهو أول من انتقل من ملوك الروم عن رومية إلى بيزنطيا ، وهي القسطنطينية ، فبناها هذا الملك وسماها بهذا الاسم . قال : وكان نروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لست خلت من ملكه ، وذلك أن أمه هالانا خرجت إلى أرض الشام وبنت الكنائس وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها ، فلما ظفرت بها حلتها بالذهب والفضة وأخذت يوم وجودها عيدا ، وهو عيد الصليب ، لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول . وهي التي أبنت كنيسة حمص على أربعة أركان ، وأستخرجت الدفائن بمصر والشام ، وصرفت ذلك في بناء الكنائس وتشيد دين النصرانية ، فكل كنيسة بالشام ومصر من بناء هذه الملكة هالانا .

قال : ^(٢) ولسبع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين أجمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا بمدينة نيقية بأرض الروم فأقاموا دين النصرانية . وهذا الاجتماع أول

(١) (راجع ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق) .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق) ، وفي نسخة أرب «هلاى» .

وهو تحريف .

(٣) قال ابن الهروي : مدينة نيقية من أعمال أصطنبول على البر الشرق وهي المدينة التي أجمع بها آباء الملة المسيحية ، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر أباً يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا الجمع : وهو أول المجمع لهذه الملة وبه أظهروا الأمانة التي هي أمل دينهم وصورة كراسيم هذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم ، وفي الطريق من هذه المدينة إلى بلاد الروم الشمالية قبر أبي محمد البطال على رأس تل عال في حد تخوم البلاد (راجع معجم البلدان لياقوت في كلامه على نيقية) .

الاجتماعات الستة التي تذكرها الروم في كلامهم وتسميها القوانين ، ومعنى هذه الاجتماعات السنودسات وأحدها سنودس . فالأول بديقة وكان الاجتماع فيه على أرنوس ، وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية . والسنودس الثاني بقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلا . والثالث بأقبيس وعدة من آتجمع فيه من الأساقفة مائة رجل . والرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا . والخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا . والسادس كان في [ملكة ^(٢)] المدن ، وعدتهم مائتان وثمانون رجلا .

قال : وكان السبب في دخول قسطنطين في دين النصرانية أنه خرج في بعض حروب أبرجان أو غيرهم من الأمم ، فكانت الحرب بينهم سجلا نحو من سنة ، ثم كانت عليه في بعض الأيام فقتل من أصحابه خلق كثير وخاف البوار فرأى في نومه ١٠ كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذب وأعلام على رأسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب ، وقيل له : خذ هذه الرماح وقا تل بها عدوك تنصر ، فجعل يحارب في النوم فرأى عدوه قد أنهزم : فاستيقظ من نومه ودعا بالرماح وركب عليها الصلبان مثل ما رأى ، ورفعها في عسكره وزحف إلى عدوه فكسروهم وأخذهم السيف ، فرجع إلى مدينة نيقية وسأل عن تلك الصلبان ١٥ وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والتحل ؟ فقيل له : إن بيت المقدس من أرض الشام يجمع هذا المذهب ، وأخبروه بما فعله من قبله من الملوك من قتل .

(١) هكذا في مروج الذهب للسعودي ، وفي نسخة ١ ، ب « مجلقورية » .

(٢) التكمة من مروج الذهب للسعودي .

(٣) هكذا في مروج الذهب . وفي الأصول : « فارى » .

(٤) عذب : جمع عذبة ، وعذبة الرمح نقرة تشد على رأسه .

النصارى ، فبعث إلى الشام وبيت المقدس وحشر له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فأتوه بتيقن فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية ؛ فهذا هو السنودس الأول .

وقيل : إن أمه كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا . وكان

ملكه إلى أن هلك إحدى وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وعشرين .

ثم ملك بعده قسطنطين بن قسطنطين . فكانت مدة ملكه أربعين سنة . وأبنتى كائس كثيرة وشيد دين النصرانية .

ثم ملك بعده ابن عمه بوليانس المعروف بالحنيى ويسمى الرباط . قال : ولما ملك رجع عن دين النصرانية وغير رسومها وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير فأتاه سهم غريب فذبحه . ولما هلك جزع من كان معه من الملوك والبطارقة ففزعوا إلى بطريق كان معظما عندهم يقال له يونياس ، وقيل : إنه كان كاتباً للملك الماضى ، فأبى عليهم إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابوه إلى ذلك فلك طيهم يونياس المذكور .

قال : ولما ملك كان له مراسلات مع سابور ومهادنة واجتماع ، ثم أنصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما أتلّف الملك الماضى من أرضه بأموال حملها إليه وهدايا من أطاف الروم ، وشيد النصرانية وأعاد معالمها ، ومنع من عبادة الأصنام والتماثيل ، وقتل من كان على عبادتها . فكان ملكه سنة .

(١) كذا في مروج الذهب للعمودي ، وفي نسخة أ « بقرياس » وفي نسخة ب « لقيانس » .

(٢) سهم غرب ، بالإضافة وعلى الوصف ، : أى لا يدري رايه .

(٣) في مروج الذهب للعمودي : « مريانس » .

ثم ملك بعده أوالس قال : ولما ملك كان على دين النصرانية ثم رجع عنه ،
وهلك في بعض حروبه ، فكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة . وقيل :
إن في أيامه استيقظ أهل الكهف .

ثم ملك بعده غراطيانس ^(١١) . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، واسنة من
ملكه كان آجتماع النصرانية ، وهو آخر الاجتماعات ، فآتموا القول في روح القدس ،
وهو السنودس الثاني .

ثم ملك بعده بدرسيس الأكبر ، وتفسير هذا الاسم عطية الله . قال :
ولما ملك قام بدين النصرانية وعظم أمرها وآبنتى الكنائس ، ولم يكن من
أهل بيت المقدس ولا من الروم ؛ بل كان أصله من الأشبان ، وهم بعض الأمم
السالفة . قال : وقد كانت ممن ملكت الشام ومصر والمغرب والأندلس . وقد
تنازع الناس فيهم ، فذكر الواقدي في كتاب فتوح الأمصار أن بدءهم من أهل
أصبهان ، وأنهم ناقلة من هنالك ، وهذا يُوجب أنهم من قبل ملوك فارس .
قال : وذكر عبيد الله بن خرداذبة نحو ذلك ، وساعدهما على ذلك جماعة من
أهل السير والأخبار .

قال المسعودي : والأشهر من أمرهم أنهم من ولد يافث بن نوح ، وهم
الذارقة ملوك الأندلس واحدهم لذريق ، وقد تُنوزع في دياناتهم ، فمنهم من رأى
أنهم على دين المجوس ، ومنهم من رأى أنهم على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة
الأصنام . قال : وكان ملك بدرسيس الى أن هلك تسع عشرة سنة .
ثم ملك بعده أوقاديس ^(٢) . فكان ملكه أربع عشرة سنة [وكان] ^(٣) على دين النصرانية .

٨٥
١٣

(١) في مروج الذهب : (ج ١ ص ١٥٥ طبع بلاق) : « غراطيانس » .

(٢) في مروج الذهب : (أوباديس) . (٣) التكلة من مروج الذهب .

ثم ملك بعده بدرسيس الأصغر ، وذلك بمدينة أنسس ، وجمع مائتي أسقف وهو الاجتماع الثالث من الأسنودسات ، ولعن فيه نسطورس البطرك ، وإليه تنسب النسطورية من النصارى . وكان ملك هذا الملك إلى أن هلك اثنتين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده مرقياقس وزوجته بلجاريًا . فكانت ملكة معه . وكان ملكهما سبع سنين ، وفي أيامهما كان خبر اليعاقبة ووقوع الخلاف بينهم في الثالث . قال : وأكثر اليعاقبة من النصارى بالعراق وتكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا اليسير فإنهم ملكية ، والنسوبة والأرمن يعاقبة ، ومطران اليعاقبة بين الموصل وبغداد وتكريت ، وكان لهم بالقرب من رأس عين واحد فمات ، وانتقل مطرانها إلى بلاد حلب وقنيسرين والعواصم .

قال المسعودي : وكسى اليعاقبة [رسمه ^(١)] أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كرسي بمصر .

ثم ملكا بعدهما ليون الأصغر بن ليون . فكان ملكه ست عشرة سنة ، وفي أيامه أحرم مسعدة اليعقوبى بطرك الإسكندرية ، واجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفا . وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعة ستمائة وستون رجلا ، وذلك بخلقدونية ، وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية . واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس .

(١) في مروج الذهب : (مرقيانوس) .

(٢) رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر ، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا ، وقرب من ذلك بينها وبين حران وهي إلى ديسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) الكلمة من مروج الذهب للمسعودي .

(٤) كذا في مروج الذهب ، وفي الأصول (أخرج لنفسه ...) وهو تحريف .

قال : واليعاقبة أضيفت الى يعقوب البرذعي وبه عرفت ، وكان من أهل
أنطاكية ، وكان يعمل البراذع بها .

ثم ملك بعده ابن له على دين الملكية . فكانت مدة ملكه الى أن هلك سنة .

ثم ملك بعده يير وهو من بلاد الأرمنان ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكان

يميل الى رأى اليعاقبة ، وكان له حروب مع خوارج خرجوا عليه في دار ملكه
فقتلهم .

ثم ملك بعده نسطاس ، وكان يذهب الى مذهب اليعاقبة ، وهو الذي بنى مدينة

عمورية ، وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة . وكان ملكه تسعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده نوسطيانس تسع سنين .

ثم ملك بعده سطيانس . فكان ملكه تسعا وثلاثين سنة ، وبني كنائس كثيرة ،

وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية ، وبني كنيسة الرها . وهي إحدى

عجائب مباني العالم .

قال : وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعظمه أهل دين النصرانية ، وهو

أن اليسوع الناصري حين أخرج من ماء المعمودية نُسِفَ به ، فلم يزل هذا المنديل

يُتداول الى أن قُتِرَ على كنيسة الرها ، فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا

الرها في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة أعطى هذا المنديل للروم فوُقت الهدنة عليه ،

وفرِح الروم به فرحا عظيما .

ولما هلك هذا الملك ملك بعده قوسطيس وهو ابن أخيه ، وكان ملكه الى

أن هلك ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده طباريس . فكان ملكه أربع سنين ، وأظهر في مدة ملكه أنواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .

ثم ملك بعده مورقيس ، وقيل فيه موريقس . فكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وهو الذي نصر كسرى أبرويز على بهرام جويين على ما قدمناه ، ثم قُتل وانتصر أبرويز لولده وبعث بجيوش الفرس ، وكانت له حروب ذكرناها .

ثم ملك بعده قرقاس . فكان ملكه الى أن قُتل أيضا ثمانى سنين .

ثم ملك بعده هرقل وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك . قال : ولما ملك عمر بيت المقدس وذلك بعد أن كشف الفرس عن الشام ، وبني الكائس . ولسبع سنين خلت من ملكه كانت هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦
٣

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام

قال المسعودي : وجدت في كتب التواريخ تنازعا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصر من كان من ملوك الروم ؛ فمنهم من ذهب الى ما قدمناه ، ومنهم من رأى أن مولده صلى الله عليه وسلم كان في ملك نوسطينوس . وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده نوسطينوس الثاني ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك بعده هرقل بن نوسطينوس ، وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم المرقية . وكان ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده أبنة مورك بن هرقل ، وهو الذي كتب الرِّبَاجات في النجوم ، وعليه يعمل أهل الحساب . وفي تواريخ ملوك الروم فيمن سلف وخلف أن الملك

للموم كان في وقت ظهور الإسلام وخلافة أبي بكر وعمر هِرَقْلُ . وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب تواريخ أهل السَّير . وفي تواريخ أصحاب السَّير أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن فوق .

ثم ملك بعده قيصر بن قيصر ، وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ثم ملك بعده هرقل بن قيصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي حاربه أمراء الإسلام الذين فتحوا الشام على ما ذكره إن شاء الله تعالى في خلافة عمر رضي الله عنه .

ثم ملك بعده مورك بن هِرَقْل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم ملك بعده فوق بن مورك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام

معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده فللقط^(١) بن مورك بقية أيام معاوية بن أبي سفيان ، وكانت بينهما مراسلات ومُهادنات ، وكان مُلكه في آخر أيام معاوية وأيام يزيد أبنه ومعاوية ابن يزيد ومروان بن الحكم وصَدْرًا من أيام أبنه عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده لاوي بن فللقط في بقية أيام عبد الملك بن مروان .^(٢)

ثم ملك بعده جيرون بن لاوي في أيام الوليد بن عبد الملك وسليان بن عبد الملك أخيه وعمر بن عبد العزيز ، ثم اضطرب مُلك الروم لما كان من أمر مسَلَمَة بن عبد الملك بن مروان وغزوه المسلمين لهم في البر والبحر ، فَلَكَوا عليهم رجال من غير

(١) في مروج الذهب : (فللقط) بالقاف .

(٢) في مروج الذهب : (لاون) .

أهل بيت المُلك من أهل مَرَعَش ^(١) يقال له جرجس ^(٢) . فكان مُلكه تسع عشرة سنة . ولم يزل مُلك الروم في اضطراب الى أن مَلَكَ عليهم قسطنطين بن اليون ، وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور .

ثم ملك بعده اليون بن قُسطنطين ، وكانت أمه أُرسي ملكة معه ومشاركة له في المُلك لصغر سنه . وملك في أيام المهدي والهادي .

ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون بن قسطنطين ، وكانت أمه مشاركة له وشملت عيناها بعد موته .

ثم ملك بعده تقفور بن استبراق ، وكان لهذا الملك مراسلات وحروب مع الرشيد ، وغزاه الرشيد فأعطى القُود من نفسه من بعد بُغْي كان منه في بعض مراسلاته ، فأنصرف الرشيد عنه ثم غدر ونَقَضَ ما كان أعطاه من الانقياد ، فكنم الرشيد أمره لعارض علة كان وَجَدَهَا بِالرَّقَّة ^(٣) ، ثم تجهز وغزاه فنزل على هِرَقلة ^(٤) ، وذلك في سنة سبعين ومائة ، فحاصرها سبعة عشر يوما فأصيب خلق من المسلمين وفيت الأزواد والعلوفات ، ثم فتحها عتوة . وقيل : إنهم بادروا لها ففتحها بطلب الأمان فأمنوا . والأشهر أنه فتحها عتوة .

ثم ملك بعده استبراق بن تقفور بن استبراق . وكان مُلكه في أيام الأمين ، ولم يزل ملكا حتى غلب على المُلك قسطنطين بن فلقط ، وكان مُلكه في خلافة المأمون .

(١) مرعش : بلدة من الشام . (٢) في مروج الذهب : « جرجيس » .

(٣) الرقة : مدينة على الفرات من ديار مصر ، ويقال لها : « الرافقة » .

(٤) هرقله : هي في شرق نهر يزل من جبل العالاي الى آخر سنوب ، وهي عليه في قرب البحر ، وفي شرقها جبل الكهف عند الروم .

ثم ملك بعده توفيل وذلك في خلافة المعتمد ، وهو الذي فتح زبطرة وغزاه^(١)
المعتمد بعد فتح عمورية .

ثم ملك بعده ميخائيل بن توفيل ، وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمتنصر
والمستعين ، ثم كان بين الروم تنازع في الملك ، فذكوا عليهم توفيل بن ميخائيل
ابن توفيل .

ثم غلب على الملك بسيل الصقائي ولم يكن من أهل بيت الملك . وكان ملكه^(٢)
في أيام المعتز والمهتدي وبعض أيام المعتمد .

٨٧
١٣

ثم ملك بعده اليون بن بسيل . فكان ملكه بقية أيام المعتمد وصّدرًا من أيام
المعتضد إلى أن هلك .

ثم ملك بعده الإسكندروس فلم تحم الروم أمره فخلعوه .
وملكوا عليهم أخاه لاوى بن اليون بن بسيل الصقائي . فكان ملكه بقية أيام
المعتضد وأيام المكتفي وصّدرًا من أيام المقتدر .

(١) زبطرة : ضبطها ياقوت بكسر الزاي ، وضبطها صاحب تقويم البلدان بفتحها وفتح الباء . ويكون
الطاء . قال ابن حوقل : وأما زبطرة فإنها حصن من أقرب الثغور إلى بلد الروم ، تحربها الروم .
وقال صاحب تقويم البلدان : وزبطرة اليوم خراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رسم
سورها وليس بالكثير ، وهي في أرض مستوية والجبال تحيط بها والشجرة من جميع جهاتها على القرب منها
وهي في الجنوب عن مطبة على نحو مرحلتين ، وهي في جهة القرب عن حصن منصور على مرحلتين أيضا
وبينها وبين حصن منصور الجبل والدرند ، ولقد اجتزت بها في عام فتحنا مطبة في المحرم سنة خمس عشرة
وسبعمائة وكان في شهر نيسان واصطدنا من أرض زبطرة بين شجر البسلوط صيدا كثيرة وهي أرائب
كبار إلى الغاية لا يوجد في الشام أرائب تقاربها في القدر . (راجع تقويم البلدان ص ٢٣٤ طبع أوروبا) .

٢٠

(٢) كذا في الطبري (ص ١٨٥٨ ، ١٨٥٩) من القسم الثالث طبع أوروبا) ومروج الذهب للسعودي .
وفي الأصول : « الصقل » .

ثم هلك وخلف ولداً صغيراً يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك
أرمينوس بطريق البحر صاحب حربته . قال : فزوج قسطنطين الصبي بأخته ،
وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والرازي والمتقي ، وذلك في سنة اثنين
وثلاثين وثلثمائة .

قال المسعودي : فملوك الروم في هذا الوقت ثلاثة ، فالأكبر منهم والمدير
للأموار أرمينوس المتغلب على الملك ، ثم قسطنطين بن لاوى بن اليون بن بسيل ،
والثالث ابن لأرمينوس يُحاطب بالملك اسمه اسطفانس وجعل أرمينوس أبنائه آخرين
صاحب الكرسي بالقيسطنطينية ، وهو البطريك الأكبر الذي يأخذون عنه دينهم ،
وقد كان خصاه قبل ذلك أبوه وقربه إلى الكنيسة . وهذا آخر من ذكره المسعودي
من ملوك الروم ولم نجد من ضبط أمرهم بعده على آتساق فنذكره .

قال : فعلة ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين بن هلاى الذى أظهر دين
النصرانية بالروم إلى هذا الوقت أخذ وأربعون ملكاً ، ولم يعد [ابن] أرمينوس
وسنهم خمسمائة سنة وسبع سنين .

وقال في ملوك رومية : والذي وجدت في أكثر كتب التواريخ مما اتفقوا
عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية ، وهم الذين ذكرهم في كتابه
وذكرناهم نحن في كتابنا هذا ، تسعة وأربعون ملكاً ، وجميع عدد سنى ملكهم ، من أول
من ملكهم على حسب ما ذكرناه من الخلاف في صدر هذا الفصل إلى قسطنطين
ابن هلاى ، أربعمائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة أيام . والله أعلم .

(١) التكلة من المسعودي .

(٢) في المسعودي : (اثنا وأربعون) .

ذكر أخبار ملوك الصقالية والنوكبرد

قال المسعودي : الصقالية من ولد ماراي بن يافث بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالية وبه يُلْحَقُونَ في أنسابهم . ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية الباقية ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة . وهم أجناس : فمنهم جنس كان المُلْكُ فيهم قديماً في صدر الزمان ، وكان ملكهم يدعى ماجك ، وهذا الجنس يدعى لبنا ، وكان يتلو هذا الجنس قديماً في صدر الزمان سائر أجناس الصقالية وهم اصطبرانة ، وملكهم يدعى بصقلاخ . وجنس يقال له ناجين ، وملكهم يدعى عرابة ، وهذا الجنس أشجع الصقالية ، وجنس يدعى مناي ، وملكهم رتبيل ، ثم جنس يقال له سرتين ، وهو جنس مهيب عندهم ، ثم جنس يقال له مراوة ، ثم جروانيق وصاصين وخشانيين وزانجاين .

قال : والجنس الذي يدعى سرتين يحرقون أنفسهم بالنار ، وإذا مات لهم ملك أورئيس يحرقونه ويحرقون دوابه ، ولهم أفعال كأفعال الهند .

قال : ومن الصقالية جنس ألحق بالخزر والروس . قال : والأول من ملوك الصقالية ملك الدير ، وله مدن واسعة وعمائر كثيرة ، وهو يحارب الروم والفرنج والنوكبرد وغيرهم من الأمم ، والحرب بينهم سجال : ثم يلي هذا الملك من بلاد الصقالية ملوك الترك . قال : والصقالية أجناس كثيرة ، ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وملك كل جنس منهم عليهم ملكاً . هذا ما أورده المسعودي من أخبار الصقالية . والله أعلم .

(١) في المسعودي : (ج ٢ ص ٦٢ طبع أوربا) « وليانا » .

(٢) في المسعودي طبع أوربا : « عزة » .

(٣) في المسعودي : « مناب » .

وأما التوكبرد فقال المسعودي: فيهم: منهم أيضا من ولد يافت وبلادهم متصلة ببلاد المغرب، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس. وهم ذو بأس شديد ومنعة، ولهم مدن كثيرة ويجمعهم بلد واحد.

قال: وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار أريكس، والمدينة العظمى من مدنها ودار مملكتهم تبت^(١) وهي مدينة عظيمة يخترقها نهر عظيم من أعظم الأنهار اسمه سابيط والمدينة على جانبيه.

قال: ومن مدنها التي كان المسلمون ببلاد الأندلس قد غلبوهم عليها وسلبوها منهم وسكنوها ثم استعادها التوكبرد بعد ذلك من المسلمين مدينة تارة ومدينة طارينو ومدينة سيرنية، ولم يذكر من أمرهم خلاف ذلك فنذكره.

ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالقة

قال المسعودي: لا خلاف أن الإفرنجية والجلالقة والصقالية والتوكبرد والأسبان والترك والخزر وبرجان واللان وياجوج وماجوج وغير من ذكرنا ممن سكن بلاد الشمال من ولد يافت بن نوح.

قال: والإفرنجية أشد هؤلاء الأجناس بأسا، وأمنعهم وأكثرهم عتة، وأوسعهم ملكا، وأحسنهم نظاما، وأتقيادا للملوكهم، وأكثرهم طاعة.

قال: والجلالقة أشد من الإفرنجية وأعظم منهم نكابة. والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عتة من الإفرنجية. ثم قال: وكلمة الإفرنجية متفقة على ملك واحد.

(١) كذا في المسعودي (ج ١ ص ١٩٧ طبع بلاق) ووردت في الأصول هكذا: «تبت».

(٢) راجع (ج ١ ص ١٩٦ طبع بلاق).

لا تنازع بينهم في ذلك ، ومُدهم تريد على مائة وخمسين مدينة غير الكُور .
وكانت أوائل بلادهم قبل ظهور الإسلام في البحر في جزيرة رودس وجزيرة
إقريطش ، ثم ملكوا بلاد الغرب وأستولوا عليها .

قال : وأول ملوك الإفرنجية قلوبا وكان مجوسياً فنصرته أسرته عرضة .^(١)

ثم ملك بعده ابنه لذريق .

ثم ملك بعده ابنه دفسوت .^(٢)

ثم ملك بعده ابنه قادله .

ثم ملك بعده ابنه بديق .

ثم ملك بعده قادله . وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وذلك في أيام الحكم

صاحب الأندلس ، وتبداع أولاده بعده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت
الإفرنجية بسببهم .

وسار لذريق بن قادله فلك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر ، وهو الذي

أقبل إلى طرطوشة فحاصرها .

ثم ملك بعده قادله بن لذريق تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر .

ثم ملك بعده ابنه لذريق ستة أعوام ، ثم خرج عليه قائد للإفرنجية يسمى يوسـة

فلك الإفرنجية وأقام في الملك ثمانى سنين . وهو الذي صالح المجوس على بلده سبع

سنين بستائة رطل ذهبا وستائة رطل فضة يؤذيها صاحب الإفرنجية إليهم .

(١) في المسعودى طبع أوربا : « قلوبية » .

(٢) في المسعودى طبع أوربا : « دقشرت » .

ثم ولى بعده قادله وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .
 ثم ولى بعده لذريق بن قادله واستمر في الملك إلى سنة ست وثلاثين وثلثمائة .
 هذا ما أورده المسعودي من أخبارهم في كتابه المترجم بمروج الذهب^(١)
 ومعادن الجواهر .

ثم أتسمعت بعد ذلك ممالكهم وأنبسطت أيديهم وأستولوا على أكثر بلاد
 الغرب وغيرها .

ذكر طوائف السودان وشيء من أخبارهم ونسبهم
 قال المسعودي : لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان
 نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر . ثم أفترقوا فسارت طائفة منهم مقيمين المشرق ،
 وهم التوبة والحبشة والزنج . وسار فريق منهم نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة :
 الزغاوة والكانم ومرنك وكوكو والحلي^(٢) وغانة وغير ذلك من أنواع الأحابش والدامم ،
 ثم أفترق الذين يسموا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكين والمسكون ودبرا^(٣)
 وغيرهم من أنواع الزنج .

قال : ومن مدنها بربرا وهي مدينة على خليج من البحر الحبشي يسمى الخليج
 البربري ، طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل .

(١) الذي في مروج الذهب للمسعودي يخالف ما هنا في بعض المواضع فراجع .
 (٢) كذا في المسعودي (طبع أوربا) وفيه (طبع بلاق) « الفافو » وفي الأصول « القافو » .
 (٣) كذا في المسعودي (طبع بلاق) وفي الأصول « اكي » .
 (٤) كذا بالأصل ، والذي في مروج الذهب (طبع أوربا) « المكير والمشكر » ، وفيه (طبع بلاق)
 « المكين والمسكون وبربرا » .

قال : وليست هذه برّراً هي التي تُنسب إليها البرابرة الذين بالمغرب من أرض
انريقية . قال : ولباس هؤلاء الزنج جلود النمورة ، وهي جلود كبيرة تُحمل من أرضهم
الى بلاد الإسلام . قال : وأقاصى بلاد الزنج بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق ،
وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب والخصب ، حارة . وأتخذ بها الزنج دار مملكة
وملكوا عليهم ملكاً اسمه « وقليبي » وهي نسبة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار .

قال : ويركب وقليبي وهو ملك من ملوك الزنج في ثلثمائة ألف راكب ،
ودوابهم البقر ، وليس في أرضهم خيل ولا بقال ولا إبل ولا يعرفونها ، وإنما
يركبون البقر بالسروج والنجم ، ويقاتلون عليها وهي تعدو بهم كالخيل .

٨٩
١٣

قال المسعودي : رأيت بالري نوعاً من هذه البقر تبرك كما تبرك الحمل
وتحمل وتثور بأحبالها ، وتحمل عليها المينة من الخيل والإبل وغيرها فتنهض بحملها .
والغالب على هذا النوع من البقر حُمرة الحدق وسائر البقر تنفر منها . قال : ولا يقع
البرد في بلاد الزنج . قال : ومنهم ناسٌ مُحَدِّدو الأسنان يأكل بعضهم بعضاً . قال :
ومساكن الزنج من حد الخليج المشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ،
ومقدار مسافة مساكنهم واتصالها في الطول والعرض سبعمائة فرسخ : برّ وأودية
وجبال ورّمال .

قال المسعودي : ومعنى تسمية ملك الزنج « وقليبي » أي ابن الرب الكبير ؛
لأنه اختارهم للملكهم والعدل فيهم ، فتي جار الملك عليهم في حكمه أو حاد عن الحق قتلوه
وحرموا عقبه الملك . وزعموا أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي
هو ملك السماء والأرض ، ويسمونه الخالق عز وجل (مكليجو) وتفسيره
الرب الكبير .

قال: وَالزَّيْجُ أُولُو فَصَاحَةٍ فِي أَسْتَمْتِهِمْ وَفِيهِمْ خُطْبَاءٌ بَلَّغْتَهُمْ؛ يَقِفُ الرَّجُلُ الزَّاهِدُ مِنْهُمْ فَيَخْطُبُ عَلَى الْخَلْقِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَرْغَبُهُمْ فِي الْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَتَعَنَّهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيُرْهِبُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ، وَيَذَكِّرُهُمْ مَن سَلَفَ مِنْ مُلُوكِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ شَرِيعَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا بَلْ رِسُومٌ لِلْمُلُوكِهِمْ، وَأَنْوَاعٌ مِنَ السِّيَاسَاتِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا وَيَسُوسُونَ بِهَا رَعِيَّتَهُمْ، وَأَكْثَرُ أَكْثَرِهِمُ الْمَوْزُ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِلَدِهِمْ، وَغَالِبُ أَقْوَاتِهِمُ الذَّرَّةُ وَنَبَتٌ يُقَالُ لَهُ الْكَلَارَى يُقْتَلَعُ مِنَ الْأَرْضِ كَالْكَاةِ وَالرَّاسِنِ، وَيَأْكُلُونَ الْعَسَلَ وَاللَّحْمَ.

قال: وَمَنْ هَوَى مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ نَبَاتٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ جَمَادٍ عَبْدَهُ، وَجَزَائِرُهُمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً وَفِيهَا النَّارُ جِيلٌ.

وَأَمَّا النُّوبَةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا فَأَقْتَرَقَتْ فَرْقَتَيْنِ فِي شَرْقِ النِّيلِ وَغَرْبِيَّهِ وَأَنَاخَتْ عَلَى شَطِئِهِ وَأَتَّصَلَتْ دِيَارُهَا بِدِيَارِ مِصْرَ، وَأَنْتَسَمَتْ مَسَاكِنُهَا عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ مُصْعَدَةً. وَمَدِينَتُهُمْ دُنُقُلُهُ. وَالْفَرِيقُ الْآخَرُ مِنَ النُّوبَةِ يُقَالُ لَهُ غُلُوةٌ وَيَتَزَلُّ مَدِينَةُ الْمَلِكِ وَأَسْمَاهَا سُرْتَةُ.

وَأَمَّا الْبُجَّةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا فَلِأَنَّهَا نَزَلَتْ بَيْنَ بَحْرِ الْقُلْزُومِ وَنِيلِ مِصْرَ وَتَشَعَّبُوا فِرْقًا وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مُلُوكًا، وَفِي أَرْضِهِمْ مَعَادِنُ الذَّهَبِ. قَالَ: وَأَنْضَافٌ إِلَى الْبُجَّةِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ رُبْعَةِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدَنَ بْنِ عَدْنَانَ وَتَزَوَّجُوا مِنَ الْبُجَّةِ.

وَأَمَّا الْحَبَشَةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا فَإِنَّ دَارَ مُلْكِهِمْ كَثِيرٌ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ دَارُ مَمْلَكَةِ النَّجَاشِيِّ. وَلِلْحَبَشَةِ مَدُنٌ كَثِيرَةٌ وَعِمَارَتُهَا وَاسِعَةٌ، وَيَتَّصِلُ مُلْكُ النَّجَاشِيِّ بِالْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ، وَلَهُ سَاحِلٌ فِيهِ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ، وَهُوَ مُقَابِلُ لِبْلَادِ الْيَمَنِ. فَمِنْ مَدُنِ الْحَبَشَةِ

(١) فِي الْمَسْمُودِي: «وَيُشَبِّهُ هَذَا الْكَلَارَى الْفُلْكَاسَ الَّذِي يَكُونُ بِالشَّامِ وَمِصْرَ».

على الساحل : الزَيْلَعُ والدَّهْلَكُ ونَاصِعٌ ، وفي هذه المَدُن جماعةٌ من المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة .

قال : وبين ساحل الحبشة ومدينة غَلَّاقَة ، وهي ساحل زبيد من أرض اليمن ، ثلاثة أيام عرض البحر . قال : ومنه عَبَرَت الحبشة الى اليمن حين ملكته في أيام ذى نُوَاس ، وهذا الموضع هو أَقَلُّ هذا البحر عرضاً .

قال : وهنالك جزائر بين الساحلين منها : جزيرة العقل فيها ماء يُشْرَب فيفعل في القرائح والذكاء فعلاً جميلاً ، وبها جزيرة أسقطرة . وأما غير هؤلاء من الحبشة فمنهم من أَمْعَن في المغرب مثل : الزَّغَاوَة والكَوَكُو والفراقرة ومديدة ومريس والمبرس والملائنة والقوماطين ودُوَيْلَة والقرمة . قال : ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف وغيرهم ملكٌ يرجعون اليه .

الباب الرابع

من القسم الرابع من الفرق الخامس

في أخبار ملوك العرب ويتصل بهذا الباب خبر سبل العرم

ذكر أخبار ملوك حِطَّان

قال المؤرخون : لم يكن للعرب مُلْكٌ حَقِيقٌ ، وإنما كان من مَلَكٍ حِمِيرٍ في بلاد اليمن سُمِّيَ مَلِكًا ، وقد كانوا في بعض الأوقات يخرجون من بلادهم وَيَسِيرُونَ في الأرض حَتَّى بَلَّغُوا أَقْصَى الْمَغْرِبِ ، وَبَلَّغُوا مِنْ حُدُودِ الْمَشْرِقِ سَمَرْقَنْدَ ، وَبَلَّغُوا بَابَ الْأَبْوَابِ ، وَدَخَلُوا بِلَادَ الْهِنْدِ وَلَمْ يَسْتَقَرُّوا فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ ، فَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ مَلَكًا ، وَإِنَّمَا هُوَ غَارَةٌ .

فَأَوَّلُ مُلُوكِ حِطَّانَ عَبْدُ شَمْسٍ ، وَهُوَ سَبَأُ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ حِطَّانَ ابْنِ عَابِرِ بْنِ شَائِخِ بْنِ أَرْغَشْدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ سَبَأً لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ بِلَادَ الْيَمَنِ السَّيِّئَ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ دُونَ فِي كِتَابِهِ الْمُرْجَمُ بِكَلِمَةِ الزَّهَرِ وَصَدْفَةِ الدَّرِّ : إِنَّ عَبْدَ شَمْسٍ هَذَا مُلْكٌ أَرْبَعَاثَةَ سَنَةٍ وَأَرْبَعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً . قَالَ : وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَوَّلِ مَنْ مُلْكَ مِنْهُمْ ، فَقِيلَ يَعْرُبُ بْنُ حِطَّانَ . قَالَ : وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ : أَيْتُ اللَّعْنِ ، وَأَنْعِمَ صَبَاحًا . وَالْأَشْهُرُ أَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ سَبَأُ هُوَ أَوَّلُ مُلُوكِهِمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ مُلْكُ بَعْدَهُ أَبْنَةُ حِمِيرِ بْنِ سَبَأَ ، قَالَ : وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ فِي وَقْتِهِ ، وَأَفْرَسَهُمْ وَأَجْلَهُمْ . وَقِيلَ : إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ حِمِيرًا لِكَثْرَةِ لِبَاسِهِ الْأَحْمَرِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ يَلْقَبُ

بالعَرَجَج ، وهو أول من وضع تاج الذهب على رأسه من ملوك اليمن . وكان مُلكه خمسين سنة ، وذلك في عصر قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

ثم ملك بعده أخوه كهَلان بن سبا . فكان مُلكه إلى أن هلك ثلثمائة سنة .

وآختلف فيمن ملك بعده ، فقيل : ملك بعده أبو مالك بن عسكر بن سبا . فكان ملكه ثلثمائة سنة . وقيل ملك بعد كهَلان الرأس وهو الحارث بن شداد ، وكان الحارث أول من غزا منهم ، وأصاب الغنائم ، وأدخلها اليمن ، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً ، وسُمي الرأس لأنه لما أدخل الغنائم والأموال والسبي بلاد اليمن فراش الناس [في أيامه] . وفي عصره مات لقمان النصور . قال : وذكر الرأس هذا نبينا صلى الله عليه وسلم في شعره ، فقال من قصيدته :

ويملك بعدهم رجلٌ عظيمٌ نبى لا يُرخص في الحرام
يسمى أحمداً ياليت أنى أعمّر بعد مخرجه بعام

قال : وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة . هكذا نقل عبد الملك بن عبدون وذكر الخلاف في أبي مالك والرأس على ما ذكرناه . وأما غيره فإنه لم يذكر كهَلان ابن سبا ولا أباً مالك ، بل قال : إن حمير عهد إلى أبن أبنة المِلطاط بن عمرو بن حمير . قال : وفي أيامه أنقرض ملك صحار وجاسم أبنت دارم وبادوا .

قالوا : ثم ملك بعده أبنة أبرهة ويقال له ذو المنار . قالوا : سُمي بذلك لأنه أول من أقام المنار في مغازيه على الطريق ، وذلك أنه أوغل في بلاد المغرب والسودان ، وأتخذها ليهدى بذلك في قفوله . وكان ملكه مائة وثلاثين سنة ،

(١) كذا في الأصول . وفي شرح قصيدة ابن عبدون الذي ينقل عنه المؤلف « سدر » وفي تاريخ

الطبرى (ص ٤٤٠ من القسم الأول طبع أوروبا) « ابن أبي سدد » .

(٢) النكبة من شرح قصيدة ابن عبدون .

وقبل مائة وثلاثا وثمانين سنة . هكذا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن الذي ملك أبرهة . وقال المسعودي : إن الذي ملك بعد الراش نجبار بن غالب بن زيد ابن كهلان وقال : إن ملكه كان مائة وعشرين سنة . والله أعلم .

ثم ملك بعد أبرهة على ما ذكر ابن حمدون في تذكرته ابنه إفريقش ، وهو ذوا الأذعار . قال : سُمي بذلك لأنه خرج نحو بلاد المغرب وأوقع بقوم لهم خلقٌ منكراً فدُعر الناس منهم وفزقوا . قال ابن عبدون : وغزا إفريقش بلاد المغرب حتى أتى طنجة ونقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم ببلاد المغرب . وكان البربر بقية من قتل يوشع بن نون . قال : وإفريقش هو الذي بنى إفريقية وبه سُميت .

ثم ملك بعده ابنه العبد ويلقب ذا الشناتر ، وهي الأصابع في لغة حمير . قال : وخرج نحو العراق فأحتضر في طريقه . هكذا ذكر ابن حمدون . وقال عبد الملك : إن الذي ملك بعد إفريقش أخوه العبيد بن أبرهة . قال : وهو ذوا الأذعار ، سُمي بذلك لأنه كان فيما ذكر أهل الأخبار غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ورجع إلى اليمن من سببهم يقوم وجوههم في صدورهم فدُعر الناس منهم فسُمي بذى الأذعار . وكان ملكه خمسا وعشرين سنة . وقد قدمنا أن ذا الأذعار هو إفريقش . والله أعلم .

ثم ملك بعده الهدهاد بن عمرو بن شرحبيل . هكذا قال ابن حمدون والمسعودي ، إلا أن المسعودي لم يذكر عمرا وقال الهدهاد بن شرحبيل . وسماه ابن قتيبة هداد بن شرحبيل بن عمرو بن الراش ، وهو أبو بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وقيل سبعة ، وقيل ستة . وقد قدمنا

خبر بلقيس وأنها آتية ذى أنشراح ، وأن والدها لم يكن ملكا وإنما كان وزيرا للملك حير وهو شراحي الحميري . والله تعالى أعلم .

وَأَخْتَلَفَ فِيمَنْ مَلَكَ بَعْدَ الْهَدَهَادِ ، قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : تَبَعَ الْأَوَّلَ . وَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعًا مِائَةَ سَنَةٍ . وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَلَكَ بَعْدَ الْهَدَهَادِ ابْنَتُهُ بَلْقَيْسُ وَهِيَ صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَكَانَ مُلْكُهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى أَخْبَارِهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثم ملك بعدها ياسر بن عمرو بن شرحبيل وهو ناشر النعم ، قالوا : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِنْعَامِهِ عَلَى الْعَرَبِ ، وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ ، وَسَارَ غَازِيَا وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ حَتَّى بَلَغَ وَادِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَهُوَ رَمْلٌ جَارٍ ، وَلَمْ يَجِدْ وَرَاءَ ذَلِكَ مَجَازًا لِكثَرَةِ الرَّمْلِ وَجَرْيَانِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُقِيمٌ إِذْ أَنْكَشَفَ الرَّمْلُ فَأَمَرَ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يَعْبرُوهُ وَأَصْحَابُهُ فَعَبَرُوا فَلَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ وَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، فَأَمَرَ بِضَمِّهِ مِنْ نَحَاسٍ فَنُصِبَ عَلَى صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ عَلَى صَدْرِهِ بِقَلَمِ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ النَّعْمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ وَلَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيُعْطَبَ ، وَرَجَعَ مِنْ هُنَاكَ . وَكَانَ مُلْكُهُ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً عَلَى زَوَايَا ابْنِ قَتِيْبَةَ . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : خَمْسًا وَثَلَاثِينَ .

ثم ملك بعده أبوكرب شمير بن إفريقش ، وَيُسَمَّى رِعْشَ لَأَرْتَعَاشٍ كَانَ بِهِ . قَالَ : وَخَرَجَ نَحْوَ الْعِرَاقِ فِي زَمَنِ بَسْتَاسَفٍ أَحَدِ مُلُوكِ الْفَرَسِ فَأَعْطَاهُ بَسْتَاسَفُ الطَّاعَةَ ، وَسَارَ نَحْوَ الصِّينِ حَتَّى نَزَلَ فِي طَرِيقِهِ بِلَادَ الصَّغْدِ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ

(١) (راجع ج ١٤ ص ١١١ - ١٢٤) من هذه الطبعة .

(٢) المراد بالمسند : الخط الحميري .

الأرض بمدينة سمرقند فأحاط بهم شمر وأنتحها عنوة وأسرف في القتل وخرّب المدينة وهدمها فسميت سمرقند، وعُربت بعد ذلك فقالوا : سمرقند . ومعنى سمرقند ، أى خربها شمر . وفيه يقول دُعبل بن عليّ يفتخر باليمن من قصيدة :

هموا كتبوا الكتاب بباب مَرِيٍّ وباب الشاش ^(١) كانوا كاتبينا
وهم سَمُّوا بشمر سمرقنداً وهم غَرَسُوا هناك التَّيْتِينَا

قال : ولما فرغ من بلاد الصفد سار نحو الصين فأيقن ملكها بالبوار ، فأحْتال وزير له بأن جدّع أنفه وأتى الى شمر ، وهو بمفازة بينها وبين الصين عشر مراحل ، ومث إليه بأن ملك الصين فعل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر وخالف رأيه ، فسأله شمر عن الطريق والماء ، فقال له : بينك وبين الماء ثلاث مراحل ، فترود لثلاثة أيام ، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له الرجل أمره فمات هو وأصحابه عطشا .

قال ابن قتيبة : وكانت مدة ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة . وقال المسعودي :

ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده أبوه أبو مالك بن شمر ، قال : وتأهب للأخذ بثأر أبيه فبلغه أن بالمغرب واديا من الزبرجد ، فعمله الشره على طلبه وترك ما عزم عليه فمات في طريقه . ثم ملك بعده أبوه تبع الأقرن بن أبي مالك بن شمر . قال : وطلب ثأر جدّه وأتى سمرقند فعمرها وجدّد بناءها ، ثم أتى الصين وأحرب مدينتها وأبنتى هناك

(١) الشاش : مدينة جليلة من عمل سمرقند ، وهي في أرض سهلة وعامة دورها يجري فيها الماء ، وهي من أنزه بلاد ماوراء النهر . وفي معجم البلدان لباقوت أثناء كلامه على سمرقند روى اليعتبي هكذا :

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم خربوا سمرقند ابشمر وهم غرسوا هنا التيتينا

مدينة أسكن فيها ثلاثين ألف رجل . قال الحمدوني في كتابه المترجم بالتذكرة :
هم إلى اليوم هناك في زى العرب ، ولهم بأس وشدة — يعني يوم صنف كتابه
وهو في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أو نحو ذلك — قال : وفي أوانه كان بواراً
طسم وجديس على ما ذكره في وقائع العرب .

قال : وفي أوانه أيضاً كان سبيل العرم وتفرق سباً . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه .
إن شاء الله تعالى .

قال ابن قتيبة : وكان مُلْكُ تَبَعِ الْأَقْرَنِ ثلاثاً وخمسين سنة . قال المسعودي : إن
ملكه كان مائة وثلاثاً وستين سنة . ولم يذكر الملك الذي كان قبله ، ونسباً هذا
الملك أنه ابن شمر .

- ثم ملك بعده على مارواه ابن حمدون — وهو إن شاء الله أشبه بالصواب — أسعد بن عمرو . قال : وملك والمُلْكُ مَتَشَتَّ فَاسْتَفَزَ قَوْمَهُ فَهَضَبُوا مَعَهُ فِي مَلُوكِ الْيَمَنِ
حَتَّى قَتَلَهُمْ مَلِكًا مَلِكًا ، وَأَنْتَظَمَ لَهُ مُلْكُ الْيَمَنِ ، فَوَجَّهَ بِأَبْنِ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْقَيْطُونُ
إِلَى الْحِجَازِ فَبَغَى وَظَلَمَ فَقَتَلَهُ الْيَهُودُ . وَلَمَّا بَلَغَ أَسْعَدُ ذَلِكَ غَضَبٌ وَحَلَفَ لِيَقْتُلَنَّ كُلَّ
يَهُودِيٍّ فِي الْأَرْضِ ، وَتَجَهَّزَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ حَتَّى وَرَدَ يَثْرِبَ ، فَأَجْتَمَعَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ
وَأَخْبَرُوهُ بِقَصَّةِ ابْنِ عَمِّهِ وَبُغْضِهِ فَمَعَا عَنْ الْيَهُودِ وَقَالَ : لَسْتُ أَرْضَى بِالظُّلْمِ
وَلَوْ عَلِمْتُ ذَلِكَ مِنْهُ لَقَتَلْتُهُ ، وَأَتَاهُ بَنُو هُذَيْلَ بْنِ مَدْرَكَةَ فَرَعَّبُوهُ فِي الْكَعْبَةِ وَمَا فِيهَا
مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ ، فَقَدِمَ مَكَّةَ لِذَلِكَ ، فَأَجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَجْبَارُ الْيَهُودِ وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا
الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الَّذِي لَيْسَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْتٌ فِي الْأَرْضِ غَيْرُهُ وَقَدْ رَامَ إِفْسَادَهُ كَثِيرٌ
مِنَ الْمُلُوكِ فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ . وَفِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ يَكُونُ مَوْلَدُ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ وَأَحَدُ
مِنَ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ خَاتَمُ الرُّسُلِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى

ذلك هلاكك ، ف ضرب أغانق المهذلين وأقام بمكة ستة شهور يحترق كل يوم ألف ناقة ، وكسا البيت وتعلق عليه بابا من الذهب .

ولما هلك ملك بعده ابن عمه مرثد بن عبد كلال بن تبع الأقرب المعروف بذي الأعواد . قال : وكان ملكه أربعين سنة . ولما هلك ملك بعده أولاده وكانوا أربعة مشتركين في الملك على كل واحد منهم تاج . قال : وخرجوا إلى مكة ليقبلوا الحجر الأسود ويتبنوا بيتا بصنعاء يكون حج الناس إليه ، فاجتمعت كائنة وقتلوا أمرهم فهر بن مالك والتفوا فقتل ثلاثة من الملوك وأسر الرابع .

ولما أسرهؤلاء ملكيت بعدهم أختهم أبضة ابنة ذي الأعواد . قال : وكانت فاجرة فقتلها قومها .

ثم ملك بعد أولاد ذي الأعواد ملكي كرب بن عمرو بن سعد بن عمرو ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وتخرج عن سفك الدماء فلم يغزو ولم يخرج من اليمن .

ثم ملك بعده تبع أسعد بن ملكي كرب . قال : ولما ملك غزا بني معد بتهمامة في ثلثمائة ألف طالبا لدماء الملوك الأربعة ، واجتمع بنو معد وعقدوا الرئاسة لأمية

ابن عوف الكافي المعروف بالعنسي ، ثم نفست ربيعة أن تكون الرئاسة في مضر فقعدت عنهم ، فصعقت مضر عن تبع وسأله الصلح على أن يؤدوا إليه عقل الملوك

الأربعة ، عن كل ملك ألف ناقة . وكذلك كانت دية الملوك في الجاهلية . وديات من قتل معهم من الجنود لكل رجل مائة ناقة ، فقبل تبع ما بذلوه وأنصرف إلى

أرضه ووقع الشر بين الحيين : ربيعة ومضر ، فأرسلت ربيعة إلى تبع رسلا فعقد بينهم حلفا وعقدا ، وهو الحلف الباقي بين ربيعة واليمن إلى أن جاء الإسلام . وأقام

تبع هذا بأرض الشام ما شاء الله ، ثم سار إلى الهند في البحر وأبشرا الحرب بنفسه فبرز

إليه مَلِكُ الهند ، وهو أَبْنُ قُوزِ الذي قَتَلَ الإسْكَندِرَ أَبَاهُ فَقَتَلَهُ تَبَعٌ بِيَدِهِ ، وَتَحَصَّنَتْ
اليهود بِمَدِينَتِهِمْ وَحَاصَرَهُمْ تَبَعٌ شَهْرًا حَتَّى سَأَلُوهُ الْأَمَانَ فَأَمْنَهُمْ وَقَتْلَ إِلَى بِلَادِهِ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنُهُ حَسَّانُ بْنُ تَبَعٍ . قَالَ : فَغَزَا الْعِرَاقَ فِي ثَلَاثَةِ أَلْفٍ وَأَتَى
فِي طَرِيقِهِ مَكَّةَ ، وَقَدْ عَادَتْ إِلَيْهَا خُرَاعَةٌ عِنْدَ وَفَاةِ فَهْرِ بْنِ مَالِكٍ ، فَأَعْطَاهُ بَنُو زَرَّارِ
الطَّاعَةَ . وَرَوَى عَنْهُ شَعْرِبُخَيْرٌ فِيهِ بَيْعَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

٩٣
١٣

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِّنْ إِلَهِ بَارِي النَّسَمِ
فَلَوْ مَدَّ عُنُقِي إِلَى عُنُقِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَأَبْنًا عَمَّ

قَالَ : وَلَمَّا وَرَدَ الْعِرَاقَ وَجَدَ الْفُرْسَ وَسُلْطَانَهُمْ وَاهٍ وَقَدْ مَاتَ هُرْمُزُ وَوَلَدَتْ
أَمْرَاتُهُ غُلَامًا ، وَهُوَ سَابُورُ ذُو الْأَكْثَافِ ، وَصَرَّيْهِ أَحَدُ عِظَاءِ الْفُرْسِ ، فَلَمْ يَقُمْ
بِضَبْطِ الْمُلْكِ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ بِالطَّاعَةِ وَأَقْرَبُوا لَهُ بِالْخُرَاجِ ، فَأَقَامَ بِالْعِرَاقِ حَوْلًا وَعَزِمَ عَلَى
غَزْوِ الصِّينِ فَسَاءَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَقَالُوا : نَغِيبُ عَنْ أَوْلَادِنَا وَعِيَالِنَا وَلَا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ
بِهِمْ ، فَشَوَّاهُمْ إِلَى عَمْرِو أَخِي حَسَّانِ الْمَلِكِ وَبَعَثُوهُ عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ عَلَى أَنْ يَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ
وَيَعُودَ بِهِمْ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَأَعْطَوْهُ الْعَهْدَ وَالْمَوَاتِيقَ إِلَّا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ذُو رُعَيْنِ ، فَقَالَ
لَهُمْ : إِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ مَلِكَكُمْ ظَلَمْتُمْ الْأُمْرَ مِنْكُمْ فَلَمْ يَحْفَلُوا بِهِ ، فَأَقْبَلَ بِصُحُفَةٍ مَخْتُومَةٍ
وَقَالَ لِعَمْرِو بْنِ تَبَعٍ : لَتَكُنْ هَذِهِ الصُّحُفَةُ وَدِيعَةً لِّي عِنْدَكَ إِلَى وَقْتِ حَاجَتِي إِلَيْهَا ،
وَأَقْبَلَ عَمْرِو لَيْلًا إِلَى أَخِيهِ حَسَّانِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي فِرَاشِهِ فَقَتَلَهُ وَأَنْصَرَفَتْ حَمِيرٌ إِلَى بِلَادِهَا .
هَكَذَا نَقَلَ ابْنُ حَمْدُونٍ فِي تَذَكُّرِهِ .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مِسْكُوِيهِ فِي كِتَابِهِ الْمُرْجَمِ بِتَجَارِبِ الْأُمَمِ فِي أَخْبَارِ
الْفُرْسِ : إِنَّ مَلِكَ الْفُرْسِ يَوْمَ ذَلِكَ هُوَ قُبَادُ بْنُ فَيْرُوزَ وَهُوَ أَبُو كَسْرَى أُنُوشِرْوَانُ ،
وَإِنَّ الْمَلِكَ الَّذِي غَزَاهُ مِنْ مَلُوكِ حَمِيرٍ هُوَ تَبَعٌ وَالِدُ حَسَّانِ ، وَكَانَ مَعَهُ لَمَّا غَزَا

الفرس ابنه حسان وابن أخيه شمر . قال : فسار شمع حتى نزل الحيرة ووجه ابن أخيه شمرا ذا الجناح الى قباذ فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله .

قال : ثم إن تبعا أمضى شمرا ذا الجناح وابنه حسان إلى الصغد وقال : أيكما سبق إلى الصين فهو عليها . وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال لهما ستمائة ألف وأربعون ألفا ، وبعث ابن أخيه — واسمه يعفر — إلى الروم .

قال : فأما يعفر فإنه سار حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة والأناوة ومضى إلى رومية فحاصرها ، ثم أصابهم جوع ووقع فيهم الطاعون فمفرقوا ، وعلم الروم بذلك فوثبوا عليهم فلم يقتل منهم أحد .

وأما شمر ذو الجناح فإنه سار حتى انتهى إلى سمرقند فحاصرها فلم يظفر منها بشيء ، فلما رأى ذلك طاف بالحرس حتى أخذ رجلا من أهلها فاستمال قلبه ثم سأله عن المدينة ومليكها فقال : أما مليكها فأحق الناس ليس له هم إلا الأكل والشرب والجماع ، ولكن له بنت هي التي تقضى أمر الناس ، فثناه ووعدته حتى طابت نفسه ، ثم بعث معه هدية إليها وقال : أخبرها أني إنما جئت من أرض العرب للذي بلغني من عقلها لتتكحنى نفسها ، فأصيب منها غلاما يملك العرب والعجم ، وإني لم أجئ ألتبس مالا ، وإن معي من المال أربعة آلاف تابوت ذهبا وفضة هاهنا ، وأنا أدفعها إليها وأمضى إلى الصين ، فإن كانت لي الأرض كانت أمراي ، وإن هلكت كان المال لها . فلما آتته رسالته إليها قالت : قد أجبته فليبعث بالمال ، فأرسل إليها بأربعة آلاف تابوت ، في كل تابوت رجلان ، وكان بسمرقند أربعة أبواب على كل باب منها أربعة آلاف رجل . قال : وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب لهم بالجمل ، وتقدم بذلك إلى رسله الذين وجههم ، فلما صاروا

بالمدينة ضرب لهم بالجلجل فخرجوا وأخذوا بالأبواب ، ونهّد شمر^(١) في الناس فدخل
المدينة وقتل أهلها ، وأحتوى على ما فيها . ثم سار إلى الصين فلقى الترك فهزمهم ،
وأتتهى إلى حسان بن تبع بالصين فوجده قد سبقه إليها بثلاث سنين .

قال : وفي بعض الروايات وهي المجتمع عليها : إن حسان وشمرًا أنصرفا
في الطريق الذي كانا أخذاه فيسه حتى قديما على تبع بما حازا من الأموال بالصين
وصنوف الجوهر والطيب والسبي ، ثم أنصرفوا جميعا إلى بلادهم ، فكانت وفاة تبع
باليمن . وكان ملكه مائة سنة وإحدى وعشرين سنة .

قال : وأما في الرواية الأخرى فإن تبعًا أقام وواطأ أبنته حسان وابن أخيه
شمر أن يملكوا الصين ويحملا إليه الغنائم ، ونصب بينه وبينهم النار ، فكان إذا
حدث حدث أوقدوا النار ، فأتى الخبر في ليلة .

قال : وقد ذكر بعض الرواة أن الذي سار في المشرق من التابعة تبع الأخير ؛
وهو تبع بن أسعد أبو كرب بن ملك بن زيد بن عمرو بن ذى الأذعار ، وهو
أبو حسان . انتهى ما أورده ابن مسكويه من أخبارهم ، فلنرجع إلى مساق
ما قدمناه مما نقله ابن حمدون .

قال : ثم ملك بعده حسان بن تبع أخوه ، فقتله عمرو بن تبع . قال : وأنصرف
بالقوم إلى بلادهم فسلط الله عليه السهر فكان لا ينام ، فجمع الكهنة والقياف
والعزافين فسألهم عن ذلك فلم يعرفوه ، فقال له رجل منهم : إنه يقال من قتل أخاه
ظلمًا سلط الله عليه السهر وحرّم النوم ، فأحال بالذنب على حمير وجعل يقتل من
أشار عليه بقتل أخيه واحدًا بعد واحد ، ثم أرسل إلى ذى رعين ليُلحِقَه بمن قُتل من

(١) نهّد : نهض ووضى .

أصحابه، فقال : أيها الملك إني خالفتُ القوم فيما زبنوا لك من قتل أخيك . قال :
ومن يعلم ذلك؟ قال : الصحيفة التي أودعتها عندك، فأخرجها فقرأها فإذا فيها :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنَوِمَ خَلَّى مَنْ يَبِيتُ قَوِيرَ عَيْنِ
فَإِنْ تَكُ حَمِيرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَمَعْدَرَةُ الْإِلَهِ لِذِي رُعَيْنِ

قال : نفلى عمرو سبيله .

قال : ولما قتل عمرو أشراف قومه وصناديدهم تضعض أمر حمر ووهي
ملكها، فطمع فيه بنوكهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فوثب ربيعة
ابن نصر بن الحارث بن عمرو بن عدى بن مرة بن زيد بن مذحج بن كهلان
في قومه وجمعهم من أقطار الأرض، وجمع له عمرو بن تبع وألقوا فقتل عمرو بن تبع .

وملك بعده ربيعة بن نصر المقدم ذكره قال : وكان قد رأى رؤيا أرجمته
وعبرت له أن الحبشة تملك بلاده؛ فوجه ابن أخيه جذيمة بن عمرو بن نصر ومعه
أبنة عدى بن ربيعة وهو صبي، ووجه معهما حرمة وخزائنه، وكتب لهم إلى سابور
ذي الأكتاف، فأسكنهم سابور الحيرة وملكهم ما حولها .

قال : ولما بلغ عدى بن ربيعة الحلم زوجه جذيمة أخته رقاش فولدت
له عمرو بن عدى . وهؤلاء ملوك الحيرة على ما ذكره في أخبارهم .

قال : ولما مات ربيعة بن نصر تجعت حمر فاذنت كهلان بحرب أو إعادة
الملك فيهم، ودخل بينهم السفراء فسلموا الملك إلى حمر فملك حمر عليها أبرهة
ابن الصباح بن لبيعة بن شينة الحمدي بن مرثد بن الحارث بن سيف بن مصلح

(١). في تاريخ أبي الفداء (ص ١١٨ طبع أوروبا) ومروج الذهب للسعودي (ص ٢١٦ طبع بلاق)

« وكعبة »، وفي مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٥ طبع أوروبا) « ولبيعة » باللام .

ابن عمرو بن مالك بن زيد بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سعد
ابن زُرعة بن ذى المنار .

قال : فملك عليهم ومكث طول أيام سابور ذى الأكتاف ثم مات .

فملك بعده ابن عمه صُهبان بن محزث . قال : فبعث عثمالة على أرض العرب ،
وآستعمل على ولد سعد بن عدنان ابن خاله الحارث بن عمرو بن معاوية بن كندة
ابن عدى بن مرة بن زيد بن مذحج بن كهلان ، وكان الحارث يلقب بأكل المرار ،
وهو جد أمرئ القيس الشاعر بن حُجر بن الحارث ، وهو جد الأشعث بن قيس
ابن معديكرب بن جبلة بن عدى بن الحارث المذكور ؛ فقسم الحارث مملكته
بين ولده ، وكانوا ثلاثة : فملك أبوه حُجراً على أسد وكثانة ، وملك شُرْحِيل على قيس
وتميم ، وملك [سَلَمَة] ^(١) على ربيعة ، فمكثوا كذلك حيناً حتى مات أبوهم الحارث
فوثبت بنو أسد على حُجْر فقتلوه ، ووثبت قيس وتميم على شُرْحِيل فطردوه ،
فغضب صُهبان وتجهز للسير إلى مضر ، فاستغاثت مضر بربيعة وجاءت وفودهم
إليهم واستنصروهم ، ورئيسهم كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جُثَم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن قنبل بن وائل ، واجتمعت ربيعة ومضر
والرياسة على الحيين لكليب ؛ فقاتلوا صُهبان وعظاء قومه ، وهو اليوم المشهور
في العرب ، فقتل صُهبان . وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداة أوقد في خَزَازٍ ^(٢) رَفَدْنَا فوق رِفْدِ الرافِدِينَا

فكُنَّا الْإِيْمَنِينَ إِذَا اتَّقَيْنَا وكان الأيسرين بنوا أَيْنَا

(١) التكلة عن النفاض (ص ١٠٧٣ طبع أوربا) .

(٢) خَزَاز (فتح أوله) : جبل لغنى آخر وله حضبات حر ، وفي أصله ماء لغنى يقال له (خَزَازة)
وهو في ناحية منج دون أمرة وفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة (راجع معجم ما استعجم) .

فَأَبَوْا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأُتِنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ

قال : ولما قُتل صُهبان بن مُحَرَّث ملك بعده الصَّبَّاح بن أبرهة بن الصَّبَّاح .

قال : وكان نَجْدًا جَلَدًا ، فسار الى مَعَدَّ في مِئَةِ أَلْفٍ يَطْلُبُ نَارَ صُهبان . قال :

وَتَجَمَّعَتْ مَعَدَّ وَرِئِيسُهُمْ كُليبُ أيضًا ، وكانت الحربُ بينهم بموضعٍ يسمَّى الكَلَّابُ ،

فَانْهَزَمَتِ الْيَمَنُ . وهذان اليومان من مفاخرِ زَارٍ على الْيَمَنِ ، وأمتنعتُ مَعَدَّ بعد

ذلك على الْيَمَنِ حتى قتل كُليبُ بن ربيعة .

قال : ولما مات الصَّبَّاح ملك بعده أَبْنُ عَمٍّ لَهُ فاسقٌ ، وقيل : إن الذي ملك

لَحْنِيعةَ ذَوْشَناتِرَ ، قال : ولم يكن من أَهلِ بَيْتِ الْمُلْكِ ، فَأَغْرَى بِحَبِّ الْأَحْدَاثِ

من أَبْناءِ الْمُلُوكِ ، فكان يَطالِبُهُمْ بِمَا يُطالِبُ بِهِ النِّسْوانُ ، وكان لا يسمعُ بِأحدٍ من

فَتَيانِ الْعَرَبِ وَأَوْلادِ الْمُلُوكِ حَسَنَ الصُّورَةِ إِلَّا أَسْتَدْعَاهُ وَطالِبُهُ بِهَذَا الْفِعْلِ الْقَبِيحِ ،

ولم يزل على هذه الطَّرِيقَةِ الْمَذْمُومَةِ حَتَّى نَشَأَ غَلامٌ من أَبْناءِ مُلُوكِ حِمْيَرٍ اسْمُهُ زُرْعَةُ

ابن كَعْبٍ وَيُدْعَى ذَا نِوَأَسٍ ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ ذَوَابْتانِ تَنْوُسانِ على عاتِقِهِ ،

وكان وَضِيئًا ، فَاسْتَدْعَاهُ لِمِثْلِ ما كان يَدْعُو إِلَيْهِ غَيْرُهُ ، فجعلَ تَحْتَهُ إِنْخِصَصَهُ سِكِّينًا ،

فلَمَّا خلا بِهِ الْمَلِكُ وَابْنُهُ ذُو نِوَأَسٍ فقتله ثُمَّ حَزَّ رَأْسَهُ ، وكان لَهُ بَكْوَةٌ يُشْرِفُ مِنْها على

عَبِيدِهِ إِذَا قَضَى حاجَتَهُ مِنَ الْعِلامِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ وَيَضَعُ مِسْواكًا فِي فِيهِ ؛ فلَمَّا

قَتَلَهُ ذُو نِوَأَسٍ جَعَلَ الْبَسْواكَ فِي فِيهِ ، وجعلَ رَأْسَهُ فِي تِلْكَ الْبَكْوَةِ الَّتِي كان يُشْرِفُ

مِنْها على عَبِيدِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ على الْعَبِيدِ فَقالُوا [لَهُ] : ذُو نِوَأَسٍ ، أَرَطَبُ أُمِّ يَبَّاسٍ ؟ .

فقالَ لَهُمْ : سَلِ بَحْمانِ ، اسْتَرْطَبانِ ذُو نِوَأَسٍ . اسْتَرْطَبانِ لَابَّاسٍ . وَتفسيرُ ذَلِكَ :

(١) زيادة من السيرة لأبن هشام (ص ٢٠ طبع أوروبا) .

(٢) وردت هذه العبارة في السيرة لأبن هشام بالفاظ فيها تقديم وتأخير .

سلوا الرأس التي في الكوة تخبركم وأتركوا ذا نواس ، قال : فأجمعت خير عليه أمرها وقالوا : ينبغي أن نملكه لأنه أراحنا من هذا الفاسق .

فملك عليهم ذو نواس زُرعة هذا . قال : ولما ملك وأستتب له الأمر فارق عبادة الأوثان ودخل في دين اليهودية وقتل من كان في بلاد اليمن على دين عيسى ابن مريم عليه السلام بمن أمتنع من موافقته ، ثم قصد نجران وبها عبد الله بن الناصر وأصحابه وهم على دين عيسى عليه السلام ، فسألهم الدخول في اليهودية فأمتنعوا ، فقتل عبد الله بن الناصر بالسيف وأضرم للباقيين نارا عظيمة فألقاهم فيها ، وهم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ^(١) قال : ولم ينج منهم إلا نفر قليل .

وكان سبب تهوده أن حير كان لها بيت نار فيه أصنامهم ، وكان يخرج من تلك النار عنق يمد مقدار فرسخين ، فحضر عنده قوم من اليهود وقالوا : أيها الملك إن هذا العنق من النار شيطان ، فطلب منهم تبيان ذلك ، فنشروا التوراة وقرأوها فراجع ذلك العنق وطُفئت تلك النار ، فأعظم ذو نواس ذلك ودخل في دين اليهودية .

قالوا : ثم إن أحد الناجين من نجران — ويعرف بدوس بن ذي ثعلبان — ^(٢) قصد قيصر ملك الروم مستنجدا به ، ومُعظما عنده ما جرى على قومه وهم على دينه ، فاعتذر إليه ببعد دياره وقال : سأكتب لك إلى ملك على دينك قريب من ديارك ، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما عرض عليه الكتاب وحدثه بما جرى على أهل ملته غضب وحمى لأهل دينه ، ونذب من جنوده سبعين ألف رجل مع

(١) سورة البروج آيات ٤ — ٨

(٢) في السيرة لأبن هشام (ص ٢٥ طبع أوربا) « دوس ذو ثعلبان » .

(١) ابن عمه أرباط ، وتقدم إليه بأن يقتل كل من باليمن على دين اليهودية ، فركب أرباط في البحر حتى انتهى الى عدن فأحرق السفن وقال : يا معشر الحبشة ، العدو أمامكم ، والبحر وراءكم ، ولا منجى لكم إلا الصبر حتى تظفروا أو تموتوا كراما . قال : وألتقوا وأقتلوا فأنهزمت خير بعد حرب عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا . قال : وأقتحم ذو نواس البحر بفرسه وقال : والله الغرق أفضل من أمر السودان ، ففرق . وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة ، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان . فجمع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة وأثنان وثمانون سنة .

وأسنولت الحبشة على ملك اليمن ففرق أرباط الأموال على أشرف الحبشة وحرّم الضعفاء ، فجمع أبرهة أحد قواد الحبشة جمعا منهم ونحرج على أرباط وحاربه فقتله أبرهة بيده وأسنولت أبرهة على ملك اليمن .

ولما بلغ خبرهما النجاشي غضب لقتل أرباط وحلف لأطان أرض أبرهة سهلها وجبلها برجلي ، ولأجرت ناصيته يدي ، ولأهريق دمه بكفى ، وتجهز للسير الى أرض اليمن ، فبلغ ذلك أبرهة فملا جرائين من تراب السهل والجبل ، وعمد الى ناصيته بفخزها ووضعها في حق ، واحتجم وجعل دمه في قارورة وختم عليه وعلى الحق الذي فيه ناصيته بالمسك ، وبعث بذلك الى النجاشي وكتب إليه يعتذر مما فعله أرباط وأنه خالف سيرتك في العدل ، وقد بلغت ما حلفت ، وقد بعثت إليك بجرائين من تراب السهل والجبل ، فطأها هنالك برجلك ، وجز ناصيتي بيدك ، وأهريق دمي بكفك ، وبر في يمينك ، ولطف غضبك عني فإنما أنا عبد من عبيدك ، وعامل من

(١) في الأصول : « أرباط » بالباء الموحدة ، وهو مخريف ، وما أجتهد قلا عن السمردي

في مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٧ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٢٥ طبع أودبا) .

(٢) كذا في السمردي وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لأرن » بالحاء وهو مخريف .

عمالك . فأعجب النجاشي عقل أبرهة وأقوة على مكانه ورضي عنه ، فبقى إلى زمان كسرى أنو شروان وهو صاحب الفيل .

وكانت قصته أنه نظر إلى أهل اليمن يتأهبون للحج ، فسأل عن أمرهم ، فأخبر أنهم يخرجون حجاجا إلى مكة فقال : أنا أكفيهم تحشم هذا السفر البعيد بيعة أبيها بصنعاء فيكون حج اليمن إليها ، وأمر ببنائها فبُنيت . وقد تقدم وصفها في القرن الأول في المباني ، ونصب عند المذبح دُرّة عظيمة نُضِيء في الليلة الظلماء كما يُضِيء السراج ، ثم نادى في أهل مملكته بالحج إليها ، فغضب العرب لذلك ، فأنطلق رجلان من خثعم فأحدثا في البيت الذي بناه ولطخاه بالعدرة .

وقيل : إن الذي فعل ذلك رجل من كنانة ، فأتهم أبرهة قريشا بذلك ، وكان حينئذ بصنعاء تجار من قريش فيهم هشام بن المغيرة ، فاحضرهم وسألهم عن أحدث في بيعته ، فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك ، فقال أبرهة : ظننت أنكم فعلتم ذلك غضبا لبيتكم الذي يحج إليه العرب ، فقال هشام بن المغيرة : إن بيتنا حرز تجتمع فيه السباع مع الوحوش ، وجوارح الطير مع البعاث ، ولا يعرض منها شيء لصاحبه ، وإنما ينبغي أن يحج إلى بيعتك هذه من كان على دينك ، فأما من كان على دين العرب فلا يؤثر على ذلك شيئا . فأقسم أبرهة ليسيرن إلى البيت فيهدمه حجرا حجرا . فقال له هشام بن المغيرة : إنه قد رام ذلك غير واحد من الملوك فما وصلوا إليه لأن له رباً يمنعه . فخرج أبرهة في أربعين ألفا وسار بالقبيل ، فغضبت لفعله همدان وجمعت إليها قبائل من اليمن — وكان ملكهم رجلا من أشراف اليمن يقال له ذو نافر — فاستقبلوه فخاربه فهزمهم وظفر بذي نافر ملك همدان ونفيل بن

(١). راجع الجزء الأول (ص ٣٨٢ من هذه الطبعة) .

حبيب سيد خنم أسيرين فأمر بضرب عنقهما . فقالا : أيها الملك ، استبقنا لذلك
على الطريق فإننا من أدل العرب ، ففعل ذلك . فلما صاروا في مفرق الطريقين :
مكة والطائف ، قال ذو نفر لابن حبيب : كفى بنا عارا أن ننطلق بهذا الأسود
الى بيت الله تعالى فيه دمه ! قال ابن حبيب : هلم بنا لناخذ به طريق الطائف
فيستغل بثقيف ولعله يرى ما يسوءه ، فلم يشعر أهل الطائف صباحا إلا والجيوش
قد وردت عليهم ، فخرج أبو مسعود الثقفي في نفر منهم ، فأعلم أبرهة أنها ليست
طريقه ، وسار أبرهة حتى أتى مكة وأستاق السوائم ونزل على حد الحرم ، فكان فيما
ساق مائتا ناقة لعبد المطلب بن هاشم ، فركب عبد المطلب فرسه وقصد العسكر
ودخل على أبرهة فأعجبه جماله وأكرمه ونزل عن سريره كان عليه وجلس دونه حتى
لا يرفع عبد المطلب إليه ، ثم قال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرث علي الملك
مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال له أبرهة : قد كان بلغني شرفك
في العرب وفضلك فأحببتك ، ثم دخلت علي فرأيت من جمالك ووسامتك ما زادني
حبا ، فنقصت عندي في سؤالك إياي مائتي ناقة وتركت أن تسألني في الرجوع عما
همت به من هدم هذا البيت الذي هو شرفك وعزك ! قال عبد المطلب : أيها
الملك ، إن لهذا البيت رباً سمينه منك وأنا رب إيلي ، وقد رام هدمه من لا يحصى
من الملوك فرجعوا بين أسير وقتيل ، فرد إبله ، واجتمع الى عبد المطلب أشراف
قومه فقالوا : اجعل له مالا نجمة له ليرجع عما هم به من هدم هذا البيت . قال لهم
عبد المطلب : وما عسى أن نجعل له من المال مع عظم ما هو فيه من الملك والسلطان !
أطمئثوا ، الله أمددكم ، فوالله لا يصل إليه أبدا . ثم أئسد عبد المطلب يقول :

يارب أنت المرء يم * منع جازه فأمنع حلالك

(١) كذا في نسخة ١ . وفي نسخة ب « الله أبوك » .

لَا يَنْفِلِينَ صَليُّهُمْ * بَقِيَّا وَمَا جَمَعُوا بِحَالِكَ

إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقِيَّةً * لَمَّا فَأَمْرٌ مَا بَدَلَكَ^(١)

ثم علا جبل أبي قبيس هو وحكيم بن حزام ونفر من سادات قريش، وهرب
الناس فلاحقوا بروس الجبال، وأم أبرهة البيت وقدم أمامه الفيل، وكان أكبر
فيل رآه الناس كالجبل العظيم، وأسمه بلسان الحبشة محمود؛ فلما انتهى الفيل إلى
طرف الحرم برك، فكانوا يخسونه، فإذا أخذوا به يمينا وشمالا هروا، وإذا
أحموه برك. فلم يزل كذلك بقية يومهم. فلما قارب المساء نظروا إلى طير قد
أقبلت من نحو البحر لا تحصى كثرة أصغر من الحمام، فمجيئوا من كثرتها ولم يعرفوها
ولا رأوا على خلقها طيورا، وكان مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر
في منقاره، على مقدار الحص، ففرقت على رؤوسهم وأظلت عسكرهم، ثم قذفت
بالحجارة عليهم، وهبت ريح شديدة فزادت الحجارة صعوبة وقوة، فكان الحجر منها
إذا وقع على رأس الرجل منهم نَقَذَ حتى يخرج من دبره، فإذا سقط على بطنه خرج
من ناحية ظهره؛ فكان ما أخبر الله عز وجل عنهم في سورة الفيل: ﴿جَعَلَهُمْ
كَغَصِفٍ مَّا أُكُولٍ﴾^(٢). وخرج عبد المطلب وأصحابه فلاًوا أيديهم من المال، وأرسل

- ١٥ (١) هذه الأبيات الثلاثة وردت هكذا في الأصول، وورد البيتان الأول والثاني منهما في غير الأصول
باختلاف في بعض الألفاظ؛ إذ ورد البيت الأول في اللسان «مادة حل» وسيرة ابن هشام (ص ٣٥
طبع أوروبا) هكذا:

لَا يَنْفِلِينَ صَليُّهُمْ * نَعِ رَحْلَهُ فَاَنْتَعِ حَالِكَ

ورود البيت الثاني في اللسان (مادة محل) وسيرة ابن هشام هكذا:

- ٢٠ لَا يَنْفِلِينَ صَليُّهُمْ * وَمَحْلَتُهُمْ عَدَا حَالِكَ

والحال (بالكسر): القوم المقيمون المتجاورون؛ يريد بهم هنا سكان الحرم. والمحال (بالكسر)
هنا: الكيد والقوة.

• (٢) سورة الفيل آية ٥

إلى قريش بقاءه من الجبال وغنموا ما شاءوا ، فعظمت قريش في أعين العرب
وسمّوهم آل الله ، وأزداد عبد المطلب وأصحابه شرفاً . ووُلِدَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد قدومهم بنحس ونحسين ليلة . وكان ذلك بعد عشرين سنة من مُلك
أنو شروان .

معين التارح لأهل التارح

وملك اليمن بعد أبرهة ابنه يكسوم .

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، وهو الذي زال مُلكه على يد سيف بن ذي يزن
على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر سيف بن ذي يزن

وعودُ الملك إلى حمير

وذلك أن حمير لما رأَت مُلك الحبشة قد دام عليهم وآرائثوه فيهم ، اجتمع
ساداتهم إلى سيف بن ذي يزن — وهو من أولاد ذي نوّاس الذي غاب الحبشة على
اليمن في أيام مُلكه — وبذلوا له أن يجمعوا له نفقة تُقيمه ليسير إلى بعض الملوك
فيستنجده ففعل ذلك ، ومارحى وافي القُسطنطينية إلى قيصر ملك الروم ، فاستنجده
فقال له قيصر : إن الجليش على ديني ، وما كنت لأعينك عليهم ، وأمر له بعشرة
ألف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : إذا لم تنصُرني فلا حاجة لي إلى مالك .
وأنصرف إلى كسرى واستنجده ، فقال له كسرى : بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة
خيرها ، إنما فيها الشاء والبعير وما لا حاجة لي فيه . فقال له سيف : لا ترهّدن
أيها الملك في بلادى فإنها فُرصة العرب ، وأرضُ التبابعة الذين مأكوا أقطار أقاليم
الأرض ، ودان لهم أهل الشرق والغرب . قال كسرى : ما كنت لأغرّر بيجندي

فيا لا ينفعني وأمر له بعشرة آلاف درهم . فلما انتهى إلى باب القصر ثَرَّها في الناس حتى أتى عليها ، فبلغ ذلك كسرى فغضب وقال له : ما الذي حملك على استخفافك بصِلَّتي حتى ثَرَّتها في الناس ؟ قال : ما أصنعُ بالمال وترابُ أرضي ذهبٌ وفضة ! ثم خنقته العبرة ، فرق له كسرى ووعدته بالانتصار له ، فأشار عليه بعضُ وزرائه فقال : إن في سجونك بشراً كثيراً من استوجبَ القتل ، فربَّ إطلاقهم ، وقوِّهم بالمال والكراع^(١) والسلاح ، وجهَّهم مع هذا العربي ، فإن ظفروا كان ذلك زيادةً في مُلكك ، وإن قُتلوا كان ذلك جزءاً عن جرائمهم . فأعجب كسرى هذا الرأي وعَمِلَ به وقَدَّم عليهم وهِرِز بنَ كاخْمان ، وكان من فُرسان العجم وأهل البيوتات ، وقد أناف على المائة من السنين ، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف وستائة رجل ، فركبوا البحر في سبع سَفُن ، وأرسل سيفٌ إلى اليمن ومخالفها ، فاتوه من أفاصى اليمن وأدانيها حتى صاروا في عشرين ألفاً ، وتجهَّز إليهم مسروق ، فلما اتقيا قال وهِرِز لسيف : أرزني ملكهم ، فاراد إياه ، وهو على فيل وعلى رأسه التاج وفيه ياقوتة حمراء مدلاة على جبينه ، فليث ساعة ثم تحوّل إلى فرس ثم تحوّل إلى بغلة ، فقال وهِرِز : ذلّ الأسود وباد ملكه ، وأنا أرميه فتأمل الرمية ، فإن رأيت أصحابه تصدعوا عنه وحاصوا^(٢) يميناً وشمالاً فأعلم أني قتلته ، وإن لم يتحوّلوا من منازلهم فلم أصنع شيئاً ، ورماه ، ففلق السهمُ الياقوتة نصفين وخرج من مؤخر رأس مسروق ، واضطربت الحبشة وماجأوا ، وحمل عليهم وهِرِز ومن معه والعرب فولّوا منهزمين ، ودخلوا صنعاء وقتلوا كلَّ أسود يوجد في اليمن . وكتب وهِرِز إلى كسرى بالفتح ، فكتب

(١) الكراع : الخيل :

(٢) حاصوا ، حاص عنه : قال وعدل .

إليه كسرى أن يسأل عن سيف بن ذي يزن^(١) ، فإن كان من أبناء الملوك فأقره على ملكه وأنصرف عنه ، وإن لم يكن من أبنائهم فأضرب عنقه وأقم في الأرض متولياً لهم .

قال : فسلم وهيرز إليه ملكه وخلف من كان معه من العجم بصنعاء وأنصرف إلى كسرى ، وملك سيف اليمن لكسرى ، وتداولتها الولاة بعده من قبل كسرى . وكان ملك الحبشة على اليمن اثنتين وسبعين سنة ثم أترع عنهم .

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان

قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكامة الزهر وصدفة الدر^(٢) : ومن أهل اليمن من خرج منها فملك الشام ، وهم آل جفنة وأولهم : الحارث بن عمرو بن عامر ابن حارثة [بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن القوث بن ثبث بن مالك]^(٣) بن زيد ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى الحارث بأبي شمر . ثم تداولها منهم سبع وثلاثون ملكاً . ومدة ما ملكوا من السنين ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم ، وهو الذي تنصّر في أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعد أن كان قد أقبل إلى عمر وأسلم .

(١) كذا وردت هذه القصة في الأصول وكتب التاريخ والطبري في إحدى روايته منسوبة إلى سيف ابن ذي يزن . وفي مروج الذهب والرواية الأخرى في تاريخ الطبري أنه منسوبة إلى معد يكرب بن سيف ابن ذي يزن .

راجع تاريخ الطبري (ص ٩٤٩ - ٩٥٨ من القسم الأول طبع أوربا) ومروج الذهب (ص ١١٢ - ١٧٦ ج ٣ طبع أوربا) .

(٢) راجع هذا الكتاب (ص ٨٧ طبع أوربا) .

(٣) الزيادة من كامة الزهر .

ثم إنه كان في الطواف فداس رجلٌ طَرَفَ رِدَائِهِ فَلَطَمَهُ جَبَلَةٌ ، فَاتَى الرَّجُلُ
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَطَلَبَ جَبَلَةً لِيَقِيدَهُ مِنْهُ فَتَقَصَّرَ جَبَلَةٌ وَلَحِقَ بِهِرَقْلُ صَاحِبِ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَأَقْطَعَهُ هِرَقْلُ الْأُمُوالِ وَالضِّياعِ وَالرَّباعِ ، ثُمَّ نَدِمَ جَبَلَةٌ عَلَى مَا كَانَ
مِنْهُ وَقَالَ :

- تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ أَجْلِ لَطْمَةٍ * وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرٌ
تَكْتَفِينِي مِنْهَا بِلَجَاجٍ وَنَحْوَةٍ * فَبِعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوَرِ
فِيالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَسْلُدْنِي وَلَيْتَنِي * رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ عُمَرُ
وَيَالَيْتَنِي أَرَعَى الْمَخَاضَ بِقَفَرَةٍ * وَكُنْتُ أُسِيرُ فِي رِبْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
وَيَالَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ * أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

- وَحُكِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ إِلَى هِرَقْلٍ رَسُولًا يَدْعُوهُ
إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ إِلَى الْحَزْبِ فَأَجَابَ إِلَى الْحَزْبِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولُ الْإِنْصِرَافَ قَالَ
لَهُ هِرَقْلُ : أَلْقَيْتَ أَبْنَ عَمِّكَ هَذَا الَّذِي عِنْدَنَا — يَعْنِي جَبَلَةً — الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ
فِي دِينِنَا ؟ فَقَالَ : مَا لَقَيْتُهُ . قَالَ أَلْقِهِ ، قَالَ الرَّسُولُ : فَذَهَبْتُ إِلَى بَابِ جَبَلَةٍ
فَإِذَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَهَارَةِ وَالْمَجْأَبِ وَالْبَهْجَةِ وَكَثْرَةِ الْجَمْعِ مِثْلُ مَا عَلَى بَابِ هِرَقْلٍ . قَالَ :
فَتَلَطَّفْتُ فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ حَتَّى أُذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ أَصْهَبَ اللَّحْيَةِ ، وَكَانَ
عَهْدِي بِهِ أَسْوَدَ اللَّحْيَةِ وَالرَّأْسِ ، فَأَنْكَرْتُهُ وَإِذَا هُوَ قَدْ ذَرَسُ^(١) سَحَابَةَ الذَّهَبِ عَلَى لَحْيَتِهِ
حَتَّى صَارَ أَصْهَبَ ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى سُرِيرٍ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَوَائِمُهُ أَرْبَعَةُ أَسْوَدٍ مِنْ
الذَّهَبِ . قَالَ : فَلَمَّا عَرَفَنِي رَفَعَنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ . قَالَ : وَجَعَلَ يَسْأَلُنِي عَنِ
الْمُسْلِمِينَ وَعَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَذَكَرْتُ خَيْرًا وَعَرَفْتُهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَثُرُوا .

(١) السحالة (بالضم) : ما سقط من برادة الذهب .

ثم آنحدرت عن السرير فقال لى : لَمْ تَأْبَى الْكَرَامَةَ الَّتِي أَكْرَمَكَ بِهَا ؛ قُلْتُ : إِنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ هَذَا . قَالَ : نَعَمْ ! صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَلَكِنْ تَقَّ قَلْبَكَ مِنَ الدَّنَسِ وَلَا تُبَالِ عَلَى مَا قَعَدْتَ . فَلَمَّا سَمِعْتُهُ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَمَعْتُ فِيهِ فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ يَا جَبَلَةَ ! أَلَا تُسَلِّمُ وَقَدْ عَرَفْتَ
 الْإِسْلَامَ وَفَضْلَهُ ؟ قَالَ : أَبْعَدُ مَا كَانَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كُنْتَ تَضْمَنُ
 لِي أَنْ يَزُوجَنِي عَمْرَأَتَهُ وَيُؤَيِّنِي الْإِمْرَةَ بَعْدَهُ رَجَعْتُ إِلَى الْإِسْلَامِ . قَالَ الرَّسُولُ :
 فَضَمَنْتُ لَهُ التَّرْوِيحَ وَلَمْ أَضْمِنْ لَهُ الْإِمْرَةَ . قَالَ : ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ
 فَذَهَبَ مُسْرِعًا فَإِذَا خَدَامٌ قَدْ جَاءُوا يَحْمِلُونَ الصَّنَادِيقَ فِيهَا الطَّعَامُ ، فُوضِعَتْ وَنُصِبَتْ
 مَوَائِدُ الذَّهَبِ وَصَحَافُ الْفِضَّةِ ، وَقَالَ لِي : كُلْ . فَقَبَضْتُ يَدِي وَقُلْتُ : إِنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْأَكْلِ فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . قَالَ :
 نَعَمْ ! صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ تَقَّ قَلْبَكَ وَكُلْ فِيمَا أَحْبَبْتَ . قَالَ : فَأَكَلْتُ
 فِي الذَّهَبِ وَأَكَلْتُ فِي الْخَلْنَجِ^(١) ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسَاتِ الذَّهَبِ وَأُبَارِيقَ الْفِضَّةِ فَغَسَلَ
 يَدَهُ فِيهَا وَغَسَلَتْ^(٢) فِي الصُّفْرِ . ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ فَتَرَ مُسْرِعًا فَإِذَا خَدَمٌ مَعَهُمْ كُرَاسِي
 الذَّهَبِ مَرْصَعَةٌ بِالْجَوَاهِرِ ، فُوضِعَتْ عَشْرَةٌ عَنْ يَمِينِهِ وَعَشْرَةٌ عَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ جَاءَتْ
 الْجَوَارِي عَلَيْهِنَّ تِيَجَانُ الذَّهَبِ مَرْصَعَةٌ بِالْجَوَاهِرِ ، فَقَعَدْنَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ عَلَى
 تِلْكَ الْكُرَاسِي ، ثُمَّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنًا عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ ، عَلَى ذَلِكَ
 التَّاجِ طَائِرٌ وَفِي يَدِهَا الْيَمْنَى جَامَةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَتَيْتَ ، وَفِي يَدِهَا الْيَسْرَى جَامَةٌ فِيهَا مَاءٌ
 وَرَدٌّ ؛ فَأَوْمَأَتِ الْجَارِيَةُ أَوْ صَفَّرَتْ بِالطَّائِرِ الَّذِي عَلَى تَاجِهَا فَوَقَعَ فِي جَامِ مَاءِ الْوَرْدِ

(١) الخلنج (فارسي معرب) : شجرتين صفرة وحمرة يكون بأطراف الهند والصين ورقه كالطرفاء.

وزهره أحمر وأصفر وأبيض . وأصل معناه المتنوع الألوان تتخذ من خشبه الأراقي .

(٢) الصفر (بالضم) : النحاس الأصفر .

فَأَضْطَرِبَ فِيهِ ، ثُمَّ أَوْمَاتُ إِلَيْهِ أَوْ صَفَرَتْ فَوْقَهُ فِي جَامِ الْمَسْكِ فَمَتَزَعَ فِيهِ ، ثُمَّ
أَوْمَاتُ فَطَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى تَاجِ جَبَلَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرْفَرِفُ حَتَّى نَفَضَ مَا عَلَيْهِ فِي رَأْسِهِ ،
فَضَحِكَ جَبَلَةٌ سُرُورًا بِهِ ، ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الْجَوَارِي اللَّوَاتِي عَنْ يَمِينِهِ وَقَالَ لَهُنَّ : يَا اللَّهِ
أَضْحَكُنَا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَغْنَيْنَ بِحَقِّ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِلَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ نَادَمْتَهُمْ * يَوْمًا يَخْلُقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ^(١)
يَسْتَقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ * بَرْدَى يَصْفَقُ بِالزَّحِيقِ السَّلْسَلِ ^(٢)
يُقَشُّونَ حَتَّى مَا تَهْتَزُّ كِلَابُهُمْ * لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ * شُمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّارِازِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ * قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ ^(٣)

١٠ قال : فضحك حتى بدت نواجذهُ ثم قال : أتدرى مَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ قلت لا ؛
قال : حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْجَوَارِي اللَّوَاتِي عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ لَهُنَّ : يَا اللَّهِ
أَبْكَيْنَا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَغْنَيْنَ بِحَقِّ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِمَنِ الدَّارُ أَفْقَرَتْ بُعْثَانِ * بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ فَالْخَمَانِ ^(٤)
ذَلِكَ مَعْنَى لَالِ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ * رَوْحُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ ^(٥)

- ١٥ (١) جلق (بكسر تين وتشديد اللام) : هو أَسْمُ لِكُورَةِ الْغُوطَةِ كُلِّهَا ، وَفِيهِ : بِلْ هِيَ دِمَشْقُ
نَقِصًا ، وَقِيلَ : مَوْضِعٌ مِنْ قَرْيَةِ دِمَشْقَ . (٢) الْبَرِيصُ : أَسْمُ غُوطَةِ دِمَشْقَ .
(٣) بَرْدَى : نَهْرُ دِمَشْقَ . (٤) ابْنُ مَارِيَةَ : هُوَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمْرَةَ الْغَسَّاقِي ، وَكَانَ أَمِيرًا عَنْدهم .
(٥) بُعْثَانِ (بضم أوله) : حَصْنٌ كَبِيرٌ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعِينَ مِيلًا مِنْ دِمَشْقَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ .
(٦) الْيَرْمُوكُ : وَادٍ بِنَاحِيَةِ الشَّامِ ، وَكَانَتْ فِيهِ الْوَأَقَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي عُرِفَتْ بِيَوْمِ الْيَرْمُوكِ فِي زَمَنِ عُمَرَ
ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ فُرُوحِ الْمُسْلِمِينَ .
٢٠ (٧) الْخَمَانُ (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : مَوْضِعٌ بِالشَّامِ .

قد أراي هناك دهرًا مكيًا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني^(١)
قال : فبكى حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : أتدرى من يقول هذا ؟
قلت : لا ، قال : حسان ، ثم أنشد : تنصرت الأشراف الأبيات ثم سألنى عن
حسان أحمى هو؟ قلت : نعم ، فأمر له بكسوة ولى بمثلها ، وأمر بمال حسان ونوق
موقرة برأ ثم قال : إن وجدته حيًا فادفع الهدية إليه ، وإن وجدته ميتًا فادفعها إلى
أهله وأخبر الثوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عمر بنخبره وما اشترط على وما ضمنت له قال : فهلا ضمنت
له الأمر فإذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه ! ثم جهزنى عمر إلى القسطنطينية
إلى هرقل ثانية وأمرنى أن أضمن له ما اشترط ، فلما دخلت القسطنطينية وجدت
الناس قد أنصرفوا من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب .

ذكر أخبار ملوك الحيرة

وهم من آل قحطان

وأولهم مالك بن قهم بن غنم بن دؤس بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك
ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٢) . وكان قد خرج من
اليمن مع عمرو بن عامر حين أحسوا بسيل العرم ، وقد ذكرنا أن الملك ربيعة
ابن نصر كان قد بعثهم إلى سابور فأسكنهم الحيرة وملكوها ما حولها . والله أعلم .
قال : وكان ملك مالك على الحيرة عشرين سنة .

(١) رواية الديوان (ص ٥٥ ضبع أوربا) :

قد أراي هناك حق مكي * عند ذى التاج مجلسى ومكاني

ورواية الأغاني (ج ١٤ ص ٦ طبع بلاق) :

قد أراي هناك حقًا مكيًا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني

(٢) ورد هذا النسب فى تاريخ أبي الفدا (ص ١٢٠ طبع أوربا) ببعض تغيير بالزيادة والنقصان .

ثم ملك بعده أبنته جَذِيمَةُ وهو الوضاح ^(١) . قال : وكان يقال له ذلك لَبْرِصَ كان به ، ويقال أيضا فيه الأبرش ، وكان يترل الأنبار ، وكان لا يُنادِم أحدًا من الناس ذهابا بنفسه على الندماء ، وكان ينادِم الفرقَدَيْنِ فإذا شَرِبَ قدحا صَبَّ [في الأرض] لهذا قدحا ولهذا قدحا . ويقال : إنه أول من عَمِلَ المِنَجْنِيقَ من الملوك ، وأول من حُذِثَ له النَعَالُ . وأول من وقَدَّ بين يديه الشمع ، وهو الذي قتلته الزبَاء بجيلة .

ثم ملك بعده أبْنُ أخته عمرو بن عَدِيٍّ بن ربيعة . قالوا : وعمرو هذا هو الذي استهوته الجنُّ دهرًا طويلا ثم رَجَعَ ؛ فبينما مالك وعَقِيلُ أبنا فارج وقيل — فالج — يقصدان جَذِيمَةَ المَلِكِ بهدية إذ نزلا على ماء ومعهما قَيْنَةٌ يقال لها : أم عمرو ، فتعرض لهما عمرو ، وقد طالَّتْ أظفاره وشعره وساءت حالته وهيئته ، بفلس إليهما — وكانا ياكلان — فدَّ إليهما يده مُسْتَطَعِمًا فناولته تلك الجارية طعاما فأكله ، ثم مدَّ يده ثانية فقالت : إِنْ يُعْطَى العبدُ كُرَاعًا يَبْتَغِ ذِراعًا ! ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت سقاءها ، فقال عمرو :

صَدَدَتِ الكَاسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو * وكان الكأسُ مَجْرَاهَا اليَمِينَا
وما شَرُّ الثَلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو * بصاحِبِكِ الذي لا تَصْبَحِينَ ^(٢)

(١) في تاريخ أبي الفداء (ص ١٢٠ طبع أوربا) أن الذي ملك بعد مالك بن فهم أخوه عمرو

ابن فهم ، ثم ملك بعده جَذِيمَةُ بن مالك .

(٢) التكملة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٧٤ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٣) أوكأت سقاها : شدت فيه سيرا أو خبط ، أى ربطته .

(٤) هذان البيتان من معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة . وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت

جذيمة الأبرش كما ورد هنا والأغاني (ج ١٤ ص ٧٣ طبع بلاط) .

فقالوا له : مَنْ أنت ؟ فَأَنْتَسِبَ لهما ، ففَرِحَا به وأَقْبَلَا على خاله — وقد كان جعل الجمائل لمن يأتينه به — فلما أتياه به قال جَذِيمَةٌ لهما : لَكَا حُكْمُكَا . فقالا : مُنَادِمَتُكَ . فكنا كما أَخْتَارَا ، وسار بهما المثل . ويقال : لهما نَادِمَاهُ أربعين سنة ، فإِعادَا عليه حديثًا مما حَدَّثَاهُ به مرَّةً أُخْرَى ، بل كانا يَحْدِثَانِهِ بِحَدِيثٍ جَدِيدٍ لم يسمعه منهما قَبْلُ .

وعَمَرُوْهُ هَذَا هو الذى أَخَذَ بشار خاله جَذِيمَةً من الرِّبَاءِ وَقَتَلَهَا . وذلك أَنَّ قَاصِرَ ابنِ سعد كان من غِلْمَانِ جَذِيمَةٍ قال لعمرو : اضْرِبْ ظَهْرِي وَأَقْطَعْ أَرْبَعَةَ أَنْفِي وَأَتْرَكْنِي وَالرِّبَاءَ ، فَإِنِّي سَأَحْتَالُ لَكَ عَلَيْهَا ، ففَعَلَ به ذلك ، ففَزَّ قَاصِرٌ إِلَى الرِّبَاءِ وصار في جملة رجاها وأراها النصيح والاجتهاد في حِرَائِجِهَا ، وأنه غاش لعمرو ابن عَدِيٍّ ؛ وجعل يَتَجَرَّ لَهَا ويذهب لعمرو في السَّرِّ فَيُعْطِيهِ الْأَمْوَالَ فَيَأْتِيهَا بها ، كَأَنَّ ذَلِكَ من أَجْتِهَادِهِ وَحِدْقِهِ في التَّجَارَةِ حَتَّى أَطْمَأْنَنَتْ لَهُ ؛ فذهب إلى عمرو وأخذه وأخذ معه أَلْقَى رَجُلٌ وجعلهم في جَوَالِقٍ على أَلْفِ جَمَلٍ ، ومعهم دُرُوعُهُمْ وسيوفُهُمْ وجاء بهم على طريق يقال له الْغَوِيرُ^(١) ، ولم يكن يَسْلُكُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فلما قَرَّبَ من حصنها تقدَّم إليها وأعلمها أنه قد أتاها بِأَمَالٍ صَامِتٍ ، فأشرفت من أعلى قصرها تنظر إلى الجمال ، فرأَتْهَا وكَأَنَّهَا تَنْزِعُ أَرْجُلَهَا من أَوْحَالٍ لِيَثْقَلَ مَاعِليها ، فقالت : « عَمَى الْغَوِيرُ أَبُوسًا » . فذهبت مثلاً . ثم قالت :

مَا لِلْمَطَايَا مَشْيُهَا وَثِيْدًا * أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدًا
أُمَّ صَبْرًا نَارِدًا شَدِيدًا * أُمَّ الرِّجَالِ جُنْمًا قُبُودًا^(٢)

(١) الغوير : موضع على الفرات .

(٢) صبرًا ناريًا باردًا : قال في شرح القاموس (مادة صبر) : « الصرفان (بحركة) : الموت عن ابن الأعرابي ، وقال ابن عباد : هو النحاس ، وفي اللسان : الرصاص الثقلي » ، وبهما فسر قول الرِّبَاءِ : =

وقد كان قَصِيرٌ قال لها قبل ذلك كالناصح : ما ينبغي لمثلك إلا أن يكون له موضع ليوم ، فإنه لا يدري ما تُحدثه الأيام ؛ فارتته سِرْباً في ناحية قَصِيرها قد نفذت فيه إلى حصن أختها - وكانا على صَفَتَي الفُرَات - قال : فلما دخلت الإبل على البواب فجعلت لكثرتها ، حتى إذا كان آخرها طعن في جوالق يعود كان في يده ، فقابلت الطعنة خاصرة الرجل الذي كان في الجوالق فخنق فقال البواب : لشنا لشنا ؛ أي شيء ،^(١) في الجوالق ، فثارت الرجال من الجوالق بأيديهم السيوف ، فهربت الزباء إلى ذلك السرب فإذا هي بقَصِير عند النفق ومعه عمرو بن عدى ، والسيوف في يده ، فصّت خائماً كان في يدها فيه سم ساعة وقالت : « سيدي لا يبد غمرو » . وفي ذلك يقول المتلمس :

وفي طلب الأوتار ما حرّ أنفهُ * قصير ورّام الموت بالسيف يهس

= « ما للجمال مشها وثيدا ... » وذكر البيتين ، متابعاً في ذلك ما جاء في اللسان (مادة صرف) مع بعض تغيير في اللفظ . ثم قال بعد ذلك : « وقيل الصرقان هنا : تمر رزين مثل البرقي لأنه صلب المضاع علك ، والناس يتخرونه » .

ولعل تفسير البيتين بالتمر أنسب ؛ فإن شارح القاموس قال بعد ذلك : قال أبو عبيد : ولم يكن يدي للزباء شيء أحب إليها من التمر الصرقان وأنشد :

ولما انتهت السير قالت أبارد من التمر أم هذا حديد وجندل

وقد ذكر صاحب اللسان قول أبي عبيد والبيت الذي أنشده . وقال الجوهري في الصحاح (مادة صرف) : والصرقان : الرصاص ، والصرقان أيضاً : جنس من التمر قالت الزباء :

* ما للجمال مشها وثيدا ... الخ *

(١) كذا في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٩٣ طبع لندن) وفي الأصول : « الملك » .

(٢) كذا في الأصول ، وفي مروج الذهب (ج ١ ص ٢٢٥ طبع بلاق) . « فقال البواب : بشنا بشنا بالنبلّة ، أي في الجوالق شر » . وفيه (ج ٣ ص ١٩٧ طبع أوروبا) : « فقال البواب : بشنا لشنا ، أي شر في الجوالق »

وعمره هذا هو الذي يقال فيه : « شَبَّ عمرو عن الطوق » وكانت مدة ملكه مائة سنة .

ثم ملك بعده أبوه عمرو القيس . فكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده أبوه عمرو بن أمري القيس وهو محرق العرب . وكان ملكه خمساً وعشرين سنة ، وكانت أمه مارية التي يضرب المثل بقهرها .

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر فارس حليلة ، وهو الذي بنى الخورنق وكردس الكراديس . وكان أعور ، ويقال : إنه أشرف في بعض الأيام على ما حول الخورنق فقال : أكل ما أرى إلى نقاد ؟ قيل : نعم . قال : فأي خير في ملك يكون آخره إلى نقاد ! ثم أنخلع من ملكه ولبس المسوح وسار في الأرض . وقد ذكره عدى بن زيد فقال :

وَتَفَكَّرْتُ الخورنق إذ أشد * رَفَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ

سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَم * نَلَّكَ وَالْبَحْرُ مَعْرِضًا وَالسَّيْرُ

(١) في الأصل : « الحرب » . وما أثبتناه عن مروج الذهب . وفيه وفي تاريخ أبي الفدا ص ١٢٢ طبع أوربا أن الذي يسمى نخوقا هو عمرو القيس بن عمرو بن أمري القيس ، وإنما هي نخوقا لأنه أول من عاقب بالنار .

(٢) كذا في الأصل ، وفي مروج الذهب : أن الذي ملك بعده النعمان بن أمري القيس ، ثم المنذر ابن النعمان بن أمري القيس ، ثم النعمان بن المنذر .

(٣) كذا في مروج الذهب وشرح قصيدة ابن عبدون ، وفي الأصل : « حله » .

(٤) الخورنق : قصر بناء سمار على ثلاثة أسيال من الحيرة .

(٥) كردس القائد خيله : أي جعلها كتيبة كتيبة . والكراديس : كاتب الخيل وأحد كراديس .

(٦) في تاريخ أبي الفدا : أن الذي كان أعور هو النعمان بن أمري القيس بن عمرو .

(٧) معرضا : معرض بمعنى متع ، ومنه أعرض القوب ، أي اتسع وعرض .

فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ : فَاغْبِ • طَلَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ؟

وكان مُلْكُهُ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً •

ثم ملك الأسودُ بنُ النعمانِ • فكان ملكه عشرين سنة • ويقال : إن الأسودَ هذا هو الذي انتصر على غَسَّانَ وأَسْرَعَدَةَ من ملوكهم ، وأراد أن يَحْفُوَ عنهم ، وكان للأُسد ابنُ عمِّ يقال له : أبو أَذْيَنَةَ ، قد قَتَلَ آلَ غَسَّانَ له أَخًا في بعض الوقائع ، فقال قصيدته المشهورة يُغَيِّرُ بِهِمُ الْأَسْوَدَ بْنَ النُّعْمَانِ :

ما كُلُّ يَوْمٍ يَنَالُ الْمَرْءُ مَا طَلَبَا • وَلَا يُسَوِّغُهُ الْمِقْدَارُ مَا وَهَبَا

وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ • لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ الْمَوْصُولَ مُقْتَضِبَا

وَأَنْصَفُ النَّاسِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مَنْ • سَقَى الْمُعَادِينَ بِالْكَأْسِ الَّذِي شَرِبَا

وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ • بِحَذِّ سَيْفٍ بِهِ مَنْ قَبْلَهُمْ ضَرْبَا

وَالْعَفْوُ إِلَّا عَنِ الْأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ • مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قُلْتَهُ كَذِبَا

قُلْتَ عَمْرًا وَيَسْتَبْقَى يَزِيدٌ لَقَدْ • رَأَيْتَ رَايَا يَمْزُجُ الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا • إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا اللَّئِبَا

هُمْ جَرَّدُوا السَّيْفَ فَأَجْلَّهُمْ لَهُ جَزْرًا • وَأَوْقَدُوا النَّارَ فَأَجْلَّهُمْ لَهَا حَطْبَا

إِنْ تَعَفَّ عَنْهُمْ يَقُولُ النَّاسُ كُلُّهُمْ • لَمْ يَعْفُ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوُهُ رَهْبَا

وَكَانَ أَحْسَنَ مِنْ ذَا الْعَفْوِ لَوْ هَرَبُوا • لَكُنْهُمْ أَثَقُوا مِنْ مِثْلِكَ الْهَرَبَا

هُمُ أَهْلَةُ غَسَّانَ وَمَجْدُهُمْ • عَالٍ فَإِنْ حَالُوا مُلْكًا فَلَا عَجْبَا

وَعَرَضُوا بِفِدَاءٍ وَأَصْفَيْنَ لَنَا • خَيْلًا وَأَبْلًا يَرُوقُ الْعُجْمُ وَالْعَرَبَا

(١) المقدار هنا : القدر (بالتحريك) •

(٢) جزرا : قطعلا •

(٣) رهبا : خروفا •

(١) أَيَجْلِبُونَ دَمًا مِنَّا وَنَحْلِبُهُمْ * رِسْلًا لَقَدْ شَرَفُونَا فِي الْوَرَى حَلْبًا
عَلَامَ تَقْبِلَ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ * لَا فِضَّةَ قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبًا
فلما أنشده هذه القصيدة رجع عن رأيه في العفو عنهم وقبول الفداء منهم
وقتلهم . والله أعلم .

(٢) ثم ملك بعده المنذر بن الأسود ؛ وكانت أمه ماء السماء . وكانت مدة ملكه
أربعًا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر . فكان ملكه أربعًا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده المنذر بن عمرو بن المنذر . وكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده قابوس بن المنذر . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء .

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر ؛ وهو الذي قيل له : « أَيْلَتَ اللَّعْنِ » وهو
آخر من ملك من آلهم . وكان ملكه أربعين وعشرين سنة . وها نحن نذكر ما قيل
في سبب ملكه وزواله .

قالوا : وكان عدى بن زيد العبّادي وأبنته زيد بن عدى سبب ولايته
وسبب هلاكه . وذلك أن عديا وأخويه ، وهما عمار وعمرو ، كانوا في خدمة
الأكاسرة ولهم من جهتهم قطائع ، وكان قابوس الأكبر عم النعمان بعث إلى
كسرى أبرويز بعدى بن زيد وأخويه ليكونوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات

(١) الرسل (بالكسر) : اللبن . والحلب (بالتحريك) : استخراج ما في الضرع من لبن .

(٢) ذكر أبو الفدا في تاريخه (ص ١٢٦ طبع أوروبا) ما يخالف ذلك فأنظره .

(٣) أسمها ماوية بنت عوف بن جشم ، وإنما لقبّت ماء السماء لحسنها وجهها . (راجع تاريخ أبي الفدا .

ص ١٢٦ طبع أوروبا وشرح قصيدة ابن عبدون ص ٩٦ طبع لندن) .

المنذر ترك من الأولاد آتني عشر رجلا ، وهم الأشاهب ^(١) ، سموا بذلك لجمالهم ،
وفيهم يقول الأعشى :

وبنو المنذر الأشاهب بالـ * يرة يمشون غُدوة كالسيوف ^(٢)

١٠٤
١٣

- فجعل المنذر أبنه النعمان في حجر عدى بن زيد هذا ، وجعل أبنه الأسود
في حجر رجل يقال له : عدى بن أوس بن مرينا ، وبنو مرينا قوم لهم شرف ^(٣) ،
وهم من نَحْم ، وترك المنذر بقية بنيه ، وهم عشرة ، يستقل كل واحد منهم
بنفسه ، وجعل المنذر على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي ، فلما مات قابوس طلب
كسرى من يملكه على العرب ، فدعا عدى بن زيد فقال له : من بقي من بني المنذر ،
وما هم ؟ وهل فيه خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت ، يعني المنذر ، وهم رجال
نجباء ، فكتب إليهم بالقدوم عليه ، فقدموا فأنزلهم ، على عدى بن زيد ، وكان عدى
يرى موضع النعمان لأنه في حجره ويختاره على بقية إخوته في الباطن ، وهو يظهر لهم
خلاف ذلك ويفضلهم عليه في الظاهر ، ويكرمهم ويخلو بهم ويربهم أنه لا يرجو
النعمان ، كل ذلك ، ليطمئنون إليه ويرجعوا إلى رأيه ، ثم خلا بكل منهم على أفرادهم
وقال لهم : إن سألكم الملك : أتكفوني العرب فقولوا : نكفيهم إلا النعمان ، وقال
للنعمان : إن سألك الملك عن إخوانك فقل له : إن عجزت عنهم فأتني عن غيرهم أعجز .

(١) الشبة في الأصل : بياض يخالطه سواد ، وقيل : البياض الذي يظلب على السواد ، وقد يقال
على مطلق البياض كما قالوا : ستة شهاب : أي بياض ، لكثرة الثلج وعدم النبات . وفي القاموس : « والأشاهب
بنو المنذر لجمالهم » قال شارحه السيد مرتضى : « سموا بذلك لبياض وجوههم » .

(٢) كذا في شعر الأعشىين (ص ٢١٢ طبع أوروبا) وفي الأصول : « بالسيوف » .

(٣) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل المباد ، وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس في قوله :

فسلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا

وليس مرينا بكلمة عربية (انظر تاج العروس واللسان مادة مرن) .

قال : وكان عدى بن أوس بن مَرِينَا داهيةً أريباً ، وكان يُوصى الأسود
 ابن المنذر ويقول : قد عرفتُ أُنَى لك راج ، وأن طُلُبْتُ اليك وزغيتي أن تخالف
 عدى بن زيد فيما يشير به عليك ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً ، فلم ياتفت الأسود
 الى قوله . فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه قدمهم رجلاً رجلاً ،
 وكسرى يرى رجلاً فلما رأى مثلهم ، فإذا سألهم هل تكفونى العرب قالوا : نكفيك
 العرب كلها إلا النعمان . فلما دخل النعمان عليه رأى رجلاً دميماً قصيراً أحمر الشعر
 فكلّمه وقال : هل تستطيع أن تكفينى العرب ؟ قال نعم ، قال : فكيف تصنع
 بإخوتك ؟ قال : أيها الملك إن عجزتُ عنهم فأتى عن غيرهم أعجز ، فملكه وكساه
 وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم . فلما خرج وملك على العرب قال عدى
 ابن أوس بن مَرِينَا للأسود بن المنذر : دونك فإنك خالفت الرأى .

قال : ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة وأرسل الى ابن أوس أن آتني
 مع من أحببت فإن لى حاجة ، فاتاه فى أناس فتعدوا فى البيعة ، فقال عدى بن زيد
 لعدى بن أوس : يا عدى إن أحق من عَرَفَ الحق ثم لم يَلَمْ عليه من كان مثلك ،
 أتى عرفتُ أن صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ،
 فلا تُلَمْنِي على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تحقد على شيئاً لو قد رت عليه
 ركبته ، وأحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي ، فإن نصيبي من هذا
 الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد الى البيعة وحلف ألا يهجو
 ولا يبيغيه غائلة أبداً ، ولا يروى عنه خيراً ، وحلف عدى بن أوس على مثل يمينه
 ألا يزال يهجو أبداً ويبغيه الفوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى أتى منزله بالحيرة ،
 وأتفرق العديان على وحشة ، فقال عدى بن أوس للأسود : إن لم تظفر أفلا تعجز
 أن تطلب بئارك من هذا المبدى الذى عمل بك ما عمل ؟ فقد كنت أخبرتك

أن معداً لا تنام عن مكراها، وأمرتك أن تخالفه فعصيتني . قال : فما تريد ؟ قال :
 ألا تأتيك فائدة من مُلكك ولا أرضك إلا عرضتها عليّ ، ففعل . وكان عدى بن
 أوس كثير المال ، فلم يمز به يومٌ إلا بعث فيه إلى النعمان هدية أو تحفة . فلما توالى
 ذلك وكثرت هداياه عند النعمان صار من أكرم الناس عليه ، وصار لا يقضى في مُلكه
 شيئاً إلا برأى عدى بن أوس . فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن أوس عنده
 تابعوه ولزموه ، فكان يقول لمن يثق به من أصحاب النعمان : إذا رأيتموني
 أذكر عدى بن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما يقول ولكنه لا يُسلم عليه أحد ،
 وإنه يقول : إن الملك — يعني النعمان — إنما هو عامله ، وإنه هو الذي
 ولّاه ما ولّاه .

١٠ فلم يزالوا بهذا وأشباهه حتى أضغنوا النعمان عليه . ثم إنهم كتبوا كتاباً عن عدى
 إلى قهرمان كان له ، ودسوا من أخذ الكتاب وأتى به النعمان فقرأه فغضب ، وأرسل
 إلى عدى بن زيد يقول : عزمتُ عليك ألا زرتني فإني قد اشتقتُ إليك ، وكان
 عند كسرى ، فاستأذنه في زيارة النعمان فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه ،
 فجعل يقول الشعر ويستعطفه به ، فكان مما قاله :

١٥ أبلغ النعمان عني مالكا * إنه قد طال حبسي وانتظاري
 لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالفصان بالماء أعنصاري

١٠٥
١٣

(١) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٢) مالكا : المالك (بفتح اللام وضمة) : الرسالة ، لأنها تنزل في القم (تلاك) ، قال
 ابن بري : وقد يقال مألكة ، وروى عن محمد بن يزيد أنه قال : مالك جمع مالكة . (انظر اللسان
 مادة ألك) . وقال البغدادى في خزنة الأدب (ج ٣ ص ٩٧) : والمالك (يسكون الحزنة وضم اللام) :
 الرسالة ، وقال الزجاج : مالك جمع مالكة .

(٣) اعتصاري : قال الجوهري : الاعتصار : أن يَفْص الإنسان بالطعام فيعصر بالماء ، وهو
 أن يشربه قليلا قليلا لبيذه ، وأنشد هذا البيت . وقال البغدادى في الخزنة (ج ٣ ص ٩٦) : =

وقال أشعارا كثيرة كانت تبُغ النعمان فندِم على حبسه وعَلِمَ أنه كيد فيه ، فكان يرسل إليه ويَعِدُّه ويُمَنِّه ، فلما طال سجنه وأعياء التضرع إلى النعمان كتب إلى أخيه أبي — وهو عَمَّار — وهو مع كسرى يخبره بحاله ، ويبعثه على السعى في خلاصه ، فدخل أبي على كسرى وكلمه ، فكتب إلى النعمان في أمره وبعث رسولا بكتابيه ، فقال له أبي : إبدأ بعدي وأنظره قبل أن تجتمع بالنعمان ، ورشاد على ذلك ، ففعل الرسول ذلك ودخل إلى الحبس واجتمع بعدي وقال له : ماتحب أن أصنع ؟ قال : أحب ألا تخرج من عندي ، وأعطيني كتاب كسرى لأرسله من قبلي . قال : لا أستطيع ذلك . قال : فإنك إن خرجت من عندي قتلت . فقال : لا بد أن آتي النعمان وأوصله الكتاب من يدي ، فأنطلق إلى النعمان وأوصله الكتاب فقبله وقال : سمعاً وطاعة ، ووصله بأربعة آلاف مثقال ^(١) [ذهبا] وجارية ^(١) [حسنة] وقال : إذا كان من غد فادخل عليه وأخرج به بنفسك . وكان أعداء عدي أتوا النعمان وأخبروه أن رسول كسرى دخل إلى عدي وأنه إن خرج من الحبس لم يستبق منا أحداً ، ولم تنج أنت ولا غيرك ، فأمرهم النعمان بقتله ، فدخلوا عليه لما خرج الرسول من عنده وغموه حتى مات ^(٢) ، فلما أصبح الرسول دخل السجن فقال له الحرس : إن عدياً قد مات منذ أيام ، ولم نجرو أن نخبر النعمان فرفأ منه لعلمنا بكرهيته لذلك ، فرجع الرسول إلى النعمان فقال :

= وتحقيقه أن الاعتصار الأتجا . كما قال أبو القاسم علي بن حمزة البصري فإيا كنه على النبات لأبي حنيفة الدينوري . وساق البغدادي كلام أبي القاسم هذا بنصه ، ثم قال : وقيد صار هذا البيت مثلاً للتأذي من يرمى إحسانه . وقد أورد الميداني في جمع الأمثال المثل : « لو تغير الماء فخصت » وقال : إنه يضرب لمن يوتق به ثم يوتق السواتق من قبله وامتنهد بهذا البيت . وفي الأصول : « انتصاري » وهو تحريف .

(١) التكلة من الأغاني (ج ٢ ص ١٢١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) يريد أنهم غطوا وجهه بشئ حتى اختنق .

إِنِّي كُنْتُ بَدَأْتُ بِهِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ حَيٌّ : فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ : يَبْعَثُكَ الْمَلِكُ إِلَى
فَتَدْخُلُ إِلَيْهِ قَبْلِي ، كَذِبَتْ ! وَلَكِنَّكَ أَرْتَشَيْتَ وَتَهْتَدُهُ ، ثُمَّ أَسْتَدْعَاهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَزَادَهُ
جَائِزَةً وَكِسُوفَةً ^(١) وَاسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَصَرَفَهُ إِلَى كِسْرَى . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : قَدِمَات
قَبْلَ مَقْدَمِي عَلَى النِّعْمَانِ .

- ٥ قال : ثُمَّ نَدِمَ النِّعْمَانُ عَلَى قَتْلِ عَدِيّ نَدَمًا شَدِيدًا وَأَجْتَرَأَ أَعْدَاءُ عَدِيّ عَلَى النِّعْمَانِ
وَهَابِهِمْ ، ثُمَّ رَكِبَ النِّعْمَانُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ لِلصَّيْدِ فَلَقِيَ أَبْنَاءَ لَعْدِيّ بْنِ زَيْدٍ ، فَكَلَّمَهُ فَإِذَا
هُوَ غُلَامٌ ظَرِيفٌ فَفَرَّجَ بِهِ النِّعْمَانُ وَقَرَّبَهُ وَوَصَّلَهُ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ جَهَّزَهُ إِلَى كِسْرَى ^(٢)
وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ عَدِيًّا كَانَ مِنْ أَعْيُنَ بِهِ الْمَسْلَكُ فِي نَصِيحَتِهِ وَرَأْيِهِ ، فَأَنْقَضَتْ مُدَّتُهُ
وَأَنْقَطَعَ أَجَلُهُ ، وَلَمْ يُصَبِّ بِهِ أَحَدٌ أَشَدَّ مِنْ مَصِيبَتِي ، وَإِنْ الْمَلِكُ لَمْ يَكُنْ لِيَفْقِدَ رَجُلًا
مِنْ عِيْدِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُ خَلْفًا ، وَقَدْ أَدْرَكَ لَهُ ابْنٌ لَيْسَ هُوَ دُونَهُ ، وَقَدْ سَرَّحْتَهُ
إِلَى الْمَلِكِ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَجْعَلَهُ مَكَانَ أَبِيهِ وَيَصْرِفَ عَمَّهُ إِلَى عَمَلٍ آخَرَ فَعَلَّ . فَأَجَابَهُ
كِسْرَى إِلَى ذَلِكَ وَرَتَّبَهُ فِي وَظِيفَةِ أَبِيهِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ النِّعْمَانِ فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَكَثُرَتْ
سَنَوَاتُ عَلَى مِثْلَةِ أَبِيهِ وَأَعْجَبَ بِهِ كِسْرَى . وَكَانَ لِصَاحِبِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ عَلَى الْعَرَبِ
وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنَ الْأَفْرَاسِ وَالْمَهَارَةِ وَالْكَدَاةِ وَالْأَقِيطِ وَالْأُدُمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ
يَلِي مَا يَكْتَسِبُ عَنْ كِسْرَى إِلَى الْعَرَبِ .

١٥ قال : ثُمَّ تِمَكَّنَ زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ مِنْ زَيْدٍ عِنْدَ كِسْرَى حَتَّى كَانَ يَجْتَمِعُ بِهِ فِي أَوْقَاتِ
خَلَوَاتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَكَلَّمَهُ فِيمَا دَخَلَ بِسَبَبِهِ ، ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ النِّسَاءِ .
وَكَانَتْ عِنْدَ الْأَكَاكِرَةِ صَفَاتُ امْرَأَةٍ ، وَمِنْ رَشْمِهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا لِلْمَلِكِ مَنْ هِيَ مُتَّصِفَةٌ

(١) عبارة الأغاني : « وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه » .

(٢) جهزه : أعد له معدات السفر .

(٣) المهارة : جمع المهر ، والمهر أزل ما يفتح من الخيل والجر الأهلية وغيرها .

بتلك الصفات . وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدي إلى أنوشروان جارية كان
أصابها لما أغار على الحارث الأكبر الفسائي ، فكتب إلى أنوشروان بصفة الجارية
فقال : هي معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والنفر ، بيضاء قراء وطفاء ^(١) دُغجاء ^(٢) حوراء عيّناء
[قنواء] ^(٣) سماء ^(٤) [برجاء] ^(٥) زجاء ^(٦) أسيلة الخد ، [شبيهة المقبل] ^(٧) جثلة الشعر ، عظيمة ^(٨)
الهامة ، بعيدة مهوى القُرط عطاء ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاش ^(٩)
المنكب والعصيد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنّان ، لطيفة طي البطن ،
نحيصة الخصر ، غرقى الوشاح ، ^(١١) رداح الأقبال ، رابية الكفل ، ^(١٢) مفعمة الساق ، ^(١٣) لقاء
الفخذين . ربا الروادف ، ضخمة الماكنتين ، ^(١٤) عظيمة الركبة ، ^(١٥) مشبعة الخلخال ، لطيفة

(١) الوطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) المدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .

(٣) زيادة من الأغاني (ج ٢ ص ١٢٣ طبعة دار الكتب المصرية) ، والقنواء : وصف من القنا
وهو ارتفاع في أعلى الأنف وأحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه .

(٤) الشم في الأنف : ارتفاع الفصبة وحسنها .

(٥) زيادة من الأغاني . والبرجاء : الخيلة الحسنة الوجه .

(٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول . (٧) زيادة من الأغاني .

(٨) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه . (٩) العيطاء : الطويلة العنق .

(١٠) المشاش : روس العظام مثل المنكين والركنين والمرفقين .

(١١) غرقى الوشاح : دقيقة الخصر .

(١٢) الرداح : العجاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال (بالفتح) : ما استقبلك من

مشرف والواحد قبل (بالتحريك) .

(١٣) مفعمة الساق : مملتها .

(١٤) المساكنتان : اللحمتان اللتان على روس الوركين ، الواحدة مأكمة .

(١٥) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن ، وفي اللسان : امرأة شبي الخلخال : ملاهى سمنها .

الكعب [والقدم، قُطُوفُ المشي]، ^(١) مَيْكَالُ ^(٢) البُضْحَى، ^(٣) بَيْضَةُ ^(٤) المتجرد، سَمُوعٌ ^(٥) للسيد،
 ليستَ بِجَنَسَاءَ وَلَا سَفْعَاءَ، ^(٦) رَفِيقَةُ ^(٧) الأنف، ^(٨) عَزِيزَةُ ^(٩) النفس، ^(١٠) لَمْ تَغْدُ فِي بَوَاسٍ، ^(١١) حَيَّةٌ
 رَزِينَةٌ، ^(١٢) حَلِيمَةٌ ^(١٣) رَكِينَةٌ، ^(١٤) كَرِيمَةُ ^(١٥) الحال، ^(١٦) تَقْتَصِرُ ^(١٧) بِنَسَبِ أَيْبَاهَا، وَبِفَصِيلَتِهَا دُونَ جَمَاعِ
 قَبِيلَتِهَا، قَدْ أَحْكَمْتَ ^(١٨) التَّجَارِبُ ^(١٩) فِي الْأَدَبِ، رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّرَفِ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ
 الْحَاجَةِ، ^(٢٠) صَنَاعُ ^(٢١) الْكَفَّينِ، ^(٢٢) قَطِيعَةُ ^(٢٣) اللِّسَانِ، رَهْوَةُ ^(٢٤) الصَّوْتِ [سَاكِنَتُهُ]، ^(٢٥) تَزِينُ ^(٢٦) الْيَبْتِ
 وَتَشِينُ ^(٢٧) الْعَدُوَّ ^(٢٨) إِنْ أَرَدْتَهَا أَشْتَهَتْ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا أَتَهَتْ، ^(٢٩) تُحْمَلِقُ ^(٣٠) عَيْنَاهَا، وَتَحْمُرُّ ^(٣١) وَجَتَاهَا،
 وَتَذَبْذَبُ ^(٣٢) شَفَتَيْهَا، ^(٣٣) وَتَبَادِرُكَ ^(٣٤) الْوُشْبَةُ [إِذَا قَمَتَ]، وَلَا تَجْلِسُ إِلَّا بِأَمْرِكَ إِذَا
 جَلَسْتَ. ^(٣٥) فِقْلُهَا ^(٣٦) أَبُو شُرَوَانُ وَأَمْرٌ بِإِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي دِيَوَانِهِ، فَكَانَتْ تَتَوَارَتْ

١٠٦
١٣

(١) زيادة من الأغاني . والقطوف : وصف من القفاط وهو تقارب الخطو .

(٢) المكسال : المرأة التي لا تكاد تريح مجلسها ، وهو مدح لها مثل نوزم الضحى .

(٣) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المتجرد (بالفتح) أى بضة عند التجرد ، فالمتجرد على هذا

مصدر . ومن قال : بضة المتجرد (بالكسر) أراد أجسم .

(٤) الخنساء من الخنس (بالتحريك) وهو ثامر الأنف الى الرأس وأرتقاءه عن الشفة وليس بطويل

ولا مشرف ، وقيل هو قريب من القطس وهو لصوصق نضبة بالوجهة وضخم الأرنبة .

(٥) السفعا من السفع (بالتحريك) وهو السواد والشحوب . وفي الحديث : « أنا وسفعا

الخدن الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين » وضم أصابعه ، أراد بسفعا الخدين أنها بذلت نفسها

وتركت الزينة والزحف حتى شحب لونها وأسودت ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .

(٦) ركنة : ساكنة وقورة . (٧) عبارة الأغاني هنا : « تقتصر على نسب أبيها دون

فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جماع قبيلتها » . (٨) في الأغاني : « الأمور » .

(٩) كذا في الأصول بها . التأنيث ، وفي القاموس واللسان : « وأمرأة قطع الكلام بغيرها . إذا

لم تكن سليطة » . (١٠) رهوة الصوت : رقيقته سهله .

(١١) الكلمة من الأغاني . (١٢) في الأغاني « الول » .

(١٣) في اللسان : والمحلق من الأعين : ماحول مقلتها بياض لم يحاطه سواد .

(١٤) الكلمة من الأغاني . (١٥) في الأغاني : « دواوينه » .

حتى انتهى الملك إلى كسرى أبرويز بن هرمز. فلما قرئت هذه الصيغة عليه قال له
 زيد بن عدى : أيها الملك ، أنا أخبرك المنذر ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات
 عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصيغة . فقال له كسرى : اكتب فيهن
 إليه . فقال : أيها الملك ، إن شر شيء في العرب وفي النعمان ^(١) [خاصة] أنهم يتكرمون
 - [زعموا] في أنفسهم - عن العجم ، فأبعثنى إليه وأبعث معي رجلا ^(٢) [من ثقاتك] ^(٣)
 يفقه العربية . فبعث معه رجلا جَلدا ^(٤) [فيهما] ، فخرج به زيد حتى أتى الحيرة ودخل
 على النعمان ، فلما دخل عليه عظم الرسول أمر كسرى وقال له : إنه قد احتاج إلى نساء
 لأهله وولده فأراد كرامتك ^(٥) [يصهره] . فبعث إليك فيهن . فقال النعمان : وما صفة
 هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صفتهن قد جئناك بها ، وقرأها علي زيد بن عدى ، فشق
 ذلك على النعمان وقال لزيد وللرسول : أما في مَهَا السَّوَادِ وعَيْنِ فَارِسٍ ما تبلغون به
 حاجتكم ؟ فقال الرسول لزيد : ما المَهَا والعَيْن ؟ قال : البقر . فقال زيد للنعمان : إنما
 أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن ذلك يُشَقُّ عليك لما كتب إليك ، فأنزلها [يومين
 عنده] ثم كتب إلى كسرى . إن الذي طلب الملك ليس عندي . ثم قال لزيد :
 أعذرني عنده . فلما رجعا إلى كسرى قال لزيد : أين ما كنت أخبرني به ؟ قال :
 قد كنت أخبرتك بصنعتهم بنسائهم على غيرهم ، وإن ذلك من شقائهم ، فسئل هذا
 الرسول عن مقالة النعمان فإني أكره أن أواجه الملك بما قاله ، فقال للرسول :
 وما قال ؟ قال إنه قال : أما في بَقَرِ السَّوَادِ [وفَارِسٍ] ^(٦) ما يكفي الملك حتى يطلب

(١) زيادة من الأغاني . (٢) زيادة من الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « على » . (٤) زيادة من الأغاني .

(٥) زيادة من الأغاني . (٦) زيادة من الأغاني . (٧) زيادة من الأغاني .

(٨) زيادة من الأغاني .

ما عندنا ! فعُرفَ الغضبُ في وجه كسرى ثم قال : رُبَّ عبدٍ قد قال هذا فصار أمره إلى التَّباب ، فبلغ كلامه النعمانَ . وسكتَ كسرى على ذلك أشهرًا ، وهو يستعدُّ ويتوقَّعُ حتى أتاه كتابُ كسرى يستدعيه ، فأنطلق النعمانُ حتى أتى جبالَ طيٍّ وهو متروِّجٌ منهم ، فأرادهم أن يمنعوهُ فأبوا ذلك وقالوا : لولا صِهْرُكَ لقتلناكَ ، فإنه لا حاجة لنا في مُعاداة كسرى ، فأقبل يعرض نفسه على العرب فلا يقبلوه ، حتى نزل بذي قارَ بَنِي شَيْبَانَ مِرًّا فإني هَانِيٌّ بَن قَيْصَةَ [بن هاني] بن مسعود فأودعه سلاحه وتوجه إلى كسرى فلقى زَيْدَ بن عدى على قنطرة سَابَاطٍ ، فقال له : انجُ نعيمُ ! فقال : أنت يا زَيْدُ فعلتَ هذا ! أما والله لئن أفلت لأسقينكَ بكأس أيبك ! فقال له زَيْدُ : إمض نعيمُ ، فقد والله وضعتُ لك عنده أخیةً لا يقطعها المهرُ الأَرْنُ . قال : فلما بلغ كسرى أنه بالبَابِ أمر به فقيّد وأبعده إلى خَانَقِيْنِ ، فلم يزل بالسجن حتى مات بالطاعون .

(١) التَّباب : الهلاك والخراب . (٢) يريد النعمان .

(٣) كان عنده منهم فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وزينب بنت أوس بن حارثة كما في الأغاني .

(٤) ذو قار : ماء بكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

(٥) زيادة من التفاض (ص ٦٣٩ طبع أوروبا) وهنا في الأغاني (ج ٢ ص ١٢٦ طبع دار الكتب المصرية) حديث دار بين النعمان وبين قَيْصَةَ بن هاني . توجه على أثره النعمان لمقابلة كسرى ، فانظره .

(٦) ساباط : موضع بالمداين لكسرى أبرويز .

(٧) الأخیة (بنشيد الباء) كآبة ، ويقال أخیة بخفيف الباء . وأخیة بالمد والنشيد : عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة . وقال ابن السكيت : الأخیة :

أن يدفن طرفا قطعة من الحبل في الأرض وفيها عصية أو حجر ويظهر منه مثل عروة تشد إليها الدابة ، وإنما تؤنخ الأخیة في مهارة الأرضين لأنها أرقق بالخليل من الأوتاد الناشئة عن الأرض .

(٨) الأرن : الذبيط .

(٩) خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد ، بينها وبين قصر شيرين ستة

فراسخ إن يريد الجبال ، وبها عين للفظ عظيمة كثيرة الدخل .

قال ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم : والناس يظنون أنه مات بساباط^(١) لبيت قاله الأعشى . والصحيح ما قلناه .

وقال ابن عبدون : إن النعمان لما أقبل إلى المدائن صف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات وجعلهن صفين ، فلما صار النعمان بينهما قُلت له : أما فينا للكم غنى عن بقر السواد ؟ وأن كسرى أمر بالنعمان فحُيس بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى بين أرجل الفيلة فوطته حتى مات . وفي ذلك يقول سلامة بن جندل وذكر [قتل] كسرى أبرويز [للنعمان] فقال :^(٢)

هو المذخل النعمان بيتاً سمأؤه * نحور القيول بعد بيت مسردق^(٣)

ثم ملك بعده إلياس بن قبيصة وأتى الله تعالى بالإسلام . فهؤلاء ملوك العرب باليمن والشام والحيرة .

(١) البيت هو :

فذلك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محزرق^(٤)
والمحزرق : المصبق عليه في حبه . ويرى : « محزرق » بتقديم الراء على الزاي . قال في اللسان :
« روى ابن جني عن التوزي قال : قلت لأبي زيد الأنصاري : أتم تشدون قول الأعشى «
حتى مات وهو محزرق » وأبو عمرو الشيباني ينشده بتقديم الراء على الزاي فقال : إنها نبطية ، وأم
أبي عمرو نبطية فهو أعلم بها منا » .

(٢) راجع شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣١ طبع أوربا) .

(٣) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ هـ .

(٤) هو من بني عامر بن غيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سمل بن زيد مائة بن تميم جاهلي قديم ، وهو من فرسان تميم المحدثين (راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤٧ طبع أوربا) .

(٥) التكلة من لسان العرب مادة « سردق » .

(٦) في اللسان مادة « سردق » ورد هذا البيت وفيه « صدور القيول » بدل « نحور » . والبيت
المسردق : هو الذي يكون أعلاه وأسفله مشدودا كله .

(١)

ذَكَرَ خَبْرَ سَدِّ مَأْرِبَ وَسَيْلِ الْعَرَمِ

قد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْأَلِهِمْ آيَةً يُجْتَنَّانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ قَاهِرٌ ضُوءاً فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ الآية (٢) . رَوَى عَنْ فُرُوءَ بْنِ مُسَيْكٍ عَنْ رَسُولِ

الله صلى الله عليه وسلم أنه لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل : يا رسول الله ، وما سبأ ؟ أرض أو امرأة ؟ فقال : " ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيا من منهم ستة ونساء منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة ، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعرى وخيبر وكندة ومذحج وأنمار " فقال رجل : يا رسول الله ، وما أنمار ؟ قال : " الذين منهم خثعم وبجيلة " . أخرجه أبو داود في سننه والترمذي في جامعه .

١٠٧
١٣

وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن متصلة العمارة مسيرة ستة أشهر ، وقيل أزيد من شهرين للراكب المجتهد ، وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر ،

(١) السد (بالفتح والضم) : الجبل والحاجز وبهما قرئ قوله تعالى : « حتى إذا بلغ بين السدين » .

(٢) « في مسألتهم » قراءة نافع ، وقراءة حفص : « في مسكنهم » .

(٣) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة سبأ .

(٤) كذا في تهذيب التهذيب (ج ٧ ص ٢٦٥ طبع الهند) وتفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) . وهو فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريت ، ويقال بدل كريت ذؤيب بن مالك بن منبه بن عطياف المرادي ثم الفظيفي . له صحبة ، أسلم ستة تسع وسكن الكوفة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبيه وعنه روى أبو سيرة النخعي وهانئ بن عروة المرادي وعامر الشعبي وسعيد بن أبيض بن جندب وغيرهم . وفي الأصول : « عروة » وهو نحر يرف .

(٥) الأشعرى : نسبة إلى الأشعر ، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وتقول العرب : جاءك الأشعرى ، يحذف ياء النسب (راجع لسان العرب مادة شعر) . وفي تفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب) : « الأشعرى » بآثبات ياء النسب .

فكانت المرأة إذا أرادت أن تجتنى من ثمارها [شيئاً] ^(١) وضعت المِجْلَ على رأسها ^(٢) ونحرت تمشي بين الأشجار وهي تنزل وتعمل ما شاءت ، فلا ترجع إلا وقد آمتلاً ^(٣) ميكتلها مما يتساقط فيه من الثمار .

واختلف في مأرب ، فقيل : إنه أسم ملك تلك الأرض فسميت به ، قال الشاعر : ^(٤)
من سبأ الحاضرين مأرب إذ * ينثون من دون سيله العرما
وقيل : هو أسم لقصر الملك ، وفيه يقول أبو الطمجان :

ألم تروا مأرباً ما كان أحصنه * وما حواليه من سور وبنان
قال : وكان أول من خرج من اليمن بسبب سيل العرم عمرو بن عامر مزيقياً ،
وقد ذكرناه في الأنساب ، وإن سبب تسميته مزيقياً أنه كان يلبس في كل يوم
حلة وقيل حلتين ، وهو الأشهر ، ثم يمزقهما عشية نهاره لئلا يابسهما غيره ، فكان
هذا دأبه في كل يوم .

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) المجل . زنبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التروغيرة .

(٣) هو الذابغة الجعدى : وهو أبو ليل قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر إسلامي ، وكان أوصف الناس للنخيل .

(٤) سبأ (بفتح الهجمة) على أنه ممنوع من الصرف لأنه أسم قبيلة ، وهذه الرواية قرأ أبو عمرو

وآبن كثير . وفي طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٧ طبع أورب) : « أخبرنا ابن سلام قال : قلت

ليونس : كيف تقرأ : (وجئتك من سبأ بنيل يقين) ؟ فقال : قال الجعدى وهو أفصح العرب :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ * ينثون من دون سيله العرما

وهو على قراءة « أبي عمرو ويونس » . والعرم (بالكسر) : هو هذا الأحباس تنبئ في أوساط الأودية

وهو جمع واحد عرمة . وهذا البيت من قصيدة للجعدى ذكرها ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء »

(ص ١٦٣ طبع أورب) .

(٥) راجع (ج ٢ ص ٣١٤ من هذه الطبعة) .

وكان سببُ خروجه من اليمن وأطلاعه على خبر سبيل العَريم قبل حدوثه دُونَ
غيره من الناس أنه كان له امرأةٌ كَاهِنَةٌ يُقال لها : طُرَيْفَةُ الخير، وكانت قد رأت
في منامها أن صحابةً غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ثم أَصَعَقَتْ فَأَحْرَقَتْ كُلَّ
ما وَقَعَتْ عليه، فَفَزَعَتْ طُرَيْفَةُ الخيرَ لذلك قَرَعًا شَدِيدًا وَأَنْتِ إلى زوجها عمرو بن
عامر وقالت : ما رأيتُ اليومَ أزال عني النوم . فقال لها : ما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ
عَيمًا أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ طَوِيلًا ثم أَصَعَقَ فَمَا وَقَعَ على شيءٍ إِلَّا أَحْتَرَقَ . قال : فَلَمَّا رَأَى
ما دَاخَلَهَا مِنَ الرُّوعِ وَالْفَزَعِ سَكَنَهَا .

ثم إنَّ عَمْرًا بعد ذلك دخل حديقَةً له ومعه جاريةٌ من بعضِ جَوَارِيهِ ، فبلغ ذلك
أَمْرَاتِهِ طُرَيْفَةَ فخرَجَتْ إليه ومعهما وَصِيفٌ لها أسمه سنان ، فَلَمَّا برزت من بيتها
عَرَضَ لها ثلاثُ مناجدٍ مُتَصِيبَاتٍ على أرجلها ، واضْعَاتٍ أَيْدِيها على أعينها . قال :
والمناجد : دَوَابٌّ تشبه اليرابيع . فَلَمَّا نظرت طُرَيْفَةُ إليها قعدت إلى الأرض
ووضعت يديها على عينيها وقالت لِفَلامِها : إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني ، فَلَمَّا
ذهبت أعلامها فَأَنْطَلَقَتْ مُسرعةً ، فَلَمَّا عارضها خَليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت
سُلْحَفَاءٌ مِنَ الْمَاءِ فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تُرْوِمُ الْأَنْقِلَابَ ولا
تستطيع ، وَتَسْتَغِيرُ بِيديها وتَحْثُو التراب على بطنها من جَنَابَتِهِ وَتَقْدِفُ بِالْبَوْلِ . فَلَمَّا
رَأَتْهَا طُرَيْفَةُ الخير جلست إلى الأرض . فَلَمَّا عادتِ السَّاحِفَاءُ إلى الْمَاءِ مَضَتْ
طُرَيْفَةُ حَتَّى دَخَلَتِ الحديقة على عمرو حين أَنْتَصَفَ النهار في ساعةٍ شديدةِ الحَرِّ
فإذا الشجرُ يتكافأ من غير ريح ، فَلَمَّا رآها عمرو استجى منها وأمر الجارية بالتحجى

(١) كذا في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٩٩ طبع أوربا) وفي الأصل : « سنا » .

(٢) ورد في اللسان (مادة خلد) : « الخلد والخلد : ضرب من القنبرة أو هو الغارة العمياء وجمعها

مناجد على غير لفظ الواحد ، كما أن واحدة المخاض من الإبل خليفة » .

ثم قال لها : ما أتى بك يا طريفة ؟ فكيفت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك . قال لها عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجيد بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد . قال : فما تقولين ؟ قالت : أقول قول الندمان لهفا ، لقد رأيت سُلحفاة تجرف التراب جرفا ، وتَقْدِفُ بالبول قذفا ، فدخلت الحنديقة فإذا الشجر من غير ريح يتكافأ . قال عمرو : وما ترين في ذلك ؟ قالت : هي داهية دهيأة من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة . قال : وما هو وئلك ؟ قالت : أجل ، إن فيه الويل ، وما لك فيه من نيل ، وإن الويل فيما يحيى به السيل . فالتقى عمرو نفسه على فراشه وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو خطب جليل ، ونحزى طويل ، وخلف قليل ، والقليل خير من تركه . قال : وما علامة ما تذكري ؟ قالت : اذهب الى السد فإن رأيت جردا يكثر يديه في السد الحفر ، ويقلب برجليه مراحل الصخر ، فأعلم أن الغمر غمر ، وإن [قد] وقع الأمر . قال : وما هذا الذي تذكري ؟ قالت : وعد من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل . قال : فأنطلق عمرو الى السد فخرسه فإذا الجرد يقلب برجليه صخرة ما يقاها نحسون رجلا ، فرجع إليها وهو يقول :
أبصرت أمرا عادنى منه ألم * وهاج لى من هوله برح السقم
من جرد كفعل خنزير الأجم * أو كيش صرم من أفاويق الغنم
يقلب صخرا من جلايد العرم * له مخالب وأنياب قضم
* ما فاتته صخر من الصخر قضم

(١) الغمر : الماء الكثير . وفي الأصول : « الغمر غمر » وهو تحريف . وما أثبتناه عن شرح قصيدة

ابن عبدون (ص ١٠٠ طبع أوروبا) . وفي التعليق على هذه الكلمة بأسفل الصفحة إشارة إلى اختلاف الروايات فيما بين : الغمر غمر والحفر غمر والغمر غمر .

(٢) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون .

فَقَالَتْ طُرَيْفَةُ : وَإِنْ مِنْ عَلَامَةٍ مَا ذَكَرْتُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَاْمَرُ بَرْجَاجَةٍ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّ الرِّيحَ تَمْلَأُهَا بِتَرَابِ الْبَطْحَاءِ مِنْ سَهْلِ الْوَادِي وَرَمْلِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجَنَانَ مُظْلَلَةٌ مَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ . فَاْمَرُ عَمْرُو بَرْجَاجَةٍ فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ تَمُكِّثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى آمَنَلَاثُ مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ . فَقَالَ لَهَا عَمْرُو : مَتَى يَكُونُ هَلَاكُ السَّدِّ ؟ فَقَالَتْ : فَيَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سَنِينَ . فَقَالَ : فَنَى أَيُّهَا يَكُونُ ؟ فَقَالَتْ : لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلَّمْتُهُ ، وَلَا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ فَيَمُوتُ بَيْنِي وَبَيْنَ السَّبْعِ سَنِينَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ هَلَاكَ فِي غَدَاةٍ أَوْ مَسَائِهَا .

ثُمَّ رَأَى عَمْرُو بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ سَبِيلَ الْعَرِيمِ وَقِيلَ لَهُ : آيَةُ ذَلِكَ أَنْ تَرَى الْحَصْبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِي سَعَفِ النَّخْلِ وَكَرْبِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَوَجَدَ الْحَصْبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهَا فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ سَتُخْرَبُ لَا عَمَلًا ؛ فَكُتِمَ ذَلِكَ وَأُخْفِيَ وَأُجْمِعَ عَلَى بَيْعِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ بِأَرْضِ مَأْرِبَ وَيُخْرَجُ مِنْهَا هُوَ وَوَلَدُهُ ، ثُمَّ خَشِيَ أَنْ يَنْكَرَ النَّاسُ حَالَهُ فَصَنَعَ وَلِيْمَةً جَمَعَ النَّاسَ لَهَا وَقَزَرَ مَعَ أَحَدِ أَوْلَادِهِ أَنَّهُ يَأْمُرُهُ بِأَمْرِ فِي مَلَأِ الْقَوْمِ فَيُخَالِفُهُ فَإِذَا لَطَمَهُ عَمْرُو فَيَلْطِمُهُ الْآخَرُ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا لَطَمَهُ ابْنُهُ - وَكَانَ اسْمُهُ مَالِكًا - صَاحَ عَمْرُو : وَأَذْلَاهُ ! يَوْمَ تَخْرُجُ عَمْرُو بِبَيْتِهِ صَبِيًّا وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ ! وَحَلَفَ لِيَقْتُلَنَّهُ ، فَسَأَلَ الْقَوْمَ إِلَّا يَفْعَلُ ، فَحَلَفَ إِلَّا يَقِيمَ بِمَوْضِعٍ صُنِعَ بِهِ فِيهِ هَذَا ، وَلِيَبِيعَنَّ أَمْوَالَهُ حَتَّى لَا يُورَثَ بَعْدَهُ . فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اغْتَنَمُوا غَضْبَةَ عَمْرُو وَاشْتَرَوْا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَرْضَى ، فَابْتَاعَ النَّاسُ مِنْهُ جَمِيعَ مَا هُوَ لَهُ بِأَرْضِ مَأْرِبَ ، وَفَشَا بَعْضُ حَدِيثِهِ فَبَاعَ أَتَاسٌ مِنَ الْأَزْدِ ، فَلَمَّا كَثُرَ الْبَيْعُ اسْتَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ فَامْسَكُوا عَنِ الشِّرَاءِ ، فَلَمَّا أَجْتَمَعَتْ لِعَمْرُو أَمْوَالُهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِشَأْنِ سَبِيلِ الْعَرِيمِ وَخَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَخَرَجَ

(١) المراد بالحصباء هنا أشبه بالبور التي تخرج باليد وتظهر في الجلد .

(٢) الكرب (محركة) : أصول السفف الغلاظ العراض التي تقطع معها .

لخروجه منها خلق كثير فتركوا أرض عك حتى مات عمرو بن عامر وتفرقوا بعده في البلاد؛ فمنهم من صار إلى الشام، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر، ومنهم من صار إلى يثرب، وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج، وأبوهما حارثة بن نعلبة بن عمرو ابن عامر، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة، وأزد عُمان إلى عُمان، ومالك بن فهم إلى العراق .

ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طيء فزلت بجبل طيء : أجا وسلمى ، ونزل ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسُموا نخاعة لأنخزاعهم [من أخواتهم] ^(١) ، وتمزقوا في البلاد كما أخبر الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ ثم أرسل الله عز وجل السيل على السد فنهده .

وأختلف في العريم ماهو ؟ ف قيل : السد وأحدثه عيرمة ، وقيل : هو الجرذ . وكان السد فيما يُدكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان صفه لحجارة السد بالترصاص فرسخا في فرسخ . ويقال : إن الذي بناه كان من ملوك حمير . وقد ذكر ذلك ميمون ابن قيس الأعشى فقال :

وفي ذلك للوثيبي أسوة * وما رب عني عليها العريم

رُخام بنته لهم خير * إذا جاء مواره لم يُرم

فصاروا أيادي ما يقدرو * ن منه على شرب طفيل فطم

فاروى الزروع وأعنا بها * على سعة ماؤها إذ قسم

(١) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون .

الباب الخامس

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أيام العرب ووقائعها في الجاهلية ، وأنها لمن مآثرها السيئة ، وإذا تأملها المتأمل دلته على مكارم أخلاقهم وكرم نجارهم ، وحققت عنده أنهم ما أجمعوا عن طلب أوتارهم ، وعلم مكافأتهم للآقران ، وسماحتهم بالنفوس والأبدان ، وإقدامهم على الموت ، ومبادرتهم عند الإمكان خشية الفتور .

وقيل لبعض الصحابة رضى الله عنهم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتكم في مجالسكم ؟ فقال : نتناشد الشعر وتحدث بأخبار جاهليتنا .

وقال بعضهم : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية .
الأتري أن عترة الفوارس جاهلي لا دين له ، والحسن بن هاني إسلامي ، فنع ١٠ عترة كرمه ما لم يمنع ابن هاني دينه ، فإن عترة يقول :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتى * حتى يوارى جارتى مأواها

١٠٩
١٣

وقال أبو نؤاس الحسن بن هاني :

كأن الشباب مطيئة الجهل * ومحسن الضحكات والهزل

والباعثي والناس قد هججوا ^(١) * حتى أبيت خليفة البعل ١٥

وسأذكر من وقائعهم ما يقوى الجنان ، ويبعث الجبان .

(١) في ديوانه : « وقدرا » بدل هجموا .

ذكر وقعة طسم وجديس

وطسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وجديس بن غابر بن إرم
ابن سام بن نوح عليه السلام، وهم العرب العاربة، على ما ذكر بعض المؤرخين .
وكان منزلها البجامة، وأسمها في وقتهم جَوْء، وكان الملك عليهما رجلا من طسم يقال له :
عمليق، وكان غشوما ظلوما . وكان سبب فناءهما أن عمليقا أوتيه ذات يوم امرأة
أسمها هزيلة بنت مازن مع زوج لها اسمه ماش . وكان قد طلقها وأراد أخذ ولده
منها، فترافعا إليه ليحكم بينهما، فقالت هزيلة : «أيها الملك، هذا أبني حملته تسعا،
ووضعت دقعا، وأرضعته شقعا، ولم أنل منه نفعا، حتى إذا تمت أوصاله، وآستوت
خصاله، أراد أن يأخذه مني قهرا ويسلبنيه سرا، ويترك يدي منه صفرا» . فقال
الزوج : « قد أخذت المهر كاملا، ولم أنل منك طائلا، إلا ولدا جاهلا، فأفعل
ما كنت فاعلا » . فأمر الملك أن يجعل الولد في غلمانة، فقالت هزيلة :

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا * فأبرم حكما في هزيلة ظلما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا فهمنا عند الحكومة علما
ندمت فلم أقدر على مترحرج * وأصبح زوجي عاثر الرأي نادما

(١) البجامة : مدينة بالبادية من بلاد العوالي، وبها قد بقيت مسيلة الكذاب، وهي بلاد بني خثيفة،
وهي عن البصرة ست عشرة مرحلة، وعن الكوفة مثل ذلك . (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا) .

(٢) في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قرئ » .

(٣) في الأغاني : « ودنا فضاله » . (٤) في الأغاني : « كرها »، ويتركى من بعده ورها .

(٥) في الأغاني : « إلا ولدا خاملا » .

(٦) في الصبح المنير (ص ٧٥ طبع أوربا) : « حكمت » بفتح التاء على الخطاب . ورواية

الشرط الثاني فيه هكذا : * ولا كنت ممن يبرم الحكم غلما *

ورواية الأغاني هكذا : * ولا كنت فيما يبرم الحكم غلما *

فلما بلغ عَمَلِيْقًا ذاك غَضِبَ وأقسم أنه لا يُهْدَى عَرُوسٌ في جَدِيسٍ لبعْلِها حتى يكون هو الذي يبدأ بها قبل زوجها . فلم يزل على ذلك دهرًا حتى أَهْدَيْتْ عَفِيرَةُ^(١) بنت عَفَّارِ الحَدِيسِيَّةِ أخت الأَمُودِ بن عَفَّارِ سَيِّدَ جَدِيسٍ إلى بعْلِها ، ويقال : إن اسمها الشَّمُوسُ ، فُحِمَت إلى عَمَلِيْقٍ ، فلما أَقَرَّعَها وَخَلَّى سَبِيلَها خَرَجَتْ على قومها في دمائها شاقَّةَ جيبها عن قُبُلِها وَذُبُرِها وهي تقول :

لا أَحَدٌ أَذَلَّ من جَدِيسٍ * هَكَذَا يُفَعَّلُ بِالْعَرُوسِ
يرضى بهذا يالْقَوِي حُرٌّ * أَهْدَى وَقَدْ أُعْطِيَ وَسِيقَ الْمَهْرُ
لأُخْذَةِ الْمَوْتِ كَذَا لِنَفْسِهِ * خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُفَعَّلَ ذَا بَعْرِسِهِ
ثم قالت تحرَّضَ جَدِيسًا على طَمَمِ :

أَبْصُلُحْ مَا يُؤْتَى إلى فِتْيَانِكُمْ * وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِيكُمْ عَدَدُ الرَّمْلِ^(٢)
أَبْصُلُحْ تَمْشِي في الدِّمَاءِ فِتْيَانُكُمْ * صَبِيحَةَ زُفَّتٍ في النِّسَاءِ إلى البَعْلِ
فإن كَسْتُمْ لَا تَغْضُبُوا عِنْدَ هَذِهِ * فَكُونُوا نِسَاءً لَا تَقِيْقُ مِنَ الْكُحْلِ
وَدُونَكُمْ طَيْبُ الْعُرُوسِ فَإِنَّمَا * خُلِقْتُمْ لِأَنْوَابِ الْعَرَانِسِ وَلِلْغَسْلِ
فَلَوْ أَنْتُمْ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ * نِسَاءً لَكُنَّا لَا تُقَرَّرُ عَلَى الدَّلِّ
فُقْبَحًا وَشُحْقًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا * وَيُجْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الْفَعْلِ
فَوُتُوا كِرَامًا وَأَصْبِرُوا لَعْدُوكُمْ * لِحَرْبٍ تَلْظِي بِالضَّرَامِ مِنَ الْجَزْلِ
وَلَا تَجْزَعُوا في الْحَرْبِ بِأَقْوَمِ إِنَّمَا * تَقُومُ بِأَقْوَامِ كِرَامٍ عَلَى رِجْلِ

(١) ورد في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٥ طبع دار الكتب المصرية) : « عَفِيرَةُ » مضبوطا بالقلم (بفتح العين وكسر الفاء) وصوابه كما ورد في لسان العرب والقاموس وشرحه مادة عفر (ضم العين وفتح الفاء بصيغة التصغير) بفتح هاء وهو ما أثبتناه هنا . (٢) كذا في الأصول والصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون والكمال لابن الأثير (ج ١ ص ١٥٤ طبع أوروبا) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ١٦٨ طبع دار الكتب المصرية) : « عباد » . (٣) كذا في الأصول ، وفي الأغاني والصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون : « الغل » .

(١)

فَاجْتَمَعَتْ جَدِيسٌ فَقَالَ لَهُمُ الْأَسُودُ بْنُ عَقَّارٍ ، وَكَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ : لَتُطِيعُنِي [فَيَا أَمْرَكُمْ بِهِ] أَوْ لَا تَكُنَّ عَلَى سِنْفِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . قَالُوا : فَإِنَّا نَطِيعُكَ . قَالَ : إِن طَسَمَا لَيْسُوا بِأَعَزَّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ مُلْكُ صَاحِبِهِمْ هُوَ الَّذِي يُدْعِنَا إِلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ ، وَلَوْ أَمْتَنَعْتُمْ مِنْهُمْ لَكَانَ لَكُمْ النُّصَفُ^(٢) . قَالُوا : إِن الْقَوْمَ أَكْثَرُ مِنَّا عَدَدًا وَعُدَدًا . قَالَ : إِنِّي صَانِعٌ طَعَامًا فَأَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا جَاءُوكُمْ مُتَفَضِّلِينَ فِي الْحُلَلِ نَهَضْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا . فَقَالَتْ عَفِيرَةُ لِأَخِيهَا : لَا تَفْعَلْ ! فَإِنَّ الْقَدْرَ ذَلَّةٌ وَعَارٌ ، وَلَكِنْ كَاثَرُوا الْقَوْمَ فِي دِيَارِهِمْ فَتَنْظَرُوا أَوْ تَمُوتُوا كِرَامًا . قَالَ : بَلْ نَمُكِّرُهُمْ فَتَكُونُ أَمَكَّنَ مِنْهُمْ . ثُمَّ صَنَعَ الْأَسُودُ طَعَامًا وَأَمَرَ قَوْمَهُ أَنْ يَخْتَرِطُوا سِوْفَهُمْ ثُمَّ يَدْفِنُوهَا فِي الرَّمْلِ . وَدَعَا عَمَلِيْقًا وَقَوْمَهُ ، فَلَمَّا أَتَوْا اسْتَنَارَتْ جَدِيسُ السِّوْفَ وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ فَمَا أَفَلَسَتْ مِنْهُمْ إِلَّا رِيَّاحُ بْنُ مُرَّةٍ ، فَفَزَّ إِلَى حَسَّانَ بْنِ تُبَّعٍ فَاسْتَفَاثَ بِهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَتْهُ جَدِيسُ بِطَسْمَ فَوَعَدَهُ النُّصْرَةَ ، ثُمَّ نَادَى حَسَّانَ فِي خَمِيرٍ بِالْمَسِيرِ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا صَنَعَتْ جَدِيسُ بِطَسْمَ ؛ فَقَالُوا : وَمَا جَدِيسُ وَطَسْمَ ؟ قَالَ : هُمَا أَخَوَانِ . قَالُوا : فَمَا لَنَا فِي هَذَا مِنْ أَرَبٍ . قَالَ حَسَّانَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ هَذَا فِيكُمْ أَكَانَ حَسَنًا لِمَلِكِكُمْ أَنْ يُهْدِرَ دِمَاءَكُمْ . وَمَا عَلَيْنَا فِي الْحُكْمِ إِلَّا أَنْ تُنْصَفَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . فَقَالُوا : الْأَمْرُ أَمْرُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَمُرْنَا بِمَا أَحْبَبْتَ . فَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنَ الْيَمَامَةِ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ قَالَ رِيَّاحُ بْنُ مُرَّةٍ لِحَسَّانَ بْنِ تُبَّعٍ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! إِنَّا لِي أَخْنَا مَتْرُوجَةً فِي جَدِيسَ تَنْظُرُ الرَّاكِبَ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَأَخَافُ أَنْ تُنْذِرَ قَوْمَهَا ، فَأَمَرَ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَقْتُلَ شَجَرَةً مِنَ الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهَا أَمَامَهُ ، فَأَمَرَهُمْ حَسَّانَ بِذَلِكَ . ثُمَّ سَارُوا ، فَتَنْظَرْتُ أُخْتُ رِيَّاحَ فَقَالَتْ : يَا جَدِيسُ ! لَقَدْ سَارَتْ إِلَيْكُمُ الشَّجَرُ . فَقَالُوا لَهَا :

(١) النكلة من شرح قصيدة ابن عبدون . (٢) النصف (بالتحريك) : إعطاء الحق .

(٣) كذا في شرح قصيدة ابن عبدون . وفي الأصل : « يضيع » .

وما ذاك ؟ قالت : أرى شَجَرًا ، من ورائه بَشَرًا ، وإني لا أرى رجُلًا من وراء شجرة
يَنْهَسُ كَيْفًا أَوْ يَخْصِفُ نَعْلًا ، فكذبوها وغفلوا عن أَخْذِ أَهْبَةِ الحربِ حتى ضَبَّحَتْهُمْ
جَمِيرٌ . ففى ذلك تقول زرقاء اليمامة :

خَذُوا لَهُمْ حِذْرُكُمْ يَأْقُومُ يَنْفَعُكُمْ * فَلَيْسَ مَا قَدْ أَرَاهُ الْيَوْمَ يُحْتَقَرُ

إِنِّي أَرَى شَجَرًا مِنْ خَلْفِهِ بَشَرٌ * فَكَيْفَ يَجْتَمِعُ الْأَشْجَارُ وَالْبَشَرُ

صَفُّوا الطَوَائِفَ مِنْكُمْ قَبْلَ دَاهِيَةٍ * مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُحْشَى وَتُنْتَظَرُ

إِنِّي أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَيْفٌ * أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ خَصْفًا لَيْسَ يَمْتَدَّرُ ^(١)

تَوَرُّوا بِأَجْمَعِكُمْ فِي وَجْهِ أَوْلِهِمْ * فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ - فَأَعْلَمُوا - ظَفَرُ

وَعَوَّرُوا كُلَّ مَاءٍ دُونَ مَتَرِهِمْ * فَلَيْسَ مِنْ دُونِهِ نَحْسٌ وَلَا ضَرَرُ ^(٢)

أَوْ عَاجِلُوا الْقَوْمَ عِنْدَ اللَّيْلِ إِنْ رَقَدُوا * وَلَا تَخَافُوا لَهَا حَرَبًا وَإِنْ كَثُرُوا ^(٣)

فلَمَّا كَانَ حَسَانٌ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ عَبَأَ جَيْشَهُ ثُمَّ صَبَّحَهُمْ فَاسْتَبَاحَ الْيَمَامَةَ قَتْلًا وَسَبِيًّا ،
وَهَرَبَ الْأَسْوَدُ حَتَّى نَزَلَ بِطَيِّءٍ فَأَجَارُوهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَطْلُبُهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ . وَقَبِيلُهُ
فِي طَيِّءٍ مَذْكُورَةٍ . ثُمَّ إِنَّ حَسَانًا أَمَرَ بِالْيَمَامَةِ فَنَزَعَ عَيْنَيْهَا فَإِذَا فِي دَاخِلِهَا عُرُوقٌ سُودٌ ،
فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ : حَجَرٌ أَسْوَدُ كُنْتُ أَكْتَحِلُ بِهِ يَقَالُ لَهُ الْإِنْمِدُ فَتَبَّتْ لِي
بَصْرَى . وَقِيلَ : إِنَّهَا أَوَّلُ مَنْ أَكْتَحَلَ بِالْإِنْمِدِ ، فَأَمَرَ بِهَا فَصُلِبَتْ عَلَى بَابِ جَوْ .
وَقِيلَ : سُمِّيَ جَوْ بِالْيَمَامَةِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رِيَّاحُ بْنُ مِرَّةٍ لَمَّا
أَخَذَ بَثَّارَهُ :

(١) يمتدّر : تريد أنه لا عذر له في خصفها . وفي شرح قصيدة ابن عبدون : « يمتدّر » وأشير

في الخامس إلى رواية « يمتدّر » . وفي الصبح المنير (ص ٨٢ طبع أوربا) : « يمتدّر » وأشير
في الخامس إلى رواية « يمتدّر » .

(٢) كذا في الصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون . وفي الأصول : « دونهم » .

(٣) كذا في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون . وفي الصبح المنير : « هم » .

غَدَرَ الْحَيُّ مِنْ جَدِيسٍ بَطْنُ * آلِ طَنْمٍ كَمَا تُبَدِّئُ تَدِينِي
 قَدْ أَتَيْنَاهُمْ يَوْمَ كَيَوْمِ * تُرْكُوا فِيهِ مِثْلَ مَا تَرَكُونِي
 لَيْتَ طَنْمًا عَلَى مَنَازِلِهَا تَهْ * لَمْ أَتَى قَضَيْتُ عَنِّي دُبُونِي
 وقد كثرت الشعراء قصة هذه المرأة وجؤ . فمن ذلك قول الأعشى على
 رواية ابن قتيبة :

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ * أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِي آيَةً صَنَعَا^(١)
 فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ * ذُو آلِ حَسَّانٍ يُزْجِي السَّمََّ وَالسَّلَآ^(٢)
 فَاسْتَزَلُّوا آلَ جَوْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ * وَهَدَّمُوا رَافِعَ الْبُيَّانِ فَأَتَّضَعَا^(٣)
 وروى ابن إسحاق :

كُونِي كَنَلِ التِّي إِنْ غَابَ وَاحِدُهَا * أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدِ نَظَرَةٍ جَزَعَا^(٤)
 ثم أتى بالأبيات التي ذكرها ابن قتيبة . وقال المصنِّفُ بْنُ عَلَسٍ :

لَقَدْ نَظَرْتُ عَيْنٌ إِلَى الْخِزَعِ نَظَرَةً * إِلَى مِثْلِ مَوْجِ الْمَغْصَمِ الْمُتَلَاطِمِ^(٥)
 إِلَى خَيْرِ إِذْ وَجَّهُوا مِنْ بِلَادِهِمْ * تَضَيَّقُ بِهِمْ لَا يَأْفِرُجُ الْخَارِمِ

(١) كذا في الصبح المنير ، تريد أنها تلهفت حين لم تستبه أي الفعلان فعل . وفي الأصول وشرح
 قصيدة ابن عبدون : « لهما آية » .

(٢) السَّع (بالتحريك) : شجر مرة وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أيسع أسود فأكله
 القروء ولا تأكله الناس ولا السائمة ، وفي الصبح المنير : « يزجي الموت والشرعا » . والشرع
 (بالكسر) : الأوتار ، واحده شرعة .

(٣) في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون : « فاسما » وما أنبتاه عن الصبح المنير ، وفيه :
 « شاخص » بدل « رافع » . وفي شرح قصيدة ابن عبدون : « يافع » .

(٤) في الصبح المنير : « إذ غاب وافدها » .

(٥) المخارم : واحدها مخرم (بكسر الراء) وهو مقطوع أنف الجبل .

وفيها يقول التَّيرُّنُ تَوَلَّى :

وفنائهم عَزَّ غَدَاةً تَبَيَّنَتْ * من بعد مرأى في الفضاء ومُسَمَّع
قالت أرى رجلاً يَلْبَسُ نَعْلَهُ * تَقْلِبُ ذِي وَصْلِ لَهُ وَمُسَمَّع
ورأت مقدمة الخَمِيس ودُونَهَا * رَكَضَ الْحَيَادَ إِلَى الصَّبَاحِ يُتَبَّع

ذكر حروب قيس في الجاهلية

يَوْمَ مَنَعِجٍ لَغْنَى عَلَى عَبَسَ

- (١) يَوْمَ مَنَعِجٍ . هو يوم الرِّدْهَةِ وفيه قُتِلَ شَأْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ جَدِيمَةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْعَبْسِيِّ ؛
قتله رِيَّاحُ بْنُ الْأَشْلِ الْغَنَوِيُّ . وذلك أَنَّ شَأْسًا أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ وَقَدْ
أَجْزَلَ حَبَاءَهُ . وَكَانَ مِنْ حَبَائِهِ قَطِيفَةٌ حُمْرَاءُ ذَاتِ هُدْبٍ وَطِيبٍ ؛ فَوَرَدَ مَنَعِجًا - وَهُوَ
مَاءٌ لَغْنَى - فَأَنَاحَ رَاحِلَتَهُ إِلَى جَانِبِ الرِّدْهَةِ وَعَلَيْهَا حَبَاءُ لِرِيَّاحِ بْنِ الْأَشْلِ ، وَجَعَلَ
يَغْتَسِلُ وَأَمْرَأَةٌ رِيَّاحٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ كَالثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ؛ فَأَنْتَرَعَهُ رِيَّاحٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ،
وَضَمَّ مَتَاعَهُ وَنَحَرَ نَاقَتَهُ وَأَكَلَهَا وَغَيَّبَ أَثَرَهُ . وَفُقِدَ شَأْسُ بْنُ زُهَيْرٍ ، حَتَّى وَجَدُوا
الْقَطِيفَةَ الْحُمْرَاءَ بِسَوْقِ عُمَاظٍ قَدْ بَاعَتْهَا أَمْرَأَةٌ رِيَّاحٍ ، فَعَلِمُوا أَنَّ رِيَّاحًا صَاحِبَ
ثَارِهِمْ ، فَفَزَّتْ بَنُو عَبَسَ غَنِيًّا قَبِيلَ أَنْ يَطْلُبُوا قَوْدًا أَوْ دِيَّةً ، مَعَ الْحُصَيْنِ بْنِ زُهَيْرٍ
ابْنِ جَدِيمَةَ وَالْحُصَيْنِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَدِيمَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ غَنِيًّا قَالُوا لِرِيَّاحٍ : ائْتِجْ ، لَعَلَّنَا

(١) منعج (يفتح فسكون فكسر) : واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع في بطن فليح .

(٢) الرِّدْهَةُ : (بسكون الدال المهملة) : الثَّغْرَةُ فِي الْجَبَلِ أَوْ فِي الصَّخْرَةِ يَسْتَقْعُ فِيهَا الْمَاءُ .

(٣) فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ (ج ١ ص ١١١ طبع أوربا) : « رِيَّاحٌ » بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَفِي

الْأَغَانِي (ج ١١ ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) . « رِيَّاحٌ مِنَ الْأَبْسَكِ » .

(٤) (الهدب بسكون الدال المهملة وضمتها) : أَطْرَافُ الثَّوْبِ مِمَّا يَلِي طَرَفَهُ .

نُصالح القوم على شيء [أو نرضيهم بديّة] ^(١) . نخرج رياح رديفاً للرجل من بني كلاب ^(٢) ،
وهما يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم ؛ فترصد ^(٣) على رؤوسهما فصرصر ، فما راعهما
إلا خيل بني عبس ، فقال الكلابي لرياح : انحدري من خلفي وألتس نفقا في الأرض
فإني شاغل القوم عنك ، فأنحدري رياح من عجز الجمل حتى آتي صفة ^(٤) فاحتفر تحتها
مثل مكان الأرنب وولج فيه ، ومضى صاحبه ، فسأله فقال : هذه غني جامعة ،
وقد آستمكتهم منهم ، فصدفوه وخلوا سبيله ، فلما ولي رأوا مركب الرجل خلفه
فقالوا : من الذي كان خلفك ؟ فقال : لا كذب ! رياح بن الأشل ، وهو في أولئك
الصعدات ^(٥) . فقال الحصينان لمن معهما : قد مكنتنا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشركنا
فيه أحد ، فوقفوا عنهما ، ومضيا بجعل يريغان رياحا بين الصعدات ، فقال لهما : هذا
غز الكما الذي تريغانه ، فآبتدراه فرمى أحدهما بسهم فأقصده ^(٦) ، فطعنه الآخر فأخطاه ،
ومرت به الفرس ، فآستدبره رياح بسهم فقتله ثم آتى قومه . ففى ذلك يقول
الكتبت بن زيد الأسدي ، وكانت له أمان من غني :

أنا ابن غني والداي كلاهما * لأميني منهم في الفروع وفي الأصل

(١) الكلمة من كتاب الأغاني (ج ١١ ص ٧٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب .

(٣) الصرد : طائر أبيض ضخم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود ؛ وهو من سباع
الطير ، ضخم المتعار عظيم البرن ، كانت العرب تطير من صوته .

(٤) كذا في الأغاني . والصفة : جانب النهر أو الوادي . وفي الأصل : « صمده » .

(٥) في الأغاني : « ... في الأول من السمرات » .

(٦) أقصده : الإقصاء : أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه ، ويقال : أقصدت الرجل
إذا طعنته أو رميته بهم فلم تخطئ . مقاتله فهو مقصد « بالبناء للجهول » .

(١) هم استودعوا زهرا انسب بن سالم * وهم عدلوا بين الحصين بالنبل
وهم قتلوا شأس الملوك ورغموا * أباه زهيراً بالمذلة والنكل

يوم التفراوات^(٢)

لبنى عامر على بن عباس

- فيه قُتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي . وكانت هوازن تُؤدى إليه إناوة ،
فأنته عجوز رهيش من بني نصر بن معاوية بسمن في نجي ، وشكت سنين تابعت^(٣)
على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها بقوس في يده عطيل في صدرها ،
فاستلقت على قفاها منكشفة^(٤) ، فتألى خالد بن جعفر وقال : والله لأجعل ذراعي^(٥)
في عنقه حتى يقتل أو أقتل . وكان زهير مقدماً فنفرد من قومه ببنيه وبني أخويه
أسيد وزباج يريغ الغيث في عثمراوات له وشول ، فأتاه الحارث [بن عمرو]^(٦)

(١) كذا في الأصول والعقد الفريد (ج ٣ ص ٦١ طبع بلاق) وفي الجزء الثاني من العقد الفريد

المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١٣ أدب ورقة ٦٨ ورد هذا النظم هكذا : « هم

استودعوا زهرا انسب بن سالم » وفي الأغاني : « هم استودعوا هوى شبيب بن سالم » .

(٢) كذا في معجم ما استعجم ، وقد ذكره في رسم « ركة » وأشار إلى قتل زهير بن جذيمة .

قال : نقرى (بفتح أوله وإسكان ثابته) بمندراء مهملة مقصورة على وزن فاعل ، ويمد : موضع في بلاد

خطفان . وكذلك في العقد الفريد المخطوط . وفي الأصول والعقد الفريد المطبوع : « التفراوات »

(بالقاف) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ٨٤ ، ٨٥ طبع دار الكتب المصرية) : « التفراوات » .

وكلاهما محذف . (٣) رهيش : ضعيفة أو مهزولة . (٤) النجي : ألزق الذي يجعل فيه السمن .

(٥) دعها : دفعها بعنف . (٦) قوس عطيل : لا وتر فيها .

(٧) يريغ : انكشفت عورتها . (٨) تألى : حاف . (٩) يريغ : يطلب .

(١٠) العثمراء من النوق : أتى مضى لحماها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد

الوضع ، فهي بعد الوضع عثمراء ، أيضا . قال ابن الأنبار : قد اتسع في هذا حتى قبل لك حامل عثمراء .

والشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي الشاة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر تحف لينها

وآرتفع ضرعها . (١١) زيادة من الأغاني .

أَبْنُ الشَّرِيدِ، وَكَانَتْ تُمَاضِرُ بَنَةَ [عَمْرِو بْنِ] الشَّرِيدِ تَحْتَ زُهَيْرٍ، فَلَمَّا عَرَفَ الْحَارِثُ
مَكَانَهُ أَنْذَرَ عَالِيَهُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَهْطَ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَرَكِبَ مِنْهُمْ سِتَّةَ
فَوَارِسَ فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَصَخْرُ بْنُ الشَّرِيدِ وَحُنْدُجُ بْنُ الْبَكَاءِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عُبَادَةَ
أَبْنُ عُقَيْلِ فَارِسِ الْهَزَارِ . وَيُقَالُ لِمَعَاوِيَةَ : الْأَخِيلُ ، وَهُوَ جَدُّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ . فَقَالَ
أَسِيدُ زُهَيْرٍ : أَعَلَمْتَنِي رَاعِيَةً غَنِمَى أَنَهَا رَأَتْ عَلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ أَشْبَاحًا وَلَا أَحْسَبُهَا
إِلَّا خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا بِقَوْمِنَا . فَقَالَ لَهُ زُهَيْرٌ : " كُلُّ أَزْبٍ نَفُورٌ " وَكَانَ
أَشْعَرُ الْقَفَا ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، فَتَحَمَّلَ أَسِيدُ بَيْنَ مَعِهِ وَبَقِيَ زُهَيْرٌ وَأَبْنَاءُ وَرِقَاءُ
وَالْحَارِثُ . وَصَبَّحَتْهُمْ الْفَوَارِسُ فَأَرَمَدَتْ بِزُهَيْرٍ فَرَسُهُ الْقَعْسَاءُ وَلَحَقَهُ خَالِدٌ وَمَعَاوِيَةُ
الْأَخِيلُ ، فَطَعَنَ مَعَاوِيَةُ الْقَعْسَاءَ فَقَلَبَتْ زَهِيرًا ، وَخَرَّ خَالِدٌ فَرَفَعَ الْمَغْفَرَ عَنْ رَأْسِ
زُهَيْرٍ وَقَالَ : يَا لِعَامِرٍ اقْتُلُونَا جَمِيعًا ! وَأَقْبَلَ مَعَاوِيَةُ فَضْرَبَ زَهِيرًا عَلَى مَقَرَّقِ رَأْسِهِ
ضَرْبَةً بَلَّغَتْ الدَّمَاعَ ، وَأَقْبَلَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ فَضْرَبَ خَالِدًا وَعَلَيْهِ دَرْعَانِ فَلَمْ تُغْنِ
شَيْئًا ، وَأَجْهَضَ أَبْنَاءُ زُهَيْرِ الْقَوْمِ عَنْ زُهَيْرٍ وَاحْتِمَلَاهُ وَقَدْ انْتَحَنَتِ الضَّرْبَةَ فَمَنَعُوهُ الْمَاءَ
فَقَالَ : اسْقُونِي وَإِنْ كَانَتْ نَفْسِي فِيهِ ، فَسَقَوْهُ فَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ مِنْ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ
فِي ذَلِكَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ * فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا * وَيَمْنَعُهُ مَنَى الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرُ

(١) الرِّيبُ : كثرة الشعر وطوله . والبعر الأزب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفر إذا ضربت
الريح شعرات حاجبيه .

(٢) أَرَمَدَتْ : عَدَتْ عَدُو الرَّمْدِ ، أَيْ النِّعَامِ .

(٣) أَيْ نَحَبَاهُمْ عَنْهُ ، وَنَلْيَاهُمْ عَلَيْهِ .

(٤) الْعَجُولُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْإِبِلِ : الْوَالِةُ الَّتِي فَقَدَتْ وَلَدَهَا الْكُلَى لِمَعْطَا فِي جَيْتِهَا وَذَهَا بِهَا جِزْئًا .

(١١)
فِيالْت أَنى قَبَلَ أَيام خَالِدٍ * وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِى تُمَاضِرُ
لَعَمْرِى لَقَدْ بُشِّرْتِ بى إِذْ وَلَدْتِى * فَمَاذَا الذى رَدَّتْ عَلَيْكَ الْبِشَارُ
وقال خالد بن جعفر فى قتله زهيرا :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرْنِى هَوَازُنُ بَعْدَ مَا * أَعْتَقْتَهُمْ قَتَّوَالِدُوا أَحْرَارَا
وَقَتْلُ رَبِّهِمْ زُهَيْرًا بَعْدَ مَا * جَدَعَ الْأَنْوَفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارَا
وَجَعَلْتُ مَهْرَ بَنَاتِهِمْ وَدِيَاتِهِمْ * عَقَلَ الْمُلُوكَ هَجَائِنَا وَبَكَارَا^(١٢)

يَوْمُ بَطْنِ عَاقِلٍ

لِذُبْيَانَ عَلَى بَنى عَامِرٍ

(١٣)
فِيهِ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَاقِلٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ^(١٤)
أَخَى النُّعْمَانِ وَمَعَهُ عُرْوَةُ الرَّحَالِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَأَلْتَقَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَالْحَارِثُ
أَبْنُ ظَالِمِ بْنِ غَيْطِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ عِنْدَ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، فَفَعَلَ خَالِدُ
يَقُولُ لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ : يَا حَارِ ، أَمَا تَشْكُرُ يَدَى عِنْدَكَ أَنَّ قَتَلْتُ عَنْكَ سَيِّدَ قَوْمِكَ
زُهَيْرًا وَتَرْكُكَ سَيِّدَهُمْ ؟ فَقَالَ : سَأُجْزِيكَ شُكْرَ ذَلِكَ . فَلَمَّا خَرَجَ الْحَارِثُ قَالَ
الْأَسْوَدُ لَخَالِدٍ : مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَتَحَرَّشَ بِهَذَا الْكَلْبِ وَأَنْتَ ضَيْفَى ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا
هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِى ، وَلَوْ وَجَدْتِى نَائِمًا مَا أَيقَظْنِى . وَأَنْصَرَفَ خَالِدُ إِلَى قُبَّتِهِ فَلَامَهُ

(١) حتى تماضرت عمرو بن الشريد بن رباح .

(٢) فى الأعانى : « أبكارا » .

(٣) بطن عاقل : موضع على طريق حاج البصرة بين رامتين وإمرة .

(٤) كذا فى الأصول والمقد الفريد المخطوط ، وهو موافق لما جاء فى الكامل لابن الأثير فى إحدى روايته ، وفى الرواية الأخرى أن الملك الذى اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ثم قتل الحارث خالدا فى جواره ثم قتل أبسه بعد ذلك فأخذ بطارد الحارث لقتله أبسه ومن استجار به ، هو النعمان ابن امرئ القيس ملك الحيرة .

عُرْوَةُ الزَّحَالِ، ثُمَّ نَامَا وَأُشْرِجَتَ عَلَيْهِمَا الْقُبَّةُ^(١)، وَكَانَ مَعَ الْحَارِثِ تَبِيعٌ لَهُ مِنْ
 بَنِي مُحَارِبٍ يُقَالُ لَهُ نِحْرَاشٌ، فَلَمَّا هَدَاتِ الْعَبُورُ أَخْرَجَ الْحَارِثُ نَاقَتَهُ وَقَالَ لِلْحَرَّاشِ:
 كُنْ لِي بِمَكَانٍ كَذَا، فَإِنْ طَلَعَ كَوْكَبُ الصَّبْحِ وَلَمْ أَتِكَ فَأَنْظُرْ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ فَأَعْمِدْ
 لَهَا، ثُمَّ بَرَأْنِطَلِقِ الْحَارِثُ حَتَّى أَتَى قُبَّةَ خَالِدٍ فَهَنَكَ شَرَجَهَا ثُمَّ وَلَّجَهَا وَقَتْلَهُ، فَنَادَى
 عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: وَاجْوَارَ الْمَلِكِ! فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَسَمِعَ الْأَسْوَدَ الْهَتَافَ وَعِنْدَهُ
 أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ يُقَالُ لَهَا: الْمُتَجَرَّدَةُ، فَشَقَّتْ جَيْبَهَا. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ جَعْفَرَةَ:

شَقَّتْ عَلَيْكَ الْعَامِرِيَّةُ جَيْبَهَا * أَسْفًا وَمَا تَبْكِي عَلَيْكَ ضَلَالًا^(٢)
 يَا حَارِ لَوْ نَهَيْتَهُ لَوَجَدْتُهُ * لَا طَائِشًا رَعِشًا وَلَا مِعْزَالًا^(٣)
 وَأَغْرَوْرَقْتَ عَيْنَايَ لَمَّا أَخِيرْتُ * بِالْجَعْفَرِيَّةِ وَأُسْبِلْتُ إِسْبَالًا^(٤)
 فَلَبَقْتُنِي بِخَالِدٍ سَرَوَاتِكُمْ * وَلَتَجْعَلَنَّ لِلظَّالِمِينَ نَكَالًا^(٥)
 فَإِذَا رَأَيْتُمْ عَارِضًا مَهْلًا * مَا فَلَمَّا لَا تُحَاوِلُ مَالًا

يَوْمَ رَحْرَحَانَ

لِعَامِرٍ عَلَى تَمِيمٍ

وَلَمَّا هَرَبَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ وَبَتَّ بِهِ الْبِلَادُ جُلَا إِلَى مَعْبَدِ بْنِ زُرَّارَةَ فَأَجَارَهُ،
 فَقَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِمَعْبَدٍ: مَالِكُ أَوَيْتَ هَذَا الْمَشْتُومَ الْأَنْكَدَ وَأَغْرَيْتَ بَنِي الْأَسْوَدِ؟
 وَخَذَلُوهُ غَيْرَ بَنِي مَأْوِيَةٍ وَبَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ. وَبَلَغَ الْأَحْوَصَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ مَكَانَ
 الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ، وَأَنَّهُ عِنْدَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فَغَزَا مَعْبَدًا فَالْتَقُوا بِرَحْرَحَانَ^(٥) فَهَزَمَتْ

(١) أشرجت: جمعت. (٢) في الكامل لابن الأثير: «الجعفرية».

(٣) الرمش (ككف): الجبان. (٤) الميزال: من لارحله.

(٥) رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات.

بنو تميم وأسير معبد بن زُرارة، أسره عامر والطَّفِيلُ ابْنُ مالك بن جعفر بن كلاب،
فوفد لقيط بن زُرارة عليهما في فدائه فقال لهما : لكما عندي مائتا بعير، فقالا :
أبا نهشل، أنت سيد الناس، وأخوك معبد سيد مضر فلا تقبل فيه إلا دية ملك،
فأبى أن يزيدهم وقال : إن أبانا أو صانا ألا تزيد أحدا في ديننا على مائتي بعير، وقال :
لا توكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم، ورحل لقيط عن القوم .
قال : فتمنوا معبد الماء وضاروه حتى مات هزالاً . وقيل : بل أبى معبد أن
يُطعم شيئا أو يُشرب حتى مات هزالاً . ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل :
قَضَيْنَا الْجَوْنَ عَنْ عَبَسٍ وَكَانَتْ * مَنِيَّةُ مَعْبِدٍ فِينَا هُزَالًا
وقال جرير :

وَلَيْلَةَ وَايِدَى رَحْرَحَانَ رَفَعْتُمُ^(١) * فِرَارًا وَلَمْ تَلَوْا رَفِيقَ النَّعَائِمِ
تَرَكْتُمْ أَبَا الْقَعْقَاعِ فِي الْغُلِّ مَعْبِدًا * وَأَيُّ أَخٍ لَمْ تُسْلِمُوا لِلْأَذَاهِمِ
وقال أيضا :

وَبِرَحْرَحَانَ غَدَاةَ كُبَلٍ مَعْبِدٌ * نَكَحَتْ فَنَائِكُمْ بِغَيْرِ مَهْوَرٍ

يَوْمُ شَعْبِ جَبَلَةٍ

لِعَامِرٍ وَعَبَسٍ عَلَى ذُبْيَانٍ وَتَمِيمٍ

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : يومُ جَبَلَةٍ أعظمُ أيام العرب^(٢) ، وذلك أنه لما
انقضت وقعة رَحْرَحَانَ جمع لقيط بن زُرارة ابني عامر وأب عليهم . وبين يوم

(١) كذا في النفاض (ص ٢٢٩ ضع أوربا) . وفي الأصل : « فرتم » .

(٢) جَبَلَةٌ : هضبة حمراء . نجد بين الشريف والشريف . والشريف : ماء لبني نعيم . والشريف :

ماء لبني كلاب . (٣) عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربعة ، ويوم جَبَلَةٍ هذا ،

ويوم ذي قار . وكانت هذه الأيام كذا لكثرة من كان فيها من المقاتلين .

رَحْرَحَان ويوم جَبَلَة سنة . ويوم جَبَلَة قبل الإسلام بأربعين سنة ^(١) ، وهو عام
 مَوْلِد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت بنو عَيْس يومئذ في بنى عامر حُلَفَاء
 لهم ، فَاسْتَعْدَى لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ لَعْدَاوَتَهُمْ لِبَنِي عَيْسٍ مِنْ أَجْلِ حَرْبٍ دَاحِسٍ ،
 فَاجَابَتْهُ غَطَفَانُ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي بَدْرٍ ، وَتَجَمَّعَتْ لَهُمْ تَمِيمٌ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي سَعْدٍ ، وَخَرَجَتْ
 مَعَهُ بَنُو أَسَدٍ لِحَلْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانٍ ، ثُمَّ أَتَى لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ الْيَمَنَ ^(٢) وَهُوَ
 مَلِكٌ هَجْرٍ ^(٣) [وَكَانَ يُحْيِي مَنْ بَهَا مِنَ الْعَرَبِ] ^(٤) فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي قَوْمٍ عَادِينَ قَدْ مَلَأُوا
 الْأَرْضَ نَعْمًا وَشَاءً ، فَأَرْسَلَ مَعِيَ أَبْنَاكَ فَمَا أَصْبَنَا مِنْ مَالٍ وَسَبِيٍّ فَلَهُمَا ، وَمَا أَصْبَنَا مِنْ
 دَمٍ فَلِي ، فَاجَابَهُ الْجَوْنُ إِلَى ذَلِكَ وَجَعَلَ لَهُ مَوْعِدًا رَأْسَ الْحَوْلِ ، ثُمَّ أَتَى لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ
 أَبْنَ الْمُنْذِرِ فَاسْتَجِدَّهُ وَأَطْمَعَهُ فِي الْغَنَائِمِ ، وَكَانَ لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ مَلِكًا ، فَلَمَّا كَانَ
 عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ مِنْ يَوْمِ رَحْرَحَانِ أَقْبَلَتْ الْجِيُوشُ إِلَى لَقِيْطٍ ، وَأَقْبَلَ سَيَّانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ
 الْمُرِّيَّ فِي غَطَفَانٍ وَجَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ ، وَأَرْسَلَ الْجَوْنُ أَبْنِيَهُ مَعَاوِيَةَ وَعُمَرَاءَ ، وَأَرْسَلَ
 النُّعْمَانَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ حَسَّانَ بْنِ وَبَرَةَ الْكَلْبِيِّ . فَلَمَّا تَوَافَوْا خَرَجُوا إِلَى بَنِي عَامِرٍ وَقَدْ
 أَنْذَرُوا بِهِمْ وَتَأَهَّبُوا لَهُمْ ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ رَحَى هَوَازِنَ
 لَقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ : مَا تَرَى ؟ فَإِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يُعْرَضْ لَكَ أَمْرَانِ إِلَّا وَجَدْتَ
 فِي أَحَدِهِمَا الْمَخْرَجَ ! فَقَالَ لَقَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : الرَّأْيُ أَنْ نَزْهَلَ بِالْعِيَالِ وَالْأَمْوَالِ حَتَّى

(١) فِي الْأَغَانِي (ج ١١ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية) : « بَسْعٌ وَخَمْسِينَ سَنَةً » .

وَفِي الْقِفَايَ (ص ٦٧٦ أَوْ رِيَا) « بَسْعٌ وَخَمْسِينَ سَنَةً » .

(٢) الْجَوْنُ : هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَكْلٍ الْمُرَارِ الْكِنْدِيُّ سَمِيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ سَوَادِهِ . وَفِي الْأَصْلِ :

« الْجَوْنُ الْكَلْبِيُّ » .

(٣) هَجْرٌ : مَدِينَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ .

(٤) التَّكْلَةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ لِأَبْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ج ٣ ص ٦٣ طبع بِلَاق) .

(٥) النِّعَمُ (فَتَحْتَيْنِ) : الْإِذِلُّ خَاصَّةً .

(١١) تَدْخُلُ شَعْبَ جَبَلَةٍ فَتَقَاتِلُ الْقَوْمَ [دُونَهَا] مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، فَإِنَّهُمْ دَاخِلُونَ عَلَيْكَ الشَّعْبَ ، وَإِنْ لَقِيطًا رَجُلٌ فِيهِ طَيْشٌ فَسَيَقْتَحِمُ عَلَيْكَ الْجَبَلَ ، فَارَى أَنْ تَأْمُرَ بِالْإِبْلِ فَلَا تَرَعَى وَلَا تُسْقَى وَتُعْقَلُ ، ثُمَّ تَجْعَلُ الذَّرَارَى وَرَاءَ ظَهْرِنَا وَتَأْمُرُ بِالرَّجَالَةِ فَتَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْإِبْلِ ، فَإِذَا دَخَلُوا عَلَيْنَا الشَّعْبَ حَلَّتِ الرَّجَالَةُ عُقْلَ الْإِبْلِ ثُمَّ لَزِمَتْ أَذْنَابَهَا فَإِنَّهَا تَخْدُرُ عَلَيْهِمْ وَتَحْنُ إِلَى مَرَاعِيهَا وَوَرْدِهَا ، وَلَا يَرُدُّ وَجُوهَهَا شَيْءًا ، وَيُخْرِجُ الْفُرْسَانَ فِي أَثَرِ الرَّجَالَةِ الَّذِينَ خَلْفَ الْإِبْلِ فَإِنَّهَا تُحْطِمُ مَا لَقِيَتْ وَتُقْبِلُ عَلَيْهِمُ الْخَيْلَ وَقَدْ حُطِّمُوا مِنْ عَلِيٍّ . فَقَالَ الْأَحْوَصُ : نِعَمَ مَا رَأَيْتَ وَأَخَذَ بِرَأْيِهِ ، وَكَانَ مَعَ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ بَنُو عَبْسٍ ، وَغَنِيٌّ فِي بَنِي كَلَّابٍ ، وَبَاهِلَةٌ فِي بَنِي صَعْبٍ ، وَالْأَبْنَاءُ أَبْنَاءُ صَفْصَعَةَ . وَكَانَ رَهْطُ الْمُعَقَّرِ الْبَارِقِيِّ يَوْمَئِذٍ فِي بَنِي ثُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ ، وَكَانَتْ قِبَائِلُ بَجِيلَةٍ كُلِّهَا فِيهِمْ غَيْرُ قَيْسٍ .

قال أبو عبيدة : وأقبل لقيطٌ والملوكُ ومن معهم فوجدوا بني عامرٍ قد دخلوا شعبَ جَبَلَةٍ فَنَزَلُوا عَلَى فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ : خَذُوا عَلَيْهِمْ فَمَ الشَّعْبَ حَتَّى يَعْطِشُوا وَيَجُوعُوا ، فَأَتَوْا حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِمُ الشَّعْبَ ، وَكَانُوا قَدْ عَقَلُوا الْإِبِلَ [وَعَظَّشُوهَا] ثَلَاثَةَ أَهْمَاسٍ ، وَذَلِكَ اثْنَا عَشْرَةَ لَيْلَةً لَمْ تُطْعَمَ شَيْئًا ، فَلَمَّا دَنَوْا حَلَّوْا عُقْلَهَا فَأَقْبَلَتْ تَهَيَّوْا ، فَظَنَّ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَدَّ عَلَيْهِمُ ، وَالرَّجَالَةَ فِي آثَارِهَا آخِذِينَ بِأَذْنَابِهَا فَدَقَّتْ كُلُّهَا لَقِيْتَ ، فَأَنْهَزُمُوا لَا يَلُوءُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَقَتَلَ لَقِيطٌ وَأَسْرَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، أَسْرَهُ ذُو الرُّقَيْيَةِ ، وَأَسْرَسِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيَّ أَسْرَهُ عُرْوَةُ الرَّحَّالِ ، بَخْرَ نَاصِيَتَهُ وَأَطْلَقَهُ ، وَأَسْرَ عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عُدُسَ ، أَسْرَهُ قَيْسُ بْنُ الْمُبَشَّتَقِ ، بَخْرَ نَاصِيَتَهُ وَخَلَّاهُ طَمَعًا فِي الْمَكَافَاةِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَتَلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ

١١٤
١٣

(١) التكملة من العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاق) .

(٢) التكملة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) .

الحنون ومُنْقَدُ بن طَرِيف الأَسَدِيّ، ومالك بن رَبِيعِ بن جَنْدَل بن نَهْشَل ، فقال
جرير في ذلك :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيْطًا وَحَاجِبًا * وَعَمَرُوْا بَنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَالَ دَارِمَ
وَيَوْمَ الصَّفَا كُنْتُمْ عَيْدًا لِعَامِرٍ * وَبِالْحَزْنِ أَصْبَحْتُمْ عَيْدَ اللّٰهَارِمِ
يعنى بالحزن يوم الوقيط . وقال أيضا في بنى دارم :

وَيَوْمَ الشَّعْبِ قَدْ تَرَكَوْا لَقِيْطًا * كَأَنَّ عَلَيْهِ نَحْلَةً أَرْجُوَانَ
وَكُبْلَ حَاجِبٍ يَنْهَامُ حَوْلًا * فَكَمْ ذَا الرُّقِيَّةِ وَهُوَ عَائِي
وَقَالَتْ دَخْتَنُوسُ أُخْتُ لَقِيْطٍ تَرَى لَقِيْطًا :

قَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ فَرَا * رَ الطَّيْرِ عَرَّ أَرْبَابَهَا
عَنْ خَيْرِ خَنْدَفٍ كُلِّهَا * مِنْ كَهْلِهَا وَشَبَابِهَا
وَأَتَمَّهَا حَمَابًا إِذَا * ضُمَّتْ إِلَى أَحْسَابِهَا^(١)

يوم الحُرَيْبَةِ

وفيه قُتِلَ الحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ

قال أبو عبيدة : لما قَتَلَ الحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ خَالِدَ بْنَ جَعْفَرٍ الْكَلَابِيَّ أَتَى صَدِيقًا
لَهُ مِنْ كُنْدَةٍ . فَأَتَفَّ عَلَيْهِ وَطَلَبَهُ الْمَلِكُ نَفْخَى ذِكْرَهُ ، ثُمَّ شَخَصَ مِنْ عِنْدِ الْكَنْدِيِّ
وَاضْمَرَّتْهُ^(٢) الْبِلَادُ حَتَّى اسْتَجَارَ بِزِيَادِ بْنِ عِجْلٍ بْنِ الْحُجَيْمِ ، فَقَامَ بَنُو ذُهْلَ بْنِ ثَعْلَبَةَ
وَبَنُو عَمْرٍو بْنِ شَيْبَانَ فَقَالُوا لِمَعْجَلٍ : أَخْرِجُوا هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ

(١) هذه رواية الأصل والمقد الفريد (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) ورواية التفاضل (ص ٦٦٦ طبع
أوربا) والأغانى (ج ١١ ص ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

بَكَرَ النِّعَى بِخَيْرِ خَنْدَفٍ * لَدَفَ كَهْلَهَا وَشَبَابَهَا

وَبَخَّرَهَا نَسْبًا إِذَا * عُدَّتْ إِلَى أَنْسَابِهَا

(٢) اضمرت الأرض الرجل : غيبتة إما بسفر أو بموت .

لنا بالشَّهَاءِ وَدَوَسَرَ، وهما كَيْتَانِ لِلْأَسُودِ بْنِ الْمَنْذَرِ، فَأَبَتْ عِجْلُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ،
فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ ذَلِكَ كَرِهَ أَنْ تَقَعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا بِسَبَبِهِ، فَأَرْتَحِلَ مِنْ
بَنِي عِجْلٍ إِلَى جَبَلٍ طَيِّءٍ فَأَجَارُوهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَلَّتْ بِي الْيَوْمَ نَاقِي * إِلَى نَاصِرٍ مِنْ طَيِّءٍ غَيْرِ خَاذِلٍ

فَأَصْبَحْتُ جَارًا لِلْمَجْرَةِ فِيهِمْ * عَلَى بَاذِخٍ يَعْطُونَ يَدَ الْمُتَطَاوِلِ

إِذَا أَجَا لَقْتُ عَلَى شِعَابِهَا * وَسَلِمِي فَأَنْتِ أَمُّ مَنْ تَنَاولِي^(١)

فَكَثَّ عِنْدَهُمْ حِينًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسُودَ بْنَ الْمَنْذَرِ لَمَّا أَعْجَزَهُ أَمْرُهُ أَرْسَلَ إِلَى جَارَاتِهِ كُنَّ
لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ اسْتَأْفَقَهُنَّ وَأَمَوَاهُنَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ، فَخَرَجَ مِنَ الْجَبَلَيْنِ فَأَنْدَسَ
فِي النَّاسِ حَتَّى عَلِمَ مَكَانَ جَارَاتِهِ وَمَرَعَى إِبِلِهِنَّ فَأَتَاهُنَّ وَأَسْتَفَقَهُنَّ وَأَسْتَأْفَقَهُنَّ^(٢) إِبِلَهُنَّ
فَالْحَقَهُنَّ بِقَوْمِهِنَّ . وَأَنْدَسَ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ حَتَّى أَتَى سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ الْمُزَنِّيَّ وَهُوَ
أَبُو هَرَمٍ بْنُ سِنَانَ مَمْدُوحُ زُهَيْرٍ . وَكَانَ الْأَسُودُ بْنُ الْمَنْذَرِ قَدْ اسْتَرْضَعَ ابْنَهُ شُرَحْبِيلَ
عِنْدَ سَلَمَى أَمْرَأَةِ سِنَانَ، وَهِيَ مِنْ بَنِي غَنَمٍ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ، فَكَانَتْ لَا تَأْمَنُ عَلَى
أَبْنِ الْمَلِكِ أَحَدًا، فَاسْتَعَارَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ سَرَجَ سِنَانَ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْبَةِ، فَأَتَى
بِهِ سَلَمَى أَمْرَأَةَ سِنَانَ وَقَالَ لَهَا : يَقُولُ لَكَ بَعْلُكَ : ابْعَثِي ابْنَكَ مَعَ الْحَارِثِ فَإِنِّي أُرِيدُ
أَنْ أَسْتَأْمِنَ لَهُ الْمَلِكُ، وَهَذَا سَرَجُكَ لَكَ آيَةً . قَالَ : فَرِيزَتْهُ وَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ
نَاحِيَةَ مِنَ الشَّرْبَةِ فَفَقَتْلَهُ وَهَرَبَ مِنْ فُورِهِ، وَهَرَبَ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ
الْأَسُودَ قَتْلَ ابْنِهِ شُرَحْبِيلَ غَزَا بَنِي دُبْيَانَ فَقَتَلَ وَسَبَى، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَأَغَارَ عَلَى
بَنِي دُودَانَ رَهَطَ سَلَمَى، فَفَقَتَلَهُمْ وَسَبَاهُمْ، ثُمَّ وَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ نَعْلَ شُرَحْبِيلَ فِي جَانِبِ
الشَّرْبَةِ عِنْدَ بَنِي مُحَارِبٍ بْنِ خَصْفَةِ، فَفَزَاهُمْ وَأَسْرَهُمْ وَأَحْيَى لَهُمُ الصَّفَا وَقَالَ : إِنِّي
أَحْذِيكُمْ نِعَالًا، فَأَمْسَاهُمْ عَلَيْهَا، فَسَقَطَتْ أَقْدَامُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ سَيَّارَ بْنَ عَمْرِو بْنِ جَابِرِ

(١) أَجَا وَسَلِمِي : جَبَلَانِ لَطِيَّيْنِ .

(٢) عِبَارَةُ الْأَغَانِي (ج ١١ ص ١٠٧ طبع دار الكتب المصرية) : « فَأَسَابَ فِي غِمَارِ النَّاسِ » .

الفَزَارِيُّ: احتمل للأسود ديةً أبه ألف بعير ورهنه بها قوسه، فوفاه بها وقال في ذلك:

ونحن رهنا القوس ثمث فوديت * بألف على ظهر الفزاري أفرعا

بعشر مئين للسلوك وقى بها * ليحمد سيار بن عمرو فأسرعا^(١)

قال: ثم هرب الحارث فلحق بمعبد بن زُرارة فاستجار به فأجاره، وكان من

سببه وقعة رحران التي تقدم ذكرها. ثم هرب حتى لحق بمكة وقريش لأنه يقال:

إن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان إنما هو مرة بن عوف بن لؤي بن غالب،

فتوسل إليهم بهذه القرابة وقال في ذلك:

إذا فارقت ثعلبة بن سعد * وإخوتهم نسبت إلى لؤي

إلى نسب كريم غير وغل * وحى من أكارم كل حى

فإن يك منهم أصلى فمنهم * قوانين الإله بنو قصي

فقالوا له: هذا نسب ربح كرشاء إذا استغنيت عنها أدبرتم. قال: فشخص [الحارث]^(٢)

عنهم غضبان وقال في ذلك:

ألا لستم منا ولا نحن منكم * برثنا إليكم من لؤي بن غالب^(٣)

غدونا على نسير الحجاز وأتم * بمنشعب البطحاء بين الأخاشب^(٤)

وتوجه إلى الشام فليحق بيزيد بن عمرو الفسائي فأجاره وأكرمه. وكانت ليزيد

ناقة محجاة، في عنقها مدية وزناد وصرّة ملح، يمتحن بها رعيته لينظر من يحتري عليه،

(١) في الأغاني (ج ١١ ص ١١١ طبع دار الكتب المصرية) وخزانة الأدب (ج ٣ ص ٣٠٤)

«سعى بها... ليوفى» وقد صححها المرحوم الشنقيطي: «سعى لها». (٢) الرشاء: الجبل.

(٣) زيادة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٧ طبع بلاط). (٤) كذا في العقد الفريد. والنشر:

أمتن المرتفع من الأرض، أو ما ارتفع عن الوادى إلى الأرض وليس بالعليط. (٥) انشعب

الطريق: تفرق. (٦) البطحاء: كل موضع منع. (٧) الأخاشب: جبال مكة.

فَوَجِثَ أَمْرُهَا الْحَارِثَ فَأَشْتَهَتْ شَيْخًا فَأَنطَلَقَ إِلَى النَّاقَةِ فَأَتَتْحَرَّهَا وَأَنَاهَا بِشَحْمِهَا
وَقَدَّتِ النَّاقَةُ فَارْسَلَتْ إِلَى الْخُمْسِ الْبَغْلِيِّ، وَكَانَ كَاهِنًا، فِسَّأَ لَهُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْحَارِثَ
صَاحِبُهَا، فَهَمَّ بِهِ الْمَلِكُ ثُمَّ تَذَمَّرَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَوْجَسَ الْحَارِثُ فِي نَفْسِهِ شَرًّا فَأَتَى الْخُمْسَ
الْبَغْلِيَّ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ دَعَا بِهِ الْمَلِكُ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَجْرَتَنِي
فَلَا تَغْدِرْنِي، قَالَ الْمَلِكُ: لَا ضَيْرَ إِنْ غَدِرْتُ بِكَ مَرَّةً فَقَدْ غَدِرْتُ بِي مِرَارًا، وَأَمَرَ
أَبْنَ الْخُمْسِ بِهِ فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ أَبْنَ الْخُمْسِ سَيْفَ الْحَارِثِ، فَأَتَى بِهِ سَوْقَ عُكَازَ فِي الْأَشْهُرِ
الْحَرَمِ، فَأَرَاهُ قَيْسَ بْنَ زَهْرٍ الْعَبْسِيَّ فَضَرَبَهُ بِهِ قَيْسٌ فَقَتَلَهُ.

ذِكْرُ حَرْبِ دَاخِسٍ وَالْغُبَرَاءِ

وهي من حروب قيس

- ١٠ قال أبو عبيدة: حرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان أبنَي بغيض
أبن ريث بن غطفان. وكان السبب الذي هاجمها أن قيس بن زهير وحمل
أبن بدر تراها على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق. وكان داحس حنلاً
لقيس بن زهير. والغبراء حجر تحل بن بدر، فتواضعا الرهان على مائة بعير، وجعلوا

(١) تَذَمَّرَ: استنكف. (٢) اسمه «مالك» كما في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩)

١٥ طبع دار الكتب المصرية).

(٣) وردت هذه العبارة في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩ طبع دار الكتب المصرية) هكذا: «فأتى

به سوق عكاز في الحرم...» وضبط لفظ «الحرم» بالقلم بفتح الحاء والراء المهملتين. وبهذا الضبط
يتبادر إلى ذهن القارئ أنه قتله بالحرم (أي الكعبة) ويؤيد هذا تكرار هذه الكلمة بهذا الضبط في السطر
التالي لها، وهذا خطأ، والصواب أنه قتله في الأشهر الحرم (بضم الحاء والراء المهملتين) بسوق عكاز،

٢٠ وهي سوق بصحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتسمر عشرين يوماً، تجتمع قبائل
العرب فيتهاكفون، أي يتفاحرون ويتناشدون.

(٤) الجحر: الفرس الأنثى لم يدخلوا فيه الهاء لأنه أمم لا يتركها فيه الذكر. وأحجار الخليل:
ما يجذب منها لنسل لا يفرد لها واحد.

مُنْهَى الْغَايَةِ مَائَةِ غَلْوَةٍ ، وَالْمُضَارُّ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ قَادَاهُمَا إِلَى رَأْسِ الْمَيْدَانِ بَعْدَ أَنْ صَمَّرَاهُمَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . وَكَانَ فِي طَرْفِ الْغَايَةِ شِغَابٌ كَثِيرٌ ، فَأَكَمَنَّ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ فِتْيَانًا عَلَى طَرِيقِ الْفَرَسَيْنِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ جَاءَ دَاحِسٌ سَابِقًا أَنْ يَرُدَّوهُ عَنِ الْغَايَةِ ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُمَا ، فَلَمَّا أَحْضَرَا خَرَجَتِ الْأُنْثَى عَنِ الْفَحْلِ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ : سَبَقْتُكَ يَا قَيْسُ ، فَقَالَ قَيْسُ : رُوَيْدَا يُعْدُوَانِ الْجَدَدَ إِلَى الْوَعْتِ وَتَرَشَّحَ أَعْطَافَ الْفَحْلِ ، فَلَمَّا أَوْغَلَا عَنِ الْجَدَدِ وَخَرَجَا إِلَى الْوَعْتِ بَرَزَ دَاحِسٌ عَنِ الْغَبَاءِ فَقَالَ قَيْسُ : « بَرَأَى الْمَذَكِّيَّاتِ غَلَابٌ ^(١) » فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَلَمَّا شَارَفَ دَاحِسٌ الْغَايَةَ وَدَنَا مِنَ الْفِتْيَةِ وَثَبُوا فِي وَجْهِ دَاحِسٍ فَرُدَّوهُ عَنِ الْغَايَةِ ، فَقَى ذَلِكَ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

وَمَا لَأَقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ * وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ ^(٢)
هُمُ نَفَرُوا عَلَى بَغِيرِ نَفَرٍ * وَرَدُّوهُ دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي

وَنَارَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانَ ابْنَيْ بَقِيضَ ، فَكَدَّتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ تُنْتِجْ نَاقَةً وَلَا فَرَسًا فِيهَا لَا شَتَا لَهُمْ بِالْحَرْبِ . فَبَعَثَ حُدَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ ابْنَهُ مَالِكًا إِلَى قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ حَقَّ السَّبْقِ ، فَقَالَ قَيْسُ : كَلَّا لَا مِطْلَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرِّخْ فِطْعَمَتَهُ فَدَقَّ صُلْبَهُ ، وَرَجَعَتْ فَرُسُهُ غَائِرَةً ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَحَمَلُوا دِيَّةَ مَالِكِ مَائَةِ نَاقَةٍ عَشْرًا ^(٣) وَزَعَمُوا أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْعَبْسِيَّ حَمَلَهَا وَحَدَّه فَقَبَضَهَا حُدَيْفَةُ وَسَكَنَ النَّاسُ .

(١) المذكية من الخبل : التي قد أتى عليها بعد فروجها سنة أو سنان .

(٢) الغلاب : المغالبة ، أى إن المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته .

(٣) ذات الإصَاد : موضع ييلاد بنى فزارة .

(٤) العشاء : التي أتى على حملها عشرة أشهر من ملقحها .

ثم إن مالك بن زهير نزل اللقطة من أرض الشربة فأخبر حذيفة بمكانه، فعدا عليه قتلته، ففى ذلك يقول عنترة :

فَلله عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مالِكٍ * عَقِيْرَةَ قَوْمٍ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَخْرِيَا فَيَسِدْ غُلُوْرُ * وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسِلَا لِرِهَانِ

فَقَالَتْ بَنُو عَبْسٍ : مالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ بِمالِكِ بْنِ حَذِيْفَةَ وَرُدُّوا عَلَيْنَا مالَنَا ، فَأَبَى حَذِيْفَةُ أَنْ يَرُدَّ شَيْئًا ، وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ مَجَاوِرًا لِبَنِي فَزَارَةَ .

قال : فَلَمَّا قُتِلَ مالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ جَعَلَ بَنُو فَزَارَةَ يَتَسَاءَلُونَ وَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ حِمَارُكُمْ ؟ قَالُوا : صِدَّنَاهُ ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّبِيعُ : مَا هَذَا الْوَحَى ؟ قَالُوا : قَتَلْنَا مالِكَ ابْنَ زُهَيْرٍ ، قَالَ : بئسَ مَا فَعَلْتُمْ بِقَوْمِكُمْ ! قَلِمَ اللَّيْثُ وَرَضِيْتُمْ بِهَا ثُمَّ غَدَرْتُمْ ! فَقَالُوا : لَوْلَا أَنْكَ جَارُنَا لَقَتَلْنَاكَ ، وَكَانَتْ خَفَرَةُ الْحَارِ ثَلَاثًا ، فَقَالُوا لَهُ : بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ أَخْرَجْنَا عَنَّا ، وَخَرَجَ وَاتَّبَعُوهُ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ حَتَّى لَحِقَ بِقَوْمِهِ ، وَأَتَاهُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ فَعَاقَدَهُ . ثُمَّ نَهَضَتْ بَنُو عَبْسٍ وَحُلَفَاؤُهُمْ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي فَزَارَةَ وَذُبْيَانَ وَرُئُسِهِمُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ ، وَرُئُوسُ بَنِي فَزَارَةَ حَذِيْفَةُ بْنُ بَدْرٍ .

يَوْمَ الْمُرَيْقَبِ

لِبَنِي عَبْسٍ عَلَى بَنِي ذُبْيَانَ

وَأَلْتَقَوْا بِذِي الْمُرَيْقَبِ مِنْ أَرْضِ الشَّرْبَةِ فَأَقْتَلُوا ، فَكَانَتِ الشُّوْكَةُ فِي بَنِي فَزَارَةَ قُتِلَ مِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ بَدْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْحَصِينِ ، أَحَدُ بَنِي عَدِيِّ بْنِ فَزَارَةَ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ . وَفِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ يَقُولُ عَنْتَرَةُ الْفَوَارِسُ :

وَلَقَدْ عَلِمْتَ إِذَا أَلْتَقَتْ فُرْسَانُهَا * يَوْمَ الْمُرَيْقَبِ أَنَّ ظَنِّكَ أَحْمَقُ

- (١) اللقطة : موضع قريب من الحاجر من منازل بني فزارة .
(٢) الشربة : موضع بين السليلة والريذة ، وقيل : إذا جاوزت النقرة ومارن تريد مكة وفتت في الشربة .
(٣) المريقب : تصغير مرقب : موضع من الشربة .

يوم ذى حُسى لذبيان على عبس

ثم إن ذبيان تجمعت لما أصابت بنو عبس منهم يوم المُرَيْقَب قَزارة بن ذبيان
ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وأحلافهم، فقتلوا فتواقوا بذى حُسى^(١)، وهو وادى
الصفاء من أرض الشَّرْبَةِ، فهزمت بنو عبس وخافت ألا تقوم بجاعة بنى ذبيان
وأتبعوهم حتى لحقوهم، فقالوا: التفانى أو تقيّدونا، فأشار قيس بن زهير على
الربيع بن زياد ألا يناجزهم، وأن يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا فى أمرهم،
فراضوا أن يكون رهنهم عند سُبَيْع بن عمرو أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان،
فدفعوا إليه ثمانية من الصّبيان، فأنصرفوا وتكافأ الناس، فمكث رهنهم عند سُبَيْع
حتى حضرته الوفاة، فقال لابنه مالك بن سُبَيْع: إن عندك مكُومَةً لا تبديد إن أنت
احتفظت بهؤلاء الأغنيمة، وكأنى بك لو متّ قد أتاك خالك حذيفة بن بدر
فعصر لك عينه وقال: هلك سيّدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا
تشرّف بعدها أبداً، فإن خفت ذلك فأذهب بهم إلى قومهم. فلما هلك سُبَيْع
أطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم إليه، فأتى بهم البعمرية^(٢)، فجعل يُبرز
كلّ يوم غلاماً فينصبه غَرَضاً ويقول له: نادِ أباك، فينادى أباه حتى
يقتله.

(١) ذو حُسى: موضع بالعالية فى أرض غطفان.

(٢) لا تبديد: لا تنقطع ولا تذهب. وفى الأصل «لا ضير».

(٣) البعمرية: ماء بوادٍ من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة.

يوم اليعمرية

لعيس على ذبيان

قال : فلما بلغ ذلك من فعله بنى عبس أتوهم باليعمرية فلقوهم بمحزتها فقتلوا منهم اثني عشر رجلا ، منهم مالك بن سبيع الذي نبذ بالغملة إلى حذيفة ، وأخوه يزيد بن سبيع ، وعامر بن لوزان ، والحارث بن زيد ، وهرم بن ضمضم أخو حصين . ويقال ليوم اليعمرية : يوم ذى نفر لأنهما متجاوران .

يوم الهباءة

لعيس على ذبيان

قال : ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قانظ إلى جنب جفر الهباءة وأقتلوا من أول النهار إلى أن انتصف ، وحجز الحر بينهم ، وكان حذيفة بن بدر يحرق نخذه الركض ، فقال قيس بن زهير : يا بنى عبس ، إن حذيفة غدا إذا أخدمت الوديفة مستنقع في جفر الهباءة فعليكم بها ، فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف : فرس حذيفة ، والحيفاء : فرس حمل بن بدر ، فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة ، فبصر بهم حمل بن بدر فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ، فوقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة وهو يقول : لبيكم لبيكم ! يعني إجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم إذ يقتلون ! وفي الجفر حذيفة وحمل وبدر ومالك بنو بدر ، وورقاء بن بلال

(١) الهباءة : أرض يبلاد غطفان . وجفر الهباءة : مستنقع في هذه الأرض .

(٢) الوديفة : شدة الحر .

(٣) كذا في كتاب النقائص (ص ٩٥ طبع أوربا) والأغانى (ج ١٦ ص ٣١ طبع بلاق) .

وفي الأصول والعقد الفر يد : « هلال » .

من بني نعلبة بن سعد . وحش بن عمرو ، فوقف عليهم شداد بن معاوية العبسي ، فقال بينهم وبين خيلهم ، ثم توافقت فرسان بني عبس فقال حمل : ناشدتك بالرحم يا قيس ، فقال : لبيكم لبيكم ! فعرف حذيفة أنه لن يدعهم فأتهم حملا فقال : إياك والمأثور من الكلام ، فذهبت مثلا ، وقال لقيس : اني قتلني لا تصلح عطفان بعدها أبدا ! فقال : أبعدا الله ولا أصلحها ، وجاء قرواش بمنعبله فقسم ضلبي ، وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر ، فقال قيس بن زهير يرثيه :

١١٧
١٣

(٣) تعلم أن خير الناس ميت * على جفر الهباءة ما يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي * عليه الدهر ما بدت النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بنى والبني مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي * وقد يستجهل الرجل الحلم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوج وآخر مستقيم

ومثلا بحذيفة بن بدر كما مثل بالغملة ، فمطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا لسانه في آسته ، ففي ذلك يقول قائلهم :

إن قتيلا بالهباءة في آسته * صحيفته إن عاد للظلم ظالم
متى تقرأوها تهديكم من ضلالكم * وتعرف إذا ما فُض عنها الخوائم

(١) كذا في كتاب النقائص والأغانى . وفي الأصول : « وهب » وفي المقد الفريد :

« حسن بن وهب » وهو تحريف .

(٢) المعجلة : تصل عريض طويل .

(٣) ما يريم : أى ما يرح .

وقال عمرو بن الأسلع :

إِنَّ السَّمَاءَ وَإِنَّ الْأَرْضَ شَاهِدَةٌ ^(١) * وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْإِنْسَانُ وَالْبَلَدُ
أَنِّي حَزَيْتُ بَنِي بَدْرِ بِسَعْيِهِمْ * عَلَى الْمَبَاءَةِ قَتْلًا مَا لَهُ قَبُودُ
لِمَا آتَيْنَا عَلَى أَرْجَاءِ بَحْتِهَا * وَالْمَشْرِفِيَّةِ فِي أَيْمَانِنَا تَقْدُ
عَلَوْنَهُ بِجَسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : « خُذْهَا حَذِيفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ »

فلما أصيب أهل المباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة، تجمعوا، وعرفت
بنو عبس أن ليس لهم مقام بأرض غطفان، فخرجوا إلى اليمامة فقتلوا بأخوانهم
بنى حنيفة، ثم رحلوا عنهم فقتلوا بنى سعد بن زيد مائة.

يوم الفَرُوق

لبنى عبس

١٠

ثم إن بنى عبس غدروا بجوارهم فأتوا معاوية بن الجوف فاستجاسوا عليهم
وأرادوا أكلهم، فبلغ ذلك بنى عبس ففزعوا ليلاً، وقدموا طعْنَهُمْ، ووقفت قُرْسَانُهُمْ
بموضع يقال له الفُروق، وأغار بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم
فلم يجدوا إلا مواقد النيران فأتبعوهم حتى أتوا الفُروق، فإذا بالخيول والقُرْسَانِ وقد
تواترت الظُّنُ عنهم، فانصرفوا عنهم، ومضى بنو عبس فقتلوا بنى ضَبَّةَ فأقاموا
فيهم. وكان بنو حذيفة من بنى عبس يسمون بنى روَاحَةَ، وبنو بدر من فزارة
يسمون بنى سَوْدَةَ، ثم رجعوا إلى قومهم وصالحوهم، فكان أول من سمى في الحلالة
حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة، فمات، فسعى فيها أبْنُهُ هاشم بن حرملة،
وإليه أشار الشاعر :

٢٠

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ * يَوْمَ الْمَبَاءَتَيْنِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَةِ
تَرَى الْمُلُوكَ حَوْلَهُ مُرْعَبَةً * يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ !

(١) في الأصول : « الرمح » .

يوم قَطَن

فلما توافوا للصلح وقفت بنو عبس بَقَطَن^(١) وأقبل حُصَيْنُ بْنُ ضَمَضَمٍ فلقى تيجان
أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضَمَضَم . وكان عنترة بن شداد العبسي قتلته
بذي المَرِيقَب ، فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان وقالوا :
لا نصالحكم ما بل البحر صوفة وقد غدرتم بنا غير مرة ، وتناهض الناس : عبس
وذبيان ، فالتقوا بَقَطَن ، فقتل يومئذ عمرو بن الأسلم عُبَيْة ، ثم سفرت السفراء ،
بينهم ، وأتى خارجة بن سنان أبا تيجان بابنه فدفعه إليه وقال : في هذا وفاء من
أبنك ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجة لأبي تيجان مائة بعير فأذاها
إليه وأصطلحوا وتعافدوا .

يوم غدير قلبي

قال أبو عبيدة : فاصطلح الحَيان إلا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فإنهم أبوا
ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يُودُوا قتلانا أو يُهدَر دُمُ من قتلها ، فخرجوا من قَطَن
حتى وردوا غدير قلبي ، فسبقتهم بنو عبس إلى الماء فمعهوهم حتى كادوا يموتون
عطشا ، فأصلح بينهم عَوْفٌ ومَعْقِلُ ابنا سُبَيْع من بني ثعلبة وإياهما يغني زهير بقوله :
تَدَارَكُمَا عَبَسَا وَذُبْيَانُ بَعْدَمَا * تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشِمٍ^(٢)
فوردوا حربا وخرجوا عنه سالما . تمّ خبر داحس والغبراء .

(١) قطن : جبل لى أسد .

(٢) منشم : اختلف فيها ، فقليل : إنها امرأة عطارة من خزاعة ، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم
في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك في شدة الأمر . وقال أبو عمرو الشيباني :
هي امرأة من خزاعة كانت تباع عطرا ، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم ، فتشاه مواها ،
وكانت تسكن مكة . وقال ابن الكلبي : هي امرأة من جرهم . وقال أبو عمرو بن العلاء : منشم ، إمّا
هو من التشم في الشر . ومنه قولهم : لما تشم الناس في غيان . (أى طعنوا فيه وقالوا له) راجع
شرح ديوان زهير للإمام ثعلب ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية .

يَوْمُ الرِّقْمِ

لَغَطْفَانِ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

(١)

غَزَتْ بَنُو عَامِرٍ فَأَغَارُوا عَلَى بِلَادِ غَطْفَانَ بِالرِّقْمِ - وَهُوَ مَاءٌ لَبْنِي مُرَّةٌ - وَعَلَى
 بَنِي عَامِرٍ : عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ - وَيُقَالُ يَزِيدُ بْنُ الصَّبِيقِ - فَرَكَبَ عُثْبَةُ بْنُ حُصَيْنٍ
 فِي بَنِي قَزَازَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ فِي بَنِي مُرَّةٍ - وَيُقَالُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ - فَأَنْهَزَمَتْ
 بَنُو عَامِرٍ، فَزَعَمَتْ غَطْفَانُ أَنَّهُمْ أَصَابُوا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ وَثَمَانِينَ رَجُلًا،
 فَدَفَعُوهُمْ إِلَى أَهْلِ يَدِ بْنِ أَشْجَعٍ، كَانَتْ بَنُو عَامِرٍ قَدْ أَصَابُوا فِيهِمْ، فَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ.
 وَأَنْهَزَمَ الْحَكَمُ بْنُ الطُّفَيْلِ فِي نَقِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ خَوَاتِ بْنِ كَعْبٍ حَتَّى
 أَتَوْهُا إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ : الْمُرُورَاتُ، فَقَطَعَ الْعَطَشُ أَعْنَاقَهُمْ فَاتَوَا، وَخَنَقَ الْحَكَمُ
 ابْنَ الطُّفَيْلِ نَفْسَهُ خَافَةَ الْمُثَلَّةُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَخْتَنُونَ نَفْسَهُمْ * وَمَقْتَلُهُمْ تَحْتَ الْوَعْيِ كَانَ أَعْذَرًا

يَوْمُ التَّنَاءَةِ

لِعَبْسٍ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

يُقَالُ : نَحَرَجْتَ بَنُو عَامِرٍ تَرِيدُ أَنْ تُدْرِكَ بِثَارِهَا يَوْمَ الرِّقْمِ، فَهَجَمُوا عَلَى عَبْسٍ
 بِالتَّنَاءَةِ وَقَدْ أُنْذِرُوا بِهِمْ، فَالْتَقَوْا، وَكَانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ : عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، وَعَلَى
 بَنِي عَبْسٍ : الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ، فَأَقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَنْهَزَمَتْ بَنُو عَامِرٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ
 هَزَارُ بْنُ مُرَّةٍ، قَتَلَهُ الْأَحْنَفُ بْنُ مَالِكٍ، وَنَهْشَلُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنُ جَعْفَرٍ، قَتَلَهُ أَبُو زُرْغَبَةَ
 ابْنُ حَارِثٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ بْنُ خَالِدٍ، وَهَزَمَتْ بَنُو عَامِرٍ هَزِيمَةً قَبِيحَةً .

(١) فِي مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَلَ لِلْبَكْرِى : « الرِّقْمُ بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ : مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ قَرِيبٌ مِنْ وَادِى

الْقَرْىِ » . (٢) أَيْ كَانَ أَعْذَرَهُمْ مِنْ خَفَقِهِمْ أَنْفُسَهُمْ (رَاجِعْ شَرْحَ دِيْوَانِ عُرْوَةَ ص ١٣٥) .

طَبِيعُ أَوْرَبَا) . (٣) التَّنَاءَةُ : نَخِيلَاتُ لَبْنِي عَطَارْدٍ .

(١)

يوم شواحط

لبنى محارب على بن عامر

غَزَتْ سِرِّيَّةً مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ بِلَادَ غَسَّانَ ، فَأَغَارُوا عَلَى إِبْلِ
لِبْنِي مُحَارِبِ بْنِ خَصَفَةَ ، فَأَدْرَكَهُمُ الطَّلَبُ ، فَقَتَلُوا مِنْ كِلَابِ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَأَرْتَدُوا
إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَجَعُوا وَثَبَتْ بَنُو كِلَابٍ عَلَى جَنْبِهِمْ - وَهُمْ مِنْ بَنِي مُحَارِبِ ، وَكَانُوا حَارِبُوا
إِخْوَتَهُمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ فَخَالَفُوا بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ - فَقَالُوا : نَقْتُلُهُمْ
بِقَتْلِ بَنِي مُحَارِبِ مَنْ قَتَلُوا مِنَّا ، فَقَامَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ دُونَهُمْ حَتَّى مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ
وَقَالَ :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَلَنْتَنَ * عَقِيلًا وَأَيْلُغَ إِنْ لَقِيتَ أَبَا بَكْرٍ
فِيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْدِنَا وَأَمَّنَّا * إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ لَأَسْبِيلَ إِلَى جَنْبِهِ
دَعُوا جَانِبِي إِنِّي سَاتِرُكَ جَانِبًا * لَكُمْ وَأَسْعَايَيْنِ الْيَمَامَةَ وَالْقَهْرَ
أَنَا فَارِسُ الضَّحِيَاءِ عَمْرُوبُ بْنُ عَامِرٍ * أَبِي الدِّمِّ وَأَخْتَارُ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ

(٤)

يوم حوزة الأول

لسليم على غطفان

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ . كَانَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ وَبَيْنَ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ
أَحَدِ بَنِي مُرَّةٍ : - مُرَّةُ غُطْفَانَ - كَلَامٌ بِعُكَاظٍ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ
سَمِعْتُ بَطْعَانِ يَنْدُبُنْكَ ، فَقَالَ هَاشِمٌ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ بَرَيْتُ الرُّطْبَةَ - وَهِيَ جُمَةُ

(١) شواحط : جبل مشهور بين مكة والمدينة .

(٢) في معجم ما استعجم للبكري في كلامه على شواحطه : « سبعة نفر » .

(٣) القهر : موضع باليمامة . (٤) حوزة : واد بالجاز .

معاوية ، وكانت الدهر تنطف مَاءً ودُّهْنًا وإن لم تُدَهِّنْ — فلَمَّا كَانَ بَعْدَ [حِينَ] ^(١)
 تَهْيَأَ مَعَاوِيَةَ لِيَغْزُو هَاشِمًا ، فَنَهَاهُ أَخُوهُ صَخْرٌ ، فَأَبَى وَغَزَاهُمْ يَوْمَ حَوْزَةَ ، فَرَأَاهُ هَاشِمٌ
 ابْنَ حَرْمَلَةَ قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ هَاشِمٌ نَاقَهَا مِنْ مَرِيضٍ أَصَابَهُ ، فَقَالَ
 لِأَخِيهِ دُرَيْدِ بْنِ حَرْمَلَةَ : إِنَّ هَذَا إِنْ رَأَى لَمْ آمَنْ أَنْ يَشُدَّ عَلَيَّ ، وَأَنَا حَدِيثُ عَهْدٍ
 بِشَكِّيَّةٍ ، فَاسْتَطَرِدَّ لَهُ [دُونِي] حَتَّى تَجْعَلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَفَعَلَ ، فَخَمَلَ عَلَيْهِ مَعَاوِيَةُ ^(٢)
 وَأَرْدَفَهُ هَاشِمٌ ^(٣) ، فَاخْتَلَفَا طُعْنَتَيْنِ فَأَرْدَى مَعَاوِيَةُ هَاشِمًا عَنْ فَرْسِهِ الشَّمَاءَ ، وَأَنْفَذَهَا ^(٤)
 هَاشِمٌ سَنَانَهُ عَنْ عَانَةِ مَعَاوِيَةَ ، وَكَرَّ عَلَيْهِ دُرَيْدٌ وَظَنَّهُ قَدْ أَرْدَى هَاشِمًا ، فَضَرَبَ مَعَاوِيَةَ
 بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ ، وَشَدَّ خُفَافُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى مَالِكِ بْنِ حِمَارِ الْفَزَارِيِّ [فَقَتَلَهُ] ^(٥) .

قال : وغارت السماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنوا
 أنها فرس الفزاري الذي قتله خفاف ، ورجع الجيش ، فلما دنوا من صخر أخى معاوية
 قال لهم : ما صنع معاوية ؟ قالوا قتل ! قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قتلنا
 صاحبها ! قال : إذا قد أدركتم ثاركم ، هذه فرس هاشم بن حرملة .

قال : فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام ، فأتى
 بني مُرَّة ، فلَمَّا رَأَوْهُ قَالَ لَهُمْ هَاشِمٌ : هَذَا صَخْرُ خَيْوَه وَقُولُوا لَهُ خَيْرًا ، وَهَاشِمٌ مَرِيضٌ
 مِنَ الطَّعْنَةِ الَّتِي طَعَنَهُ مَعَاوِيَةُ ، فَقَالَ : مَنْ قَتَلَ أُنْخِي ؟ فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : لِمَنْ
 هَذِهِ الْفَرَسُ الَّتِي تَحْتِي ؟ فَسَكَتُوا ، فَقَالَ هَاشِمٌ : هَلَمْ أَبَا حَسَّانَ إِلَى مَنْ يُجَبِّرُكَ !
 قَالَ : مَنْ قَتَلَ أُنْخِي ؟ فَقَالَ [هَاشِمٌ] ^(٥) : إِذَا أَصْبَتَنِي أَوْ دُرَيْدًا فَقَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ !
 فَقَالَ : هَلْ كَفَّتُمُوهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فِي بُرْدَيْنِ : أَحَدُهُمَا بِخَمْسٍ وَعَشْرِينَ بَكَّةً

(١) التكلة من العقد الفريد .

(٢) التكلة من العقد الفريد .

(٣) أردفه : تبعه .

(٤) أرداه : أسقطه .

(٥) التكلة من العقد الفريد .

وأروه قبره ، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال : كأنكم أنكرتم ما رأيتم من جزى ،
فوالله ما بئت منذ عقلت إلّا واترا أو موتورا ، وطالبا أو مطلوبا حتى قُتِل معاوية ،
فما ذقتُ طعمَ نوم بعده .

يوم حوزة الثاني

١١٩
١٣

قال : ثم غزاهم [صخر] فلما دنا منهم مضى على السماء ، وكانت غراءً مُحجّلةً ، فسود
غرتها وتحجّلها ، فلما رآته بنتٌ لهاشم قالت لعمها دُرَيْدُ : أين السماء ؟ قال : هي
في بني سليم . قالت : ما أشبهها بهذه الفرس ! فقال : هذه بهيم^(١) والسماءُ غراءً مُحجّلةً ،
ثم أَصْطَجَعَ فلم يشعر حتى طعنه صخر ، قال : فتاروا وتناذروا ، وولى صخرٌ وطلبته
غطفان عامة يومها ، وعارض دونه أبو شجرة بن عبد العزى ، وكانت أمه خنساء
أخت صخر ، وصخرٌ خاله : فرد الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه ، فقال
خُفاف بن نُدبة لما قتل معاوية : قتلني الله إن برحت من مكاني حتى أثار به !
فشد على مالك سيد بني شَمخ فقتله ، وقال صخرٌ في قتله دُرَيْدا :

ولقد دفعتُ إلى دُرَيْدٍ طَعْنَةً * نَجْلَاءَ تَرْغُلٍ مِثْلَ غَطِّ الْمِنْخَرِ^(٢)
ولقد قتلتم نساءً وموحدًا * وتركتُ مرةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّائِرِ

قال أبو عبيدة : وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج متجعجا فلقى عمرو بن قيس
الجُشَمِيَّ ، فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لا وآلت نفس إن وآل^(٣) ، فلما دنا منه
أرسل عليه مِعْبَلَةً ففلقَ قِحفه فقتله .

(١) البهم : الأسود ، وما لاشية فيه من الخيل للذكر والأنثى .

(٢) ترغل : تخرج الدم قطعا فصا .

(٣) وآل : نجا .

يَوْمُ ذَاتِ الْأَثَلِ

قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر بن عمرو بن الشريد بن أسد بن خزيمه فاكسح
إبلهم ، فأتى الصريح بن أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ، فاقتلوا
قتالا شديدا ، فطعن ربيعة الأسدي صخر في جنبه وفات القوم بالغنمة ، ومرض
صخر من الطعنة قريبا من الحول حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته تسأل
سئمت أمراة : كيف بعلك ؟ قالت : لاحت فيرجى ، ولا ميت فينسى ، لقد لقينا
منه الأمرين ! وكانت أمه إذا سئلت عنه تقول : أرجوله العافية إن شاء الله !
فقال في ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادي * وملت سليمي مضجعي ومكاني
فأى امرئ ساوى بأم حليمة * فلا عاش إلا في أذى وهوان
وما كنت أخشى أن أكون جنازة^(١) * عليك ومن يغتر بالحدان
لعمري لقد نهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والزوان

قال : فلما طال عليه البلاء — وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع
الطعنة — قالوا له : لو قطعتم لرجونا أن نبرأ ، فقال شأنكم ! فقطعوها ففات ،
فقالته أخته الحسناء ترثيه :

وقائلة والنفس قد فات خطوها * لتدركه يالهف تهسى على صخر !
ألا نيكلت أم الذين غدوا به * إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر !

(١) إذا نفل المريض على قومه وأغسوا به فهو جنازة عليهم . هكذا ورد في لسان العرب مادة (جز)

واستشهد بهذا البيت على ذلك .

(١)
يوم اللوى

لغطفان على هوازن

قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصَّمة — وأسمُ الصَّمة : معاوية الأصغر —
من بني غزيرة بن جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن — وكان لعبد الله ثلاثة أسماء
وثلاث كُنى ، فاسمُهُ : عبدُ الله ، وخالد ، ومعبد ، وكنيته أبو فرعان ، وأبو دُفافة ،
وأبو وفاء ، وهو أخو دُرَيْد بن الصَّمة لأبويه — فأغار على غطفان فأصاب منهم
إبلا عظيمة فاطردوها ، فقال له أخوه دُرَيْد : النجاء فقد ظفرت ، فأبى عليه وقال :
لا أبرح حتى أنتقع تقيعي — والنقيعة : ناقةٌ ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما
لأصحابه ، ويقسم ما أصاب عليهم — فأقام وعصى أخاه ، فتبعته فزارة فقاتلوه
وهو بمكان يقال له اللوى ، فقتل عبد الله ، وأرثت دُرَيْد فبقي في القتلى ، فلما كان
في بعض الليل أتاه فارسان ، فقال أحدهما لصاحبه : إني أرى عينية تبص ، فأنزل
فأنظر إلى سبته ، فقتل فكشف ثوبه فإذا هي ترمز^(٤) ، فطعنه ، فخرج دمٌ قد أحثقن .

قال دُرَيْد : فنفقت عندها ، فلما جاوزوا نهضت ، فاشعرت ، لا وأنا بين
عرقوبى بحمل امرأة من هوازن ، فقالت : من أنت ؟ أعوذ بالله من شرك !
قلت : لا ، بل من أنت ؟ وملك ! قالت : امرأةٌ من هوازن سيارة . قلت : وأنا
من هوازن ، أنا دُرَيْد بن الصَّمة . قال : وكانت في قوم مختارين لا يشعرون
بالوقعة ، فضمتها وعالجته حتى أفاق .

(١) اللوى : راد من أودية بني سليم .

(٢) المرت : من حر من الحركة جريحا وبه ومنق .

(٣) السبة : الآست . (٤) ترمز : تصطرب .

يوم الظعينة

بين دُرَيْد بن الصَّمَّة وربيعة بن مَكَّدَم

قال أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج دُرَيْدُ بنُ الصَّمَّة في فوارس من
 بني جُثَمَ حتى إذا كانوا في وادٍ يقال له : الأخرم ، وهم يريدون الغارة على بني كنانة ،
 إذ رُفِعَ له رجلٌ في ناحية الوادي ومعه ظعينة ، فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه :
 صبح به : خلَّ الظَّعِينَةُ وَأَنْجَيْتَ نَفْسَكَ ، فَأَتَيْتَ إِلَيْهِ الْفَارِسُ ، فَصَاحَ بِهِ وَأَلْحَ عَلَيْهِ ،
 فَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ وَقَالَ لِلظَّعِينَةِ :

سِرِّي عَلَى رِسْلِكَ سِرَّ الْآمِنِ * سِرَّ رَدَاجِ ذَاتِ جَاشِ مَسَاكِنِ

إِنْ أَنْشَأْتَنِي دُونَ قِرْنِي شَأْنِي * أَيْلِي بَلَائِي وَأَخْبِرِي وَعَايِنِي

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطاه للظَّعِينَةِ ، فبعث دُرَيْدُ فَارِسًا آخَرَ لِيَنْظُرَ
 مَا صَنَعَ صَبَاحُهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ إِلَيْهِ وَرَأَاهُ صَرِيحًا صَاحَ بِهِ فَتَصَادَمَ عَنْهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ
 يَسْمَعْ ، فَنَشِئَهُ ، فَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ إِلَى الظَّعِينَةِ وَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ :

خَلَّ سَبِيلَ الْحَزَّةِ الْمُنْبِعَةِ * إِنَّكَ لَا فِي دُونِهَا رَبِيعَةٌ

فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مُطِيعَةٌ * أَوْ لَا تَخْذُهَا طَعْنَةً سَرِيعَةٌ

* وَالطَّعْنُ مِنْ فِي الْوَعْيِ شَرِيعَةٌ *

ثم حمل عليه فصرعه ، فلما أبطأ على دُرَيْدُ بَعَثَ فَارِسًا [ثالثًا] لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ،
 فَلَمَّا أَتَاهُمَا رَأَاهُمَا صَرِيحَيْنِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُودُ ظَعِينَتَهُ وَيَجُوزُ رُحْمَهُ . فَقَالَ لَهُ :
 خَلَّ سَبِيلَ الظَّعِينَةِ ، فَقَالَ لِلظَّعِينَةِ : اقْصِدِي قَصْدَ الْبَيْتِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمِ عَائِسٍ * أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ

* أَرَدَاهُمَا أَمْلُ رُوحِ بَائِسٍ *

(١) الكلمة من أمالي الفراء (ج ٢ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية) .

ثم حمل عليه فصرعه وأنكسر رُحُّه ، وأرتاب دُرَيْدٌ وظنَّ أنهم قد أخذوا الظَّعِينَةَ
وقتلوا الرجل ، فلاحقَ ربيعةَ وقد دنا من الحى ، فوجد أصحابه قد قُتلوا ، فقال :
أيها الفارس ، إن مثلك لا يُقتل ، ولا أرى معك رُحًا والخيْلُ نائرةٌ بأصحابها ، فدوّنك
هذا الرُّخَّ فلأنى منصورٌ إلى أصحابي فمُنبَّطهم عنك ، فأنصرف دُرَيْدٌ وقال لأصحابه :
إن فارسَ الظَّعِينَةِ قد حماها وقتل فرسانكم وأترع رُحِّي ، ولا مَطْمَعَ لكم فيه
فأنصرفوا ، فأنصرفَ القوم ، فقال دُرَيْدٌ :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ مثله * حامِي الظَّعِينَةِ فارسًا لم يُقتلِ
أردى فوارسَ لم يَكُونُوا نُهْزَةً * ثم استمرَّ كأنه لم يَقْعِلِ
مُهَلَّلًا تَبْدُو أَمِيرَةً وَجْهِيهِ * مثلَ الحُسَامِ جَلَّتْهُ كَفَّ الصَّيْقِلِ
يُرْجَى ظَعِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُحَّهُ * مُتَوَجِّهًا يُمْنَاهُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ
وترى الفوارسَ من مخافة رُحِّهِ * مِنْ أَلْبَغَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلِ
يا ليتَ شِعْرِي مَنْ أبوه وأمه * يا صاحٍ مَنْ يَكُ مثله لا يُجْهَلِ
وقال ربيعةُ بنُ مُكْدَمٍ :

إن كان يَنْفَعُكَ اليَقِينُ فسائِلِي * عَنِّي الظَّعِينَةَ يَوْمَ وَادِي الْأَنْحَرِمِ
إذْ هِيَ لِأَوَّلٍ مِنْ أَتَاها نُهْبَةً * لَوْلَا طِعَانُ رَبِيعَةَ بْنِ مُكْدَمٍ
إِذْ قَالَ لِي أَذْنَى الْفَوَارِسِ مِينَةً * خَلَّ الظَّعِينَةَ طَائِعًا لَا تَنْدَمِ
فَصَرَفْتُ راحِلَةَ الظَّعِينَةِ نَحْوَهُ * عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضُ مَا لَمْ يَعْلَمِ
وَهَتَكَتُ بِالرُّخِّ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ * فَهَوَى صَرِيحًا لِلْيَسَدَيْنِ وَلِلْقَمِ

(١) قال أبو علي الفراء : البغاث (بضم الباء الموحدة وكسر ها) والضم أكثر وأشهر (راجع

وَمَنْحَتْ آخَرَ بَعْدَهُ جَيَاشَةً * تَجَلَّاءَ فَاغِرَةً كَيْشِدَقِ الْأَضْجِمِ
ولقد شَفَعْتُهُمَا بِآخَرِ ثَالِثٍ * وَأَبَى الْفِرَارَ لِي الْغَدَاةَ تَكْرِمِي

ثم لم تلبث بنو كنانة أن أغارت على بني جشم^(١)، فقتلوا وأسروا دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَةِ
فاخفى نفسه، فبينما هو عندهم محبوسٌ إذ جاءه نسوةٌ تتهادين إليه، فصَرَخَتْ
إحداهن وقالت: هلككم وأهلككم! ماذا جز علينا قومنا! هذا والله الذي أعطى
ربيعة رُحْمَهُ يَوْمَ الظُّلَيْعَةِ! ثم ألقَتْ عليه ثوبها وقالت: يا آل فراس، أنا جارةٌ
له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي! فسألوه: مَنْ هو؟ فقال: أنا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ
فَنَ صاحبي؟ قالوا: ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ، قال: فما فعل؟ قالوا: قتلته بنو سليم!
قال: فما فعلتِ الظُّلَيْعَةُ؟ قالتِ المرأةُ: أنا هيَّة، وأنا أمرأته، فخبسه القوم وأمروا
أنفسهم، فقال بعضهم: لا ينبغي لدُرَيْدٍ أن تُكْفَرَ نعمته على صاحبنا! وقال آخرون:
والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره، فانبعثتِ المرأةُ في الليل، وهي
رَبِطَةٌ بِنْتُ جَذَلِ الطَّعْمَانِ، تقول:

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نِعْمَةً * وَكُلَّ أَمْرِي يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ * وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مُدَمَّمًا
سَنَجْزِيهِ نِعْمَى لَمْ تَكُنْ بِصَغِيرَةٍ * بِإِعْطَانِهِ الرَّخْخَ الطَّوِيلَ الْمُقُومًا
[فَقَدْ أَدْرَكْتُ كَفَاهُ فِينَا جَزَاءَهُ * وَأَهْلٌ بَانَ يُجْزَى الَّذِي كَانَ أَنْعَمًا]^(٢)
فَلَا تَكْفُرُوهُ حَقَّ نِعْمَاهُ فِيكُمْ * وَلَا تَرْكَبُوا تِلْكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْقَمَامَ
فَلَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَضُقْ بِنَوَابِهِ * ذِرَاعًا غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُعْدِمًا

(١) بنو كنانة: رَهْطُ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ.

(٢) بنو جشم: رَهْطُ دُرَيْدٍ.

(٣) الزيادة من أَمَالِي الْقَالِي.

[فَفُكُّوا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارِ حُمَارِي * وَلَا تَجْعَلُوا الْبُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سُلْمًا ^(١)]
فلما أصبحوا أطلقوه ، فكسسته وجهزته وخلق بقومه ، فلم يزل كافًا عن غزو
بنى فراس حتى هلك .

يَوْمُ الصَّلْءَاءِ

لهوازن على غطفان

قال : فلما كان في العام المقبل غزاهم دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بِالصَّلْءَاءِ ، فخرجت
إليه غطفان فقال دريد لصاحبه : ما ترى ؟ قال : أرى خيلا عليها رجال كأنهم
الصبيان ، أستمها عند آذان خيلها . قال : هذه فزارة ، ثم قال : أنظر ما ترى ؟
قال : أرى قوما كأن عليهم ثيابا غُمِسَتْ فِي لِبَاجِ الْمِعْزَى ، قال : هذه أشجع ،
ثم قال : أنظر ما ترى ؟ قال : أرى قوما يمحزون رماحهم سودا ، يخذون الأرض
بأقدامهم ، قال : هذه عبس ، أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا ، فالتقوا بالصلعاء
فاقتلوا ، فكان الظفر لهوزان على غطفان ، وقتل دُرَيْدُ ذُؤَابَ بْنَ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ .

ذِكْرُ حَرْبِ قَيْسٍ وَكِنَانَةَ

يَوْمُ الْكَدِيدِ لِسُلَيْمٍ عَلَى كِنَانَةَ ^(٢)

فيه قُتِلَ رَيْبَعَةُ بْنُ مُكْدَمٍ فَارِسُ بَنِي كِنَانَةَ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ كِنَانَةَ ، وَهُمْ أَنْجَدُ الْعَرَبِ ، كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَعْمَلُ بَعْشَرَةً مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكَانَ

(١) الزيادة من أمالي القائل . (ج ٢ ص ٢٧٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الصلعاء (فتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهمله مدود) : أرض لبني عبد الله بن غطفان
ولبني فزارة بين القفرة والحابس تطوؤها طريق الحاج الجادة إلى مكة .

(٣) الكديد (فتح أوله وكسر ثانيه بعده دال مهمله أيضا) : موضع بين مكة والمدينة بين منزلي أجد
وصفان وهو مائة بين جاوية عليها غل كثير .

ربيعه بن مكرم يُعَقِّر على قبره في الجاهلية ، ولم يُعَقِّر على قبر أحد غيره ، وقتلته بنو سُليم يوم الكديد ، ولم يحضر يوم الكديد أحدٌ من بني الشريد .

يومُ فزارة

لكنانة على سُليم

- ٥ قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سُليم ربيعة بن مكرم فارس كنانة ورجعوا ، أقاموا ماشاء الله ، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد — وأسم الشريد عمرو ، وكانت بنو سُليم قد توجوا مالكا وأمروه عليهم — ففزا بني كنانة ، فأغار على بني فراس ^(١) بيرة ، ورئيس بني فراس عبد الله بن جدل ، فدعا عبد الله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر بن الشريد ، فقال له عبيد الله : من أنت ؟ قال : أنا هند بن خالد ، قال عبد الله : أخوك أسن منك ، يريد مالك ابن خالد ، فرجع فأخبر أخاه ، فبرز له ، فشده عبد الله على مالك بن خالد فقتله ، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر ، فشده عليه عبد الله أيضا فقتله ، فشده عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر ، فتجالدا طعنتين ، بفرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا .

(٢)

يومُ الفيفاء

لسُليم على كنانة

١٥

- قال أبو عبيدة : ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدُّهَن أو يدركوا نأرهم من كنانة ، ففزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على

(١) كذا في معجم ما استعجم للبكري . و بيرة (بضم أؤله وإسكان ثانيه بعده راه) : موضع في ديار

بني كنانة . وفي الأصول والعقد الفريد « بيرة » بتقديم الراء على الزاي . وهو محريف .

(٢) أصل الفيفاء : المغازاة لا ماء فيها وأطلقت على موضع .

بني فِرَاس ، فقتل منهم نفرا ؛ منهم : عاصم بن المعلّى ، ونَضْلَة ، والمعارك ، وعمبرو
ابن مالك ، وحِصْن ، وشُرَيْح ، وسبي سببا فيهم ابنة مُكْدَم أخت ربيعة ، فقال
عبّاس بن مُرْدَاس في ذلك :

الْأَبْلَغُ عَنِّي أَبْنَجِدُ وَرَهْطَهُ * فكيف طابناكم بُكَرٍ وَمَالِكِ
غَدَاةَ لَجَعْنَاكُمْ بِحِصْنٍ وَبِأَبْنِهِ * وبأبنِ المعلّى عاصم والمعارك
ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَارَانَاهُمْ بِهِ * جميعا وما كانوا بواءُ بِمَالِكِ
نُذِيقُكُمْ - وَالْمَوْتُ يُبْنِي سُرَادِقًا * عليكم - شَبَاحُ السُّيُوفِ الْبَوَاتِكِ
تَلُوحُ بِأَيْدِينَا كَمَا لَاحَ بَارِقٌ * تَلَأُ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ

ذكر حرب قيس وتميم

يَوْمُ السُّؤْبَانَ لِبْنِي عَامِرٍ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ ^(٢)

قال أبو عبيدة : أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا ، ورئيس ضبة
حَسَّان بن وَبَرَة ، وهو أخو النعمان بن المنذر لأُمِّهِ ، فأسره يزيد بن الصِّعِق ،
وأنهزمت تميم ؛ فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده ، فشذ على ضرار بن

(١) البواء : الكف .

(٢) كذا في كتاب النفاض (ص ٣٨٦ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٧٥٩ طبع
أوربا) وورد فيه : « السُّؤْبَان بضم أوله وإسكان ثانيه بعده باء معجمة بواحدة على وزن فعلان : واد
في ديار بني تميم ... ويوم من أيام حروب بني عامر وبني تميم يسمى يوم السُّؤْبَان ، وفي ذلك سمي عامر
ابن مالك ملاعب الأسة ، وفيه فوطيل ، قال أوس من حجر :

فَوَدَّ أَبُو لَيْسَلٍ طَفِيلَ بْنَ مَالِكٍ * بمنسرج السُّؤْبَانِ لَوْ يَنْقُصُ
يَلْعَبُ أَطْرَافَ الْأَسَةِ عَامِرٍ * وصار له حظ الكتيب أجمع

ثم قال :

كَانَهُمْ بَيْنَ الشُّبُطِ وَصَارَةٍ * وجوهم والسُّؤْبَانِ خَشَبٌ مَصْرَعٌ =

عمرو الضبي^(١) ، وهو الرديم^(٢) ، فقال لأبنه : إذا هم أغنيتني ، فشد عليه قطعته ،
 فتحول عن سرجه إلى جنب أبدانه ، ثم لحقه ، فقال لأحد بنيه : أغنيتني ،
 ففعل مثل ذلك ، ثم لحقه ، فقال لأبن له آخر ، ففعل مثل ذلك ، فقال :
 ما هذا إلا ملأعب الأستة ! [فسُمي عامر من يومئذ ملأعب الأستة^(٣)] فلما
 دنا منه قال له ضرار : إني لأعلم ما تريد ، أتريد اللب^(٤) ؟ قال نعم ! قال : إنك
 لن تصل إلي ومن هؤلاء عين تطرف ، كلهم بنو عامر : قال له عامر : فأحلني
 على غيرك ، فدلّه على جبيش بن الدلف وقال : عليك بذلك الفارس ، فشد عليه
 فأسره ، فلما رأى سواده وقصره ، جعل يتفكر ، وخاف ابن الدلف أن يقتله ،

= قوله : يتفصع ، أي يدخل الفاصما . « ١٥١ » .

١٠ وفي معجم البلدان لـ قوت : « السلان : بضم أوله وتشديد ثنيه ، وهو فعلان من السل والنون
 زائدة : موضع بين البصرة والنجاة ... قال أبو أحمد العسكري : يوم السلان السين مضمومة : يوم بين
 بني ضبة وبني عامر صعصعة طمن فيه ضرار بن عمرو الضبي وأسر جيش بن دلف فعزل ذلك بهما عامر
 مالك ، وفي هذا اليوم سمي ملأعب الأستة » ١٥١ .

١٥ وورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) : « السريان » وورد هكذا أيضا في العقد الفريد
 (ج ٦ ص ٤١ طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة) بتحقيق الأستاذ محمد سعيد المراني وكتب بهامشه :
 « كذا بالأصيل ، ولا نعرفه » وورد في نسخة « السيوبات » وفي نسخة ب هكذا « السوبات »
 بإهمال بعض الحروف ، وقد تبين مما وضحت أنه كلاهما محزف ، والنسواب ما ذكرناه .

(١) كذا في كتاب النقااض (ص ١٨٨ طبع أوروبا) : وفي الأصول : « القيسي » وهو خطأ .

(٢) كذا في كتاب النقااض . وسمى « رديما » لأنه كان يحبس على بعيرين يقرن بينهما لثقله .

٢٠ وفي الأصول : « الرديم » وهو تحريف .

(٣) التكلة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) . وكتاب النقااض (ص ٣٨٦ طبع أوروبا)

ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٧٥٩ طبع أوروبا) .

(٤) اللب : موضع المنحر من كل شيء .

فقال : ألسْتَ تريد اللَّبَّ ؟ قال بلى ، قال : فأَتَى لَكَ بِهِ . وفادى حَسَّانُ بْنُ وَبَرَةَ نفسه من يزيد بن الصَّعِقِ بِأَلْفِ بَعِيرٍ ، [فداءَ المَلُوكِ] فَكَثُرَ مَالُ يَزِيدَ وَنَبِهَ .
قال أبو عبيدة : ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصَّعِقِ على عَصَافِيرِ النِّعْمَانِ بَذَى لُبَّانَ ، وذو لبان : عن يمين العرنين .

يوم أقرن

لبنى عَبَسَ على بنى دارم

قال : غزا عمرو بن عُدُسٍ من بنى دارم ، وهو فارسُ بنى مالك بن حنظلة ، فأغار على بنى عَبَسَ ، فأخذ إبلا ونساءً ثم أقبل ، حتى إذا كان أسفل من ثنيةٍ أَقْرُنْ نزل فأبتنى بجارية من السَّبي ، ولحقه الطلب فأقتلوا ، فقتل أنسُ الفوارسُ بن زياد العبسيَّ عمراً : وأنهزمت بنو مالك بن حنظلة ، وقتلت بنو عبس أيضا حنظلة بن عمرو — وقال بعضهم : قُتِلَ في غير هذا اليوم — وأردتوا ما كان في أيدي بنى مالك .

يوم المَرُوتِ^(١)

لبنى العنبر على بنى قشير

أغار بِحَيْرِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ على بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، فأتى الصريحُ بنى عمرو بن تميم حتى لحقوه وقد نزل المَزَوْتُ ، وهو يقسم المَرْبَاعَ ويُعطى من معه ،

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « بمائة » .

(٢) النكلة من العقد الفريد .

(٣) كذا في معجم ما استعجم (ص ١١٧ طبع أوربا) وفي الأصول « شاء » .

(٤) المروت (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بالعالية بين ديار بنى قشير وديار بنى تميم .

(٥) كذا في كتاب الغنائز (ص ٧٠ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٢٤ طبع أوربا)

وفي الأصول والعقد الفريد : « بحير » بالهم المعجمة وهو تحريف .

قتل أحق القوم وأقتلوا ، فطعن قَعْنَبُ بْنُ عَتَّابِ المثلثُ بنَ عامر القُشَيْرِي فصرعه
فأسره ، وحمل الكدّام ، وهو يزيد بن أزيهر المازني على بحير بن سلمة فطعنه فأرداه
عن فرسه ، ثم أسره ، فأبصره قَعْنَبُ بْنُ عَتَّابِ ، فحمل عليه بالسيف فضربه
فقتله ، وأهزم بنو عامر .

يَوْمُ دَارَةِ مَأْسَلٍ

لَتَمِّمَ عَلَى قَيْسٍ

غزا عُبَيْدُ بْنُ شُتَيْبٍ بن خالد الكلابي بني ضَبَّةَ ، فاستاقَ نَعَمَهُمْ ، وقتل
حُصَيْنَ بْنَ ضَرَّازِ الضُّبِّيَّ زيدا الفوارس ، فجمع أبوه ضَرَّارُ قومه وخرج نائرا بأبنه
حُصَيْنَ ، وزيدُ الفوارس يومئذ حَدَّثُ لَمْ يُدْرِكْ ، فأغار على بني عمرو بن كلاب ،
وأفلت منه عُبَيْدُ بْنُ شُتَيْبٍ وأسر أباه شُتَيْبَ [بن خالد]^(١) وكان شيخا كبيرا ، فأتى به قومه
فقال : يا شُتَيْبَ ، اختر واحدة من ثلاث ، قال : اغريها عليّ ، قال : إنما أن تردّ
أبني حُصَيْنًا ! قال : إني لا أنسر الموتى ! قال : وإنما أن تدفع إلى أبنك عُبَيْدَ
أقتله به ! قال : لا يرضى بذلك بنو عامر ، قال : وإنما أن أقتلك . قال : أما هذ
فنعنم ! فأمر ضَرَّارُ أبنه أدهم أن يقتله ، فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شُتَيْبُ :
يا آل عامر ، صبرا بصبي ! كأنه أنف أن يُقتل بصبي ، فقال في ذلك شملة :
١٥

وخبرنا شُتَيْبًا من ثلاث * وما كان الثلاث له خيارا

جعلتُ السيف بين اللبث منه^(٢) * وبين قُصَّاصٍ لِمَنِّهِ عِدَارًا

(١) الكلمة من العقد الفريد .

(٢) اللبث (بالكسر) : منع المقى .

أيامُ تميم على بكر (١) يومُ الوقيط

قال فراس بن خنيدف : تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون ، فرأى ذلك ناشب بن بشامة العنبري الأعور ، وهو أسير في بني سعد بن مالك من بني ثعلبة ، فقال لهم : أعطوني رسولا أرسله إلى بني العنبر أوصيهم بصاحبكم خيرا ليولوه ما تولوني من البر . وكان حنظلة بن طفيل المرتدي أسيراً في بني العنبر ، فقالوا : على أن توصيه ونحن حضور ، قال نعم ، فأتوه بسلام ، فقال : أيتيموني بأحق ، وما أراه مبلغاً عني ! قال الغلام : لا والله ما أنا بأحق ، وقل ما شئت فإني مبلغه ، فلا الأعور كفه من الرمل فقال : كم في كفي منه ؟ قال : شيء لا يحصى كثرة ، ثم أوما إلى الشمس فقال : ما تلك ؟ قال : هي الشمس . قال : فأذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية وقل لهم : ليحسنوا إلى أسيرهم [ويكرموه] . فإني عند قوم محسنين إلى [مكرمين لي] . وقل لهم ليبروا بحمل الأجر : ويركبوا ناقتي العيساء ، ويرعوا حاجتي في بني مالك ، وأخبرهم أن العويج قد أوزق ، وقد أشكت النساء ، وليعصموا همام بن بشامة فإنه مشثوم محدود . ويطيعوا ابن الأخنس فإنه حازم ميمون .

(١) الوقيط : المكان الصلب الذي يستقع فيه الماء ، أطلق على موضع .

(٢) الفار : الفافر .

(٣) في أمال القر (ج ١ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية) « لحي بريد أسود » وبعض عباراته تخالف عما هنا فراجع .

(٤) الكلمة من كتاب النقائص (ص ٣٠٦ طبع أوروبا) والعقد الفريد (ج ٣ ص ٨١ طبع بلان) .

(٥) العيساء : الذقة يحالط بياضها شقرة .

(٦) العويج : شوك .

(٧) المحدود : المنعود .

قال : قَاتَاهُمُ الرُّسُولُ فَأَبْلَغَهُمْ ، فَقَالَ بَنُو عَمْرٍو بَن تَمِيمَ : مَا نَعْرِفُ هَذَا الْكَلَامَ ، وَلَقَدْ جُنَّ الْأَعْرُورُ ، وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً عَيْسَاءَ ، وَلَا جَمَلًا أَحْمَرَ ! فَشَخَّصَ الرُّسُولُ ، ثُمَّ نَادَاهُمْ هُذَيْلٌ : يَا بَنِي الْعَبْرَ ، قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ صَاحِبُكُمْ ، أَمَّا الرَّمْلُ الَّذِي قَبِضَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ أَتَاكُمْ عَدَدًا لَا يُحْصَى ، وَأَمَّا الشَّمْسُ الَّتِي أَوَّمَا لَهَا فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ ذَلِكَ أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ ، وَأَمَّا جَمَلُهُ الْأَحْمَرُ فَهُوَ الصَّيَّانُ ^(١) : يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُعْرَوْهُ ، وَأَمَّا نَاقَتُهُ الْعَيْسَاءُ فَهِيَ الدَّهْنَاءُ ^(٢) ، يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُتَحَرَّزُوا فِيهَا ، وَأَمَّا أَبْنَاءُ مَالِكَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُنْذِرُوا بَنِي مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءً ، وَأَنْ تَمْسُكُوا الْحِلْفَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، وَأَمَّا الْعَوَسِجُ الَّذِي أَوْرَقَ ، فَيُخْبِرُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ لَبَسُوا السِّلَاحَ ، وَأَمَّا تَشْكِي النِّسَاءِ فَيُخْبِرُكُمْ إِنَّهُنَّ قَدْ عَمِلْنَ حِجَلًا يَغْزُونَ بِهِ .

- ١٠ قال : فَتَحَرَّزَتْ عَمْرٍو فَرَكِبَتْ الدَّهْنَاءَ وَانْذَرُوا بَنِي مَالِكٍ فَقَالُوا : مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ بَنُو عَمْرٍو ، وَلَسْنَا مُتَحَوِّلِينَ لِمَا قَالَ صَاحِبُهُمْ . قال : فَصَبَّحَتْ اللَّهَازِمُ بَنِي حَنْظَلَةَ فَوَجَدُوا عَمْرًا قَدْ جَلَّتْ ، وَكَانَ عَلَى الْجَيْشِ أَيْمَرُ بْنُ جَابِرِ الْعَجَلِ ، وَشَهِدَهَا نَاسٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ ، وَشَهِدَهَا الْفِرَزُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ شَرِيكَ فِي بَنِي شَيْبَانَ ، فَأَقْتَلُوا ، فَأَسْرَ ضِرَارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَتَنَازَعَ فِي أَسْرِهِ بَشْرُ بْنُ الْعَوْرَاءِ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ ، وَالْفِرَزُ بْنُ الْأَسْوَدِ بَغَزُوا نَاصِيَتَهُ وَخَلَوْا أَسْرَهُ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ ، وَأَسْرَ عَمْرٍو بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي رُبَيْعَةَ بْنِ عَجَلٍ عَثَجَلُ بْنُ الْمَسَامُومِ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ عَلَقَمَةَ مِنْ بَنِي زُرَّارَةَ ، ثُمَّ مِنْ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَتْ عَمَاءَةُ بِنْتُ الطَّوْدِ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَأَشْرَكَ فِي أَسْرِهَا الْخَطِيمُ بْنُ هِلَالٍ ، وَظَرْبَانَ بْنُ زِيَادٍ ، وَقَيْسُ بْنُ خُلَيْدٍ ، فَرَدَّوْهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَسْرَ

(١) الصَّيَّانُ : جَمَلٌ أَحْمَرٌ فِي أَرْضِ بَنِي تَمِيمٍ .

(٢) تُعْرَوْهُ : يَمْنَى تَزْنَحُلُوا عَنْهُ .

(٣) الدَّهْنَاءُ : سَبْعَةُ أَجْبِلٍ مِنَ الرَّمْلِ ، وَهِيَ دِيَارُ لِعَامَةِ تَمِيمٍ .

حنظلة بن المأموم بن شَيَّان بن علقمة ، أمره طلبة بن زياد أحد بني ربيعة بن
عجل ، وأسير حوثرة بن بدر من بني عبد الله بن دارم ، فلم يزل في الوثاق حتى قال
أبياتا يمدح فيها بني عجل فأطلقوه ، وأسير نعيم بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ،
وعمر بن ناشب ، وأسير سنان بن عمرو أحد بني سلامة من بني دارم ، وأسير
حاضر بن صَمرة ، وأسير الهيثم بن صعصعة ، وهرب عوف بن القعقاع عن إخوته ،
وقُتِلَ حَكيم النهشلي ، وكان يقاتل ويرتجز :

كُلُّ أَمْرِي مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ * وَالْمَوْتُ أَذْنِي مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وفيه يقول عنترة :

وَعَادَرْنَا حَكِيمًا فِي جَمَالٍ * صَرِيحًا قَدْ سَلَبَنَاهُ الْإِزَارَا

(١)
يوم النِّبَاجِ وَثَيْتَلْ
لبكر على تميم

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : غدا قيس بن عاصم في مُقَاعِس وهو رئيس
عليها — ومُقَاعِس هم : صريم ، وربيع ، وعبيد ، بنو الحارث بن عمرو بن كعب
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — ومعه سلامة بن ظُرب بن نمر الحمانى
في الأجارب وهم : حمان ، وربيع ، ومالك ، والأعرج ، بنو كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم ، فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة ،
واللهازم وهم : بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لحيم ، وعنترة بن أسد
ابن ربيعة بالنِّبَاجِ وَثَيْتَلْ ، وبينهما روحة ، فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن
ظُرب في الإغارة ، ثم اتفقا على أن يُغِيرَ قيس على أهل النِّبَاجِ ، ويُغِيرَ سلامة على

(١) النِّبَاج : موضع قريب من ثَيْتَلْ . وَثَيْتَلْ : ماء على عشر مراحل من البصرة .

أهل ثَيْتَل . قال : فبعث قيسُ بن عاصم الأهم سبقةً له - والسبقة : الطليعة -
فأتاه الخبرُ فلما أصبح قيس سقى خيله ، ثم أطلق أفواه الروايا وقال لقومه : قَاتِلُوا
فإن الموتَ بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دَنَوْا من القوم صُجِبُوا سِوَاهُ سَاقِيَا
يقول لصاحبه : يا قيسُ ، أورد ، فتفاءلوا به ، فأغاروا على النَّبَاج قبل الصبح ،
فقاتلوهم قتالاً شديداً ، ثم إن بكرًا أنهزمت ، فأسر الأهمُ حُرَّانَ بنَ بشر بن عمرو
ابن مرند ، وأصابوا غنائم كثيرةً ، فقال قيس لأصحابه : لا مقام دون الثيتل ،
فالنَّجاة ، فاتوا ثيتل ولم يغزوا سلامةً وأصحابه بعد ، فأغار عليهم قيسُ بن عاصم ،
فقاتلوه ثم أنهزموا ، فأصاب إبلًا كثيرةً ، فقال ربيعةُ بن طريف :

فلا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * فَأَنْتَ لَنَا عَزِيزٌ وَمَوْثِلٌ
وَأَنْتَ الَّذِي حَرَبْتُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ * وَقَدْ عَصَلْتُ مِنْهَا النَّبَاجَ وَتَيْتَلُ
غَدَاةَ دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ * كَرَادِيسَ يَرْجِيهِنَّ وَرَدَّ مَحْجَلُ
وقال قُزَّةُ بن قيس بن عاصم :

أَنَا ابْنُ الَّذِي شَقَّ الْمَزَادَ وَقَدْ رَأَى * سَيْتَلَ أَحْيَاءَ اللَّهَامِ حُضْرًا
فَصَبَّحَهُمْ بِالْحَبِشِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْأَسِنَّةَ مَصْدَرًا
عَلَى الْجُرْدِ يعلُكُنَّ الشَّكِيمَ عَوَاسِيًا * إِذَا الْمَاءُ مِنْ أَعْطَانِهِنَّ تَحَدَّرَا
فَلَمْ يَرَهَا الرَّاوُونَ إِلَّا بَغْصَاءَةً * نَقَرْنَ تَحْجَاجًا بِالسَّيَاكِ أَكْدَرَا

(١) حربة : سلب ماله .

(٢) عسلت الأرض بأهلها : إذا ضافت بهم لكثرةهم .

(٣) كراديس : جمع كردوس ، وهي الخيل العظيمة ، وقيل : القطعة من الخيل العظيمة .

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي الرواية :

(٥) فرس أجرد : فصيل الشعر ، وقيل : الأجرد : الذي رُق شعره وقصر ، وهو مدح .

(٦) الشكيم في الحمام : الحديدة الممتدة في فم الفرس التي فيها الفأس .

مَقَاهِمُ بِهَا الدِّيقَانِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَكَانَ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
وَحُرَانَ أَذْنُهُ إِلَيْنَا رِمَاحُنَا * فَنَازَعَ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ أَشْمَرَا
وَجَنَامَةَ الذَّهْلِيِّ قُدْنَاهُ عَنُوءَ * إِلَى الْحَيِّ مَصْفُودَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرَا.

(١)
يوم زُرود الثاني

لبنى يربوع على بنى تغلب

أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع وهم بزُرود، فأقتلوا قتالا شديدا،
ثم أنهزمت بنو تغلب، وأسر خزيمة بن طارق، أسره أنيف بن جبلة الضبي
— وهو فارس السليط، وكان يومئذ ثقيلًا في بنى يربوع — وأسيّد بن حنّاء
السليط، فتنازعا فيه، فحكما بينهما الحارث بن فراد: حكم بनावية خزيمة
للأنيف، على أن لأسيّد على أنيف مائة من الإبل. قال: فقدى خزيمة نفسه
بماتى بعير وفريس، فقال أنيف:

أَحَذْتُكَ قَسْرًا يَا خَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ * وَلَا قَيْتَ مِنِّي الْمَوْتَ يَوْمَ زُرُودٍ
وَعَاقَبْتُهُ وَالْحَيْلُ تَدْمَى نُحُورَهَا * فَأَنْزَلْتُهُ بِالْقَاسِغِ غَيْرَ حَمِيدٍ

(٢)
يوم ذى طُلوح

لبنى يربوع على بكر

كان عميرة بن طارق بن حصينة بن أريم بن عبيد بن ثعلبة، تزوج مريّة بنت
جابر، أخت أبحر بن جابر العجلي، فأبنتى بها في بنى عجل، فأتى أبحر أخته امرأة

(١) زُرود: رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٢) الثقيل: الغريب.

(٣) ذو طُلوح: موضع في حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد.

عَمِيرَةٌ يَزُورُهَا فَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ آتِيكَ بِنْتِ النَّظْفِ أَمْرَأَةً عَمِيرَةً الَّتِي
 فِي قَوْمِهَا ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةٌ : أَتَرْضَى أَنْ تَحَارِبَنِي وَتَسْبِنَنِي ، فَنَدِمَ أَيْمَرُ وَقَالَ لِعَمِيرَةٍ :
 مَا كُنْتُ لِأَغْزُوَ قَوْمَكَ ، ثُمَّ غَزَا أَيْمَرُ وَالْخَوْفَزَانُ مَتَسَانِدِينَ ، هَذَا فَيَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ
 بَنِي شَيْبَانَ ، وَهَذَا فَيَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ ، وَسَارُوا بِعَمِيرَةٍ مَعَهُمْ قَدْ وَكَلُ بِهِ أَيْمَرُ أَخَاهُ
 حُرْقُصَةَ بْنَ جَابِرٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةٌ : لَوْ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَحْتَمَلْتُهُمْ ، فَقَالَ حُرْقُصَةُ :
 أَفْعَلْ ، فَفَكَرَ عَمِيرَةٌ عَلَى نَاقَتِهِ ، فَسَارَ يَوْمِينَ وَلَيْلَةً حَتَّى أَتَى بَنِي يَرْبُوعَ ، فَاذْهَبَ إِلَيْهِمْ ،
 فَاجْتَمَعُوا حَتَّى اتَّقَسَمُوا بِأَسْفَلِ ذِي طُلُوحٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ طَلَعَ عَلَيْهِمْ عَمِيرَةٌ ،
 فَنَادَى : يَا أَيْمَرُ ، هَلُمَّ ! فَقَالَ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَمِيرَةٌ ، فَكَذَّبَهُ ، فَسَفَرَ عَنْ وَجْهِهِ ،
 فَعَرَفَهُ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَالتَفَّتِ الْخَيْلُ بِالْخَيْلِ ، فَأَسْرَعَ الْجَيْشُ إِلَّا أَقْلَهُمْ ، وَأَسْرَعَ حَنْظَلَةُ
 ابْنُ بَشْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُدُسَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ — وَكَانَ فِي بَنِي يَرْبُوعَ —
 الْخَوْفَزَانُ بْنُ شَرِيكَ ، أَخَذَهُ مَعَهُ أَبُو مُلَيْلٍ ^(١) ، وَأَخَذَ ابْنُ طَارِقٍ سَوَادَةَ بْنَ يَحْيَى
 ابْنَ عَمِّ أَيْمَرٍ ، وَأَخَذَ أَبُو عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ الشَّاعِرُ مَعَ بَنِي شَيْبَانَ ، فَأَفْتَكَّهُ مَقَمَّ بْنَ نُورِيَّةَ ،
 وَأَسْرَعَ شَرِيكَ بْنُ الْخَوْفَزَانِ ، وَأَسْوَدُ وَقْلَحُشٌ ، وَهُمَا مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَمَامٍ ، فَقَالَ
 جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ :
 جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ :
 جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ :

وَمَا لَقَيْنَا خَيْلَ أَيْمَرٍ تَدْعِي * يَدْعَوِي الْجَيْشُ قَبْلَ مَبِيلِ الْعَوَاتِقِ
 صَبْرَنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً * بِأَسْيَانَا تَحْتَ الظَّلَالِ الْخَوَافِقِ
 فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا هَوَادَةَ عِنْدَنَا * دَعَوْا بَعْدَ كَرْبٍ يَا عَمِيرَ بْنَ طَارِقِ

(١) كذا في مخاب النفاض . وفي الأصول والعقد الفريد : « أبو مليك » .

يَوْمُ الْحَاثِرِ وَهُوَ يَوْمُ مَلْهَمٍ

لبنى يربوع على بنى بكر

وذلك أن بنى مُلَيْل عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عُيَيْد ، وعنقمة أخاه
 أنطلقا يطلبان إبلًا لها حتى وردا ملهَمَ من أرض اليمامة ، فخرج عليهما نفرٌ من بنى
 يشكر ، فقتلوا طقمةً وأخذوا أبا مُلَيْل ، فكان عندهم ما شاء الله ثم خَلَّوْا سَبِيلَهُ ،
 وأخذوا عليه عهدًا وميثاقًا ألا يُخَيَّرَ بأمر أخيه أحدًا ، فأتى قومه فسألوه عنه
 فلم يخبرهم ، فقال وَبَرُّ بْنُ حَمْزَةَ : هذا قد أُخِذَ عليه عهدٌ وميثاقٌ ، فخرجوا يقصُّون
 الأثر ويذهب شهابُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ حتى وردوا مَلْهَمَ ، فلما رآهم أهلُ مَلْهَمَ تَحَصَّنُوا ،
 فخرقت بنو يربوع بعضَ زرعهم ، وعفروا بعضَ نخلهم ، فلما رأى ذلك القومُ
 نزلوا إليهم فقاتلهم ، فَهَزِمَتْ بنو يشكر ، وَقُتِلَ عمرو بْنُ صَابِرٍ صَبْرًا ، ضربوا عنقه ،
 وَقَتَلَ عَيْنَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ بْنِ مُثَلِّمِ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ عمرو رجلاً آخر منهم ،
 وَقَتَلَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ حُمْرَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :

طلبنا يسوم مثل يومك علقماً * لعمري لمن يسعى بها كان أكرماً
 فقلنا يحنب العريض عمرو بن صابر * وحمران أقصد ناهباً والمثلماً
 ففقه عينا من رأى مثل خيلنا * وما أدركت من خيلهم يوم ملهَمَا

يَوْمُ الْقَحْقَحِ وَهُوَ يَوْمُ مَالَةِ

لبنى يربوع على بكر

أغار بنو أبي ربيعة بن ذهل بن شيان على بنى يربوع ورئيسهم مجبة
 ابن ربيعة بن ذهل ، فأخذوا إبلًا لعاصم بن قرط أحد بنى حميد ، وأنطلقوا ، فطلبهم

(١) ملهَم : قرية باليمامة لبنى يشكر وأخلاق من بكر .

بنو يربوع، فناوشوهم، فكانت الدائرة على بنى ربيعة، وقتل المنهال بن عصمة
الحجبة بن ربيعة، فقال في ذلك ابن حمران الرياحي :

وَإِذَا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَأَطْعِنْ فِيهِمْ * يَوْمَ اللَّقَاءِ كَطَعْنَةِ الْمَنَاهِلِ
تَرَكَ الْحِجَّةَ لِلضَّبَاعِ مَجْدَلًا * وَالْقَوْمُ بَيْنَ سَوَافِلِ وَعَوَالِ

يوم رأس العين

لبنى يربوع على بكر

أغار طوائف من بنى يربوع على بنى أبي ربيعة برأس العين فأطردوا النعم،
وأتبعهم معاوية بن فراس في بنى أبي ربيعة فأدركوهم، فقتل معاوية وفاتوا بالإبل،
فقال سحيم في ذلك :

أَلَيْسَ الْأَكْرَمُونَ بَنُو رِيَّاحٍ * تَمَوَّنِي مِنْهُمْ عَمَّى وَخَالِي
هُمْ قَتَلُوا الْحِجَّةَ وَابْنَ تَيْمٍ * تَتَوَحُّ عَلَيْهِمَا سُودُ الْمَالِ
وَهُمْ قَتَلُوا عَمِيدَ بَنِي فِرَاسٍ * بِرَأْسِ الْعَيْنِ فِي الْحَجَجِ الْخَوَالِي
وَذَاذُوا يَوْمٍ طَخَفَتَ عَنْ حِمَاهُمْ * ذِيَادَ غَرَابِ الْإِبِلِ النَّهَالِ

يوم العظالي^(١)

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ويوم الأفافة ويوم الإباد ويوم ملبحة.
قال : وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يجبرونهم ويجهزونهم،
فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة فارس متساندين، يتوقعون أنحدار بن يربوع
في الحزن - قال : وكانوا يشتون خفافا فإذا أنقطع الشتاء أنحدروا إلى الحزن -

(١) سمي يوم العظالي لأنه تماثل على الرئاسة بسطام وهاني بن قبيصة ومفروق بن عزم في هذا اليوم.

قال : فاحتمل بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زيد من بني سليط ، أول الحى ، حتى أسهلوا بطن مَلِيحَة ، فطلعت بنو زيد في الحزن حتى حلوا الحديقة بالأفاقة ، وحلت بنو عبيد وبنو عتيبة بروضة الثمد . قال : وأقبل الجيش حتى نزأوا هضبة الخصى ، ثم بعثوا ريسهم فصادفوا غلاماً شاباً من بني عبيد يقال له قرط بن أضبط ، فعرفه بسطام فقال له : أخبرنى ما ذاك السواد الذى أرى بالحديقة ؟ قال : هم بنو زيد . قال : أسيد بن حنّاء ؟ قال : نعم ، قال : كم هم ؟ قال نحسون بيتاً ، قال : فآين بنو عتيبة وبنو أريم ؟ قال : نزلوا روضة الثمد . قال : فآين سائر الناس ؟ قال هم محتجزون بجفاف ^(١) . قال : فمن هنالك من بنى عاصم ؟ قال : الأحيمر وقعب ومعدان أبناء عصمة . قال : فمن فيهم من بنى الحارث بن عاصم ؟ قال : حصين ابن عبد الله . فقال بسطام لأصحابه : أطيعونى تقبضوا على هذا الحى من زيد ، وتصبحوا سالمين غانمين . قالوا : وما يغنى عنا بنو زيد لا يودون رحلتنا . قال : إن السلامة إحدى الغنيمتين . فقال له مغروق : انتفخ سمرك يا أبا الصهباء ، قال له هانى : أجبتنا . قال : ويلكم إن أسيداً لم يظله بيت قط شاتياً ولا قاءظاً ، إنما بيته الفقر ، فإذا أحس بكم أحال على الشقراء ، فركض حتى يشرف مَلِيحَة ^(٢) ، فينادى : يا آل يربوع ! فيركب فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ، ولا يبصر أحدكم مصرع صاحبه ، وقد جثتمونى وأنا تابِعكم ، وقد أخبرتم ما أنتم لاقون غداً . فقالوا : نلتقط بنى زيد ، ثم نلتقط بنى عبيد وبنى عتيبة كما نلتقط الكأه ، ونبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد ، فيحولان بينه وبين بنى يربوع ، ففعلوا . فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء وخرج نحو بنى يربوع ، فأبتدره الفارسان فطعنه

(١) جفاف ، وتسمى جفاف الطير : أرض لأسد وحظلة واسعة فيها أماكن يكون فيها الطير .

(٢) مَلِيحَة : موضع في بلاد بني تميم .

١٢٦
١٣

أحدهما فالتقى نفسه في شق فأخطاه ، ثم كرّ راجعا حتى أشرف مُلَيْحَة ، فنادى :
يا صباحاه ! يا آل يربوع ، غشيتم ، ففلاحقت الخيل حتى ثوافوا بالعظالي ، فأقتلوا ،
فكانت الدائرة على بكر ، قُتِل منهم مغروق بن عمرو ، فدُفِنَ بشيعة مغروق ، وبه
سُمِّيَتْ ، وغيره . وأما بسطام فآلح عليه فارس من بني يربوع ، وكان دارعا على ذات
النسوع^(١) ، وكانت إذا أجذت^(٢) لم يتعلق بها شيء من خيلهم ، ففاقت الطلب حتى
أتى قومه .

يوم الغبيط

لبنى يربوع على بكر

ويقال له يومُ الثعالب^(٣) . قال : غزا بسطامُ بنُ قيس ، ومغروق بن عمرو ،
والحارث بنُ شريك — وهو الحوفزان — بلاد بني تميم ، وهذا اليوم قبل يوم
العظالي ، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدى
أبن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فلذلك قيل له يومُ الثعالب . وكان هؤلاء
جميعا متجاورين بصحراء فلج فأقتلوا^(٤) ، فأنهزمت الثعالب ، فأصابوا فيهم وأستاقوا
إبلا من نعمهم ، ولم يشهد عتيبة بن الحارث بن شهاب هذه الواقعة لأنه كان نازلا
يومئذ في بني مالك بن حنظلة . قال : ثم أسروا على بني مالك ، وهم بين صحراء فلج
وبين الغبيط ، فأكنسحوا إبلهم ، فوكبت عليهم بنو مالك ، فيهم عتيبة بن الحارث
أبن شهاب ، ومعه فارسان من فرسان بني يربوع ، وتأنف^(٥) اليهم الأحيمر بن عبد الله ،
وأسيد بن حذاعة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الرياحي — وهو رئيس

(١) ذات النسوع : فرس بسطام . (٢) أجذت : سلكت الطريق الوعر .

(٣) الثعالب : أسماء قبائل اجتمعت فيه . (٤) صحراء فلج : وادي بني العنبر بن تميم ،
يقع أول الدهناء . (٥) تأنف : يريد تبهمهم وتحوطهم مثل تأنف الأتاني الرماد .

بنى يربوع - وربيع ، والحليس ، وعمارة ، بنو عتيبة بن الحارث ، ومعدان وعصمة
أبنا قعنب ، ومالك بن نُؤيرة ، والمنهال بن عصمة أحد بنى رياح بن يربوع ، وهو
الذى يقول فيه متم بن نُؤيرة فى شعره الذى يرثى به أخاه مالكا :

لقد كفن المنهال تحت رِدايه ففى غير مِبطان العِشبات أروعا

فأدركوهم بغيظ المدرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأدركوا ما كانوا استاقوا من
أموالهم ، وأسير بسطام ، أسره عتيبة ، فلم يزل عنده حتى فادى نفسه . قيل : إنه
فدى نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرسا ، ولم يكن غيره عكاظى أعلى فداء منه ، على
أن جزأ نصيبته وعاهده ألا يغزوا بنى شهاب أبدا .

يوم مُحطط

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحوقران الحارث متساندين يقودان
بكر بن وائل ، حتى وردوا على بنى يربوع بالفردوس ، وهو بطن لإياد ، وبينه وبين
مخطط ليلة ، وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمحطط ، فأقتلوا ، فأنهزمت بكر ،
وهرب الحوقران وبسطام فقاتلا ركضا ، وقُتل شريك بن الحوقران ، قتله شهاب
أبن الحارث أخو عتيبة ، وأسر الأجير بن عبد الله بن الضريس الشيباني .

يوم جدود

غزا الحوقران وهو الحارث بن شريك فأغار على من بالقاعة من بنى سعد بن
زيد مناة ، فأخذ نهما كثيرا ونساء فبين الزرقاء من بنى ربيع بن الحارث ، فأعجب
بها وأعجبت به ، فلم يتمالك أن وقع بها ، فلما انتهى الى جدود منهم بنو يربوع

(١) جدود : اسم موضع فى بلاد بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سمت الجماعة ، فيه الماء
الذى يقال له الكلاب .

أَبْنُ حَنْظَلَةَ أَنْ يَرُدُّوا الْمَاءَ ، وَرَيْسُهُمْ عَتِيبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي بَكْرِهِمْ يَدٌ ، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي رِبْعٍ بَعْضَ غَنَائِمِهِمْ حَتَّى يَرُدُّوا الْمَاءَ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُمْ وَأَجَازُوهُمْ ، فَلَمَّا أَتَى الصَّرِيحُ بْنُ سَعْدٍ ، رَكِبَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى أَدْرَكَهُمُ بِالْأَشْمِينَ^(٢) ، فَالْحَقَّ قَيْسُ عَلَى الْحَوْفَرَانِ ، وَقَدْ حَمَلَ الزَّرْقَاءُ خَلْفَهُ رَدِيفًا عَلَى فَرْسِهِ الزَّيْدِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا عَلَى صَدْرِهِ ، فَأَخَذَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بِحَيْثُ يَكَلِّمُ الْحَوْفَرَانِ ، فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : يَا أَبَا حَمَادٍ ، أَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْعَطَشِ ، قَالَ لَهُ : مَا يَشَاءُ الزَّيْدُ . فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ أَنَّ فَرْسَهُ لَا يَلْحُقُهُ نَادَى الزَّرْقَاءَ فَقَالَ : مِيلِي بِهِ يَا جَعَارُ ، فَجَزَّ الْحَوْفَرَانِ قُرُونَهَا بِالسَّيْفِ وَدَفَعَهَا بِرَفْقِهِ وَأَلْقَاهَا عَنْ عَجْزِ فَرْسِهِ فَرَدَّهَا قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى بَنِي رِبْعٍ .

يَوْمُ سَفَوَانَ

قَالَ أَبُو عِيْنَةَ : التَقَتِ بَنُو مَازِنَ وَبَنُو شَيْبَانَ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ سَفَوَانٌ ، فَزَعَمَتْ بَنُو شَيْبَانَ أَنَّهُ لَهُمْ ، وَأَرَادُوا أَنْ يُحْلُوا تَمَامًا عَنْهُ ، فَأَقْتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو تَمِيمٍ وَشَلُوهُمْ حَتَّى بَلَّغُوا الْمَحْدَثَ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَتَوَعَّدُونَ بَنِي مَازِنَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْوَدَاكَ الْمَازِنِيُّ :

رَوَيْدًا بَنَى شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ * تَلَّاقُوا غَدًا خَيْبَلِي عَلَى سَفَوَانَ
تَلَّاقُوا جِيَادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعَى * إِذَا الْخَيْلُ جَاءَتْ فِي الْقَنَا الْمُتَدَانِي
عَلَيْهَا الْكُجَّةُ الْفَرَّ مِنْ آلِ مَازِنٍ * لِيُوثَ طِعَانٍ كُلَّ يَوْمٍ طِعَانٍ
تَلَّاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ * عَلَى مَا جَاءَتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْقَزَى » بِحَرْفِهِمْ يَدَهُ .

(٢) الْأَشْمِينَ ؛ فِي بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ بِالْبَحْرَيْنِ دُونَ هَجْرٍ .

٧
٣

مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرُّوعِ خَطْوَهُمْ * يَكُلُّ رَفِيقِي الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ
إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ * لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ لِأَيِّ مَكَانٍ

يَوْمُ نَقَا الْحَسَنِ

(١)
وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيان

فيه قتل بسطام . قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس
أبن خالد - وقيس بن مسعود هو ذو الجدين ، وأخوه السليل بن قيس من بني ضبة
ابن أذ بن طابجة - فأغار على ألف بعير لمالك بن المستفق فيها فخلها قد فقأ عينه ،
وكان في الإبل مالك بن المستفق ، فركب فرسا له ونجا ركضاً حتى إذا دنا من قومه
نادى : يَا صَبَاحَاهُ ، فركبت بنو ضبة ، وتداعت بنو تميم ، فتلاحقوا بالنقا ،
فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه : أَيُّهُمْ رَئِيسُ الْقَوْمِ ؟ قال : حَامِيتُهُمْ
صاحب الفرس الأدهم - يعنى بسطاماً - فعلا عاصم عليه بالرحم فطعنه ، فلم تخطئ
صماخ أذنه حتى خرج الرح من الناحية الأخرى ونحر ، فلما رأى ذلك بنو شيان
حللوا سبيل النعم وولوا الأديار ، فمن قتل واسير ، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس
أخا بسطام في سبعين من بني شيان : وقال شملة بن الأخضر بن هيرة :

وَيَوْمَ شَقَائِقِ الْحَسَنِ لَاقَتْ * بَنُو شِيَانَ أَجَالاً قَصَارَا
شَكَنَّا بِالرَّامِاحِ وَهْنُ زُورٍ * صَمَّخَى كَبْشَهُمْ حَتَّى اسْتَدَارَا

أَيَّامُ بَكْرِ عَلَى تَمِيمٍ

يَوْمُ الزُّوَيْرِينِ

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض بني تميم في الجاهلية ترعى
بها إذا أجذبوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عودة يصيونها ولا شيئا يظفرون به

(١) الشقيقة : كل جد (فتح الجيم) المعجزة (سكون الميم) بين حبل رمل . والجد : غلط وصلاية .

إلا اكتسحوه، فقال بنو تميم : امنعوا هؤلاء القوم من رعى أرضكم ، فحشدت
 تميم ، وحشدت بكر وأجتمعت ، فلم يتخلف عنهم إلا الحوفزان بن شريك
 في أناس من بني ذهل بن شيان ، وكان غازياً ، فقدمت بكر عليهم عمراً الأصم
 أبا مفروق — وهو عمرو بن قيس بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن
 شيان — فحسد سائر ربيعة الأصم على الرياسة ، فأتوه فقالوا : يا أبا مفروق ،
 إنا قد زحفنا لتيمة وزحفوا لنا أكثر مما كنا وكانوا قط . قال : فما تريدون ؟ قالوا :
 نريد أن نجعل كل حمة على حياله ، ونجعل عليهم رجلاً منهم ، فنعرف غناء كل قبيلة ،
 فإنه أشد لأجتهاد الناس . قال : والله إني لأبغض الحلاف عليكم ، ولكن
 يأتي مفروق فينظر فيما قاتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه ، فقال له مفروق :
 ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يخذعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك ،
 والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال لنا الفضل بذلك أبداً ، وإن ظفرك لا تزال
 لنا رياسة تُعرف بها ، فقال الأصم : يا قوم ، قد استشرت مفروقاً فرأيتُه مخالفاً لكم ،
 ولستُ مخالفاً رأيه وما أشار به . فأقبلت تميم بجملين مجلبين مقرونين مقيدتين وقالوا :
 لا نؤلى حتى يولى هذان الجملان ، وهما الزويران ، فأخبرت بكر بقولهم الأصم فقال :
 وأنا زويركم إن خشوها فخشوني ، وإن عقروها فأعقروني ، قال : وآلتني القوم
 فأقتلوا قتلاً شديداً . فأمرت بنو تميم حراث بن مالك أخا بني مرة بن همام ،
 فركض به رجل منهم وقد أردفه ، فأتبعه آتبعه قتادة بن حراث حتى لحق الفارس
 الذي أسر أبيه ، قطعته فأرداه عن فرسه ، واستنقذ أباه ، ثم انهزمت بنو تميم .
 وقال رجل من بني سدوس :

يَا سَلْمُ إِنَّ تَسَالَى عَنَّا فَلَا كَشْفَ * عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَسْنَا بِالْمَقَارِيفِ

نَحْنُ الَّذِينَ هَزَمْنَا يَوْمَ صَبْحَتَا * جَيْشَ الزُّورَيْنِ فِي جَمْعِ الْأَحَالِفِ
ظَلُّوا وَظَلَلْنَا نَكْرُ الْحَيْلَ وَنَسَطُهُمْ * بِالشَّيْبِ مِنَّا وَبِالْمُرْدِ الْفَطَارِيفِ

يَوْمَ الشَّيْطَانِ ^{حَرْبِ} مَعِينِ التَّارِخِ
لَأَهْلِ التَّارِخِ
لَبَكْرَ عَلَى تَمِيمٍ

قال أبو عبيدة : لما ظهر الإسلام — قبل أن يسلم أهل نجد والعراق —
سارت بكر بن وائل إلى السواد وقالت : نغير على بني تميم بالشَّيْطَانِ^(١) ، فإن في دين
أبن عبد المطلب أنه من قتل نفسا قُتِلَ بها ، فنغير هذه الغارة ثم نُسَلِّمَ عليها .

فأرتحلوا من لعلع بالذراري والأموال ، فاتوا الشَّيْطَانِ في أربع ، وبينهما
مسيرة ثمانية أميال فسبقوا الجبر فصبحوهم وهم لا يتسعون ، ورئيسهم يومئذ
يُسْرُ بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الحدين ، فقتلوا بني تميم قتلا ذريعا واخذوا
أموالهم . قال : قُتِلَ من بني تميم يوم الشَّيْطَانِ ولعلع ستمائة رجل ، قال : فوفد
وفد من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أدع الله على بكر بن وائل ! فأبى
صلى الله عليه وسلم .

يَوْمُ صَعْفُوقٍ
لَبَكْرَ عَلَى تَمِيمٍ

أغار بنو ربيعة على بني سليط بن يربوع يوم صَعْفُوقٍ ، فأصابوا منهم أسرى ،
فأتى طريف بن تميم العنبري فروة بن مسعود ، وهو يومئذ سيد بني ربيعة ، ففدى
منهم أسرى بني سليط ورهنتهم أبنة ، فأبطلوا عليهم فقتلوا أبنة .

(١) الشيطان : واديان .

يَوْمُ مَبَايِضَ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : كانت الفرسان إذا كانت أيام عُمَاظ في الشهر الحرام ،
وأمن بعضهم بعضاً ، تقنعوا كي لا يعرفوا ، فكان طَريف بن تميم لا يتقنع ، فوافى
عُمَاظ وقد كشفت بكر بن وائل ، وكان طَريف قد قتل شراحيل الشيباني أحد
بنى عمرو بن ربيعة ، فقال حميصة : أدروني طَريفاً ، فأروه إياه ، فاقمله ونظر
إليه ، ففطن له طَريف فقال : مالك تنظر ؟ فقال : أَوَسَّيْتُكَ لأعرفك ، فله
على إن لقيتُك أن أقتلك أو تقتلني .

قال : ففضى لذلك ما شاء الله ، ثم إن بنى عائدة حلفاء بنى ربيعة بن ذهل ،
خرج منهم رجلان يصيدان ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان ، فذعر عليهما
صيدهما ، فوثبا عاييه فقتلاه ، فشارت بنو مُرَّة بن ذهل بن شيبان يريدون
قتلهما ، فأبت بنو ربيعة ذلك عليهم ، فقال داني بن مسعود : يا بنى ربيعة ، إن
إخوتكم قد أرادوا ظلمكم فأنمازوا عنهم ، ففارقومهم ، وساروا حتى نزلوا بمبايض :
— ماء لهم — فأبقى عبدٌ لرجل من بنى ربيعة ، وسار إلى بلاد تميم ، فأخبرهم أن
حيًا جديدًا ، أى متسقى من قومهم ، من بكر بن وائل نُزُولٌ على مَبَايِضَ وهم
بنو ربيعة ، فقال طَريف العبدي : هؤلاء فأرى يا آل تميم ، وأقبل معه
أبو الجعدة أخو بنى طُهَيْة ، وجاءه قَدِيك بن أَعْبَدَ الْمُتَقَرِّي في جمع من بنى سعد بن
زَيْد مَنَاءً ، فأنذرت بهم بنو ربيعة ، فأخاز بهم هاني بن مسعود ، وهو رئيسهم ،
إلى عَلم مَبَايِضَ ، وأقام عليه وشرفوا بالأموال والسرْح ، وصبَّحتهم تميم ، فقال لهم

(١) أنمازوا : اقصوا .

(٢) السرح : المال الراعى .

طريف : أطيعوني وافرغوا من هؤلاء الأكلب يصف لكم ما وراءهم ، فقال لهم أبو الجداء - رئيس حنظلة - وقد كنتي - رئيس بنى سعد بن زيد مناة : أقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم وترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ! وأبوا عليه . وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، ولحقت تميم بالنعم والبغال فأغاروا عليهم ، فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هاني بن مسعود لأصحابه : احموا عليهم ، فهزموهم . وقُتِل طريف العنبري ، قتله خميسة الشيباني .

يوم فيحان

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لما فدى نفسه بسطام بن قيس من عتية بن الحارث إذ أسره يوم الفيض بأربعمائة بعير فقال : لأدركن عقرا لي ، فأغار بفيحان ، فأخذ الربيع بن عتية وأمتاق ماله ، فلما سار يومين شغلوا عن الربيع بالشراب ، فبال على قيده حتى لآن ، ثم خلعه وأخل منه ، ثم أجال في متن ذات النسوع - فرس بسطام - وهرب ، فركبوا في أثره ، فلما ينسوا منه ناداه بسطام : يا ربيع ، هلم طليقا ، فإني ، وأنوه في نادى قومهم يتحدثهم ، فجعل يقول في أثناء حديثه : إيه يا ربيع ! انج يا ربيع ! وأقبل ربيع حتى انتهى إلى أدنى بنى يربوع فإذا هو براع فاستسقاء وضربت الفرس برأسها فماتت ، فسُمي ذلك المكان هير الفرس ، فقال له أبوه عتية : أما إذ نجوت بنفسك فإني مخلف لك مالك .

يوم ذي قار الأول

لبكر على تميم

قال : نخرج عتية في نحو من خمسة عشر فارسا من بنى يربوع ، فكن في جنبي ذي قار حتى مررت بهم إبل بنى الحصين ، وهى بالمدوانة : اسم ماء لهم ،

فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاية ، ثم استاقوها ، فأخلف للربيع ما ذهب له وقال :

أَلَمْ تَرِنِي أَفَاتُ عَلَى رَبِيع * جَلَادًا فِي مَبَارِكِهَا وَخُورًا
وَأَنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَنِي حُصَيْن * بِذِي قَارِ يَمُونُ الْأُمُورَا

يَوْمُ الْحَاجِزِ .

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : نرحل وائل بن صريم اليشكري من اليمامة ، فلقبه بنو أسيد ابن عمرو بن تميم ، فأسروده وجعلوا يغمسونه في الماء في الركية ويقولون :

* يَا أَيُّهَا الْمَانِحُ دَلَّوْى دُونَكَ *

حتى قتلوه ، فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجز ، فأخذ ثمانية بن باعث ابن صريم رجلا من بني أسيد وجيها فيهم فقتله ، وقتل على الظنة مائة منهم .

يَوْمُ الشَّقِيقِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : أغار أبحر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة ، فسي سليمان بنت محصن ، فولدت له أبحر ، ففي ذلك يقول أبو النجم :

وَلَقَدْ كَرَرْتُ عَلَى طُهْيَةِ كَرَّةً * حَتَّى طَرَقْتُ نِسَاءَهَا بِمَسَاءِ

ذِكْرُ حَرْبِ الْبَسُوسِ

وهي حرب بكر وتغلب أبني وائل

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معدة كلها إلا على ثلاثة من رؤساء العرب ، وهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث .

١٢٩
١٣

وعامر هو قائد معد يوم البيداء حين تَمَذَّجَت مَذْجِح وسارت الى تهامة، وهي أول واقعة كانت بين تهامة واليمن .

والثاني : ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وهو قائد معد يوم السَّلاَن، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

والثالث : كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه : أعز من كليب وائل، وقاد معدًا كلها يوم تَخَاز، ففَضَّ جُمُوعَ اليمن وهزمهم ، واجتمعت عليه معدَّ كلها وجعلوا له قَسَمَ الملك وتاجه ونحيته وطاعته ، فغَبَرَ ^(١) بذلك حينًا من الدهر، ثم دخله زهو شديدٌ وبنَى على قومه حتى بلغ من بَغْيِهِ أنه كان يَحْيى مواقع السحاب فلا يُرعى حِمَاهُ ويقول : وَحُشَّ أرض كذا في جوارى فلا يُهاج ، ولا تُورَدُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا تُوقَدُ نارٌ مع ناره .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة ، وكان كليبٌ قد تزوجَ جليلاً بنسة مرة بن ذهل بن شيبان أخت جساس بن مرة، وكانت لها ناقةٌ يقال لها : السرابُ ، وبها يُضرب المثل في التشاؤم ، فيقال : « أشأم من السراب » و « أشأم من البسوس » وهي معقولة بفناء بيتها في جوار جساس بن مرة، فمزت بها إبلٌ لكليب ، فلما رأت السرابُ الإبلَ تازعت عقالها حتى قطعتَه ، وتبعَت الإبلَ واختلطت بها حتى آتته الى كليب ، وهو على الحوض ، ومعه قوسٌ وكنانةٌ، فلما رآها أنكرها ، فأترعها بسهم نفخ ضرعها، فنفرت وهي ترغو ، فلما رأتها البسوس فذفت نمارها عن رأسها وصاحت : وأذلاه ! وأجاراه .

ذكر مقتل كليب وائل

قال : فاجشت جساسا ، فركب فرسا له مغرورا به ، وتبعه عمرو بن الحارث
ابن دهل بن شيان على فرسه ، ومعه رُحْه ، حتى دخلا على كليب الحمي ، فطعنه
جساس فقصم صُلْبَه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطَنَه ، فوقع كُليب
وهو يفحص برجله وقال لجساس : أغنني بشرية من ماء ، فقال له : تجاوزت
شَيْثًا^(١) والأَحْصَ^(٢) ، ففي ذلك يقول عمرو بن الأهتم :

وإن كُليبًا كان يَظْلُمُ قَوْمَه * فَأَدْرَكَه مُثْلُ الَّذِي تَرَبَّاتِ
فلما حَشَاهُ الرِّيحُ كَفَّ أَبْنِ عَمَه * تَذَكَّرَ طَلَمَ الْأَهْلِ أَىْ أَوَانِ
وَقَالَ لِحَسَّاسٍ أَغْنِنِي بِبَشْرِيَه * وَإِلَّا نَحْبِرَ مَنْ رَأَيْتَ مَكَانِي
فقال تجاوزت الأَحْصَ وماءه * وَبَطْنِ شَيْثٍ وَهُوَ غَيْرُ زُوَانِ

وقال نابغة بنى جعد :

أبلغ عقالا أن خُطَّةَ دَاحِسِ * بِكَفِّكَ فَأَسْتَأْخِرُهَا أَوْ تَقْدِمِ
كُليبٌ لعمري كان أكثرَ ناصرا * وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرْجُ الدَّمِ
رمى صَرْعَ نَابٍ فَأَسْتَمِرَّ بِطَعْنِه * كَاشِيَةَ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمُسَهْمِ
وقال لجساس أغنني بشرية * تَدَارِكُ بِهَا مَنْأَعْلَى وَأُنْعِمِ
فقال تجاوزت الأَحْصَ وماءه * وَبَطْنِ شَيْثٍ وَهُوَ دُوْمُوسَمِ

قال : فلما قُتِلَ كُليبٌ آرتحلت بنو شيان حتى نزلوا بماء يقال له النَّهْيُ ،
وتسمُّر المهلهل أخو كليب — وأسمه عَدِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ ، وإنما قيل له المهلهل لأنه

(١) شَيْث : ماء معروف لني تغلب .

(٢) الأَحْصَ : واد لني تغلب .

أول من هَلَّهَلَّ الشعر ، أى أرقه - فاستعدَّ المهلهلُّ للحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرَّم القمار والشراب ، وجمع اليه قومه ، فأرسل رجالاً منهم الى بنى شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الأمر ، فاتوا مرةً بنَ ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : إنكم أتيتُم عظيمًا بقتلكم كُليبًا بناب من الإبل ، فقطعتم الرِّحِم ، وأنتهكتم الحرمة ، وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ، ونحن نعرض عليكم خلالاً أربعا ، لكم فيها مخرجٌ ولنا مقنعٌ ، قال مرةً : ما هى ؟ قالوا : نُحْيِي لنا كُليباً أو تدفع لنا جَسَاساً قاتله فنقتله به ، أو هَمَّاماً فإنه كفءٌ له ، أو تمكَّنا من نفسك فإنَّ فيك وفاءً من دمه ، فقال : أما إحيائى كُليباً فهذا ما لا يكون . وأما جَسَاسٌ فإنه غلام طعن طعنةً على عَجَلٍ ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد آجتوت عليه . وأما هَمَّام فإنه أبو عَشْرَةٍ وأخو عَشْرَةٍ وعم عَشْرَةٍ ، كلهم فرسان قومهم فلن يُسألوه لى فادفعه اليكم يُقتل بجزيرة غيره . وأما أنا فما هو إلّا أن تجول الخيلُ جولةً غداً فاكون أول قَتيلٍ بينهما ، فما أتعجلُ من الموت ، ولكن لكم عندى خصلتان : أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عُقِّ أبيهم شتَمَ نسعةً فأنطلقوا به الى رجالكم فاذبحوه ذبح الجزور وإلّا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بكر بن وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبدل لنا صغار ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب .

١٣٠
١٣

ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت جليلةُ زوجة كُليب بأبيها وقومها ، واعتزلت قبائل بكر بن وائل ، وكرهوا جماعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم ، وأعظموا قتل جَسَاس كُليباً بناب من الإبل ، فظعنن بلحيم عنهم ، وكفت يشكر عن نصرتهم ، وأنقبض الحارث بن عباد فى أهل بيته ، وهو أبو يُحَير وفارس النعامة . وقال المهلهلُّ يرثى كُليباً من أبيات :

٢٠

بَاتَ لَيْسِي بِالْأَنْعَمِينَ طَوِيلًا * أَرْقُبُ النِّجْمَ سَاهِرًا أَنْ يَزُولَا
كَيْفَ أَهْدَى وَلَا يَزَالُ قَتِيلٌ * مَنْ بَنَى وَائِلَ يُنْسَى قَتِيلًا
فِي قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ .

وقال أيضا يرثيه من أخرى :

نَمَى النِّعَاةُ كُلِّيًّا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ * مَا لَتْ بَنَى الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْقَائِدُ الْخَيْلَ تَرْدَى فِي أَعْنِيهَا * زَهْوًا إِذَا الْخَيْلُ لَحَّتْ فِي تَعَادِيهَا
مِنْ خَيْلٍ تَغْلِبَ مَا تَلَقَّى أَسْتَهَا * إِلَّا وَقَدْ خَضَّبُوهَا مِنْ أَعَادِيهَا
يَهْزِهْزُونُ مِنَ الْخَطَى مُدْجَعَةً * كُنَّا أَنَابِيهَا زُرْقًا عَوَالِيهَا
تُرَى الرِّمَاحَ بِأَيْدِيهَا فَتُورِدُهَا * بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا مِنْ يَصَالِحُكُمْ * مَا لَاحَتِ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

يَوْمُ النَّهْيِ

فَالْتَقَوْا بِمَا يُقَالُ لَهُ : النَّهْيُ ^(١) ، كَانَتْ بَنُو شَيْبَانَ نَازِلَةً عَلَيْهِ ، وَرِئِيسُ تَغْلِبِ الْمَهْلَهْلِ ،
وَرِئِيسُ شَيْبَانَ الْحَارِثُ بْنُ مُرَّةَ ، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ لِبَنِي تَغْلِبَ ، وَلَمْ يُقْتَلْ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ .

يَوْمُ الذَّنَابِ

ثُمَّ أَلْتَقَوْا بِالذَّنَابِ ، وَهِيَ أَعْظَمُ وَقْعَةٍ كَانَتْ لَهُمْ ، فَظَفَرَتْ بَنُو تَغْلِبَ وَقُتِلَ مِنْ
بَكْرِ مَقْتَلَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَفِيهِ قُتِلَ شَرَاهِيلُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ هَمَامَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ شَيْبَانَ ، وَهُوَ
جَدُّ الْحَوْفَرَانِ ، قَتَلَهُ عَتَابُ بْنُ سَعْدِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ جِشْمَ ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي ذُهَلِ بْنِ

(١) الْأَنْعَامُ (بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ثَنِيَّةُ أَنْعَمَ) : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ نَعْمَانَ ، وَهُوَ وَادِي النِّعَمِ .

(٢) النَّهْيُ (بِالْكَسْرِ فِي لَفْظِ أَهْلِ مَجْدٍ ، وَغَيْرِهِمْ يَقُولُهُ) بِالْفَتْحِ : الْقَدِيرُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَهُ
حَاجِزٌ يَنْبِئُ الْمَاءَ أَنْ يَفِيضَ مِنْهُ .

ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان ، وقتل من بني قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس وتم بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الجرقين ^(١) ، وكان شيخا كبيرا ، فحمل في هودج ، فلحقه عمرو بن مالك بن القدوكس بن جشم فقتله .

يوم واردات

ثم التَقُوا يوم واردات وعليهم رؤسائهم الذين تقدم ذكرهم ، فظفرت بنو تغلب ، واستحز القتل في بني بكر ، فيومئذ قتل الشعثان : شعثم وعبد شمس أبنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسليار بن الحارث بن سيار ، وفيه قتل همام ابن مرة أخو جساس لأبويه ، فتر به مهلهل مقتولا فقال : والله ما قتل بعد كليب قيل أعز على فقدك منك يوم عنيزة .

يوم عنيزة

ثم التَقُوا بعنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني تغلب على بني بكر ، فنها يوم الحنسو ، ويوم عويرضات ، ويوم أنين ، ويوم ضرية ، ويوم القمصينات ، كلها لتغلب على بكر ، أصيبت فيها بكر حتى ظنوا أن لن يستقبلوا أمرهم .

وقال المهلهل يصف هذه الأيام وينعاهها على بكر في قصيدة طويلة أولها :

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُصْمٍ أَنِيرِي * إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرِي ^(٢)
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَال لَيْلِي * فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ ^(٣)

(١) الحارقة : عصبة متصلة بالورك . (٢) استحز : اشتد .

(٣) ذو حصم : موضع . (٤) تحورى : ترجعى .

(٥) الذنائب : عن يسار فاجة مصعدا الى مكة . ومقتل كليب بالذنائب ، وبها فيه .

فَلَوْ يُبْشِ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ * لَا تُخْبِرَ بِالذَّنَابِ أَى زَيْرٍ
 وَأَى قَدْ تَرَكْتَ بَوَارِدَاتٍ ^(١) * يُجِيرُ فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ ^(٢)
 هَتَكَتْ بِهِ بِيُوتَ بَنِي عَبَادٍ * وَبَعْضُ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلْبٍ * إِذَا بَرَزَتْ غِبَاةُ الْخُدُورِ

وقال المهلهل أيضا وقد أشرف في الدماء :

أَكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَنْبَغِي لَمْ أَحُدْ
 آلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ * حَتَّى أُبْرِجَ بَكْرًا أَيْمًا وَجُدُوا
 أُبْرِجُ : أَى أَدْعُهُمْ بِهَرَجًا ، لَا يُقْتَلُ بِهِمْ قَتِيلٌ ، وَلَا تُؤْخَذُ بِهِمْ دِيَةٌ .

وقال أيضا :

١٠ قَتَلُوا كُلِّيَا ثُمَّ قَالُوا أَرِيعُوا * كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ
 حَتَّى تَيْبَدَ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ * وَبَعْضُ كُلِّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ
 وَيُقَمِّنَ رِبَاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا * يَمَسَّحْنَ عُرْضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ
 حَتَّى يَبْعُثَ الشَّيْخُ بَعْدَ حَيِّمِهِ * مِمَّا يَرَى نَدْمًا عَلَى الْإِبْهَامِ

يَوْمُ قَضَةِ

١٥ قال : ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يبالِ بأى قبيلة من قبائل بكر وقع ، وكانت أكثر بكر قعدت عن نصره بنى شيبان لقتلهم كُلِّيَا ، وكان الحارث بن عَبَاد قد أصرت تلك الحروب ، حتى قُتِلَ أَبْنُهُ يُجَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ ، فلما بلغه قتله قال : نعم القَتِيلُ قَتِيلٌ أَصْلَحَ بَيْنَ آبْنَى وَائِلٍ ، وظن أن المهلهل قد أدرك به ثار

(١) زارادات : موضع عن يسار طريق مكة .

(٢) العير : الزعفران .

كَلْب وجعله كفؤاً له ، قليل له : إنما قتله بِشِئْن نَعْل كَلْب . وكان المهلهل قال
لما قتل مجير بن الحارث : يُؤْ بِشِئْن نَعْل كَلْب ، فلما سمع الحارث ذلك غضب ،
وكان له فرس يقال له النعامة ، فركبها وتولى قتال تغلب بنفسه ، فكانت الدائرة
فيه على تغلب ، فتفرقت قبائل تغلب وهرب المهلهل . وقال الحارث بن عباد :

قَرَبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي * لَقِحتُ حَرْبُ وَأَيْلَ عَنْ حِيَالِي
قَرَبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي * شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرَتْنِي رِجَالِي
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِيمُ اللَّهِ * لَهُ وَإِنِّي بِحِزِّهَا الْيَوْمَ صَالِ

في قصيدة طويلة نحو المائة بيت كثر فيها :

* قَرَبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي *

في خمسين بيتاً .

وكان أول يوم شهده الحارث يومَ قِصَّة ، وهو يومَ تَخْلَاقِ اللَّحْم ، وفيه
يقول طرفة :

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا * بَقُونَا يَوْمَ تَخْلَاقِ اللَّحْمِ
يَوْمَ تُبْدَى الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَقِهَا * وَتَلَفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ

(١) أسوق : جمع لساق ، همزت الواو فيه لتحمل الضمة ، أي يوم تكشف النماء البيض
عن سيقانها من الفزع .

(٢) تلف : تجمع .

(٣) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٤٤ طبع دار الكتب المصرية) وأعراج : جمع عرج (بالفتح
وبكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين ، أو هومانة وخسون وفوقها ، أو من
نعمانة إلى ألف . وفي الأصول : « أفراخ » .

(٤) النعم (بالتحريك وقد نسكن عبه) : الإبل .

يوم تَخْلَقُ اللَّمَمَ

ويوم تَخْلَقُ اللَّمَمَ، إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عُبَادٍ لَمَّا تَوَلَّى الْحَرْبَ قَالَ لِقَوْمِهِ : أَحْمِلُوا مَعَكُمْ نِسَاءَكُمْ يَكُنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ ، فَإِذَا وَجَدَنَّ جَرِيحًا مِنْهُمْ قَتَلُوهُ ، وَإِذَا وَجَدَنَّ جَرِيحًا مِمَّا سَقَيْنَهُ وَأَطْعَمَنَّهُ ، فَقَالُوا : وَمَنْ أَيْنَ يَتِمَّزُّ لَهْنَ ؟ فَقَالَ : احْلِقُوا رُءُوسَكُمْ لَتَمَازُوا بِذَلِكَ ، ففعلوا ، فُسِّمِيَ بِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صُبَيْعَةَ — وَكَانَ مِنْ شُجْعَانِهِمْ — : اتْرَكُوا لِمَتِّي وَأَقْتُلْ لَكُمْ أَوَّلَ فَارِسٍ يَقْدُمُهُمْ ، فَتَرَكُوهُ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ عُمَرَ وَعَاصِرًا التَّغْلِيَانِ ، طَعَنَ أَحَدَهُمَا بِسَنَانٍ رَجَحَهُ ، وَالْآخَرَ بِزَجَهِ ، ثُمَّ صَرَخَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ نِسَاءُ بَكْرٍ دُونَ حَلَقِ ظَنُونِهِ مِنْ تَغْلِبَ فَأَجْهَزُوا عَلَيْهِ .

وفى هذا اليوم أَسَرَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ الْمُهَلِّهْلَ عَدِيَّ بْنَ رَبِيعَةَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ لَهُ : ذُلَّتْنِي عَلَى عَدِيٍّ وَأَخْلَى عِنْسَكَ ، فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ : عَلَيْكَ الْعَهْدُ بِذَلِكَ إِنْ دَلَلْتُكَ عَلَيْهِ ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَأَنَا عَدِيٌّ ، فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَتَرَكَهُ وَقَالَ فِيهِ :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعِدْ * رِفَ عَدِيًّا إِذْ أُمَكَّنْتَنِي الْبِدَانِ

وَكَانَ الْحَارِثُ آتَى الْإِلَاحَ تَغْلِبًا حَتَّى تَكَلَّمَهُ الْأَرْضُ ، فَلَمَّا كَثُرَتْ وَقَائِعُهُ فِي تَغْلِبَ وَرَأَتْ تَغْلِبَ أَنَّهَا مَا تَقُومُ لَهُ حَفَرُوا مِرْبَا تَحْتَ الْأَرْضِ وَأَدْخَلُوا فِيهِ رَجُلًا وَقَالُوا لَهُ : إِذَا مَرَّ بِكَ الْحَارِثُ فَفَنِّ بِهِذَا الْبَيْتَ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَقْبَقِ بَعْضَنَا * حَتَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ

فَلَمَّا مَرَّ الْحَارِثُ أَدْنَعَ الرَّجُلُ وَغَنَّى بِالْبَيْتِ ، فَقِيلَ لِلْحَارِثِ قَدْ بَرَّقَتْ سَمُكَ فَأَبَقِ بَقِيَّةَ قَوْمِكَ ، فَأَمْسَكَ ، فَأَصْطَلَحَتْ بَكْرٌ وَتَغْلِبَ .

(١) حَالِيَةِ الرَّحْ : سَنَانُهُ .

(٢) زَجَّ الرَّحْ : حَدِيدَةٌ فِي أَسْفَلِهِ .

ثم إن المهلهل فتر بنفسه فقتل بمذبح ^(١) في بني جنب ، فخطبوا إليه أخته ، وقيل أخته ، فمنهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه جلوداً من آدم ، فقال في ذلك :

أعزّز على تغلب بمطالقيته * أخت بني الأكرمين من جشيم
أنكحها فقدّها الأراقسم ^(٢) في * جنب وكان الحباء من آدم
لَوَّ بابائين ^(٣) جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب يدم
ليسوا بكفائنا الكرام ولا * يغنون في ذلة ولا عديم

ثم اشترى المهلهل عبيدين يغزوان معه ، فغزا بهما حتى طال عليهما ذلك ، فأختارا الراحة منه ، فأجمعا على قتله بموضع فقير ، فلما شعر بما هما به ولم ير لنفسه ملجأ قال لهما : أبلغا عني هذا المراسلة ، فقالا هات ، فقال :

من مبلغ عني بأن مهلهلاً * لله دزكماً ودر أبيكماً

فلما قتلاه وأنصرفا نحو بيته فقالا : مات بأرض كذا وكذا وصيته ، فلم يدر أحد ما أراد ، فقالت أخته : والله ما كان أبي ردى الشعر ، ولا سفساف الكلام ، وإنما أراد أن يخبركم أن العبدین قتلاه ، وإنما معنى البيت :

من مبلغ عني بأن مهلهلاً * أضحى قتيلاً بالفلأ مجدلاً
له دزكماً ودر أبيكماً * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فقتل العبدان بعد أن أقوا بذلك . وقيل : إنه أصبح قتيلا بين رجلين يحمل حاج . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) جنب : حمى من مذبح ، وهم ستة رجال : منه والحارث والعلی وسبحان وشهران وعفان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صدا . (راجع معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوروبا) .
(٢) الأراقسم : حمى من تغلب . (٣) أبائين : جبلان ، قيل : يقال لأحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود .

الكلابُ الأول

قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وغلها سفهاؤها ، وتقاطعت أرحامها ، ارتأى رؤسائهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا ، فأكل القوى الضعيف ، فترى أن نملك علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعر ، فيأخذ للضعيف من القوى ، ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيننا ، ولكننا نأتي تبعاً فنملكه علينا ، فأتوه [فذكروا له أمرهم] فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المزار الكندي ، فقدم فزل بطن عاقل .

ثم غزا ببكر بن وائل حتى أتت عامة ما في أيدي ملوك الحيرة التميميين ، وملوك الشام الفسائيين ، وردهم الى أقاصي أعمالهم ، ثم طعن في نيطة فمات فدفن بيطن عاقل . وأختلف أبناء شرحبيل وسلمة في الملك ، فتواعدا الكلاب ، فأقبل شرحبيل في ضبة والرباب كلها ، وبني يربوع ، وبكر بن وائل . وأقبل سلمة في تغلب والنمر وهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن جحاش ، وعلى تغلب السفاح ، وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : اندروا الى ماء الكلاب ، فسبقوا ونزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب ، فالتقوا على الكلاب ، وأستحر القتل في بني يربوع ، وشد أبو حنش على شرحبيل فقتله ، وكان شرحبيل قد قتل ابنه حنشا ، فأراد أبو حنش أن يأتي برأسه الى سلمة ، فخافه فبعثه مع عسيف له ، فلما رآه سلمة دمعت عيناه وقال له :

١٣٢
١٣

(١) البكجة من العقد الفريد . (٢) عاقل : واد بجند .

(٣) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة . وقيل : بين جيلة وشمام على سبع ليل من البجامة .

أنت قتله؟ قال لا، ولكن قتله أبو حنّس، إنما أدفع الثواب الى قاتله، فهرب أبو حنّس منه، فقال سلمة في ذلك :

ألا أبلغ أبا حنّس رسولاً * فإلك لا تنجيء الى النّواب
تعلّم أن خير الناس طرّاً * قَتِيلٌ بينَ أحجار الكلاب

يومُ الصّفقة

وهو يومُ الكلاب الثاني

قال أبو عبيدة : كان يومُ الكلاب متصلاً بيوم الصّفقة ^(١) . وكان من حديث الصّفقة أن كسرى كان قد أوقع بني تميم ، فأخذ الأموال وسبي الذراري بمدينة ^(٢) هجر، وذلك أنهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير، فسُميت تلك الوقعة يوم الصّفقة ، ثم إن بني تميم أداروا أمرهم ، وقال ذو الحجي منهم : إنكم قد أغضبتم الملك ، وقد أوقع بكم حتى وهنتم ، وتسامعت بما لقيتم القبائل ، ولا تأمنون دوران العرب .

فجمعوا سبعة من رؤسائهم وشاوروهم في أمرهم ، وهم : أكتم بن صيفي الأسدي ، والأخيمر بن يزيد بن مرة المازني ، وقيس بن عاصم المنقري ، وأبير بن عصمة التيمي ، والنعمان بن جساس التيمي ، وأبين بن عمرو السعدي ، والزبرقان بن بدر السعدي فقالوا لهم : ماذا ترون؟ فقال أكتم بن صيفي ، وكان يكنى أبا حنّس : إن الناس قد باغهم ما لقينا ، ونحاف أن يطعموا فينا وإني قد نيّفت على التسعين ، وقد نخل قلبي كما نخل جسمي ، وأخاف ألا يدرك ذهني الرأي لكم ، فليعرض علي

(١) سمي الصّفقة ، لأن كسرى أنوشروان أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقر ، ويسمى

أيضاً : يوم المشقر ، والمشقر : حصن بالبحرين . (٢) هجر : اسم الأرض بالبحرين .

كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَأَيْهِ وَمَا يُحْضِرُهُ فَإِنِّي مَتَى أَسْمِعَ الْحَزَمَ أَعْرِفُهُ ، فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ ،
وَأَكْتُمُوا [سَاكُتٌ] لَا تَتَكَلَّمُوا ، حَتَّى قَامَ النِّعْمَانُ بْنُ الْحَسَّاسِ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ، أَنْظَرُوا مَاءً يَجْمَعُكُمْ
وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ بِأَيِّ مَاءٍ أَنْتُمْ حَتَّى تَنْفَرَجَ الْحَلْقَةُ عَنْكُمْ ، وَقَدْ صَلَّحَتْ أَحْوَالُكُمْ ، وَأَنْجَبَ
كَيْسِيرُكُمْ ، وَقَوَى ضَعْفُكُمْ ، وَلَا أَعْلَمُ مَاءً يَجْمَعُكُمْ إِلَّا قِدَّةً ، فَقَالَ أَكْتُمُوا : هَذَا [هُوَ]
الرَّأْيُ ، فَأَرْتَحِلُوا حَتَّى تَنْزِلُوا الْكُلَّابَ ، وَبَيْنَ أَذْنَاهُ وَأَقْصَاهُ مَسِيرَةُ يَوْمٍ ، وَأَعْلَاهُ مِمَّا
بِئِى الْيَمَنِ ، وَأَسْفَلُهُ مِمَّا بِئِى الْعِرَاقِ . فَتَزَلَّتْ سَمْعُهَا وَالرَّيَابُ بِأَعْلَى الْوَادِي ، وَنَزَلَتْ
حَنْظَلَةٌ بِأَسْفَلِهِ .

قَالَ : وَكَانُوا لَا يَخَافُونَ أَنْ يَغْزَوْا فِي الْقَيْظِ ، لُبْعَدَ تِلْكَ الصَّحَارَى وَشِدَّةِ
الْحَرِّ بِهَا وَقِلَّةِ الْمِيَاهِ ، فَأَقَامُوا بَقِيَّةَ الْقَيْظِ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِمَكَانِهِمْ ، حَتَّى إِذَا تَهَوَّرَ^(٢)
الْقَيْظُ بَعَثَ اللَّهُ ذَا الْعَيْنَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ حَجْرٍ ، فَمَرَّ بِقِدَّةٍ وَصَحَارِيهَا ،
فَرَأَى مَا بَهَا مِنَ النَّعَمِ ، فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى أَهْلَ حَجْرٍ فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ فِي جَارِيَةِ عَذْرَاءَ ،
وَمُهِرَةٍ شَوْهَاءَ ، وَبَكْرَةٍ حَمْرَاءَ ، لَيْسَ دُونَهَا نَكْبَةٌ ؟ قَالُوا : وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ ؟ قَالَ : تَلَكُمُ
تَمِيمٌ أَلْقَاءُ^(٣) مَطْرُوحُونَ بِقِدَّةٍ . فَخَشِيَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا : اغْتَنِمُوهَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ .
فَأَخْرَجُوا مَعَهُمْ أَرْبَعَةَ أَهْلَ الْكَلْبِ . يَقَالُ لَهُمُ الْيَزِيدِيُّونَ : يَزِيدُ بْنُ هَوْبَرٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ
عَبْدِ الْمَدَنَ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمَأْمُومِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْحَرَمِ ، وَهُمْ كُلُّهُمْ حَارِثِيُّونَ وَمَعَهُمْ
عَبْدُ يُغُوثِ الْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْفَيْنِ ، فَخَصَّوْا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبِلَادِ
بَاهِلَةَ قَالَ جَرِيرُ بْنُ جَزْءِ الْبَاهِلِيِّ لَأَبْنِهِ : يَا بَنِيَّ ، هَلْ لَكَ فِي أَكْرُومَةٍ لَا يُصَابُ أَبَدًا
مِثْلُهَا ؟ قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَمِيمٍ قَدْ جَلَاوَا هَاهُنَا مَخَافَةَ كَسْرِى ،
وَقَدْ قَصَصْتُ أَثَرَ الْجَيْشِ يَرِيدُونَهُمْ ، فَأَرْكَبْ جَمْلِي الْأَرْحَجِيَّ ، وَسِرْ سِرًّا رُوَيْدًا

(١) التكلة من العقد الفريد . (٢) تهوّر القَيْظُ : ذهب . (٣) الشوواء . ن .

الخيل : الطويلة الزائفة . (٤) ألقاء : جمع لقي . وهو ما طرح على الأرض .

(١) عقبة من الليل ، ثم حلّ عنه حبله وأُنْخِهُ وتوسّد ذراعه ، فإذا سمعته قد أفاض
يحرّته وبال فاستنقعت نِفْثاته في بَوْلِهِ ، فشدّ حبله ثم ضع السَّوْطَ عليه ، فإنّك
لا تسأل جملك شيئا من السير إلا أعطاكه حتى تصبّح القوم . ففعل ما أمره به .

قال الباهلي : خللتُ بالكُلاب قبل الجيش فناديت : يا صباحاه ! فإنهم
لَيَسْبُون إلى لَيْسَالُونِي مَنْ أَنْتَ ؟ إذ أقبل رجلٌ منهم من بنى شقيق على مُهر قد
كان في النّعم فنادى : يا صباحاه ، قد أتى على النّعم ، ثم كرّراجعا نحو الجيش ،
فلقيه عبد يغوث الحارثي وهو أوّل الرّغيل ، فطعنه في رأس مِعْدته فسبق اللّبن
الدم ، فقال عبد يغوث : أطيعوني وأمضوا بالنّعم وخلّوا العجائز من تميم ساقطة
أفواهها ، فقالوا : أما دون أن تُنكح بناتهم فلا .

وقال ضَمْرَةُ بن لبيد الحماسي ثم المذحجي الكاهن : أنظروا إذا سُقِمَ النّعم فإن
أَتَمَّ الخيل عُصْبًا [عُصْبًا] تنتظر العصابة أن تنظم الأخرى حتى تلتحق بها فإن
أَمَرَ القوم هَيْئًا ، وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتى يردوا وجوه النّعم
فإن أمرهم شديد .

وتقدّمت سعد والرّباب في أوائل الخيل والتّقوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم ،
وآستقبلوا النّعم ولم ينتظر بعضهم بعضا . ورئيس الرّباب النعمان بن الجساس ،
ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم ، فالتقى القوم ، فكان النعمان أوّل صريع ، وأقتل
الفريقان حتى حجز بينهم الليل ، ثم أصبحوا على راياتهم ، فنادى قيس بن عاصم :
يا آل سعد ! يريد سعد بن زيد ، ونادى عبد يغوث : يا آل سعد ! يريد سعد
العشيرة ، فلما سمع قيس ذلك نادى : يا آل كعب ! يريد كعب بن سعد ،
ونادى عبد يغوث : يا آل كعب ! يريد كعب بن عمرو ، فلما رأى ذلك نادى :

(١) عقبة من الليل : أي ساعة .

يَا آلَ مُقَاعِسِ ! فلما سمع وعلة ابن عبد الله الحرمي - وكان صاحب لواء أهل اليمن - نادى : يَا آلَ مُقَاعِسِ ، تفاعل به فطرح له اللواء ، وكان أول من أنهزم ، فحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم ، ونادى قيس بن عاصم : يَا آلَ تميم ، لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرجال لكم ، ثم جعل يرتجز ويقول :

لَمَّا تَوَلَّوْا عُصْبًا شَوَازِبًا * أَقْسَمْتُ لَا أُطْعِنُ إِلَّا رَاكِبًا
* إِنِّي وَجَدْتُ الطَّعْنَ فِيهِمْ صَائِبًا *

وأمر قيس بن عاصم أن يتبعوا المنهزمة ، ويعرقبوا من لحقوه ، ولا يشتغلوا بالقتل عن اتباعهم ، فحزوا دوابهم ، وفي ذلك يقول وعلة :

فَدَى لَكُمْ أَهْلِي وَأُمِّي وَوَالِدِي * غَدَاةَ كُلابٍ إِذْ تُحْزِرُ الدَّوَابُّ

وأسر عبد يغوث ، أسره مصاد بن ربيعة بن الحارث وكتفه وأردفه خلفه ، وكان مصاد قد أصابته طعنة في مابضه ، وكان عرقفه يهيم ، فنزفه الدم ، فقال عن فرسه مقتولاً . فلما رأى ذلك عبد يغوث قطع كتافه وأجهز عليه وأنطلق على فرسه ، وذلك أول النهار ، ثم ظفربه بعد في آخره ، ونادى مناد : قتل اليزيدون ، وشذ قبيصة بن ضرار الضبي على صمرة بن لبيد الجاسي الكاهن فطعنه فخر صريعا ، فقال له قبيصة : أَلَا أَنْبَاكَ تَابَعُكَ بِمَصْرَعِكَ الْيَوْمَ ، ثم أسر عبد يغوث ، أسره عصمة بن أبيير التيمي .

قال أبو عبيدة : انتهى عصمة بن أبيير إلى مصاد فوجده صريعاً ، وكان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيراً في يديه ، فعلم أنه الذي أجهز عليه فأقتص أثره فلحقه وقال : ويحك ! إني رجل أحب اللين ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : عصمة بن أبيير ، فأنطلق به عصمة حتى جثاه عند الأهم على

أن جعل له من فدائه جُعلاً ، فتركه الأهم عند أمرائه العبشمية ، فأعجبها جمالُه
وكالُ خلقته ، وكان عصمةُ الذي أسره غلاماً نحيفاً ، فقالت له : مَنْ أنت ؟ قال :
أنا سيّد القوم ، فضحكت وقالت : قبحك الله سيّد قوم حين أسرك مثل هذا ،
ففى ذلك يقول عبد يغوث :

وتَضَحَّكُ مني شَيْخَةُ عَبْشِمِيَّةٍ * كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

فاجتمعت الرّبابُ الى الأهم وقالت : نأرنا عندك ، وقد قُتل مَصاد والنعمان
فأخرج به إلينا ، فأبى الأهم أن يُخرجه إليهم ، فكاد أن يكون بين الحَيِّين : الرّباب
وسعد ، فتنة حتى أقبل قيسُ بنُ عامرٍ المِنَقَرِيّ فقال : أَيُؤْتَى قطع حلف الرّباب من
قَبْلنا؟ فضرب فاه بقوس فهتَمه ، فسَمَّى الأهم ، فقال الأهم : إنما دفعه إلى عصمة
ابن أُبَيْر ، ولا أدفعه إلّا لمن دفعه إلىّ ، فليجئْ فياخذْه ، فأتوا عصمة فقالوا :
ياعصمة ، قُتل سيّدنا النعمان وفارسنا مَصاد ، ونأرنا أسيرك ، فما كان ينبغي لك
أن تستحييه ! فقال : إني مُعِل وقد أصبتُ الغنى ، ولا تطيب نفسي على أسيرى ،
فأشتراه بنو جَسَّاس بمائة بعير ، فدفعه إليهم ، فغشوا أن يَهْجُوهم ، فشدوا على
لسانه نِسعة ، فقال : إنكم قاتلي لا محالة ، فدعوني أذم أصحابي وأنوح على نفسي !
فقالوا : إنك شاعرٌ ونخاف أن تهْجُوْنَا ، فعقد لهم الّا يفعل ، فأطلقوا لسانه ،
فقال قصيدته التي أولها :

(١) قال أبو على القالى فى أماليه (ج ٣ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قال الأنخفش :
رواية أهل الكوفة : كان لم ترن قبلى ، وهذا عندنا خطأ ، والصواب : ترى بحذف النون علامة للجزم .
وهذا مبنى على أن الفعل مستند لباء المخاطبة على معنى كان لم ترى أنت ، فيكون فيه إلتفات من الغيبة
الى الخطاب ولم يحكه أحد من النعاة ، بل الذى ذكره صاحب المغنى أن أبا على خرج البيت على أن أصل
الفعل ترى بهيمزة بعدها ألف ثم حذفت الألف للجازم ، ثم أبدلت الهيمزة ألفاً ، وعلا بما يطول فانظره
فى مبحث « لم » .

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى الدَّوْمَ مَا يَبَا . * فَكَأَنَّكَ فِي الدَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

ومنها :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ ^(١) * أَمَعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا إِلَى لِسَانِي ^(٢)
 أَمَعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكَتُمْ فَأَسْجَحُوا ^(٣) * فَإِنْ أَسَارِي لَمْ يَكُنْ مِنْ تَوَانِيَا
 وَقَدْ عَلِمْتَ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنِّي * أَنَا اللَّيْتُ مَعْدِيَا عَلَيْهِ وَعَادِيَا

ومنها :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ * لِحَيْلٍ كَرَى قَاتِلِي عَنْ رَجَالِيَا ^(٤)
 وَلَمْ أَسْبِأِ الزَّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ * لَا يَسَارِ صَدِيقٌ أُعْظِمُوا ضَوْءَ نَارِيَا ^(٥)
 قال : فلما ضربت عنقه قالت أبنَةُ مَصَاد : بُؤِ بِمَصَاد ! فقال بنو النعمان :
 يَا لَكَاع ! نحن نشتره بأموالنا ونبيؤ بمَصَاد ، فوقع بينهم في ذلك الشر ،
 ثم أصطلحوا .

(١) ذكر أبو علي القالي في أماليه (ج ٣ ص ١٣٣ طبع دار الكتب المصرية) ما نصه : «وقوله : وقد شددوا لسانى بنسعة ، قال : هذا مثل ، لأن الإنسان لا يشد ، بنسعة ، وإنما أراد : اقلعوا بي خيرا ينطلق لسانى بشركم ، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لا يقدر على مدحكم» .

(٢) أسجحوا : أى سهلوا ويسروا فى أمرى .

(٣) رواية الأمالى :

* فَإِنْ أَخَاكُمْ يَكُنْ مِنْ بَوَانِيَا .

قال : البواء : السواء ، يريد إن أخاكم لم يكن نفعيا لى فأكون بواء له .

(٤) كرى : نفسى .

(٥) السباء : اشتراء الخمر .

(٦) بؤ بهلان ، أى اذهب به ، يقال ذلك نقنول بمن قتل .

(١)

يَوْمُ طَخْفَةِ^(٢)

قال : كانت الرفادة ، وقيل الردافة ، ردافة الملوك لعنّاب بن هرّمي بن رياح ، ثم كانت لقيس بن عتاب ، فسأل حاجب بن زرارة النعمان أن يجعلها للحارث بن مرط بن سفيان بن مجاشع ، فسألها النعمان بن يربوع وقال : أعقبوا إخوتكم في الرفادة ، قالوا : إنهم لا حاجة لهم فيها ، وإنما سألها حاجب جسدًا لنا وأبوا عليه ، فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان : إن بني يربوع لا يسلّمون رداقتهم إلى غيرهم . وقال حاجب : إن بعث الملك إليهم جيشا لم يمنعه ولم يمتنعوا . فبعث النعمان إليهم قابوسًا ابنه ، وحسان بن المنذر ، فكان قابوس على الناس ، وحسان على المقدمة ، وبعث معهم الصنائع والوضائع — فالصنائع : من كان يأتيه من العرب ، والوضائع : المقيمون بالحيرة — فالتقوا بطخفة ، فأنهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فمقره ، وأخذه ليجز ناصيته ، فقال قابوس : إن الملوك لا تجز نواصيها ، فجهزه وأرسله إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر ابن عمرو الرياحي ، ثم من عليه وأرسله ، ففى ذلك يقول مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعد ما * رأى القوم منه الموت والخيّل تلح^(٣)
عليه دلاص ذات نسج سيفه * جرّاز من الهنديّ أبيض مقضب^(٤)

(١) طخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

(٢) الردافة : كانت الردافة بمنزلة الوزارة . وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردّفه وراءه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فنصرف إليه كأم الملك إذا شرب ، وله ربع غنيمة الملك من كل غزوة يغزو ، وله إمارة على كل من في طاعة الملك .

(٣) تلح : تلهت .

(٤) الدلاص من الدرّوع : اللينة .

(١)
يَوْمُ فَيْفِ الرِّيحِ

قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحارث بن كعب ، وقبائل من مراد وجُعْفَى وزُبَيْد وخَثَم ، وعليهم أنس بن مُدْرِك ، وعلى بنى الحارث الحَصِين ، فأغاروا على بنى عامر بن صعصعة بفَيْفِ الرِّيح ، وعلى بنى عامر ، عامر بن مالك مُلَاعِبُ الأَسِنَّة .

قال : فأقتل القوم ، فكسروهم ، وأرفضت قبائل من بنى عامر ، وصبرت بنو نمر ، وأقبل عامر بن الطفيل وخلفه دُعَى بنى جعفر فقال : يا معشر الفتيان ، من ضرب ضربة أو طعن طعنة فليشهدنى [فكان^(٢)] الفارس إذا ضرب ضربة أو طعن طعنة ، قال عند [ذلك] : أباعلى ، فبينا هو كذلك إذ أتاه مُسَهْر بن يزيد الحارثى ، فقال له من ورائه : عندك يا عامر والريح عند أذنه فوهصه — أى طعنه — ، فأصاب عينه ، فوثب عامر عن فرسه ونجا على راحلته ، وأخذ مسهر ربح عامر ، ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل من أبيات :

لَعَمْرى وما عَمَرى على بهَيْنٍ * لقد شَانَ حَرَّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسَهْرٍ
وقال مُسَهْر — وقد زعم أنهم أخذوا امرأة عامر — :

(٤)
وَهَضْتُ بِمُحْرِصِ الرِّيحِ مُقَلَّةَ عَامِرٍ * فَأَضْحَى نَحِيفًا فِي النَّوَارِسِ أَعْوَرًا
وَعَادَرَفِينَا رُفْحَهُ وَسِلَاحَهُ * وَأَذْبَرِيدُعُو فِي الْهَوَالِكِ جَعْفَرًا
وَكُنَّا إِذَا قَيْسِيَّةٌ ذَهَبَتْ بِنَا * جَرَى دَمْعُهَا مِنْ عَيْنِنَا فَتَحَدَّرَا
مَخَافَةَ مَا لَاقَتْ حَلِيلَةَ عَامِرٍ * مِنَ الشَّرِّ إِذْ سَرَّهَا قَدْ تَعَقَّرَا

(١) فَيْفِ الرِّيحِ : موضع بأعلى نجد . (٢) النكلة من العقد الفريد .

(٣) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٤٧ طبع دار الكتب المصرية) : « مسهر بن زيد » .

(٤) نوحى الرِّيح : سناه .

قال : وكانت هذه الواقعة وقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
وأدرك مُسَيَّرُ بْنُ يَزِيدَ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمَ .

يَوْمُ زُرُودِ الْأَوَّلِ

غزا الحَوْفَرَانُ حَتَّى آتَنِي إِلَى زُرُودٍ خَلْفَ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِهَا ، فَأَغَارُوا عَلَى نَعِيمٍ
كَثِيرٍ لِبَنِي عَبْسٍ فَأَجْتَازُوهَا ، وَآتَى الصَّرِيحُ^(٢) لِبَنِي عَبْسٍ فَرَكِبُوا ، وَلَحِقَ عِمَارَةُ بْنُ زِيَادٍ
الْعَبْسِيُّ الْحَوْفَرَانِ فَعَرَفَهُ — وَكَانَتْ أُمُّ عِمَارَةَ قَدْ أَرْضَعَتْ مُضَرَ بْنَ شَرِيكَ ، وَهُوَ
أَخُو الْحَوْفَرَانِ — فَقَالَ : يَا بَنِي شَرِيكَ ، قَدْ عَلِمْتُمْ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، قَالَ الْحَوْفَرَانُ —
وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكَ — : صَدَقْتَ يَا عِمَارَةَ ، فَانْظُرْ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ نَحْنُذُهُ ، فَقَالَ
عِمَارَةُ : لَقَدْ عَلِمْتُ نِسَاءَ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ أَتَى لَنَا أَمْلًا أَبْدَى أَزْوَاجَهُنَّ وَأَبْنَاءَهُنَّ
شَفِيقَةً عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمَوْتِ ، فَحَلَّ عِمَارَةَ لِعَارِضِ النَّعَمِ لِيَرِدَّهُ ، وَحَالَ الْحَوْفَرَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
النَّعَمِ ، فَعَثَرَتْ بِعِمَارَةَ فَرُسُهُ فَطَعَنَهُ الْحَوْفَرَانُ ، وَطَعَنَهُ نَعَامَةٌ^(١) بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكَ :
وَأَسْرَأْنَا عِمَارَةَ : سِنَانٌ وَشَدَادٌ ، وَكَانَ فِي بَنِي عَبْسٍ رَجُلَانِ مِنْ طَيْيٍّ : أَبْنَانُ لِأَوْسٍ
ابْنِ حَارِثَةَ ، مَجَاوِرِينَ لَهُمْ ، وَكَانَ لَهَا أَخٌ أَسِيرٌ فِي بَنِي يَشْكُرَ ، فَلَمَّا فَقَدَتْهُ بَنُو شَيْبَانَ
نَادَوْا : يَا نَائِرَاتِ مَعْدَانَ ! فَعِنْدَ ذَلِكَ قَتَلُوا أَبْنَى عِمَارَةَ وَهَرَبَ الطَّائِمَانِ بِأَسِيرِهِمَا .
فَلَمَّا بَرَأَ عِمَارَةَ مِنْ جِرَاحِهِ أَتَى طَيْيًّا فَقَالَ : ادْفَعُوا إِلَيَّ هَذَا الْكَلْبَ الَّذِي قَتَلْنَا بِهِ ،
فَقَالَ الطَّائِيُّ لِأَوْسٍ : ادْفَعْ إِلَى بَنِي عَبْسٍ صَاحِبَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : تَأْمُرُنِي أَنْ أُعْطِيَ
بَنِي عَبْسٍ قِطْرَةً مِنْ دَمِي ، وَإِنْ أَبْنَى أَسِيرٌ فِي بَنِي يَشْكُرَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو فَكَاكِهِ

(١) زُرُود : رمال بطريق الحاج من الكوفة .

(٢) الصَّرِيحُ : المستغيث .

لألهذا . فلما قفل الحوقزان من غزوه بعث الى بنى يشكر فى ابن أوس ، فبعثوا به اليه ، فأفندى به معدان ، وقال نعمة بن شريك :

امْتَرَلْتُ رِمَاحُنَا سِنَانًا * وَشَبَخْنَا بِطِخْفَةٍ عَنَانَا
ثم أخوه قد رأى هَوَانًا * لَمَّا فَقَدْنَا بَيْنَنَا مَعْدَانَا

يَوْمُ غَوْلِ الْأَوَّلِ

وهو يوم كَنِيل

قال أبو عبيدة : أقبل أبنا هجيمة - وهما من غسان - فى جيش فترلا فى بنى يربوع ، فجاورا طارق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع ، فترلا معه على ماء يقال له : كَنِيل ، فأغار عليهما أناس من ثعلبة بن يربوع ، فاستاقوا نَعْمَهما وأسرّوا من كان فى النّعم ، فركب قيس بن هُجَيْمَةَ بخيله حتى أدرك بنى ثعلبة ، فكَرَّ عليه عُتَيْبَةُ بن الحارث ، فقال له قيس : هل لك يا عُتَيْبَةُ الى البراز؟ قال : ما كنت لأسأله وأدعه ، فبارزه ، قال عُتَيْبَةُ : فما رأيت فارسا أملا لعيني منه ، فطعننى فأصاب قربوس سرجى ، حتى وجدتُ مسَّ السَّنان فى باطن لحذى ، ثم أرسل الرِّمْحَ وهو يرى أن قد أثبتنى [وأنصرف ^(١)] فأتبعته الفرس ، فلما سمع زَجْلَهَا رجع جانحا على قربوس سرجه ، وبدأ الى فرج الدَّرْعِ فطعنته بالرِّمْحِ ، فقتلته وأنصرفت ^(٢) . فلحقَتُ النّعم ، وأقبل الهرمأس بن هُجَيْمَةَ فوقف على أخيه قتيلًا ، ثم أتبعنى فقال : هل لك فى البراز؟ فقلت : لعل الرجعة خيرُ لك ، قال : أبعد قيس؟ ثم شدَّ على وضربنى على البيضة ، فخلص السيف الى رأسى ، فضربته فقتلته ، فقال جرير :

وساقَ أبى هُجَيْمَةَ يَوْمَ غَوْلِ * الى أسيافنا قَدَرُ الْحِمَامِ

(١) الكلمة من العقد الفريد .

(٢) الزجل : الصوت .

(١)

يَوْمُ الْجُبَابَاتِ

قال أبو عبيدة: خرج بنو ثعلبة بن يربوع فرؤا بناس من طوائف بكر بن وائل بالجُبَابَاتِ، خرجوا سُقَارًا، فَنَزَلُوا وَسَرَّحُوا إِبِلَهُمْ تَرعى، وفيها نفرٌ منهم يرعونها، منهم: سَوْدَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ يُحْيَى الْعِجْلِيّ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ، وَكَانَ مَحْمُومًا، فَمَرَّتْ بَنُو ثَعْلَبَةَ بَنُ يَرْبُوعَ بِالْإِبِلِ فَأَطْرَدُوهَا وَأَخَذُوا الرَّجُلَيْنِ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ، فَسَأَلُوهُمَا: مَنْ مَعَكُمَا؟ قَالَا: معنا شيخٌ من يَزِيدَ بْنِ يُحْيَى الْعِجْلِيّ فِي عَصَابَةٍ مِنْ بَكْرٍ وَائِلٍ خَرَجُوا سُقَارًا يَرِيدُونَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ الرَّبِيعُ وَدَعْمَوْصُ ابْنَا عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ: انْذَهَبْ بِهِذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَهَذِهِ الْإِبِلُ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَنْ أَخَذَهَا، ارْجِعُوا بِنَا حَتَّى يَعْلَمُوا مَنْ أَخَذَ إِبِلَهُمْ وَصَاحِبِهِمْ لِنُعْنِيَهُمْ بِذَلِكَ، فَقَالَ عَمِيرَةُ لَهَا: مَا وَرَاءَ كَمَا إِلَّا شَيْخُ ابْنِ يَزِيدَ قَدْ أَخَذْتُمَا أَخَاهُ وَأَطْرَدْتُمَا إِبِلَهُ، دَعَاهُ، فَأَيَّاهُ وَرَجَعَا إِلَيْهِ وَأَخْبَرَاهُ وَتَسْمِيَاهُ لَمْ، فَرَكِبَ شَيْخُ ابْنِ يَزِيدَ فَأَتَبَعَهُمَا وَقَدْ وَلَّيَا، فَلَحِقَ دَعْمَوْصًا فَأَسْرَهُ، وَمَضَى رَبِيعٌ حَتَّى أَتَى عَمِيرَةَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ أَخَاهُ قَدْ قُتِلَ، فَرَجَعَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا الْخُنْسَاءُ حَتَّى لَحِقَ الْقَوْمَ، فَأَتَتْكَ مِنْهُمْ دَعْمَوْصًا عَلَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَخَاهُمْ وَإِبِلَهُمْ، فَرَدَّهَا إِلَيْهِمْ، فَكَفَّرَ بَنُو عُتَيْبَةَ وَلَمْ يَشْكُرُوا عَمِيرَةَ: فَقَالَ عَمِيرَةُ فِي ذَلِكَ:

أَلَمْ تَرَدْ دَعْمَوْصًا يَصُدُّ بِوَجْهِهِ * إِذَا مَا رَأَى مُقْبِلًا لَمْ يُسَلِّمْ
أَلَمْ تَعْلَمَا يَا ابْنَتِي عُتَيْبَةَ مَقْدِمِي * عَلَى سَاقِطٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مُسَلِّمٍ
فَعَارَضْتُ فِيهِ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَرَعْتُهُ * جَهَارًا وَلَمْ أَنْظُرْ لَهُ بِالتَّلَوِّمِ

يَوْمُ الشَّعْبِ

غزا قَيْسُ بْنُ شَرْقَاءِ النَّغْلِيّ، فَأَغَارَ عَلَى بَنِي يَرْبُوعَ بِالشَّعْبِ، فَأَقْتَلُوا، فَأَنْهَزَتْ بَنُو يَرْبُوعَ، فَأَسْرَ سُهَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرَّيَاحِيّ، فَقَالَ سُهَيْمٌ فِي ذَلِكَ:

(١) الجُبَابَاتُ: موضع بين ديار بكر والبحرين.

أَقُولُ لَهُم بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي * أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي أَبْنُ فَارِسٍ زَهْدَمَ
فَقَدَيْتُ نَفْسَهُ ، وَأَسِيرًا يَضَاهُمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ ، فَوَدَّ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ عَلَى قَيْسِ بْنِ شَرْقَاءَ
فِي قَدَائِهِ فَقَالَ :

هَلْ أَنْتَ يَا قَيْسُ بْنُ شَرْقَاءَ مُنْعِمٌ * أَوِ الْجَهْدُ إِنْ أُعْطِيَتْهُ أَنْتَ قَابِلُهُ
فَلَمَّا رَأَى وَسَامَتَهُ قَالَ : بَلْ مُنْعِمٌ ، فَأُطْلِقَهُ لَهُ .

يَوْمُ غَوْلِ الثَّانِي

فِيهِ قَتَلَ طَرِيفُ شَرَاهِيلَ وَعَمْرُو بْنُ مَرْثَدَ الْمُحَلَّمِيَّ
غَزَا طَرِيفُ بْنُ هَشِيمٍ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ تَمِيمٍ ، فَأَغَارَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ بِقَتُولِ ،
فَأَقْتَلُوا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا أَنْهَزَمَتْ ، فَقَتَلَ طَرِيفُ شَرَاهِيلَ أَحَدَ بَنِي رَبِيعَةَ ، وَقَتَلَ
أَيْضًا عَمْرُو بْنُ مَرْثَدَ ، وَقَتَلَ الْمُجَشَّرَ .

(١) يَوْمُ الْخَنْدَمَةِ

كَانَ رَجُلٌ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ يُحِذُ حَرْبَةً يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمْرَأَتُهُ :
مَا تَصْنَعُ بِهِذِهِ ؟ قَالَ : أَعِدُّنَهَا لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ! [فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَرَى أَنَّهُ يَقُومُ
لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ] فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَكَ بَعْضَ نِسَائِهِمْ ، وَأَنْشَأُ
يَقُولُ :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَبِإِلَى عَلَّةٍ * هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ
* وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَةِ *

(١) الخندمة : اسم جبل بمكة .

(٢) التكمة من العقد الفريد وهو جمع ما استعجم للبكرى في كلامه على الخندمة .

فلما لقيهم خالد [بن الوليد ^(١)] يوم الحَنْدَمَةِ أنهزم الرجلُ لا يلوي على شيء ،
فلامته أمرأته في ذلك ، فقال :

إِنَّكَ لَوَشِئْتَ يَوْمَ الْحَنْدَمَةِ * إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ
وَلَقَيْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ * يَفْلِقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمَّةٍ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا غَمَمَةٌ * لَمْ تَنْطِقْ فِي الْأَيَّامِ أَذْنَى كَلِمَةٍ
وهذه القصة نذكرها - إن شاء الله - في أثناء السيرة النبوية في يوم فتح مكة .

يَوْمُ اللَّهِجَاءِ ^(٢)

قال أبو عبيدة : كان سبب الحرب التي كانت بين [عمرو بن الحارث بن تميم
ابن سعد بن هذيل ، وبين عمرو ^(٣)] بن عدى بن الدئل بن بكر بن عبد مئة ، أن
قيس بن عامر بن غريب أخا بني عمرو بن عدى وأخاه سالما ، خرجا يريدان
بني عمرو بن الحارث ، على فرسين ، يقال لأحدهما : اللعاب ، والآخر : عَفَزَر ، فباتا
عند رجل من بني قنانة ، فقال الثَّقَافِيُّ لقيس وأخيه : أطيعاني وارجعاً ، لأعرفن
وماحكما تُكسروا قتاد تمان ، قالاً : إِنَّ رِمَاحَنَا لَا تُكْسَرُ إِلَّا فِي صَدُورِ الرِّجَالِ !
قال : لَا يَضُرُّكَ ، وسحمدان أمرى ، فأصجعا غادين . فلما شارفا مَتَنَ اللَّهِجَاءِ
من تمان ، وبنو عمرو بن الحارث قَوَّيَ ذلك بموضع يقال له أُدَيْمَةُ ، وأغاروا على
غم لجندب بن أبي أعيس ، وفيها جندب ، فتقدم إليه قيس ، فرماه جندب على
حلبة يديه وبجبهه قيس بالسيف فأصاب ضبة السيف وجه جندب ، وحز قيس

(١) النكبة من العهد الفردي .

(٢) النكبة من العهد الفردي .

(٣) كذا في مصر ما استعمل البكري على لفظ التفسير معدوداً . وفي الأصول ورد بمضمر .

ونفرت الغنم نحو الدار فتبعها وحمل سالم على جندب بفرسه عفرز ، فضرب جندب
خطم الفرس بالسيف فقطعه ، وضربه سالم بالسيف فقطع إحدى يديه ، فخر
جندب ووقف عليه سالم ، وأدرك العشي سالماً ، فخرج وترك سيفه في المعركة وثوبه
بحقيقويه ، ولم ينج إلا بجفن سيفه ومثريه فقال حذيفة بن أنيس في ذلك من
أبيات :

كَشَفْتُ غِطَاءَ الْحَرْبِ لَمَّا رَأَيْتُهَا * تَمِيلُ عَلَى صَفْوٍ مِنَ اللَّيْلِ أَعْمَرَا
أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضًّا * وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرًا
وَيَمْشِي إِذَا مَا الْمَوْتُ كَانَ أَمَامَهُ * كَذَا الشَّيْبُ يَحْيِي الْأَنْفَ أَنْ يَتَأَخَّرَا
بِجَنَاحِ سَالِمٍ وَالنَّفْسُ مِنْهُ شَرْقِيَّةٌ * وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفْنُ سَيْفٍ وَمِثْرَا
وَطَابَ عَنْ اللَّعْنَابِ نَفْسًا وَرِمَةً * وَغَادَرَ قَيْسًا فِي الْمَكْرِ وَعَفْرَا

يوم خزاز

قال أبو عبيدة : تنازع عامر ومسمع أبنا عبد الملك ، وخالد بن جبلة ،
وإبراهيم بن محمد بن نوح العطاردي ، وغسان بن عبد الحميد ، وعبد الله بن
سالم الباهلي ، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاحرون
ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز . فقال خالد بن جبلة : كانت الأحوص
ابن جعفر الرئيس . وقال عامر ومسمع : كان الرئيس كليب وائل . وقال
ابن نوح : كان الرئيس زرار بن عدس ، وهذا في مجلس أبي عمرو بن العلاء ،
فتحاكموا إليه فقال : ما شهدها عامر بن صعصعة ، ولا دارم بن مالك ، ولا جشم بن
بكر ، اليوم أقدم من ذلك ، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يحمي ومعه
كاتبٌ وطنفسة يقعد عليهما ، فيأخذ من أموال زرار ما شاء ، كمال حنقاتهم اليوم .

وكان أول يوم أمتعت مَعْدً عن [الملوك] ^(١) : ملوك حِمْيَر، وكانت نزار لم تكثر بعد،
 فأوقدوا نارا على خراز ثلاث ليال، ودخنوا ثلاثة أيام، فقبل له : وما خراز ؟ قال :
 هو جبل [قريب من أَمْرَةٍ على يسار الطريق] ^(١) خلفه صحراء مَنَعِج ^(٢)، ففي ذلك اليوم
 أمتعت نزار من أهل اليمن، قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في خراز * رفدنا فوق رفد الرافدينَا
 فكنا الأيمنين إذا التقينا * وكان الأيسرين بنو أينا
 فصألوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا
 فأبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينَا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب وأئل قائدهم ورئيسهم ما أذعى
 الرفادة وترك الرئاسة .

يوم النّسار

قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطى و غطفان ، ولحقت بهم ضبة وعدي ،
 فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلا شديدا ، فغضبت بنو تميم لمقتل بني عامر ، فتجمعوا حتى
 لحقوا طيئا و غطفان وحلفاءهم من ضبة وعدي يوم الفجار ، فقتلت تميم [طيئا] ^(١) أشد
 مما قتلت عامر يوم النّسار ، فقال بشر بن أبي خازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النّسار فأعقبوا بالصّيلم

يوم ذات الشقوق

قال : خلف ضمرة بن ضمرة النهشلي وقال : النمر على حرام حتى يكون لنا يوم
 يكافئه ، فأغار عليهم يوم ذات الشقوق فقتلهم وقال في ذلك :

(١) الذكوة من العقد الفريد . (٢) منعج : على مقربة من حى ضرية .

الآن سَاعَ لِي الشَّرَابُ وَلَمْ أَكُنْ * آتَى الْفِجَارَ وَلَا أَشَدُّ تَكَلُّمِي
 حَتَّى صَبَحْتُ عَلَى الشُّقُوقِ بَغَارَةً * كَالْقَمَرِ تُنْثَرُ فِي جَرِينِ الْحَرَمِ^(١)
 وَأَنَاتُ يَوْمًا بِالْفِجَارِ بِمِثْلِهِ * وَأَجَزْتُ نَصْفًا مِنْ حَدِيثِ الْمَوْسَمِ
 وَمَشَتْ نِسَاءُ كَالنِّسَاءِ عَوَاطِلًا * مِنْ بَيْنِ عَارِفَةِ النِّسَاءِ وَأَيِّمِ
 ذَهَبَ الرَّمَا حُ يَزُوجُهَا فَرَكْنَهُ * فِي صَدْرِ مُعْتَدِلِ الْفَنَاءِ مُقَوِّمِ

يَوْمَ خَو

قال أبو عبيدة : أغارت بنو أسد على بني يربوع فاكْتَسَحُوا^(٢) إبلَهُمْ ، فأتى
 الصريحُ الحَيَّ فلم يتَلَحَّضُوا إِلَّا مَسَاءً بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ خَو ، وَكَانَ ذُوَابُ بْنُ رُبَيْعَةَ
 الْأَسَدِيِّ عَلَى فَرَسٍ أُخِي ، وَكَانَ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ عَلَى خَصَانٍ يَسْتَفْشِي
 رِيحَ الْأَنْثَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَيَتَّبِعُهَا ، فَلَمْ يَعْلَمْ عُتَيْبَةُ إِلَّا وَقَدْ أَحْمَقَ فَرَسُهُ عَلَى ذُوَابِ
 ابْنِ رُبَيْعَةَ ، وَعُتَيْبَةُ غَافِلٌ لَا يَنْصَرُّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَرَأَاهُ ذُوَابٌ فَطَعَنَهُ فِي نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ ،
 وَلَحِقَ الرَّبِيعُ بْنُ عُتَيْبَةَ فَشَدَّ عَلَى ذُوَابٍ فَأَسْرَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيهِ ، فَلَمْ يَزَلْ
 عِنْدَهُ أَسِيرًا حَتَّى فَادَاهُ أَبُوهُ رُبَيْعَةُ بِإِبِلٍ فَاطْمَعَهُ عَلَيْهَا ، وَتَوَاعَدَا بِسُوقِ عَمَّكَاطِ
 فِي الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا بِالْإِبِلِ وَهَذَا بِالْأَسِيرِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو ذُوَابٍ بِالْإِبِلِ ،
 وَشُغِلَ الرَّبِيعُ بْنُ عُتَيْبَةَ فَلَمْ يَحْضُرْ سُوقَ عَمَّكَاطِ ، فَظَنَّ رُبَيْعَةُ أَبُو ذُوَابٍ أَنَّ ذُوَابًا
 قُتِلَ بِعُتَيْبَةَ ، فَقَالَ يَرِثِيهِ :

أَبْلَغُ قَبَائِلَ جَعْفَرٍ مَخْصُوصَةً * مَا إِنْ أَحَاوُلُ جَعْفَرَ بْنَ كِلَابِ
 إِنْ الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَادَّةَ بَيْنَنَا * خَلَقَ كَسَحَقِ الرِّبْطَةِ الْمُتَنَجَّابِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى التَّجَلُّدِ وَالْأَمْسَى * أَنَّ الرِّزْيَةَ كَانَ يَوْمَ ذُوَابِ

(١) الجرين : موضع النهر الذي يجفف فيه . (٢) خَو : كتيب معروف بجند بين ديار
 بني أسد وديار بني يربوع .

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكَتْ بَيُوتَهُمْ * يُعْتَبَنَ بن الحَارِث بن شَهَاب
بِأَحْبَبِهِمْ فَقَدًا عَلَى أَعْدَائِهِ * وَأَشَدَّهُمْ فَقَدًا عَلَى الْأَصْحَابِ^(١)
فلما بلغ إليهم الشعر قتلوا ذُوَابَ بن ربيعة .

أَيَّامُ الْفَجَارِ^(٢) الفجار الأول

قال أبو عبيدة : أَيَّامُ الْفَجَارِ عِدَّةٌ ، فَأُولَها بَيْنَ كَنَانَةَ وَهَوَازِنَ . وَكَانَ الَّذِي هَاجَهُ
أَنْ بَدَرَ بنَ مَعْشَرٍ أَحَدِ بَنِي عَقَالِ بنِ مُلَيْكِ بنِ ضَمْرَةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كَنَانَةَ
جَعَلَ لَهُ مَجْلِسًا بِسُوقِ عُكَاظَ ، وَكَانَ مَنِيْعًا فِي نَفْسِهِ ، فَقَامَ فِي الْمَجْلِسِ وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ
قَاتِمٌ وَأَنشَأَ يَقُولُ :

نَحْنُ بَنُو مُدْرِكَةَ بنِ خَيْدِفٍ * مَنْ يَطْعَمُنَا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرِفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يَنْطَرِفُ^(٣) * كَانَتْهُمْ لِحَّةٌ بِحَجْرِ مُسْدِفٍ^(٤)

قال : وَمَدَّ رِجْلَهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنِّي فَلْيَضْرِبْهَا ،
فَضْرِبْهَا الْأَحْيَمَرُ بنُ مَازِنٍ أَحَدِ بَنِي دُهْمَانَ بنِ نَضَرَ بنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَنْدَرَهَا مِنَ الرِّكْبَةِ^(٥)

(١) كذا في المقد الفريد . وفي الأصول : « الى » .

(٢) سميت الفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وهي الشهور التي يحرمونها . فحجروا فيها ، وهي
بفاران ، الفجار الأول ثلاثة أيام ، والفجار الثاني خمسة أيام في أربع سنين ، وقد حضر النبي صلى الله
عليه وسلم يوم عكاظ مع أعمامه وكان يارلهم النبل ، وانتهت سنة ٥٨٩ م .

(٣) الفطريف والظارف : السيد الشريف الدعي الكبير الخبير .

(٤) مسدوف : مظل .

(٥) أندرها : قطعها .

وقال : خذها إليك أيها المخنذف ! قال أبو عبيدة : إنما خرصها خرصية بسيرة
وقال في ذلك :

تَحْنُ بَنُو دُهْمَانَ ذُو النَّغَطْرِفِ * بَحْرٌ لِبَحِيرٍ زَاخِرٍ لَمْ يُسْتَرْفِ
[* تَبْنَى عَلَى الْأَحْيَاءِ بِالْمُعْرِفِ *]^(١)

قال أبو عبيدة : فتجاوز الحَيَان عند ذلك حتى كاد يكون بينهم قتال ، ثم
تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

الفَجَارُ الثَّانِي

قال : كان الفجار الثاني بين قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وكان الذي هاجه أن فَيَّةَ من
قُرَيْشٍ قَعَدُوا إِلَى أَمْرَاءِ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ وَضَيْئَةَ بِسُوقِ عُكَاظَ . وقالوا :
بل أطاف بها شبابٌ من بني كَنَانَةَ وعليها برقع [فاعجبهم ما رأوا من هيئتها]^(١) ،
فسألوها أن تسفرن عن وجهها ، فأبت عليهم ، فأتى أحدهم من خلفها فشَدَّ دُبُرَ رِجْلِهَا
بِسُوكَةٍ إِلَى ظَهْرِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي ، فلما قامت تَقْلُصُ الدَّرْعُ عَنْ دُبُرِهَا ، فَضَحَكُوا
وقالوا : منعنا النظر إلى وجهها فقد رأينا دُبُرَهَا ، فنادتِ المرأةُ : يَا آلَ عَامِرِ !
فتجاوز الناسُ ، وكان بينهم قتالٌ ودماءٌ يسيرة ، فحملها حربٌ بنُ أُمَيَّةٍ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ .

الفَجَارُ الثَّالِثُ وَهُوَ بَيْنَ كَنَانَةَ وَهَوَازِنَ

وكان الذي هاجه أن رجلا من بني كَنَانَةَ كان عليه دَيْنٌ لرجل من بني نَضْرِينَ
مَعَاوِيَةَ ، فَأَعْدَمَ الْكَنَانِيُّ ، فَوَافَى النَّضْرِيُّ بِسُوقِ عُكَاظَ بِقَرْدٍ ، فَأَوْقَفَهُ فِي سُوقِ
عُكَاظَ فَقَالَ : مَنْ يَبْعُنِي مِثْلَ هَذَا بِمَا لِي عَلَى فُلَانٍ حَتَّى أَكْثُرَ فِي ذَلِكَ . وَإِنَّمَا
فَعَلَ ذَلِكَ تَعْيِيرًا لِلْكَنَانِيِّ وَلِقَوْمِهِ ، فَتَرَبَّهَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَنَانَةَ فَضْرَبَ الْقَرْدَ بِالسِّيفِ

١٣٨
١٣

(١) التكملة من العقد الفريد .

فقتله، فهتف النضرى: يا آل هوازن! وهتف الكنانى: يا آل كنانة! فهاج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال، ثم رأوا الخطب يسيرا فراجعوا.
قال أبو عبيدة: إنما سُميت هذه الأيام بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم، وهى الشهور التى يحترمونها، وهذه يقال لها أيام الفجار الأول.

الفجار الآخر وهو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن

وإنما هاجها البراض بقتله عمروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، فابت أن تقتل عمروة البراض لأن عمروة سيد هوازن، والبراض خلع من بنى كنانة، وأرادوا أن يقتلوا به سيّدا من قريش.

وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة" يعنى أنا ولهم النبل.

وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة كان يبعث الى سوق عكاظ في كل عام لطيمة^(١) في جوار رجل شريف من أشرف العرب يُجيرها له، حتى تباع هنالك ويشترى له بها من آدم الطائف ما يحتاج إليه. وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذى القعدة، فيستوفون إلى حضور الحج، ثم يحجّون، فتهز النعمان غير اللطيمة ثم قال: من يُجيرها؟ فقال البراض بن قيس الضمرى: أنا أُجيرها على بنى كنانة، فقال النعمان: ما أريد إلا رجلا يُجيرها على أهل نجد وتهامة، فقال عمروة الرحال - وهو يومئذ رجل هوازن - أكاب خلع يجيرها لك؟ أبيت اللعن! أنا أُجيرها لك على أهل الشَّيح والقيصوم من أهل

(١) اللطيمة: ميراثى تحمل الطيب ويزن النجار.

نجدد وتهامة ! فقال البرّاض : أعلّ بني كأنه تُجبرها بأُعرُوة ؟ قال : وعلى الناس
كلهم ! فدفعها النعمان إلى عُروّة ، فخرج بها وتبعه البرّاض ، وعُروّة لا يخشى منه
شيئا ، إلى أن نزل بارض يقال لها أُوارة^(١) ، فشرّب من الخمر وغتته قينةً ، ثم نام ،
بجاء البرّاض فدخل عليه ، فناشده عُروّة وقال : كانت منى زلة ، وكانت للفيلة
منى ضلة ، فقتله وخرج وهو يرتجز ويقول :

قَدْ كَانَتِ الْفِيلَةُ مِنيَّ ضَلَّةً * هَلَّا عَلَى غَيْرِي جَعَلَتِ الزَّلَّةُ
* فَسَوْفَ أَعْلُو بِالْحُسَامِ الْقُلَّةُ *

وقال :

وَدَاهِيَةُ يَهَالُ النَّاسِ مِنْهَا * شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي
هَتَكْتُ بِهَا بِيوتَ بَنِي كَلَابٍ * وَأَرْضَعْتُ الْمِوَالِي بِالضُّرُوعِ
جَمَعْتُ لَهُ يَدَيَّ بِنَصْلِ سَيْفٍ * أَفَلْ نَحَرْتُ كَالْخَذِيعِ الصَّرِيعِ

وَأَسْتَأقِ اللَّطِيمَةَ إِلَى خَيْبَرٍ ، وَآتَبِعُهُ الْمَسَاوِيرُ بْنُ مَالِكِ الْعَطَفَانِي ، وَأَسَدُ بْنُ خَيْمٍ
الغَنَوِيّ حَتَّى دَخَلَ خَيْبَرَ ، فَكَانَ الْبَرَّاضُ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ الرَّجُلَانِ ؟
قَالَا : مَنْ غَطَفَانَ وَغَنِيّ . قَالَ الْبَرَّاضُ : مَا شَأْنُ غَطَفَانَ وَغَنِيّ هَذَا الْبَلَدِ ؟ قَالَا :
وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ أَهْلُ خَيْبَرٍ . قَالَا : أَلَمْ عِلِّمُ الْبَرَّاضُ ؟ قَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا
طَرِيدَا خَلِيلَا فَلَمْ يُؤَوِّهِ أَحَدٌ بِخَيْبَرٍ وَلَا أَدْخَلَهُ بَيْتًا . قَالَا : فَايْنَ يَكُونُ ؟ قَالَ : وَهَلْ
لَكُمَا [به] طَافَةٌ إِنْ دَلَلْتُمَا عَلَيْهِ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْزِلَا ، فَتَزَلَا وَعَقِلَا
رَاحِلَتَيْهِمَا . قَالَ : أَيُّكُمَا أَجْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْضَى مَقْدَمًا وَأَحَدُ سَيْفَا ؟ قَالَ الْعَطَفَانِي :
أَنَا . قَالَ : فَأَنْطَلِقْ أَدُلِّكَ عَلَيْهِ ، فَأَنْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا إِلَى خَرِيَّةٍ فِي جَانِبِ خَيْبَرٍ خَارِجَةٍ
عَنِ الْبِيوتِ ، فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْحَرِيَّةِ وَإِلَيْهَا يَاوِي ، فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ

(١) أَرَارَة (بضم أوله وبالراء المهملة) : ماء ددرين الحريب لبني تميم .

(٢) التكلة من العقد الفريد .

أثم هو أم لا ، فوقف له ودخل البراض ثم خرج إليه وقال : هو قائم في البيت الأقصى خلف هذا الجدار ، فهل عند سيفك صرامة ؟ قال : نعم . قال : هات سيفك أنظر إليه أصارم هو ؟ فأعطاه سيفه ، فهزه البراض ثم ضربه فقتله ، ووضع السيف خلف الباب وأقبل إلى الغنوي فقال : ما وراءك ؟ قال : أجبن من صاحبك ، تركته قائما في البيت الذي فيه الرجل ، والرجل نائم لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه ، قال الغنوي : يا لهفاه ! لو كان لي من ينظر راحلتينا ، قال البراض : هما على إن ذهبتا ، فأنطلق الغنوي والبراض خلفه حتى إذا جاور الغنوي باب الخربة أخذ البراض

السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما وأنطلق .
٩

وبلغ قريشا خبر البراض بسوق عكاظ ، فخلصوا نجيا ، وأتبعهم قيس لما بلغهم أن البراض قتل عروة الرحال ، وعلى قيس أبو براء عامر بن مالك ، فأدركوهم وقد دخلوا الحرم ، فنادوهم : يا معشر قريش ، إنا نعاهد الله ألا نبطل دم عروة أبدا ، أو نقتل به عظيما منكم ، وميعادنا معكم هذه الليلة من العام القابل ، فقال حرب بن أمية لأبي سفيان أبنه : قل لهم : إن موعدكم قابل في هذا اليوم ، فقال خدّاش بن زهير في هذا اليوم ، وهو يوم نخلة ، من أبيات أولها :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

وكانت العرب تسمى قريشا سخينة لأكلها السخن .

(١)
يوم شَمْظَة وهو يوم نُخْلَة من الفجار الآخر

قال : بجمعت كنانة قريشها وعبد مناتها والأحباش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمه ، وألبس يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمي السلاح بأداة

(١) شَمْظَة (فتح أوله وإسكان ثانيه بعده ظاء معجمة) : موضع قريب من عكاظ .

(٢) الكمي : النجاع .

كاملة، سوى ما ألبس من قومه، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة.
قال: وجمعت سلم وهوازن وجموعهما وأخلافهما، غير كلاب وبني كعب، فإنها
لم يشهدا يوما من أيام الفجار غير يوم نخلة، فاجتمعوا بشمطة من عكاظ في هذه
الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول، وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها،
وكذلك على قبائل قيس، غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية، وعلى إحدى
محبتيها عبد الله بن جدعان، وعلى الأخرى كُرَيْز بن ربيعة، وحرب بن أمية
في القلب، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي، فزحف بعضهم إلى
بعض، فكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن، حتى إذا كان من آخر
النهار تداعت هوازن وصارت، وأنكشفت كنانة فاستحز القتلى فيهم، فقتل منهم
تحت رايهم مائة رجل، ويقال ثمانون، ولم يقتل من قريش أحد يذكر، فكان
هذا اليوم لهوازن على كنانة.

يوم العبلاء

قال: ثم رجع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول من يوم عكاظ،
والرؤساء عليهم الذين ذكرناهم في يوم شمطة، فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على
كنانة. وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير، قتله مرة بن معتب
الثقفي، وقال رجل من ثقيف:

منا الذي ترك العوام مجندلا * تنابيه الطير لحا بين أحجار

يوم شرب

ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ،
فالتقوا شرب، وهو أعظم أيامهم والرؤساء عليهم وعلى المجنبتين من ذكرنا، وحمل

(١) شرب (يفتح أوله وثانيه بمد باء واحدة، هكذا ثبت الرواية عن أبي الحسن الطوسي فيه،
ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي بكسر الزاء): موضع قرب مكة.

أَبْنُ جَدْعَانَ يَوْمَئِذٍ مَائَةٌ رَجُلٍ عَلَى مَائَةٍ بَعِيرٍ مِمَّنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حِمْلَةٌ ، فَالْتَقَوْا ، وَقَدْ
كَانَ لَهُوَازِنٌ عَلَى كَنَانَةِ يَوْمَانَ مَتَوَالِيَانِ : يَوْمَ شَمْطَةِ وَالْعَبَاءِ ، خَمِشَتْ قَرِيشٌ
وَكَنَانَةٌ ، وَصَابَرَتْ بَنُو مَخْزُومٍ وَبَنُو بَكْرِ ، فَأَنْهَزِمَتْ هَوَازِنٌ وَقُتِلَتْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبْعَرِيِّ يَمْدَحُ بَنِي الْمَغِيرَةِ :

أَلَا لِلَّهِ قَوْمٌ * رَلَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ
هَشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ * مَنَافٍ يَدْرُهُ الْخَصِيمُ^(١)
وَذُو الرُّمَحَيْنِ أَشْبَاكَ * مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ^(٢)
فَهَذَانِ يَدُودَانِ * وَذَا مِنْ كَثِيبٍ يَرْمِي

وَأَبُو عَبْدِ مَنَافٍ : هَاشِمُ بْنُ الْمَغِيرَةِ . وَذُو الرُّمَحَيْنِ : أَبُو رَبِيعَةَ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، قَاتِلُ يَوْمِ
شَرَبِ بَرَمَحِينَ . وَأُمُّهُمْ رَيْطَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ جَدُّهُ الطَّغَانُ :
جَاءَتْ هَوَازِنُ أَرْسَالًا وَإِخْوَتُهَا * بَنُو سَلِيمٍ فَهَابُوا الْمَوْتَ وَأَنْصَرَفُوا
فَاسْتَقْبَلُوا بِضْرَابٍ فَضَّ جَمْعُهُمْ * مِثْلَ الْحَرِيقِ فَمَا عَاجُوا وَلَا عَطَفُوا^(٣)
يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ

ثُمَّ جَمَعَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ وَالْتَقَوْا عَلَى رَأْسِ الْحَوَّلِ بِالْحُرَيْرَةِ ، وَهِيَ حَرَّةٌ إِلَى جَنْبِ
عُكَاظٍ ، وَالرُّؤَسَاءُ عَلَى هَؤُلَاءِ [وَأُولَئِكَ] هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى الْخَنْبَتَيْنِ^(٤)
إِلَّا أَنَّ أَبَا مُسَاحِقَ بْنَ قَيْسٍ الْيَعْمُرِيَّ قَدْ كَانَ مَاتَ ، فَكَانَ بَعْدَهُ عَلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ
ابْنُ كِنَانَةَ أَخُوهُ جُثَامَةُ بْنُ قَيْسٍ ، فَكَانَ يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ لَهُوَازِنٌ عَلَى كِنَانَةٍ ، وَهُوَ آخِرُ
الْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ الَّتِي تَزَاحِفُوا فِيهَا ، فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ أُمَيَّةٍ لِأَخِيهِ خَرَبِ بْنِ أَسَدٍ

(١) المدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وقد أطلق تجوزاً الآن على الخامي .

(٢) يقال : أشباك لفلان ، كما يقال : حبك لفلان .

(٣) الحريرة : موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة . (٤) تشككة من العقد القريني .

أمية ، وقُتل من بني كنانة ثمانية نفر ، قتلهم عثمان بن أمية بن مالك من بني عامر
ابن صعصعة ، وقُتل جماعة آخر ، فقال خدّاش بن زهير :

١٤٠
١٣

إِنِّي مِنَ النَّفَرِ الْمُحَرَّمِ أَعْيُنُهُمْ * أَهْلُ السَّوَامِ وَأَهْلُ الصَّخْرِ وَاللُّوبِ
الطَّاعِينَ نُحُورَ الْخَيْلِ مُقْبِلَةً * يَكُلُّ سَمَرَاءَ لَمْ تُغْلَبْ وَمَغْلُوبِ
وَقَدْ بَلَّوْتُمْ وَأَبْلَوْكُمْ بِلَاءَهُمْ * يَوْمَ الْحُرِيرَةِ ضَرْبًا غَيْرَ تَكْذِيبِ
لَأَقِيمَنَّ مِنْهُمْ أَسَادُ مَلْحَمَةٍ * لَيْسُوا بِزُرَاعَةِ عُوجِ الْعَرَاقِيبِ
فَالآنَ إِنْ تَقْبَلُوا نَأْخُذْ نُحُورَكُمْ * وَإِنْ تَبَاهُوا فَأِنِّي غَيْرُ مَغْلُوبِ

وقال الحارث بن كلدة التقي :

تَرَكْتُ الْفَارِسَ الْبِذَاخَ مِنْهُمْ * تَمَجُّ عُرُوقُهُ عِلْقًا عَيْطًا
دَعَسَتْ لُبَّائِهِ بِالرَّمِجِ حَتَّى * تَمِغَتْ لِمَنْتِهِ فِيهِ أَطِيطًا
لَقَدْ أَرَدَيْتَ قَوْمَكَ يَا بَنَ صَخْرٍ * وَقَدْ جَسَمْتَهُمْ أَمْرًا سَلِيطًا
وَكَمْ أَسَلَمْتُ مِنْكُمْ مِنْ كَيْ * جَرِيحًا قَدْ تَمِغَتْ لَهُ غُطِيطًا

مَضَتْ أَيَّامُ النِّجَارِ الْآخِرِ ، وَهِيَ خَمْسَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ .

قال أبو عبيدة : ثُمَّ تَدَاعَى النَّاسُ إِلَى السَّلَامِ عَلَى أَنْ يَذَرُوا الْفَضْلَ وَيَتَعَاهَدُوا

وَيَتَوَاقُوا .

(١) يَوْمُ عَيْنِ أَبَاغٍ

قال أبو عبيدة : كَانَ مَلِكُ الْعَرَبِ الْمُتَنَذِرُ الْأَكْبَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، ثُمَّ مَاتَ فَلَمْ

أَبْنَهُ عَمَرُو ، ثُمَّ هَلَكَ فَلَمْ يَبْعُدْهُ أَخُوهُ قَابُوسُ ، ثُمَّ مَاتَ فَلَمْ يَأْخُذْهُ الْمُنْذِرُ بْنُ الْمُنْذِرِ

* (١) أَبَاغٍ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ مِنْ أَبَاغٍ (بِضْمِ الْمُهْزَةِ وَغَيْنِ مَجْعَةٍ وَفَتْحِ الْمُهْزَةِ أَيْضًا) : بِطَرَفِ

أَرْضِ الْعِرَاقِ حَتَّى يَلِيَ الشَّامَ .

ابن ماء السماء . وذلك في مملكة كسرى بن هرمز ، فغزاه الحارث الغساني ، وكان بالشام من جهة قبرص ، فالتقوا بعين أباغ ، فقتل المنذر ، فولى كسرى النعمان بن المنذر ، ثم سعى إلى كسرى في النعمان فقتله ، وقد تقدم ذكر سبب ولايته ومقتله .

وكان النعمان لما تحقق غضب كسرى عليه حرب ، ثم علم أنه لا منجى له من يد كسرى فقدم إليه فقتله . واستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي . وكان النعمان لما شخص إلى كسرى أودع حلقته ، وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا ، هانيء بن مسعود الشيباني ، وجعل عنده أبنته هنداء التي تسمى حرقة ، فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء ، فقال زهير بن أبي سلمى من أبيات :

ألم تبر للنعمان كات بجموة * من الشرلو أن أمرا كان ناجيا
فلم أر مخدولا له مثل ملكه * أقل صديقا باذلا أو مؤاسيا

يوم ذي قار

قال أبو عبيدة : يوم ذي قار هو يوم الحنو ، ويوم قراقرة ، ويوم الجبابات ، ويوم ذات العجرم ، ويوم بطحاء ذي قار ، وكلها حول ذي قار .

قال أبو عبيدة : لم يكن هانيء بن مسعود المستودع حلقه النعمان ، وإنما هو ابن أبيه ، وأسمه هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود ، لأن وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : " اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا " .

ولما قتل النعمان كتب كسرى إلى إياس بن قبيصة يأمره أن يضم ما كان للنعمان ، فأبى هانيء بن قبيصة أن يسلم ذلك إليه ، فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل ، فقدم عليه النعمان بن زُرعة التغلبي فقال : يا خير المملوك ، ألا أدلك

على غيرة بكر بن وائل، قال نعم، قال: أقرها وأظهر الإضراب عنها حتى يطيها
القيظ ويدينها منك، فأقرهم، حتى إذا قاطوا نزلت بكر حنوذى قار، فأرسل إليهم
كسرى النعمان بن زُرعة يخبرهم بين ثلاث خصال: إما أن يسلموا الحلقة، وإما
أن يعروا الديار، وإما أن يآذنوا بحرب. فتنازعت بكر بينها، فهم هانيء بن
قيصة بركوب الفلاة، وأشار به على بكر وقال: لا طاقة لكم بجوع الملك، فلم تَر
من هانيء سقطة قبلها.

١٤١
١٣

وقال حنظلة بن نعلبة بن سيار العجلي: لا أرى غير القتال، فإننا إن ركبنا
الفلاة لمتنا عطشا، وإن أعطينا بأيدينا تُقتل مقاتلتنا ونُسبي ذراريها، فزاسلت بكر
عنها وتوافت بذى قار، ولم يشهدا أحداً من بني حنيفة، ورؤساء بكر يومئذ ثلاثة
نقر: هانيء بن قبيصة الشيباني، ويزيد بن مسهر الشيباني، وحنظلة بن
نعلبة العجلي.

فقال حنظلة بن نعلبة لهانيء بن قبيصة: يا أبا أمانة، إن ذمتكم ذمتنا عامة،
وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا، فأخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك،
فإن تنظر فسترد عليك، وإن تهلك فاهون مفقود، ففرقها فيهم. وقال للنعمان:
لولا أنك رسول ما أبت إلى قومك سالماً.

قال: فعقد كسرى للنعمان بن زُرعة على تغلب واليمر. وعقد لخالد بن يزيد
البهرائي على قضاة وإباد. وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، ومعه
كتيبته: الشهباء ودوسر. وعقد للهامرز التستري على ألف من الأساورة، وكتب
إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن الحديين — وكان عاملاً على طف
سقوان — يأمره أن يوافي إياس بن قبيصة، فصار إليه.

وسار إياس بمن معه من الجند وغيرهم ، فلما دنوا من بكر أقبل قيس بن مسعود الى قومه ليلا ، فأمرهم بالصبر ثم رجع .

فلما ألتقى الزحفان وتقرب القوم ، قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي فقال : يا معشر بكر ، إن نساب الأعاجم يفرقكم ، فعاجلوهم الى اللقاء وابدعواهم بالشدة ، وقال هانيء بن مسعود : يا قوم ، مهلك مقدور ، خير من منجى مغرور .
 إن الجزع لا يرد القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنية ، وأستقبال المنية خير من استنبارها ، فالخذ الحذر ، فما من الموت بد .

ثم قام حنظلة بن ثعلبة ففقطع وضن النساء فسقطن الى الأرض وقال : ليقاتل كل رجل عن خليلته ، فسعى مقطع الوضن .

قال : وقطع يومئذ سبعائة من بني شيبان أيدي أقيمتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف فتجالد القوم ، وقتل يزيد بن حارثة الشكري الهامري مبارزة ، ثم قتل يزيد بعد ذلك . فضرب الله وجوه الفرس فأنهزموا ، وأتبعهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم ، وأسير النعمان بن زُرعة التغلبي . ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحامة ، فكان أول من أنصرف الى كسرى بالهزيمة هو . وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كفيه . فلما أتاه إياس بن قبيصة سألته عن الجيش فقال : هزمتنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ، ثم استأذنه إياس فقال : أخى قيس بن قبيصة مريض بعين التمر ، فاردت أن آتيه ، فأذن له .

ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخوَرَنَق فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : إياس ، فظن أنه قد حدثه الخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم

(١) الوضن : حزة الرجال .

وقتلهم، فأمر به فترعت كتفاه . وقد أكثر الشعراء في يوم ذي قار . فمن ذلك ما قاله أعشى بكر من قصيدة له :

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكًا * فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ
لَمَّا آمَلُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ * مِنْ بَيْضٍ لِمَنْشِلِ الْهَامِ تَحْتَطِفُ
بَطَارِقُ وَبَنُو مَلِكٍ مَرَّازِيَةٍ * مِنْ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النَّطْفُ
كَأَنَّمَا الْأَلُ فِي حَاقَاتِ جَمْعِهِمْ * وَالْبَيْضُ بَرَقَ بَدَا فِي عَارِضِ يَكْفُ
مَا فِي الْخُدُودِ صُدُودٌ عَنْ سِيوفِهِمْ * وَلَا عَيْنَ الطَّعْنِ فِي اللَّيَّاتِ مُنْحَرِفُ
وَقَالَ الْأَعْشَى يَلُومُ قَيْسًا مِنْ أَيْبَاتِ :

أَقْبَسَ بَنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ * وَأَنْتَ أَمْرٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
رَجَلَتَ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ غَمِيدُهُمْ * فَلَا يَبْلُغُنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
فُعِرَّتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ * كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُعْرِ الْمَفَازِلُ
شَفَى النَّفْسَ قَتْلَ لَمْ تُوسِّدْ خُدُودَهَا * وَسَادًّا وَلَمْ تُعَضِّضْ عَلَيْهَا الْأَنَامِلُ
لَعَلَّكَ يَوْمَ الْحِنُوِّ إِذَا صَبَحْتَهُمْ * كَتَّابٌ لَمْ تَعِصْكَ بِهِنَ الْعَوَازِلُ

١٤٢
١٣

قال : ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود بما فعل مع قومه حبسه حتى مات في حبسه، فقيه قال الأعشى :

٢٢٨ ٤٣١
* وَعُرِّيَتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ *

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر في أحد

الأصليين الفتوغرافيين المرموز له بنسخة (١)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار وحذف التكرار من كتاب « نهاية

الأرب في فنون الأدب » لمؤلفه أحمد بن عبد الوهاب القرشي المعروف بالتوحيدي

٢٠

(١) رواية العقد القريد : * كَتَّابٌ مَاتَ لَمْ تَعِظْكَ الْعَوَازِلُ *

رحمة الله تعالى عليه وعُفْرانه على يد كاتبه فقير رحمة ربه الشامل نور الدين بن شرف الدين العالمى ، فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب الفرد من شهر سنة سبع وميتين وتسعمائة من الهجرة النبوية ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً الى يوم الدين ، ويليه الجزء الرابع عشر من نسخة الأصل وأوله : (القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية) .

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر أيضاً
فى الأصل الثانى الفتوغرافى المرموز له بنسخة (ب)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار ، وحذف التكرار ، بعون الله تعالى وتوفيقه ويُمْنه ، وبتمامها كل الجزء الثالث عشر من كتاب : « نهاية الأرب فى فنون الأدب » يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الرابع عشر من الكتاب ، وهو الجزء الرابع من التاريخ : القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية . وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

« وكتب بالهامش مانصه : بلغ مؤلفه مقابلة بأصله والمحمد لله » .

أنجزت — بعون الله وحسن توفيقه — تصحيح وتحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية فى يوم الأحد ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٦٨ هـ (٩ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م) . ويليه الجزء السادس عشر وأوله : « القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية » .

محمد عبد الجواد الأصمغى

المصحح بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية

كَمَل طبع "الجزء الخامس عشر من (نهاية الأرب في فنون الأدب)"

بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الأربعاء ١١ محرم سنة ١٣٦٩

محمد نديم

(٢ نوفمبر سنة ١٩٤٩) ما

مدير المطبعة بدار الكتب

المصرية

جروب مَعِينُ التاريخ لأهل التاريخ

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٥/١٩٤٢/١٥٠٠)
